دراسات فى
التاريخ الأمريكى



أ.د صلاح أحمد هريدى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب - فرع دمنهور - جامعة الإسكندرية

دراسات فى

التاريخ الأمريكي

دكتور

صلاح أحمد هريدى على

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب بدمنهور

جامعة الإسكندرية

2010

مكتبة بستان المعرفة

طباعة ونشر وتوزيع الكتب

☎: ٠٤٥/٢٢١١٤٩٥&٠١٢/١١٥١٢٣٧



بطاقة فهرسة

علي، صلاح أحمد هريدى ، دراسات فى التاريخ الأمريكي

صلاح أحمد هريدى على

كفر الدوار: مكتبة بستان المعرفة، ٢٠٠٩.

ص؛ ١٧× ٢٤سم

تدمك: ٩٧٧ ٣٩٣ ١٣٩ ٠

أ- العنوان:

العنوان	دراسات فى التاريخ الأمريكي
اسم المؤلف	صلاح أحمد هريدى على
رقم الإيداع	٢٠٠٩ / ١٧١٠٤
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977 - 393- 139 - 0 -
الناشر	مكتبة بستان المعرفة
	كفر الدوار - الحدائق – ش سور المصنع – أمام أبراج الحلوانى ☎: ٠٤٥/٢٢١١٤٩٥ & الإسكندرية ٠١٢١١٥١٢٣٧ Email: bostan _ elma3rafa @ yahoo.com

بسم لله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد....

يتعرض هذا الكتاب للتاريخ الأمريكي منذ حركة الكشوف الجغرافية فى الأمريكتين وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية مع دراسة لبعض المشكلات التى نجمت عن هذه الحرب.

وتتقسم الدراسة إلى ثمانية فصول، الأول منها بعنوان الكشوف الجغرافية فى الأمريكتين وفيه تمت دراسة بعض الحضارات التى وجدت هناك قبل وصول كولمبوس إليها مثل حضارات الأزتك والمايا والشبشا والألنكا، ثم تم التعرض فيها لبعض جهود الأوروبيين فى حركة استكشاف القارة.

أما الفصل الثانى فعنوانه "حرب الاستقلال الأمريكية" حيث تمت دراسة الأسباب التى أدت إلى حرب الاستقلال، ثم تطور أحداثها، وتم التطرق فى هذا الفصل إلى مسألة وضع الدستور الأمريكى وتقسيم السلطات فيه.

أما الفصل الثالث، فعنوانه " مبدأ منرو والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، حيث تم التعرض لهذا المبدأ الذى ينسب للرئيس الأمريكى "منرو"، كما تم التطرف فيه لموقف انجلترا من هذا المبدأ ثم تفسير هذا المبدأ أما الفصل الرابع، فكان عنوانه "أمريكا اللاتينية فى أعقاب حرب الاستقلال الأمريكية"، وفيه تم التعرض للموقف الأوروبى وخاصة الأسبانى لما لها من مستعمرات كثيرة فى أمريكا اللاتينية وموقف شعوب أمريكا اللاتينية فى أعقاب حرب الاستقلال الأمريكية ونظرتهم لها على أنه مثال يحتوى به.

ولقد تم الحديث عن بعض الأمثلة للثورات فى أمريكا اللاتينية مثل ثورة فنزويلا وثورة المكسيك وأخيراً ثورة البرازيل.

وتناول الفصل الخامس الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ – ١٨٦٥) وهى الحرب التى عرفت بحرب الأشقاء. وأسباب هذه الحرب ترجع إلى مشكلة الرق بين الولايات الجنوبية التى كانت تبيح الرق وبين الولايات الشمالية التى كانت عكس ذلك. أما المسألة الثانية التى ناقشها هذا الفصل هى مسألة انضمام تكساس للولايات المتحدة ، والتى كانت تتبع المكسيك، ونتج عن ذلك قيام الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك. وكذلك انضمام كاليفورنيا إلى الولايات المتحدة. وقضية تقدم الشمال على الجنوب، والقضايا الاقتصادية أو قضايا توزيع الأرض وقد ناقش هذا الفصل النتائج التى ترتب عن تلك القضايا.

أما الفصل السادس فقد ناقش التطور السياسى و الاقتصادى والاجتماعى للولايات المتحدة منذ عام ١٨٦٥ حتى عام ١٩١٤.

وفى الفصل السابع فتم التعرض لموقف الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الأولى، فقد تم التعرض لتقوقع الولايات المتحدة الأمريكية فترة طويلة إلى أن خرجت أراء تطالبها بضرورة الانتشار، وتمت مناقشة النتائج التى ترتبت على ذلك.

أما الفصل الثامن فقد ناقش مشاركة الولايات المتحدة فى الحرب العالمية الثانية ثم تم التعرض فى النهاية لبعض المشكلات التى نتجت عن هذه الحرب.

وبعد،، فإننى أرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت...

دكتور
صلاح أحمد هريدى.

الفصل الأول

الكشوف الجغرافية في الأمريكتين

لا يمكن فهم الأسباب والدوافع التى أدت لاكتشاف القارة الأمريكية دون أن نعرض ولو بصورة موجزة نشوء حركة الاكتشافات التى بدأت فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر والتى استمرت مدة طويلة مما سمح لإنسان العالم القديم بالتعرف على جميع بقاع الأرض التى كان يجهل وجودها حتى ذلك الحين حيث تضافرت عوامل عديدة ومتفرقة قادت إلى ظهور تلك الحركة، حيث تطورت الحياة الاقتصادية. ففى أوروبا ازدادت العلاقات الاقتصادية بين كل دول القارة من جهة وبينها وبين باقى بلدان العالم من جهة أخرى مما أدى إلى ازدياد الطلب على المعادن الثمينة وبصورة خاصة الذهب والفضة باعتبارهما وسيلتا التبادل التجارى الوحيدتان المتعارف عليها والمقبولتان فى العالم آنذاك. ولما كانت موارد الذهب والفضة فى العالم القديم محدودة وقليلة ولم تعد تفى بحاجات التجارة الدولية أصبح البحث عن مصادر جديدة لهذين المعدنين أمراً ملحاً وضرورياً.

يات من الميسور بناء سفن أكبر وأسرع وأكثر قدرة على مواجهة الأنواء والعواصف وعلى تحمل السفر الطويل، مما فتح أمام العاملين فى صناعة النقل آفاقا جديدة وسمح لهم بالتوغل كثيراً فى البحار والابتعاد لمدة طويلة ولمسافات أبعد عن الشواطئ وعن المناطق المسكونة والمعروفة.

ومع انتشار أفكار جديدة حول كروية الأرض وخصوصاً ظهور كتب التراث اليونانى وما حملته من أفكار ونظريات حول كروية الأرض، ومن أن الاتجاه غربا من شواطئ أوروبا الغربية يقود حتماً إلى شواطئ الشرق، أخذ الناس يميلون إلى الاعتقاد بأن بحراً واحدً يصل بين شـواطئ أوروبـا وأفريقيا وآسيا، وإن كان هذا صحيحاً فليس ما يمنع من الوصول بحراً إلـى شواطئ أوروبا متجهين غرباً. وهذه الفكرة بذاتها نقطة انطلاق لكثير مـن المغامرات. وقد زاد اهتمام الناس بصورة خاصة بهذه الأفكار بعـد ظهـور كتاب Mapg Mundi لمؤلفه الفرنس D'alliy فى بلجيكا سـنة ١٤٨٢م الذى وردت فيه بشكل واضح ومفصل.

وسيطر العثمانيين على الشرق الأدنى

فمنذ أقدم الأزمان كانت تجارة أوروبا مع الشرق وبصورة خاصـة مع الهند تتم عبر بلدان الشرق الأدنى. فبضائع الهند وخصوصـاً الآفاويـة والبهارات المعتبرة فى أوروبا من أسباب الرفاه المطلوبة والمتخذة من قبـل التجار كمصدر أساسى من مصادر الربح الوفير، كانت تصل إلى أوروبـا عن طريق الخليج العربى فالموانئ السورية ومن سوريا كان تجـار جنـوة والبندقية يتولون نقلها إلى أوروبا بحراً محققين بذلك أرباحاً كبيـرة. ومـع ظهور الإمبراطورية العثمانية ونمو قوتها المتزايد أخذت تضع العراقيل أمام تجارة أوروبا مع الشرق الأقصى حتى قضت عليها تقريباً فى أواخر القـرن الخامس عشر. ومن هنا بدأ الناس فى أوروبـا يتسـاءلون عـن إمكانيـة الوصول إلى الهند والاتجار معها مباشرة للتخلص من سـيطرة العثمـانيين المتزايدة على تجارتهم.

كانت هناك رغبة ملحة لدى الكثيرين وخاصة فى الأوساط المتمدينة فى أسبانيا والبرتغال للعمل على نشر الدين المسيحى فى تلك البلـدان التـى كانوا يفترضونها وثنية.

بدأت أولى مساعى الاكتشاف فى شبه جزيرة ايبريا وبصورة خاصة فى البرتغال وهذا أمر طبيعى نظراً لموقع البرتغال وأسبانيا الجغرافى علـى المحيط الأطلسى ولإشرافها على أهم طرق المواصلات البحرية الدولية فـى ذلك الحين. يضاف إلى ذلك استعداد ورغبة شعبى البلدين فى الانطلاق نحو آفاق جديدة واكتشاف بلدان مجهولة. وربما أمكننا أن نضيف إلى ذلك رغبة الشعبين فى العمل على نشر المسيحية فى أصقاع جديدة نظراً لمـا عـرف عنهما فى ذلك الحين من تدين ومن تمسك بالمسيحية.

لقد تنافس الأسبان مع البرتغاليين فى حركة الكشوف الجغرافية وفى اكتشاف بلدان جديدة وفى التعرف إلى طرق جديدة للتجـارة مـع الشـرق تحررهم من سيطرة تجار جنوة والبندقية ومماليك مصر من جهة والدولـة العثمانية بأساطيلها القوية فى البحر المتوسط من جهة ثانية على خط التجارة مع الشرق وبصورة خاصة الهند. إلا أن الأسبان كانت تشغلهم طيلة القـرن الخامس عشر تقريباً سلسلة من الحروب خاضوها ضد المسلمين للقضاء على آخر ما بقى لهم من معاقل فى شبه الجزيرة الأسبانية دولة غرناطة ولم يـتم ذلك نهائياً لعرش قشتالة إلا فى سنة ١٤٩٢. وبعد هذا التاريخ فقـط صـار بمقدور فردناند وزوجته إيزابيل الاهتمام بأمور التوسع والاستعمار.

أمريكا قبل كلومبس

هاجر إلى أمريكا سكانها الأصليون، وهم مختلفون فى صفاتهم البشرية، من آسيا إلى أمريكا الشمالية فى موجات بشرية متعاقبة عن طريق مضيق بهرنج. بدأت هذه الهجرات فى زمن مبكر جداً. ويبدو أنها استمرت إلى زمن قريب نسبيا. كان المهاجرون عند وصولهم أمريكا فى حالة بدائية جداً. أصبحوا فى عزلة عن سائر شعوب الأرض، فاخذوا ينتشرون انتشاراً بطيئا فى مختلف أنحاء الأمريكتين الشمالية والجنوبية، وبدأت تقوم لكل فئة ثقافتها المحلية الخاصة. تدرجت هذه الثقافات من الحالة الهمجية إلى درجة عالية نسبياً من الحضارة. بلغ الكثير من هذه الجماعات فى زمن مبكر نسبياً مرحل الزراعة وتوصل الانكا فى بيرو إلى استخدام البرونز، ظل استخدام الحديد وفكرة العجلة غير معروفين. كان الكلب معروفاً لديهم جميعاً وكذلك الديك الرومى والبط، وفى مرتفعات بيرو كان اللاما واللأليكا واللاما البرية، هي كل ما عرفوه من الحيوان المستأنس. كان اللاما حيوان الحمل الأوحد لديهم.

عندما كشفت أمريكا كانت أرقى شعوبها ثقافة وأعظم مجتمعاتها تعقيداً وأعظمها أهمية من الناحية السياسية هم الأزتك، ومركزهم فى وادى أناهواك، ثم جماعة المايا سكان يوقطان وأجزاء من بلاد المكسيك وأمريكا الوسطى، والشبشا فى هضبة كولومبيا، والأنكا، ومركز امبراطوريتهم فى مرتفعات بيرو. قام بين تلك المدنيات الراقية التى نشأت فى بلاد المكسيك وفى يوقاطان وأمريكا الوسطى، ومدنيات جبال الأنديز تبادل ثقافى على نطاق واسع استمر فترة طويلة، ولربما كان هناك أيضاً تبادل ثقافى بين شعب أمريكا الوسطى والنازلين فى إقليم الأنديز. قامت مدنيات الأزتك والانكا على ثقافات سابقة لهما ذات مستوى عال.

الأزتك:

هم أصلا احدى القبائل الصغرى فى مجموعة نهوى الكبرى، وهى المجموعة التى قامت على يديها مدينة تولتك الراقية، والتى تسلمت، عن طريق النقل الثقافى بعض المعلومات الرياضية والفلكية فضلا عن تقويم من احدى الجماعات النازلة فى المناطق الواطئة، ربما كانت المايا. ثم وصلت إلى ذروتها فى القرن الثالث عشر وأخذت من بعد ذلك فى الاضمحلال وتبعتها ثقافة شيشمك الانتقالية. عندما وصل الازتك إلى شواطئ بحيرة تزكوكو فى سنة ١٣٢٥ انشئوا فى مستنقعاتها عاصمتهم المنيعة تنوشتتلاف، واستطاعوا بفضل تفوقهم السياسى وقدرتهم العسكرية وما عقدوه من تحالف أن يبسطوا نفوذهم على وسط وجنوب المكسيك من الخليج حتى المحيط الهادى، وأسسوا لهم مستعمرات فى أمريكا الوسطى. فى سنة ١٥١٩ كان عدد أرباب البيوت فى مدينة تنوشتتلاف حوالى الستة آلاف، ولربما شملت إمبراطورية الأزتك خمسة ملايين نسمة. كانت الحكومة بها مركزية إلى درجة ما، يعين ملكها بطريق الانتخاب وتعين السلطة المركزية حكام الأقاليم. نظامها القضائى على درجة عالية جداً ولها جيش كفء كبير وكان لأفراد الجيش مكانة كبيرة فى مجتمعهم تعادل مكانة الكهنة ورجال الدين وأن هذا الشعب كان بطبعه مشاكسا وميالا للقتال. ولذا فقد عرف بعض التنظيمات التى تتبعها الجيوش الحديثة.

قسموا الجيش إلى محترفين يرسلون إلى المدارس العسكرية حيث يدربون لعدة سنوات على تمارين قاسية. وكان يشترط للدخول إلى هذه المدارس مستوى مرتفع من الثقافة. وتفرض الخدمة العسكرية العادية على الجميع فقط أثناء الحروب. أحرز الأزتك تقدما كبيراً فى الهندسة والمعمار

وفى الفنون والرياضيات والفلك. استخدموا فى تشييد مبانيهم الكبرى الملاط والخراسين يغطيها الجص. كان لهم مجموعة من التراث والتاريخ والفلسفة والشعر يتناقلونها مشافهة. ابتكروا طريقة الكتابة التصويرية وتدرجت هذه فى سرعة نحو الكتابة الصوتية، كما توصلوا إلى معرفة أولى مبادئ الموسيقى أما الزراعة فكانت على درجة كبيرة من التقدم والتجارة والصناعة البسيطة رائجة. بلغ استخراج الذهب والفضة كما بلغت صناعة الفخار ونسج الأقمشة مرتبة عالية، قامت ديانة الأزتك على مبدأ تعدد الآلة، ورغم ما كان لهم من آراء عالية كثيرة فإن آلهة الحرب هونزلوا يوشتلى كان أهم معبوداتهم، وأدت عبادته إلى قيام نظام للضحايا البشرية أوسع ما عرف من نوعه فى العالم. ألف الكهنة طائفة لها سلطاتها فى الناحيتين السياسية والدينية دب القلق بين بعض الشعوب الخاضعة لحكم الأزتك مما جعلهم مستعدين لاقتناص أول فرصة للخروج عليهم. كانت تنزل فى تلاكسكالا القوية التى مع احتفاظ باستقلالها كانت تنظر إلى الأزتك على أنهم أعداؤها المتوارثون. وجد الأسبان فى هذا ظرفاً مواتياً أيام الفتح.

المايا:

نزلوا فيما قبل العصر المسيحى فى شبه جزية يوقوطان وفى تباسكو وسياباز، وفى شمال ووسط وشرق جواتيمالا وغرب هونـدوراس. أنشئوا مدينة وصلت أوجها زمناً طويلاً قبل ١٠٠٠م، وكانت من بعض نواحيها الثقافية أرقى ما عرف فى العالم الجديد . انتشرت ثقافة المايا فى عصرها الأول فى معظم أرضيها بطريقة منتظمة، ولكنها أخذت فيما بعد سنة ١٠٠٠م تميل إلى التركيز فى شبة جزيرة يوقاطان. لم يتمكن المايا فى أعز أيامهم من إقامة إمبراطورية موحدة إذ كانت البلاد مقسمة إلى أنواع تعرف

الواحدة منها باسم المدينة الدولة يديرها حكام دينيون وسياسيون أو فئات من أرباب الحكم. بلغ الفن والمعمار والرياضيات والهندسة والفلك فى هذه المدن درجة كبيرة من التقدم وتوصل المايا إلى ابتكـــار فكـــرة الصـــفر والنظـــام العشرينى للأعداد وعمل تقويم أدق من التقويم اليوليانى.

شيدوا المعابد والمبانى الكبرى من الحجر والملاط وأقـــاموا علـــى واجهات الأحجار المنحوتة. كانت لديهم شبكة من الطرق المعبدة. كانت لهم مجموعات للقوانين واللوائح المتصلة بالأمور الدينية أو الفلكية، ولكن الكتابة لم تكن معروفة. احتفظوا عن طريق المشـــافهة بمجموعـــة مـــن التقاليـــد الموروثة والتاريخ والتنبؤات. قامت ديانتهم على تعدد الآلهة وهـــى مشـــربة بالروح الإنسانية. وكانت طبقة الكهنة الذين بيدهم إدارة الشـــئون السياســـية والدينية سواء بسواء يحتكرون العلم والتعليم هم والهيئات الحاكمة. انتشرت التجارة وتقدم النسيج وعمل الفخار وبلغت الزراعة مستوى عاليـــاً. نشـــبت حرب أهلية فى القرن الثالث عشر وقامت بعض الجماعات المكسيكية بغزو المايا النازلين فى يوقاطان الشمالية مما نجم عنه دخول بعـــض المـــؤثرات الثقافية وخاصة ما يتصل منها بالفن والدين. قام على ما يبدو فى نفس القرن تماسك سياسى أقوى من القسم الشمالى من شبه الجزيرة كانت نتيجة استقرار السلام حتى القرن الخامس عشر وفيه قام الصراع المميت الذى انتهى بتدمير ميابان فى سنة ١٤٥١ والتخلى عن مدينتى شن اتزا واكسمال العظيمتـــين. كانت مدينة مايا عند مجئ الاسبانيين فى دور الاضمحلال مـــن النـــاحيتين السياسية والثقافية ومع ذلك فإن بعضا من ولاياتها المستقلة كانت ولا تـــزال قوية نسبياً من الناحية العسكرية. بلغ تقدير المايا النازلين فى يوقاطان قبيل الغزو الأسبانى بحوالى ٤٠٠,٠٠٠ إلى ٥٠٠,٠٠٠.

الشبشا:

كان التنظيم السياسى لجماعة الشبشا الذين قدر عددهم بحوالى المليون أكثر تماسكاً نسبيا كان الزبا فى باكاتا والزاك فى تنجا هم الحكام السياسيون، أما السلطة الدينية العليا فيتولاها رئيس الكهنة ويعرف باسم أراكا. كان للشبشا تقويم على درجة كبيرة من التقدم ولهم نظامهم العددى واستخدموا الكتابة التصويرية. كانت هناك تجارة واسعة النطاق وقامت بعض الصناعات البسيطة بلغت الصناعات الفخارية درجة كبيرة من التقدم. أحرز الشبشا فى بعض النواحى المتصلة بصناعة الذهب درجة لا يدانيهم فيها أحد. استخدموا الخشب والقش فى تشييد مبانيهم.

الأنكا

خلفاء تلك الحضارات السهيلة والجبلية التى كانت لجماعة شيمو، نسكا، باتشكاماك، تيا هواناكو، والتى أينعت فى القرون الأولى من العهد المسيحى. استطاعوا وعاصمتهم فى كوزن أن يبسطوا سلطانهم على المنطقة الممتدة من إكوادور حتى وسط شيلى على طول الساحل وفى الداخل حتى الصفوح الشرقية لجبال الأنديز بما فى ذلك هضبة بوليفيا. كان توسعهم سريعا خاصة فى القرن الرابع عشر وما بعده ومن اكبر قوادهم الفاتحين (هوانيكا كاباك) الذى امتد به العمر إلى ما قبيل الفتح الاسبانى. كانت إمبراطوريتهم وسكانها ما بين ستة وثمانية ملايين من النفوس منظمة تنظيما وثيقا على أساس الحكم الأبوى الاشتراكى الآلهى المستبد، تنبعث السلطة كلها من الانكا باعتباره الحاكم والممثل للألة الشمس الذى قامت ديانتهم على عبادته. كان هناك نظام متدرج محكم الأوصال للإدارة الإقليمية والمحلية. لكل فرد مركزه الثابت فى المجتمع والدولة تعطف على الجميع وتعمل ما فيه

الخير للجميع . كان لهم جيش كبير منظم خير نظام وامتدت شبكة من الطرق الحربية والبريدية فى جميع أنحاء الإمبراطورية. لم يصل الانكا إلى ما وصل إليه المايا والأزتك من التقدم فى العلوم الرياضية والفلك ولكنهم بلغوا درجة كبيرة من التقدم فى الهندسة والمعمار وعمل المنسوجات والصناعات الفخارية. لم يتوصل الانكا إلى معرفة الكتابة ولكن كانت لهم وسيلة يستعينون بها على التذكر وهى المعروفة باسم الكيبو وبواسطتها حفظوا السجلات الحكومية وأبقوا على تقاليدهم وأرسلوا الرسائل. بلغوا درجة فائقة من المهارة فى صناعة الذهب وتقدمت التجارة مع ما صحبها من امتداد للملاحة الساحلية. كان للقوم مجموعة كبيرة من التراث الشفوى من الشعر وكانت الموسيقى متقدمة تقدما نسبياً. أقاموا مبانيها الرئيسية من الحجر.

كان الانكا من الناحية السياسية أكثر شعوب العالم الجديد تقدماً. قسم هويانا كاباك عند موته، على غير المألوف، الإمبراطورية بين هواسكا، ولده من زوجته الشرعية، وانا واليا، ولده من احدى جواريه. وتبع هذا قيام حرب أهلية انتصر فيها أتا هواليا على أخيه لأبيه وسجنه قبل مجئ الأسبان بوقت قصير.

أمريكا قبل استكشاف كولمبس

لم تكن محاولات كولمبس هى أولى المحاولات لاكتشاف أمريكا بل سبقه أوروبيون آخرون إليها حيث وصلها فى ٧٩٠ م رهبان ايرلنديون إلى جزيرة ايسلنده خلال بحثهم عن أماكن يلجأون إليها للانصراف إلى الدين ولإيجاد مجالات جديدة لمشروعاتهم التنصيرية وذلك بعد أن كشفو جزائر فارو فى القرن السابع. وفى عام ٨٧٤م وصل الشماليون (النورمانيون والنيكنج) إلى ايسلندا و أقاموا فيها، واكتشف الشماليون فى عام ٩٨١ م

بقيادة أرك الأحمر جزيرة جريلند وسكنوها وحينما كان ليف ايركسون عائداً من النرويج فى عام ١٠٠٠ م إلى جريلند دفعته العواصف إلى الساحل الأمريكى الذى سماه أرض الكروم إشارة إلى الكروم التى وجدها هناك. من المحتمل أن تكون هى نوفا سكتشيا. وفى الفترة ما بين ١٠٠٣ – ١٠٠٦ م خرج ثورفن كارلسننى فى ثلاث سفن من جريلند ليسكن أرض الكروم.

قضى هو ورجاله ثلاث سنوات كلها شتاء بارد فى القارة الأمريكية. ولم تحدد الجهات التى زارها. وقد وصل مختلف المستكشفين إلى لبرادور وفلوريدا على ما بينهما من بعد المسافة. ولو أن البعض يؤكد أن كارلسفنى لم يزر سوى ساحل لبرادور وجانبى الساحل الشمالى لجزيرة نيوفوندلاند ولابما كان سترادو مفورد على مقربة من خليج هير.

أن الفترة التى استمرت فيها زيارات الشماليين للقارة الأمريكية غير مقطوع بها علماً بأن هناك بعض الأدلة ترجع إلى سنة ١١٨٩م، وهناك احتمال أنهم جاءوا ووصلوا إلى جنوب لبرادور بحثاً عن خشب لسفنهم. أخذت مستعمرات جريلند من بعد ذلك فى التدهور، وإن كانت المستعمرة الغربية(فى جنوب شرقى جريلند) ظلت قائمة حتى منتصف القرن الخامس عشر، ويبدو أن السفن كانت تذهب إليها فى زيارات دورية يرجح أنها للاتجار فى جلود بقرة البحر وأنيابها.

وشهدت الفترة مابين ١٤٧٠ – ١٤٧٤ قيام رجلان المانيان هما دريك باينتج وهانس بوشرست فى خدمة الدنمراك برحلة إلى ايسلندة وبلاد الغرب بناء على طلب ملك البرتغال وقد حكم باينتج ايسلندة فى الفترة من ١٤٧٨ إلى ١٤٩٠ م. ولم يكن هناك من الأسباب ما يحول بينه وبين الوصول على أمريكا، ولكنه لم يتجاوز هو صديقه بوشرست جريلند.

وكتب على خريطة سميث عام ١٥٣٧ م أن مرشداً بحرياً يدعى جوهــانس سكولفس وصل إلى لبرادو فى ذلك الحين.

رحلات كولمبس

ولد كريستوف كولمبس فى عام ١٤٥١ بالقرب من جنوة، وهو ابن دومينكو كولومبو وصناعته نساج أقمشة ويكاد لا يعرف شئ قاطع عن شبابه ربما كان كولمبس نفسه نساجاً. وربما لم يخرج إلى البحــر إلا فــى عــام ١٤٧٢ م حينما قام برحلة الى سكيد ثم إلى البرتغــال فــى عــام ١٤٧٦م، وانجلترا فى عام ١٤٧٧م. وخرج فى رحلة أخرى إلى جزائر ماديرا فى عام ١٤٧٨م. وتزوج عام ١٤٨٠م ابنة بارثو لومبو بريستللو القبطان فى مينــاء سانتو بالقرب من ماديرا وسمع الكثير عن الاستكشافات البرتغاليــة والآراء الشائعة فى لشبونة. وفى عامى ١٤٨٣، ١٤٨٤م لجأ كولمبس علــى ملــك البرتغال جون الثانى طالباً تمويل سفره إلى الغرب، وليس من الواضــح إذا كانت للبحث عن جزائر جديدة أو عن طريقه إلى آسيا. كان الملك فى ذلــك الحين بالذات يأذن للحملات التى يمولها أصحابها بالسفر غرباً (فرمان دولمو ١٤٨٦م). ربما أنه كان يرخص لهذا الأخير لو أظهر استعداً لتمويل نفسه. يرى آخرون أن البرتغالين كانوا يعرفون أن آسيا لايمكن الوصول إليها عن هذا الطريق. الظاهر أن كولمبس، الذى كانت تبدو معلوماته الجغرافية ناقصة كل النقص، كان فى نظرهم مفاخراً مختالاً، ولهذا رفض مشروعه.

واستطاع كولمبس فى عام ١٤٨٦ م عن طريق وساطة بعض رهبان الفرنسيسكان من عرض مشروعه على فرديناند وايزبيلا ملكى اسبانيا أثــر حماسه الدينى وجاذبيته الشخصية فى الملكة، ولكن المشروع رفض ثانيــة من قبل الخبراء. التقى كولمبس فى السنوات التى تلت ذلك بالأخوة نبــزون

الثلاثة، وهم تجار أغنياء خبراء بفنون الملاحة وعنهم من غير شك تعلم الشئ الكثير. وأستطاع فى عام ١٤٩٢م بعد أن واستطاع فى عام ١٤٩٢ بعد أن دعى ثانية إلى البلاط أن يقنع الملكة فى النهاية بتمويل حملته، وليس من الواضح انها كانت لاستكشاف جزائر جديدة، أم إن غرضه كان إيجاد طريق إلى الأراضى الهندية. عين أميراً للبحار وحاكماً للممتلكات التى يتم كشفها، ولكنه زود بخطاب للخان الأعظم، مما جعل من المحتمل أن حملته كان لها غرض مزدوج.

قام كولمبس برحلته الأولى فى الفترة من ٣ أغسطس ١٤٩٢ – ١٥ مارس ١٤٩٣ م من بالوس فى ثلاث سفن تولى مارتن نبزون قيادة أحداها والمرشد جوان دى لاكوزا قيادة سفينة ثانية وترك كناريا ونزل إلى الأرض فى بهاما وسماها سان سلفادور واكتشف بعد ذلك كوبا، التى ظنها بلاد الخان الأعظم ثم سانتو دومنجو، انشئت محطة فى سانتو دومنجو. عاد بعد ذلك كولمبس (٤ يناير ١٤٩٣م) معرجاً فى طريقة على الأزورة (١٥ فبراير) ونزل فى لشبونه ٤ مارس وأخيراً وصل بالوس ١٥ مارس. أعلن انه استكشف بلاد الهند. انتشر الخبر فى أوروبا بسرعة فائقة.

وفى ٤ مايو ١٤٩٣ م منح البابا الكسندر السادس، بناء على طلب اسبانيا، التى خشيت أن تدعى البرتغال لنفسها حقوقاً معارضة لها، ملوك الكاثوليك الحق المانع وملكية جميع الأراضى الواقعة إلى الجنوب والغرب فى اتجاه الهند مما لم يمكن فى حوزة أمير مسيحى يوم عيد الميلاد عام ١٤٩٢م، وذلك فيما وراء خط يرسم على بعد ١٠٠ فرنح على الغرب من الأزورة وجزائر رأس فرد.

وقام كولمبس برحلته الثانية (٢٥ سبتمبر ١٤٩٣ – ١١ يونيو ١٤٩٦م) بسبعة عشر سفينة صغيرة و ١٥٠٠ رجل لإقامة الحكم الأسبانى. اكتشف فى هذه الرحلة دومنيكا وبورتوريكو وجزائر أخرى من الأنتليه وجاميكا والساحل الجنوبى لكوبا وطاف حول أسبانيولا حيث أسس مدينة أيزابيلا. عهد بالأمر لأخيه بارثولوميكو الذى نقل المستعمرة فى عام ١٤٩٦م عقدت معاهدة تورد سيلاس بين البرتغال وأسبانيا. تحرك خط التحديد ٢٧٠ فرسخاً أخرى إلى الغرب، على أن يكون للبرتغال الحق المانع فى جميع الأراضى التى إلى الشرق منه ولأسبانيا تلك التى إلى الغرب منه. أن عقد هذه المعاهدة غير واضح تماماً، وكثيراً ما استشهد بها لاستدلال على أن البرتغال كانت تعرف بوجود البرازيل التى أدخلتها المعاهدة ضمن النطاق البرتغالى.

أما الرحلة الثالثة فقد قام بها كولمبس (٣٠ مايو ١٤٩٨ – ٢٥ نوفمبر ١٥٠٠م) واستكشف جزيرة ترنداد (٣١ يوليو ١٨٩٤م) أمريكا الجنوبية أول أغسطس بالقرب من مصب أورونوكو. قام باستكشاف الساحل غرباً حتى جزيرة مارجريتا. ذهب من بعد ذلك إلى أسبانيولا حيث قاموا بثورة علية التمس من الملك أن يبعث قاضياً. أرسلت الحكومة فرنسسكو دى بوباولا (١٤٩٩) على الأراضى الهندية، وهو الذى أمر بإعادة كولمبس وأخيه سجينين إلى أسبانيا. وأخلى سبيل كولمبس وعومل بكل إجلال، ولكنه رغم الحقوق الممنوحة له من قبل لم يسترد بعد ذلك سلطته الأولى ولا المنح الأمتيازيه التى كانت له بدأت الرقابة الملكية المباشرة بمجئ بوباولا. ثم قام كولمبس برحلته الرابعة (١١ مايو ١٥٠٢ – ٧ نوفمبر ١٥٠٤م) ووصل إلى ساحل هوندراس وسار جنوب إلى بنما ثم عاد بعد أن تكسرت سفينته فى جاميكا.

ومات كولمبس فى ٢١ مايو ١٥٠٦م. ومن الواضح المعقول أنه ظل يعتقد حتى أخر أيامه أنه اكتشف اجزاء مترامية من القارة الأسيوية، وذلك رغم الاعتقاد الذى أخذ يسود منذ ١٤٩٣ م بين الخبيرين بالجغرافيا (فاون بيتر مارنر) من أن عالماً جديداً قد كشف وقد نتج عن رحلات كولمبيس هذه عدة نتائج مهمة منهما: أثارت رحلاته موجة عارمة من روح المغامرة البحرية إلى حد كبير لدى البحارة البرتغاليين الذين داروا حول القارة الإفريقية ووصلوا إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ولدى غيرهم من الأوربيين. بدأ الملوك الكاثوليك يثبتون استعمارهم وملكيتهم على الأراضى المكتشفة جديداً. شجعت الأسبان أنفسهم على الاستمرار فى عمليات الكشف الجغرافى والتوغل فى القارة الجديدة فى الجزء الجنوبى منها.

وظهر أمريجو فزبوتشى وهو من عائلة فلورنسيه عمل فى أول حياته فى السلك الدبلوماسى ثم التحق بخدمة آل مديتشى الذين انتدبوه إلى اسبانيا ليشرف على مصالحها التجارية هناك. وبفضل اتصاله مع رجال البحر إذ كان يتولى تموين سفنهم بدأ يهتم بالعالم الجديد ويجمع المعلومات الكثيرة مما سمح له فيما بعد أن يلعب دوراً خالداً فى هذا المجال. ونال شهرته حين استطاع الوصول إلى ساحل البرازيل عام ١٥٠١م، وأخذ بعد عودته إلى أوروبا بنشر أنباء عن رحلاته بالكتابة عنها وعن الأشياء التى وجدها أثناء هذه الرحلات. وطغت سمعته وشهرته ورعايته على سمعة كولمبس وجهوده. حيث وصل إلى مصب نهر لابلاتا فى الأرجنتين بين عامى ١٥٠١ ، ١٥٠٢ وأعلن امريجو فربوتش أن البلاد التى وصل إليها هى بلاد جديدة ليست اليابان أو الصين أو الهند وإنما هى أرض جديدة

مختلفة عنها. وأطلق الجغرافيون ووضعوا الخرائط - بعناية العالم الالزاسى والدسيمولرز- Wadsemuller إطلاق اسمه على القارة الجديدة.

وبعد وفاته بسنة واحدة أى فى عام ١٥١٣م أتى الرحالة بالبوا Balboa بدليل جديد على صحة نظرية فسيوبتشى بعد عبوره برزخ بنما واكتشف المحيط الهادى، واثبت أن الأرض الجديدة أمامها بحر وورائها بحر فجاء اكتشافه تصديقاً لنظرية سلفه.

وقام الرحالة كورتيز Cortez وهو مفكر أسبانى ينتمى لعائلة ميسورة، بدأ حياته فى دراسة القانون فى جامعة سلمنفا إلا أن روح المغامرة فيه دفعته لترك الجامعة والهجرة إلى كوبا حيث التحقق بخدمة حكامها. ولما كان هذا الأخير قد نظم عدة حملات إلى شبه جزيرة يوكاتان فقد أوكل مهمة أحداها إلى كورتيز. ووصل إلى المكسيك مركز حضارة الازتك وقبائلها وكان يرأسها رجل يطلق عليه فنزوما عام ١٥٢١م. وحاول قصارى جهده أن يقضى على حضارة شعبها المسماة بحضارة الازتك. وغدت المكسيك من ذلك التاريخ تخضع للنفوذ الأسبانى، وصارت تشكل مستعمرة أسبانية. واحتل كورتيز فيما بعد ١٥٢٤ م ، ١٥٢٥، بلاد الهندوراس التى ضمها إلى أملاك أسبانيا كما أن رجاله أضلوا جواتيمالا وتوغلوا حتى وصلوا إلى كاليفورنيا.

وجاء بعد ذلك فرنسيسكو بيارو ووصل إلى أرض بيرو عام ١٥٣٣ م وقضى الأسبانيون على حضارة شعب الأنكا وضمت بلادهم إلى الاستعمار الأسبانى. وتابع الأسبان كشوفاتهم الجغرافية ذات الطابع الاستعمارى فى أرض أمريكا الوسطى فى كل من سلفادور وهنداوراس وجواتيمالا ونيكاراجوا وأسسوا فيها مستعمرات أسبانية.

رحلة ماجلان ١٥١٩ -١٥٢٢م

أرسل ماجلان من قبل ملكة أسبانيا للبحث عن مضيق إلى الجزائر الملقا. وصلت إلى ساحل البرازيل بالقرب من بدنامبوكو واكتشف مصب ريودى لابلاتا. بعد أن أمضى الشتاء فى بورت سان جوليان اجتاز المضيق المسمى باسمه دخل البحر الجنوبى الذى أطلق البحر الهادى، وتابع ماجلان سيره فى المحيط الهادى حتى وصل الى جزر فى الشرق سميت بجزر الفلبين فى مارس ١٥٢١م نسبة إلى الأمير فليب ابن الملك الأسبانى شارل الخامس. وفى الفلبين اشتبك ماجلان مع الأهالى وقتل فى الاشتباكات، ولكن ترأسديناكو البحارة وسار بهم باتجاه رأس الرجاء الصالح فى جنوبى افريقية وعبره وسار فى المحيط الأطلس حتى وصل إلى أسبانيا فى المكان الذى غادرت فيه الرحلة وهو سان روكار فى سبتمبر ١٥٢٢م. وقد استقبل رجالها استقبالاً حاراً عل اعتبار أن الناس كانوا قد فقدوا الأمل بعودتهم. وهكذا ثبت للناس عملياً ولأول مرة كروية الأرض فى عودة رجال ماجلان.

وهكذا توسع الأسبان فى عملياتهم الكشفية فى العالم الجديد وشكلوا فيه المستعمرات الأسبانية وظهر استعمار الأسبانى فى العالم الجديد مركزاً فى جنوبه ووسطه وأقل منهما فى شماله.

الكشوف الجغرافية فى أمريكا الشمالية

كان من نتائج الكشوف البرتغالية والأسبانية أن تضاءلت إلى حد بعيد الأهمية التجارية التى ظل البحر المتوسط يتمتع بها طوال العصور الوسطى، وانتقل مركز الثقل من حوض هذا البحر إلى المحيط الأطلسى الذى غدا يزخر بخطوط ملاحية لأول مرة فى التاريخ من أجل التجارة بين أوروبا

وأمريكا والشاطئ الشرقى لأفريقية وكذلك الهند وجزر الهند الشرقية وغيرهما من بلدان الشرق الأقصى، فبعد أن كانت انجلترا وهولندا وغيرها من البلدان الواقعة فى شمال أوروبا تشعر فى ألم وحسرة قبل الكشوف الجغرافية بعدم تكافؤ الفرص أمامها لبعدها عن حوض البحر المتوسط إذ بها تقفز إلى الصف الأول وتدرك أنها لا تقل فى امتياز الموقع الجغرافى عن البرتغال واسبانيا، ومن ثم اتجهت هى الأخرى نحو ميدان الكشوف الجغرافية. ولكن فى بطء وبعد فوات معظم الفرص.

أما انجلترا فتدين بكشوفها الجغرافية إلى ايطالى آخر من اهل البندقية يسمى جون كابوت والذى نزح إلى انجلترا فى عهد الملك هنرى السابع الذى أصدر أمراً فى ٥ مارس ١٤٩٦م. وقد أبحر كابوت من ميناء بريستول عام ١٤٩٧م ووصل إلى شاطئ أمريكا الشمالية عند نيوفوندلاند New Found Land. واكتفى برفع الإعلام الانجليزية على الساحل. وقد أبحر كابوت مرة أخرى فى عام ١٤٩٨م وارتاد الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية حتى فلوريدا. وقد أدى ذلك إلى استعمار انجلترا للأقاليم المعروفة الآن باسم الولايات المتحدة الأمريكية.

وتعد المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية التى شاهدتها انجلترا فى عهد أسرتى آل تويدور وآل ستيورات والناتجة على الجهد الكثير الذى بذله الانجليز فى مجال فصل كنيستهم عن كنيسة روما، وما بذلوه فى مجال الحركة الدستورية أو ما تسمى بالثورة الدستورية، وما نجم عنهما، كل هذا دعا الانجليز إلى التفكير الجاد للقيام برحلات كشفية متلاحقة لاستعمار المناطق التى يصلوا إليها واستيطانها. وكانت أولى الجماعات الانجليزية التى رحب بهذا جماعة الكاثوليك المضطهدين دينياً

لأنهم لم يعتنقوا المذهب الانجليكانى وكذلك جماعة البيورتان أو المضطهدين البروتستانت. إذ وجدت هذه الجامعات أن السبيل الوحيد للتخلص من لاضطهاد الدينى الذى حل بهم فى انجلترا هو الرحيل والمهاجرة إلى مناطق بعيدة عن انجلترا.

ولم يهتم الانجليز بالعالم الجديد حتى النصف الثانى من القرن السادس عشر، حيث قام جون هوكنز (١٥٦٢م) وحمل حمولة من العبيد من أفريقيا وباعها فى أسبانيولا. وقد بذل الأسبان شتى الجهود لوقف رحلته الثانية لتجارة الرقيق (١٥٦٣ – ١٥٦٥م) وفى رحلته الثالثة (١٥٦٧ – ١٥٦٨م) طوحت عاصفة بهوكنز إلى مرفأ فيراكروز، حيث تحطم معظم أسطوله تحطيميا كبيراً. وقام فرنسيس دريك (١٥٧٢ – ١٥٨٠م) ابن اخى هوكنز بحملات انتقامية ضد التجارة الأسبانية فبحر فى عام ١٥٧٧م واخترق ماجلان إلى الساحل الغربى لأمريكا الجنوبية وشمالاً إلى خليج دريك فى كاليفورنيا. وقد أطلق على الإقليم اسم البيون الجديدة وأعلن امتلاكها باسم انجلترا ثم أبحر إلى جزر الهند الشرقية، وعبر المحيط الهندى، ودار حول رأس الرجاء الصالح، ثم عاد إلى وطنه انجلترا. فكان أول انجليزى دار بحراً حول الكرة الأرضية. وشهدت فى أعوام ١٥٧٦ – ١٥٧٨م وبعد جهود فاشلة قام بها رواد من شركة مسكوفى للعثور على ممر شمال شرقى الصين. تركزت جهود الانجليز فى البحث عن ممر شمالى غربى. وابحر مارتن فروبشر من انجلترا فى يونيو ١٥٧٦ وارتاد ساحل لبرادور، وعبر مضيق هدسن ثم تقدم على طول لاند بافن ودخل البوغاز المعروف بخليج فروبشر. وفى عام ١٥٧٧ – ١٥٧٨ م قام برحلة ثانية. واستولى همرى جلبرت على نيو فوندلاند باسم اليزابيث ولكنه لقى حتفه فى طريق العودة عم

١٥٨٣م. ثم قام توماس كافندش بإتباع خطوات دريك واستولى على التجارة الأسبانية ودار حول الكرة الأرضية.

شركات الاستبطان الانجليزية فى أمريكا:

أرسل والتر رالى عام ١٥٨٤ م بتصريح خاص (أماداس وبارلو) لكى يؤسسا مستعمرة، فنزلا بجزيرة رونوك وأطلقا على الإقليم اسم فرجينيا. وقد أرسلت سفن تحمل المؤن عام ١٥٨٦ م لكنها وجدت المستعمرة مهجورة، إذ كان دريك قد عاد بالمستعمرين على انجلترا. وأرسلت طائفة أخرى من المستعمرين بقيادة الحاكم جون هوايت عام ١٥٨٧م، وعند عودته عام ١٥٩١ م لم يجد هوايت سوى اطلال المستعمرة وخرابها. ونظم عدد من الرحلات فى الفترة من ١٦٠٢ إلى ١٦٠٦ م كان أهمها تلك التى قام بها جورج ديموث عام ١٦٠٤م، وقد توجه ديموث لرؤية ساحل بنوا نجلند وضمن تقريره المرضى ما يثير الرغبة فى تأسيس المزيد من المستعمرات.

وفى عام ١٦٠٦ م منح الحكومة الانجليزية جماعة من أهل لندن تفويضاً بتنظيم شركة لندن بقصد استعمار الإقليم الواقع بين خطى عرض ٣٤ ، ٤١ شمالاً ومنحت طائفة أخرى تضم رجالاً من بلموث وبرستول واكستر، تفويضٌ لكى تعمل باسم شركة بليموث فيما بين دائرتى عرض ٤٥،٣٨ شمالاً، وفى الحال أرسلت شركة لندن فى ديسمبر ١٦٠٦ م ثلاث سفن تحمل مائة وعشرين مستعمراً تحت رئاسة كابتن كرستوفر نيوبورث وتم تأسيس مستعمرة جيمس تون فى مايو ١٦٠٧ م عند صب نهر جيمس وتحقق تماسك أجزاء هذه المستعمرة بفضل جهود جون سميث. وتوسعت شركة لندن ومنحت ميثاقاً جديد خول للحكومة ممثلة فى مجلس الإدارة،

سلطة تعيين مندوبيها. ثم وصل كابتن نيوبورت مع ٤٠٠ من المستعمرين الجدد وكان برفقتهم لورد ديلا وير الحاكم الجديد، وظل حاكماً حتى وفاته عام ١٦١٨ م، وحكم المستعمرة من بعده سيرتوماس ديل. وبدأت زراعة الطباق التى أخذت تلعب دوراً حيوياً فى الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية فى المستعمرة.

وصدر المرسوم الثالث فى عام ١٦١٢ من لشركة لندن والحقت بها جزر برمودا وأصبحت تخضع لنظامها وإدارتها. ثم منح لكل شخص خمسين فداناً يصل إلى المستعمرة ليستقر فيها وبدأ وصول أول مجموعة من العبيد السود فى عام ١٦١٩م. ونتيجة لوصول المهاجرين وازدياد أعدادهم بدأ فى تعيين حاكم للمستعمرة، يعاونه مجلس منتخب واجتمع هذا المجلس فى ٣٠ يوليو عام ١٦١٩ م بمدينة جيمس تون. وكان ذلك أول اجتماع نيابى فى أمريكا. ثم تعدل النظام وأصبح هناك حكومة مسئولة تتكون من الحاكم، ومجلس الوزراء، ومجلس نيابى يمثل كل منطقة زراعية نائبين منتخبين. ولم يستمر الحال حيث حدث خلاف بين صفوف الشركة ومعارضة الملك الانجليزى لهذا النظام والتوسع فى زراعة التبغ، ومعارضة الأسبان على إنشاء هذه المستعمرة. وأصبحت فرجينيا مستعمرة ملكية لها حاكم ومجلس يعين أعضاءه من قبل الملك.

أما عن أعمال شركة بليموث فقد كونت مستعمرة فى منطقة مين Maine ولكنها فشلت وشهد عام ١٦٢٠ م وصول سفينة الحجاج المهاجرين إلى رأس كد. وكان هؤلاء من المنشقين على الكنيسة الرسمية وهاجروا من سكروبى إلى أمستردام ثم إلى ليدن فى هولندا وقرروا أن يبحثوا عن وطن جديد يتيسر لهم فيه الاحتفاظ بشخصيتهم الإنجليزية، وحصلوا على تصريح

من شركة لندن، وعينوا جون كارفر حاكماً لهم، وأقلعوا من لندن فى سفينة ووصلوا إلى رأس كد الذى وجده خارج نطاق إدارة شركة لندن، وأعلنـوا ميثاقهم وتعيين هيئة سياسية، وأصدار القوانين. وأصبح الحكم هنا بناء على إرادتهم لا إرادة الملك. وبدأ وصول المهاجرين الجدد إلـى هـذه الولايـة ماساتشوسس.

وتأسست شركة بيورتيانية انجليزية فى ولاية ماساتشوسـتس عـام ١٦٢٩ م وكان عملها قد انصب على نقل الجامعات البيوريتارنية الانجليزية إلى العالم الجديد والعمل على استقراراها وتوطينها هناك بخاصة فى المناطق التى سكنها البيورتان الأوائل فى مدينة بوسطن. واسـتطاعت الشـركة أن تؤسس عدداً من المستعمرات الأنجليزية فى العالم الجديد هـى مسـتعمرات ماساتشوستس وكنكتيكت ورود وآبلاند ومين ونيوهيمشير وقد جمعت هـذه الولايـات فـى مسـمى واحـد اطلـق عليهـا مسـتعمرات نيوانجلانـد New England. وقد اقامت جماعة من الكاثوليك الانجليز بزعامة اللـورد بلتيمور فى ولاية ماريسلاند عام ١٦٣٤م بعيدة عن مضـايقات الجماعـات البروتستانت.

وهكذا استطاع الانجليز فى مدة ثمانين عاماً أن يكونوا مسـتعمرات أوروبية انجليزية بيوريتانية وكاثوليكية وغيرها فى الساحل الشمالى الشرقى من العالم الجديد فى جزئه الشمالى وهو جزء مما يسمى اليـوم بالولايـات المتحدة الأمريكية. وصارت ولاياتهم تمتد على ساحل المحيط الأطلسى من ولاية ماساتشوستس حتى ولايتى كارولينا الجنوبية.

نظام الحكم فى المستعمرات الإنجليزية

كان المستعمرون أينما ذهبوا يحملون معهم من الناحية النظرية حقوق البريطانيين الأحرارالمولد، وتراثهم من الصراع الإنجليزى من أجل الحرية. ولقد تأكد هذا بوجه خاص فى أول تفويض لتمليك وتعمير فرجينيا، إذ أعلن أن المستوطنين سيحظون بكافة الحريات والحقوق السياسية والحصانات، كما لو أنهم كانوا مقيمين ومولدين فى داخل هذه المملكة "انجلترا" فكان لهم أن يحظوا بحماية "الماجناكارتا" والقانون العام. وكان هذا مبدأ أساس عظيم القيمة على أنه كان لا بد لتنفيذ هذا من أن يبدى المستعمرين يقظة مستمرة، وأن يشنوا صراعاً حامياً من أجلها. وقد بدأوا منذ بداية تاريخهم تقريباً يعكفون على نسيج خاص لنظام الحكم الدستورى الذى يسودهم، مكافحين من أجل نظام نيابى أقوى. وإشراف على خزانة الدولة، وضمانات أكمل للحرية الشخصية.

ولقد شرع المجلس التشريعى لفرجينيا. الذى ولد فى سنة ١٦١٩م. فى سن مجموعة من القوانين المتباينة على الفور. وعندما ألغى "التاج" التفويض الذى كان لشركة فرجينيا؟. واصل مجلس مندوبى المواطنين ابداء نشاط عارم لم يتضاءل. ولم يلبث أن وضع فى بعض سنوات بعض قواعد جوهرية بصدد حقوقه. فأعلن أنه لم يكن للحكومة حق فرض أية ضرائب بدون تخويل من الهيئة التشريعية، وعليها استخدام الأموال المحصلة من الضرائب وفقاً لتوجيهات الهيئة التشريعية، وأن مندوبى المواطنين معفون من التوقيف والاعتقال. وبعد ذلك بقليل، أعلن المجلس أنه ليس لشئ أن يعترض تنفيذ قانون تشريعى. كما اتخذ خطوات ليكفل عدالة المحاكمات عن طريق المحلفين. ولقد ظل المجلس التشريعى فى فرجينيا قوى السلطات طيلة أمد

احتمال الدولة فى انجلترا ذلك بيد أنه أخذ يضعف بعد عودة آل ستيورات الى العرش غير أن خضوعه للحاكم المعين من قبل الملك لم يلبث أن قوبل برد فعل عنيف وسرعان ما تكون نظام نيابى فى خليج ماساشوستس كذلك وكانت نصوص وثيقة التخويل تتيح لجون وينثروب وأعوانه الإثنى عشر سلطة حكم المستوطنين. وفى خريف سنة ١٦٣٠م تقدمت هيئة كبيرة من المستعمرين على هذه المجموعة الحاكمة بالمطالبة بجعلهم أعضاءاً أحرارا في الشركة. وتقرر فى العام التالى الاستجابة للطلب، ولكن "بحيث تقصر هيئة النواب على الرجال الصالحين الأمناء " وبالتالى فلا" يضم لحرية هذه الهيئة السياسية إلا من يسمح بضمهم إلى بعض الكنائس، وفى الحدود التى يقبلون فيها" وهكذا أقيمت دولة دينية أو كنيسة، وقرر المعاونون الإثنى عشر أن يحتفظوا، فى الوقت ذاته، بعضويتهم للهيئة عاماً بعد عام،على ان يقصوا عنها بتصويت خاص من الأحرار (أعضاء المجلس). ولما كانوا يتولون كافة السلطات القضائية والتشريعية فى الواقع، فإن توطد هذه الولاية خلق شيئاً من الاوليجاركية – حكم الأقلية التى لا تحفل بغير استقلال مراكزها لتحقيق مطامع خاصة. وشدد الحاكم والمعاونون ورجال الكنيسة قبضاتهم معلى المستعمرة.

على أن الوقت لم يطل قبل قيام الثورة. فعندما فرضت على مدينة ووترتاون ضريبة للدفاع فى سنة ١٦٣٢م. جازف المواطنون غير الممثلين فى المجلس، ورفضوا أن يدفعوها. ولتهدئة هؤلاء المتذمرين، لم يلبث أن تقرر أن يسترشد الحاكم ومعاونوه فى وضع الضرائب بمجلس يتألف من مندوبين عن كل مدينة وبهذا تسنى وضع أساس هيئة تشريعية حقيقية. والواقع أن هذه الهيئة من مندوبى المدن كانت باجتماعها بالحاكم ومعاونوه تؤلف هيئة تشريعية من مجلس واحد. وعندما التأمت فى سنة ١٦٣٤م،

استولت على زمام السلطة التشريعية، فسنت القوانين، وقبلت ضـم أحـرار جدد، وأصبحت تتلقى اليمين بالولاء. وبهذا برزت إلى الوجود ثانية الهيئات النيابية فى القارة. وظلت ماساشوستس جمهورية بيوريتانية يحكمها أعضاء منتخبون من أهلها زهاء نصف القرن. وعندما جعلت إقليما تابعا للتاج فـي سنة ١٨٩١م، بموجب وثيقة تفويض جديدة، ظلت الهيئة التشـريعية هيئـة قوية. وكان التاج بعد ذلك هو الذى يختار الحاكم، ولكن الشعب كان يختار أعضاء المجلس النيابى، الذى احتفظ برقابة قوية على الخزانة.

وبالنسبة لرود أيلاند و كونيكتيكت فقد اجتمع احرارهم فى هارتفورد فى سنة ١٦٣٩ ووضعوا النظم الأساسية لكونيكتيكـت وهـذا أول دسـتور مكتوب وضعته إحدى الدويلات الأمريكية الكومنولث لنفسها. وقد نص على حاكم وهيئة من المعاونين، وأربعة نواب عن كل مدينة، ينتخبون جميعـاً بواسطة الشعب. وبعد عودة آل ستيورات للعرض، حصلت كونيكتيكت من التاج على وثيقة تفويض سنة ١٦٦٢م، ولكنها اشـتملت علـى نصـوص متحررة بدرجة تثير الدهشة. فللأحرار السلطة فى أن يحكموا أنفسهم كمـا يحبون لا يخضعون إلا ليد مبهم هو ألا تكون أية قوانين يسنونها معارضـة لقوانين انجلترا.

وبمجئ عام ١٧٠٠ حتى كان ثمة نظام عام للحكم فى المسـتعمرات قد تبلور. وكان لكونيكتيكت ورود آيلاند وضع خاص، كجمهوريتان تتمتعان بالحكم الذاتى الكامل فتختاران كافة موظفى حكومتيهما. أمـا المسـتعمرات الأخرى فكانت إما ملكا لأفراد أو هيئات، أو ملكا للتاج، ولكنهـا علـى أى الحالين ذات إطار سياسى واحد تقريباً. فكان الملك أو المالك يعين الحـاكم. وكان يحيط بالحاكم. ويساعده إلى حد ما، مجلس يعينه التاج أو الملك، إلا فى

ماساشوستس. ولكن بينما كان الحاكم بريطانياً باستمرار تقريباً، فإن أعضاء المجلس كانوا من الأمريكيين. ومع أنهم كانوا يمثلون الطبقة الموسرة بوجه عام، فإن أراهم كثيراً ما كانت جد مختلفة عن وجهات نظر الحاكم. وكانت وظائفهم فى البداية إدارية وقضائية، بيد أنه أخذوا يزدادون تطوراً بمجلسهم نحو أن يكون مجلساً تشريعياً أعلى. وكان لكل مستعمرة مجلس للنواب خاص بها يختار أعضاؤها البالغون من الذكور الذين تتوفر لهم ثروة معينة أو مؤهلات أخرى. وكان هذا المجلس الشعبى يضع القوانين، ويحدد الاعتمادات المالية، ويفرض الضرائب. وكانت سطوته تكمن فى سلطته كممثل للرأى العام، وفى سيطرته على الخزانة.. وهما عين العاملين اللذين جعلا البرلمان فى بريطانيا قوى السلطان بعد سنة ١٦٨٩م.

ولقد حقق المستعمرون لأنفسهم ولذريتهم نفعاً كبيراً بالظفر بالمؤسسات النيابية والاحتفاظ بها. وكانت تميز نظامهم السياسى ثلاث حقائق جوهرية: أولها القيمة الرفيعة التى أضفوها على الوثائق المكتوبة كضامنات لحرياتهم. وما كان لانجلترا دستور مكتوب. بيد أن المستعمرين تعلموا منذ السنين الأولى أن يقدسوا الحقوق المكتوبة فى وثائق التفويض المعطاه لشركات التجارة أو للمالكين أو للناس أنفسهم. وكان مقدراً لهذه النظرية لأية مجموعة مكتوبة من القوانين الأساسية أن تكون ذات أثر عميق فى التاريخ الأمريكى. وثانية الحقائق المهمة هى النزاع شبه المستمر بين الحكام والمجالس النيابية. فقد كانا يمثلان عنصرين متضادين: فالحاكم يقف مكافحاً عن الحقوق المكتسبة ومصالح الإمبراطورية، بينما يقف المجلس زائداً عن حقوق الشعب والمصالح المحلية. وأخيراً، كان من المعالم البارزة للسياسة فى المستعمرات إصرار المجالس النيابية على الإشراف على

الاعتمادات المالية. ولقد صادفت كثيراً من المعارضة، بيد أنها كانت تحقق هذا المطلب عادة.

ولم يكن من الحقيقة فى شئ أن المستعمرات البريطانية عانت ظلما وطغياناً. فهى بوجه عام كانت تستمتع بحرية سياسة لا مثيل لهـا فـى أى جزء من الكرة الأرضية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. بيـد انـه عانت الكثير من الحكم الطبقى، فكانت هناك الفئة القليلة الحاكمة فى الـدول الدينية فى "نيوانجلند" التى كان تحطيم سلطانها أمراً لازما. ولقـد حـاول النبلاء من ملاك الأراضى والتجارة إقامة احتكار سياسى فى الجنوب.

وهكذا نرى أنه حتى قبل استقلال المستعمرات بقليل فإن السكان لـم يكونوا يشعرون بوطأة الحكم البريطانى من الناحية السياسية. ولعـل هـذا جعلهم يحافظون على ولائهم للملك والتمسك بانتمائهم سياسياً للإمبراطورية البريطانية. إلا أن هناك ظهرت فى المجال السياسى اتجاهات جديـدة عنـد الأمريكيين أخذت تظهر بوضوح بعد سنة ١٧٦٣م، لتميـزهم عـن سـكان الجزر البريطانية.

أما عن الحالة الاقتصادية فإن الخط الأساسـى فـى اقتصـاد هـذه المستعمرات هو الازدهار المتزايد، وليس أدل على ذلك من التزايد السـريع فى السكان الذى شهدته هذه المستعمرات قبل الاستقلال. ثم أن مما يميز هذا الاقتصاد هو أنه كان يقوم، وحتى مطلع الاستقلال على دعامتين أساسـيتين هما الزراعة والصيد.

وكان تسعة أعشار السكان يمارسـون زراعـة الأرض. وكانـت الزراعة موجهة منذ البداية نحو غاية أساسية هى سد حاجات الـوطن الأم.

فالعناية الأهم كانت توجه نحو إنتاج الخمر لسد حاجات السوق الإنجليزية، فلا تعود بحاجة إلى استيراده من فرنسا، والبهارات للاستغناء عن تجارة البرتغال والخشب لكى لا يضطر الإنجليز لاستيراده من السويد.

وكان على الأمريكيين أن يعملوا على سد حاجات السوق الإنجليزية من الفراء. والجلود، والكتان فالتوجيه الأساسى للزراعة الأمريكية كان يقضى بأن تكون المستعمرات منتجة للمواد الأولية التى تحتاجها السوق الإنجليزية ومستهلكة لما ينتجه الوطن الأم. فواجب المستعمرة بالدرجة الولى أن تقدم لأسواق الوطن الأم ما كانت مضطرة لاستيراده من بلدان أخرى وذلك كوسيلة لمنع خروج النقد الإنجليزى خارج الإمبراطورية.

وأهم الزراعات التى مارسها الأمريكيون فى زمن الاستعمار فى أواسط البلاد الذرة والموز كما أنهم لاقوا نجاحاً باهراً فى تربية المواشى وإنتاج الألبان. أما فى شمال البلاد حيث كانت تكثر المزارع الصغيرة فالزراعة كانت تعمل على مد السكان بحاجياتهم الأساسية م الخضار والحبوب والصوف والكتان. وفى الجنوب حيث المساحات واسعة جداً والمياه وفيرة فالزراعة الأكثر انتشاراً كانت التبغ بغرض تصديره إلى أسواق إنجلترا. ومنذ منتصف القرن الثامن عشر أخذ المزارعون فى الجنوب يتجهون نحو إنتاج الأرز والقطن والكتان والقنب والحرير وقد حققت زراعة الأرز بصورة خاصة نجاحات باهرة.

هذا التوسع السريع فى مجالات الزراعة كانت تعرقله صعوبة الحصول على اليد العاملة الرخيصة الأجر. لقد حاول المهاجرون الأوائل استغلال الهنود كعمال زراعيين نظراً لشدة تمسكهم بحريتهم ونمط حياتهم. أما المهاجرون الجدد من أوروبا وهم كثيرون فكانوا يرتضون فى أغلب

الأحيان العمل المأجور ويسعون للاستقرار والعمل لحسابهم الشخصى فهم هجروا بلادهم طلبا للحرية والثروة لا ليكونوا مأجورين ومستثمرين. وقد وجد الأمريكيون حلاً لهذه المشكلة كل على طريقته وحسب ما تقتضيه طبيعة أرضهم وظروفهم. فسكان المناطق الغربية اعتمدوا على أنفسهم وعلى تعاونهم المتبادل وفى المناطق الساحلية كانوا يدفعون لبعض المهاجرين الجدد أجرة سفرهم مقابل عملهم مدة محددة.

أما فى الجنوب فإن تجارة الرقيق قد حلت لدرجة كبيرة مشكلة اليد العاملة فى الزراعة. إذ أن جميع المزارع الكبرى فى الجنوب كانت تعتمد على عمال من الزنوج قام بنقلهم تجار الرقيق من شواطئ أفريقيا الغربية. فبين سنتى ١٧٥٠ و ١٨٠٠ كان يصل البلاد الأمريكية بين خمسين ألفاً من الرقيق، كان أكثرهم يرسلون إلى المزارع الكبرى فى الجنوب وقد عم الاعتماد فى الزراعة على الرقيق بصورة خاصة مع انتشار زراعتى القطن والتبغ اللتان يحتاجان ليد عاملة غزيرة رخيصة الأجر.

منذ الأيام الأولى للاستعمار الإنجليزى لعب صيد الأسماك دوراً كبيراً فى اقتصاديات المستعمرات فأوروبا تستهلك كميات كبيرة من الأسماك- خاصة أيام الصوم الكثيرة فى البلدان الكاثوليكية - والتى لا يؤمنها لها بسهولة البحار القريبة منها. أما فى أمريكا فسمك البكالا يغزر فى شواطئ انجلترا الجديدة. وكذلك الحيتان التى كانت أوروبا تحتاج لزيوتها. فإنها كانت تعيش أمام الشواطئ الأمريكية بأعداد كبيرة للغاية مما أدى على قيام أسطول بحرى كبيرة مخصص لصيد الحيتان. وعلى هذا فإن تصدير السمك المجفف وزيت الحيتان إلى أسوق أوروبا كان عصرا أساسياً لاقتصاديات المستعمرات الشمالية والوسطى.

إلا أن هذا يعنى أن منتجات المستعمرات كانت تصدر بسهولة للخارج. فالحركة التجارية مع أوروبا والبلدان الأخرى خارج نطاق الإمبراطورية البريطانية لم تكن سهلة. ذلك أن قوانين الملاحة تجعل النقل من وغلظى المستعمرات الإنجليزية احتكار السفن إنجلترا، كما تفرض على البضائع أن تمر سواء فى ذهابها أو:غيابها فى مرفأ بريطانى لدفع ضريبة معينة على ما تحمله هذه القوانين، فكانت تجعل أمر تصدير بضائع المستعمرات الوسطى والشمالية على خارج الإمبراطورية عملية صعبة. ولما كانت انجلترا لا تحتاج إلى منتجات هذه المناطق كالأسماك واللحوم والقمح وزيت السمك. فقد بات على التجار الأمريكيين أن يصدروا بضائع هذه على دول أخرى، ويستروا بضائع أخرى تحتاج إليها أسواق انجلترا ليستبدلوها هناك بما يحتاجونه هم من سلع ومصنوعات، وهذه عملية معقدة كما نرى وليست بصورة دائمة.

أما المستعمرات الجنوبية فكان لها وضع مختلف إذ كانت قوانين الاحتكار الصادرة سنة ١٧٧٢م تمنع تدير منتجات هذه البلدان من التبغ والفراء والسكر والقطن لغير الأسواق البريطانية. إلا أن هذا الاحتكار لم يكن دوماً فى صالح المنتج. ذلك أن هذا الأخير كان عليه أن يصدر بضائعه إلى إنجلترا فقط.، ولما كان يمنع ذلك أن هذا الأخير كان عليه أن يصدر بضائعه إلى انجلترا فقط، ولما كان يمنع خروج النقود من انجلترا فكان عليه أن يشترى بأمواله مصنوعات وسلع بريطانية قد لا يحتاج إليها أو أن يبقى أمواله فى الوطن الأم لمدة طويلة جداً دون أن ينتفع بها.

وقد لوحظ أن هذه القوانين كانت تدفع ربابنة السفن الأمريكية وشركات النقل البحرى فى كثير من الأحيان إلى القيام بأعمال التهريب

والمتاجرة مع أوروبا مباشرة مع ما فى ذلك من تجاوز على الأنظمة. قد أدت هذه العمليات نظراً لما كانت تدره من أرباح إلى ظهور ثروات كبيرة بين الأمريكيين. ومن ناحية أخرى عملت على نشر الرشوة بين الموظفين الإنجليز ورجال الجمارك. وفى مجال الصناعة فإن القوانين الإنجليزية كانت تسعى لجعل المستعمرات فقط سوقاً استهلاكيا لمصنوعات الوطن الأم. ولهذا عمليات تنصع المواد الأولية فى البلدان الأمريكية كانت تحارب إلى حد كبير من جانب الإدارة الاستعمارية. فالصناعة بقيت حتى مطلع عهد الاستقلال ضمن إطار الحرف التى تمارس فى المنازل والبيوت فقط فالمرأة تغزل وتحيك ما تحتاجه عائلتها والرجل يصنع من الأدوات ما يحتاجه فى منزله وعمله والصناعة الوحيدة التى ازدهرت زمن الحكم البريطانى كانت صناعة السفن وذلك بسبب وجود الأخشاب بكميات كبيرة خاصة أن الأمريكيين بسبب حاجتهم الماسة لسفن الصيد ولسفن النقل باعتبار النقل البحرى كان أفضل وسائل الاتصال بين المستعمرات الثلاث عشر فقد رعوا فى هذه الصناعة حتى أن كثيراً من الربابنة الإنجليز كانوا يشترون سفنهم من الترسانات الأمريكية نظراً لجودة مصنوعاتها، وانخفاض أسعارها وقد بلغت نسبة السفن الأمريكية الصنع فى الأطول التجارى البريطانى فى سنة ١٧٧٥م الثلث تقريباً.

وقد حظيت صناعة الجلود والفراء بازدهار نسبى أيضاً. إلا أنه بصورة عامة لم تخرج الصناعة الأمريكية طيلة عهد الحكم البريطانى من الإطار الحرفى المنزلى وذلك بسبب التوجيه الإنجليزى والرغبة فى إبقاء البلاد سوقاً استهلاكيا للمصنوعات الإنجليزية.

الحالة الاجتماعية

مع أن العنصر الساكسونى هو الغالب فـى مجتمـع المسـتعمرات الأمريكية إلا أنه كان هناك فئات أخرى انضمت إليه طائعـة أو مختـارة. فكان هناك سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر وكـانوا يسـيطرون علـى المناطق الداخلية من البلاد. غير أن سيادتهم هذه كانت فى تقلص مستمر منذ مطلع القرن الثامن عشر بسبب تزايد هجرة الرجل البيض من العالم القـديم وتوسعه غرب المستعمرات القديمة على حساب هذه الفئة. كما أن دورهـم فى المجتمع كان صغيراً للغاية.

وكان هناك فئة الزنوج دخلوا المجتمع الأمريكى الجديـد مكـرهين. وكان هؤلاء يشكلون طبقة خاصة ضمن المجتمع الأمريكى وكانوا متمركزين على الأغلب فى الجنوب حيث مزارع التبغ والأرز الضخمة. وعـدد قليـل منهم كانوا يسكنون فى مناطق البلاد الوسطى والشمالية ويتعاطون الأعمـال الدنيا التى كان يرفضها الأبيض. ولم تكن لهؤلاء أية حقوق قانونية كما لـم يكن يعترف لهم بأى من الحقوق الطبيعية التى كان يتمتع بها الرجل الأبيض فى المجتمع الأمريكى. وكانوا بصورة عامة يعيشون حياة بائسة شقية. وقد حاولت بعض الولايات أن تحارب تجارة الرقيق الذين كـان أكثـرهم مـن الإنجليز وبالرغم مما يوجه من انتقادات لهذا النظام فإنه صار مـع الأيـام الركيزة الأساسية التى يقوم عليها اقتصاد المستعمرات الجنوبية.

وكان هناك طبقة أخرى لا تحظى بمقام محترم فى هـذا المجتمـع الجديد، وهى فئة المشردين والمجرمين الذين كانت تبعدهم حكومة لندن أو أهلهم إلى المستعمرات وكان هؤلاء يشكلون فئة شعب وإجرام فـى العـالم الجديد. إلا أن القوانين كانت قاسية تجاههم مما جعل خطرهم محدوداً للغاية.

أما الفئة الصالحة من هؤلاء فإن مجال العمل والثروة كان مفتوحـاً أمامهـا بسبب الحاجة لليد العاملة.

كانت هناك طبقة البيض وهم السادة الحقيقيون للبلاد. ويتألف هؤلاء من فئات المهاجرين الذين أخذوا يتوافدون على البلاد منذ مطلع القرن السابع عشر. وكان هؤلاء يمتلكون الأراضى والمزارع ويسيطرون على التجـارة وصيد الأسماك وبعبارة موجزة كانت منافع البلاد تستغل لصالحهم.

أما الثقافة فإنه فى الجزء الأخير من عصر استعمار كانت الثقافة قد أخذت تنهض بسرعة بين الجامعات المحظوظة. ففى نيوانجلنـد خاصـة، كانت تعطى أهمية كبيرة للتعليم. ومع أن المستعمرات هناك كانت مازالـت فى طفولتها، فقد كان ثمة نوع من التعليم الأولى، وكان هذا التعليم إجبارياً، وكانت ثمة مدارس ثانوية. وأنشئت كليتان مزدهرتان هما هارفـارد وبيـل. وكانت فى هارفارد مكتبة تشتمل عل خمسة آلاف مجلد، وأجهـزة عمليـة كثيرة، وإن جاء تعليم اللاهوت والفلسفة والدراسات القديمة متأخراً بعـض الشئ عنه فى أحسن الجامعات الأوربية.

وقد قام كل من الكويكرز والألمان بإدارة مدارس كانت إلى حد مـا تحت ملاحظة الكنيسة، فى حين كانت هناك مدارس خاصة وبعض مدارس ثانوية. وفى المستعمرات بدأت نهضة واسعة فى نشر الصحف والمجـلات وكذلك الكتب القيمة المشهورة. وأقيمت فى مدينة كمبردج سنة ١٦٣٩م أقدم مطبعة فى أمريكا ذلك ينقطع نشاطها بتاتاً وأنشئ عدد من المكتبات.

كانت الثروة تزداد بسرعة مدهشة، فكانت تبنـى مسـاكن أفضـل وأجمل، وكانت الكماليات فى الطعام والملبس فى زيادة مستمرة. وأخـذت

التقاليد الحديثة تصبح أمراً عادياً. وفى سنة ١٧٥٠م كان على طول ساحل البحر ثمة مجتمع يعيش عيشة رخاء وكان على علم بالفكر والأدب الأوربى فى أحسن نواحيه.

أما التراث الإستعمارى فإنه واضح تماماً من نظرة خاطفة، ذلك الجزء من التراث الذى كان على المستعمرات أن تهديه إلى الأمة الفتية. فاللغة المشتركة، وهى اللغة الإنجليزية لها قيمتها التى لا تقدر، فقد كانت عنصراً هاماً من عناصر الوحدة التى جعلت قيام أمة حقيقية أمراً مستطاعا. وثمة عنصر آخر من عناصر ذلك التراث ألا وهو الخبرة الطويلة التى نمت مع الزمن فيما يتصل بأنواع الحكم النيابى. ولعل أهمية ذلك تظهر إذا ما تذكرنا أن المستعمرات الفرنسية والأسبانية لم يكن لديها شئ تعطيه، فيما يتصل بالحكومة الذاتية النيابية. فالبريطانيون هم وحدهم الذين سمحوا للمستعمرات بإقامة جمعيات شعبية، وإنشاء حكومات كان المسئوليات السياسية الحقيقية فيها تقع على عائق الناخبين والنواب. وكانت النتيجة أن المستعمرين البريطانيين كانوا ذوى عقلية وخبرة سياسيتين. وثمة عنصر آخر من عناصر هذا التراث، ألا وهى احترام الحقوق المدنية الأساسية. فقد كانت للمستعمرين إيمان راسخ بحرية الكلام وحرية الصحافة وحرية الاجتماع. تماماً كإيمان البريطانيين فى بلدهم. ولم تكن هذه الحقوق مضمونة ولكنها مأمولة. وينبغى أن يضاف إلى ما تقدم روح التسامح الدينى المنتشرة فى المستعمرات والاعتراف بأنه ينبغى أن تعيش الطوائف المختلفة معاً فى جو من الود والصداقة. وكان العلم البريطانى يحمى كل أنواع العقائد. وعلى الرغم من الخوف المتوارى فى إنجلترا من الكاثوليكية. فقد اتهم بعض المستعمرين البرلمان نفسه، بعد سنة ١٧٦٣م بإظهار عطف متزايد على هذه الديانة. كذلك كان من العناصر الغالية روح التسامح

الجنسي. فالأقوام ذوو الدماء المختلفة كالإنجليز والآيرلنديين والألمان والهجونت والهولنديين والسويديين، قد اختلطوا وامتزجوا دون أن يفكروا قليلاً أو كثيراً يما بينهم من خلاف.

ولابد من التعرض أيضاً للروح القومية التى تجلت فى الأعمال الفردية فى المستعمرات، وهى روح فردية كانت دائماً فى بريطانيا نفسها، غير أنها هنا ازدادت قوة تحت ضغط فى بلد غنى، ولكنه وحشي ملئ بالصعاب. ولم يسمح البريطانيون فى المستعمرات بتلك الامتيازات التى منحتها فى ممتلكاتها كل من فرنسا وأسبانيا، والتى كانت سبباً فى تدهور النشاط الفردى فيها. فهذه العناصر مجتمعة من التراث الاستعمارى، كانت كنزاً يقدر بما هو أعظم من شحنات كاملة من الذهب تحملها السفن أو من أفدنة بأكملها من الماس.

نبتت كذلك خلال عصر الاستعمار فكرتان أمريكيتان أساسيتان: إحداهما فكرة الديمقراطية، بمعنى أن لكل الناس الحق، بوجه عام، فى فرص متساوية ولكن كان مجئ جماعات المستوطنين إلى العالم الجديد، بقصد الحصول على فرص فى الحياة لأنفسهم، وأكثر من ذلك، لأولادهم من بعدهم. فقد كان يداعبهم الأمل فى مجتمع يسمح لكل رجل بألا يتكون له فرصة فقط، بل فرصة طيبة تمكنه أن يرتفع من الحضيض إلى أعلى درجات السلم. وهذا السعى نحو المساواة فى الفرص، قد أحدث تغيرات ازدادت مع الأيام فى التكوين الاجتماعى لأمريكا، وأزالت كل أنواع الامتيازات الخاصة. وأحدث تغييراً كبيراً فى التربة والتعليم والحياة الفكرية، وجعل من أمريكا البلد الذى توحدت فيه المدارس العامة بين بلاد العالم. وأحدث تغييرات سياسية عظيمة الشكل إذ أعطى الرجل العادى إشرافاً

مباشراً على الحكومة. لقد كان كل هذا، فى مجموعة، أداة ضخمة لتحسين حياة الشعب ورفع شأنه.

أما الفكرة الأساسية الأخرى، فقد كانت الإحساس بأن القدر ينتظر الشعب الأمريكى، وأن أمام الشعب رسالة يؤديها، لم يكن من حظ أية أمة أخرى أن تضطلع بها. هذه الثروة العامة، وهذا النشاط الذى أبداه الشعب، وجو الحرية الذى أحاط بهما، أكسب الأمريكيين روحاً من التفاؤل المرح، واعتدادا قوياً بالنفس. وكانت الفكرة أن القد يخبئ لهم شيئا خاصا أهم العوامل فى التوسع السريع بالأمة الأمريكية عبر القارة. وقد كانت لها فى بعض الأحيان نتائج وخيمة إذ أنها دفعت الأمريكيين على الاعتماد على العناية الإلهية، فى حين أنه كان عليهم أن يفكروا جدياً فى الصعاب التى تواجههم، وكان من شأنها أن تجعلهم راضين فى حين كان عليهم أن يفتشوا عن عيوبهم. بيد أنها قد أعطت الحياة الأمريكية، بالإضافة إلى فكرة الديمقراطية. شيئاً جديداً، يتسم بالنضارة والعمق، والمرح، مما لا يوجد فى أى مكان آخر.

الاستعمار الهولندى والسويدى

صدر قرار حاكم هولندا فى عام ١٦٠٢م بتكوين شركة الهند الشرقية المتحدة، وفى عام ١٦٠٩م كلفت الشركة هنرى هدسن، وهو انجليزى بالبحث عن الممر الشمالى الغربى وقد شاهد أرضا عند نيوفوندلاند وارتاد ساحل نيوانجلاند ودار حول رأس كد وتقدم جنوباً صوب فرجينا، ومن المحتمل أن يكون قد دخل خليج سيزابيك وخليج جلوار واستكشف نهر هدسن حتى الباني. وقد نشأت علاقات ودية مع هنود أركواز.

وفى عام ١٦١٢م أرسل التجار الهولنديون كرسيتانس وبلـك :إلـى جزيرة ماتهاتان للاشتغال بتجارة الفراء. وأسس مركزاً لهذا عـام ١٦١٣م وبنى حصن ناسو عام ١٦١٤م الذى سمى فيما بعد بحصن أورانج، قـرب مدينة البانى الحالية. وقد قام أوريان بلك بعدة كشوف بجزيرة لونج سـموند وساحل كنكتكت وخليج نار جانست ورأس كد وتكونت نتيجة لـذلك شـركة هولندا الجديدة، ومنحت حق احتكار التجارة ما بين خطـى عـرض ٤٠، ٤٥، واستمرت تجارة الفراء وتم ارتياد الساحل.

وصدر مرسومَ بتأسيس شركة الهند الهولندية الغربية عـام ١٦٢١م ومنحت حق احتكار التجارة فى أفريقيا وأمريكا. وفى عام ١٦٢٦م أصـبح بيتر مينوى مديراً عاماً للشركة واشترى من الهنود جزيرة مانهاتان بمبلـغ ٢٤ دولار وأسس مستعمرة أمستردام الجديدة وأسست الشركة علاوة علـى ذلك مراكز للإستيطان فى كنكتكت ونيوجرسى ودلوار وبنسلفانيا. وأعطى رجال كانوا يسمون بالباترون اسم لمن يحمل بـراءة بـامتلاك ارض فـى أمريكا، مساحات كبيرة من الأرض على شرط أن يجلبوا عددا متفقاً عليه من المستوطنين. وقد احتج الهولنديون وعلى رأسهم الحاكم كيفت حاكم هولنـدا على تأسيس نيوهافن ولكن ذهب احتجاجه أدراج الرياح.

لقد نافس الإنجليز الهولنديين واستولوا على مدينة أمستردام، ورفعوا العلم البريطانى عليها وسموها نيويورك. وبعد تسع سنوات أحتل الهولنديون نيويورك وأعادوا إليها اسمها الهولندى ولكن الإنجليز لم يلبثوا أن استردوها بموجب شروط صلح وسمنستر عام ١٦٧٤م، وأصبحت تسمى مرة أخـرى نيويورك التى ظلت انجليزية حتى قيام الثورة الأمريكية، ونزل الهولنـديون

فى مناطق جيانا بأمريكا الجنوبية واحتلوا جزءاً من البرازيل الواقع تحت النفوذ البرتغالى وظلوا فيه فترة ثلاثين عاماً.

وفى هذه الأثناء استرعى إقليم دلوار انتباه جوستاف أدولف ملك السويد وكان ذلك بفضل وليم أوسلنكس الذى كان قد انسحب من شركة الهند الغربية الهولندية. وقد تسلم اوسلنكس مرسوماً بإنشاء الشركة الجنوبية التى آل أمرها إلى لا شئ. وفى عام ١٦٣٧م نظمت الشركة السويدية الجديدة وكان ذلك فى أغلب الظن نتيجة تشجيع الهولنديين صمويل بلومارت، وبيترمينوى. وفى عام ١٨٣٨م وصلت سفينتان سويديتان إلى دلوار وتأسس حصن كرسينا وأثار تدخل السويد حفيظة بيتر ستيقرانت حاكم هولندا، الجديدة فاستحث شركة الهند الغربية لتحتل نيوسويدن وتم هذا الاحتلال فى عام ١٦٥٥م.

الكشوف الفرنسية:

دخلت فرنسا ميدان الكشوف الجغرافية متأخرة بعض الوقت عن البرتغال واسبانيا وانجلترا، واتجهت بعوثها الجغرافية أول الأمر إلى أمريكا الشمالية حيث كشفت اقليم كندا. وكان الملاح الفرنسى جاك كارتييه (١٤٩١– ١٥٥٧م) فى طليعة الرواد الفرنسيين الذين كشفوا هذا الإقليم، عهد إليه فرنسوا الأول ملك فرنسا عام ١٥٣٤م بالقيام برحلات كشفية يعبر فيها المحيط الأطلسى فى اتجاه الغرب نحو العالم الجديد ورأى كارتييه فى رحلته الأولى ساحل لبرادو، واخترق مضايق بل ايل وارتاد خليج سانت لورانسى. وفى رحلته الثانية عام ١٥٣٥– ١٥٣٦م، أوغل كارتييه فى مجرى سانت لورانس، وتوقف عند مشارف مدينة كويبك ثم تقدم صوب منحدرات لاشين وبلغ مشارف مونتريال. وفى الرحلة الثالثة عام ١٥٤١م صحبه روبرفال،

وهو احد نبلاء بيكارد، الذى كان فرنسيس الأول قد نصبه نائبا للملك فى كندا ونيوفوندلاند ولابرادور. وبذلك محاولات للتوطن فى كويبك، ولكنها فشبت فتوقفت الجهود الفرنسية لاستعمار وادى نهر سانت لورنس حتى القرن السابع عشر.

وكان حتما أن يؤدى نشاط الفرنسيين فى الجنوب إلى صراع مع الأسبان. وفى عام ١٥٦٢م أرسل أمير البحر كولينى، كجزء من خطته للهجوم على أسبانيا جان دى ريبو لينشىء مستعمرة فى فلوريدا. ثم فشلت خطة تأسيس مستعمرة فى ميناء رويال سوند غير أن ريبو ورينى دى لوده ونبير تمكنا فى عام ١٥٦٤م من إقامة حصن كارولين عند نهر سانت جون. ولكن الأسبان بقيادة مينتدر دى افيليه اقاموا فى السنة التالية بذبح المستعمرين الفرنسيين والإستيلاء على الحصن. ولم تمض ثلاث سنوات حتى هجم الفرنسيون بقسادة سيفالييه دى جورج على الحصن الأسبانى عند نهر سانت جون أبادو حاميته. وفى عام ١٥٩٨م حاول ماركيزدى لاروش أن يؤسس مستعمرة فى جزيرة سابل. وتم انقاذ الأحياء مهم بعد انقضاء خمس سنوات. وفى عام ١٦٠٠م وبعد أن منح بتجرافيه، وشوفان ودى مونت حق الاتجار واحتكار تجارة الفراء قاموا بمحاولة فاشلة أخرى للاستعمار وكان هدفهم هذه المرة تاود ساك عند سانت لورنس السفلى وارتاد بنتجرافيه عام ١٦٠٣ بصحبة صمويل دى شمبلين نهر سانت لورنس حتى بلغا بلغا منحدرات لاشين. وكشف شمبلين علاوة ذلك الساحل الأكيدى وفى السنوات الثلاث التالية، نظم دى مونت وشمبلين مكانا للاستيطان فى جزيرة سانت كدوا، ولكنهما انتقلا بعد فترة إلى بورن رويال ثم تابع شمبلين رحليه على ساحل نيوانجلاند حتى رأس كود وعاد إلى فرنسا ١٦٠٧م. وأسس شمبلين باعتباره وكيلا لدى مونت مستعمرة كويبك فى عام ١٦٠٨م وفى السنة التالية

اصطحب معه جماعة من هنود الونكون والهيرون وسار فى مجرى نهر رشيليو حتى وصل إلى البحيرة التى تحمل اسمه الآن.

وفى عام ١٦١٠م أعاد بوترنكور بناء بورت رويال، ثم ارتاد شمبلين نهر نهر أتاوا عام ١٦١٣م إلى ما يقرب من مائة ميل شمالى مدينة أتاوا الحالية وفى عام ١٦١٥م استمر فى ابحاره حتى وصل إلى بحيرة نيسنج ومن ثم إلى خليج جورجيا.

وكان أول رجل أبيض اخترق طريق تجارة الفراء- كما وصلت أربعة من الرهبان إلى كويبك وهكذا افتتحوا بداية النشاط التنصيرى الفرنسى. كما وصل عام ١٦٢٥م خمسة من الجزويت وبدءوا نشاط هذه الطائفة.

الاستيطان الفرنسى فى جزر الهند الغربية:

كان سانت كرستوفر أول المستوطنين الفرنسيين عام ١٦٢٥م وتكونت شركة سانت كرستوفر عام ١٦٢٦م لتوسيع مدى هذا الاستيطان وفى عام ١٦٣٥م حلت محلها شركة، جزر أمريكا واحتلت جواو الوب ومارتيك وتد توجا وفيما بين عامى ١٦٤٨م و ١٦٥٦م تم الاستيطان فى سانت مارتن وسانت بارتليو وسانت كروا وسانت مارى جالانت وسانت لوشيا وجرنيادا.

ونظم رشيليو عام ١٦٢٧م شركة الأعضاء المائة لتستعمر فرنسا الجديدة ومنحن الشركة كل الأراضى الواقعة بين فلوريدا والدائرة القطبية

الشمالية مع حق احتكار التجارة فيما عدا مصايد الحيتان، واستولى الانجليز على أكاديا وكويبك عام ١٦٢٨م، ولكن فرنسا استعادتهما فى عام ١٦٣٢م.

وفى سنة ١٦٨٢م نجح لاسال (١٦٤٠- ١٩٨٧م) فى كشف نهر المسيسبى وتتبعه إلى خليج المكسيك. ونشأت فى هذا الاقليم مستعمرة لويزيانا نسبة إلى الملك لويس الرابع شر. وقد انتهى الأمر بالفرنسيين إلى احتلال كندا وحوض نهر المسيسبى وبذلوا جهودهم فى بناء حصون ومحطات عسكرية تصل بين لويزيانا على نهر المسيسبى ومنطقة نهر سانت لورانس في كندا الأمر الذى أدى إلى سوء تفاهم بينهم وبين أهل المستعمرات الانجليزية الذين خشوا أن يصبحوا محصورين بين المحيط الأطلسى وجبال أليجانى. فلم يكن هناك بد من وقوع صدام بين الفريقين وقد حدث ذلك فى عام ١٧٥٤م. ويلاحظ أن الفرنسيين انتشروا فى مساحات واسعة فى أمريكا الشمالية لم تكن تتناسب مع عددهم. ولذلك كان لسكانهم عليها ضعيفا مما سهل على الانجليز التغلب عليهم فيما بعد وانتزاع كندا من أيديهم. كما كان لفرنسا مصالح متشعبة عديدة فى أوروبا الأمر الذى كان يضطرها إلى ابقاء جيش كبير فى فرنسا على قدم الاستعداد للدفاع عن حدودها المترامية الأطراف فى القارة الأوروبية. فتعذر عليها توجيه قوات مسلحة كافية لحماية مستعمراتها فى أمريكا ومقاومة منافستها انجلترا التى كانت تحارب بحرا فقط وكان كل همها منصرفا إلى المستعمرات. ولكن هذه الملابسات لا تحجب الحقيقة التاريخية وهى أن فرنسا أسهمت فى مجال الكشوف الجغرافية بعمل كشفى رائع فى أمريكا الشمالية، ولكنها كانت تفتقر إلى إيدى فرنسية عاملة لأن الفرنسيين لم يتدفقوا فى هجرات واسعة إلى المناطق المكتشفة.

الباب الثانى

حرب الاستقلال الأمريكية

بعد قيام حركة الكشوف الجغرافية فى القارة الأمريكية بجزئيها الشمالى والجنوبى ازدادت معها الدوافع الرئيسية المشجعة للفرد الأوروبى على الهجرة إلى العالم الجديد، وصارت الهجرة إلى هذا العالم هجرة مستقرة لا هجرة موسمية أو هجرة جزئية أو هجرة مؤقتة. وكان الدافع الرئيسى للهجرة الأوروبية إلى العالم الجديد هو التجارة التى ظلت تشكل محور حياة المستوطنين الأوروبيين فى أمريكا بخاصة أمريكا الشمالية وجعلتهم يتثبتون بها. وصار البحث عن الذهب والفضة فيها أمر بالغ الأهمية لدى أولئك المستوطنين. فكان المستوطنون الانجليز الذين وصلوا إلى أمريكا الشمالية مجموعة باحثة عن المعادن ومنقبة عنها. ثم تحولوا فيما بعد إلى العمل فى الزراعة التى تقوت وازدهرت بفضل جهود الزنوج المجلوبين من أفريقية من قبل البيض الأوروبيين. وأصبحوا فى الجزء الشمالى من أمريكا الشمالية يجمعون فراء الحيوانات التى كانت تجارتها تدر عليهم أرباحا كثيرة.

وقد استلزمت المناجم والمزارع والعمال المعيشية الأخرى إلى الإقامة والاستقرار إلى جانبها. وقد أدى هذا إلى قيام المستوطنات الأوروبية فى تلك المناطق، وتكونت بذلك المستوطنات الأوروبية فيما وراء البحار، وهو ما حدث بالنسبة لجماعات البيورتان الانجليز الذين استوطنوا مناطق

نيوانجلاند بأمريكا الشمالية فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى فرارا من الاضطهاد الدينى فى انجلترا، وكما حدث بالنسبة للجماعات الكاثوليكية التى هاجرت من انجلترا فرارا من اضطهاد الدينى هناك واستوطنت بمنطقة المارى لاند، وكما حدث عندما أرسل أو جليثورب جماعة من السجناء الانجليز فى القرن الثامن عشر الميلادى إلى جورجيا من أجل الإقامة فيها وتكوين مستوطنات انجليزية هناك.

ولما جاء القرن التاسع عشر الميلادى وظهرت السفينة البخارية ازدادت أعداد المهاجرين الأوروبيين إلى مناطق العالم الجديد. وصار الأوربيون بخاصة الانجليز يشكلون عددا كبيرا مستقرا فى أمريكا الشمالية ونقلوا معهم لغتهم وثقافتهم وحضارتهم الانجليزية. ونقلوا معهم حضارة جاهزة صنعوها فى عصر النهضة الأوروبية الذى عد جسرا انتقلت بواسطته أوروبا من عصرها الوسيط إلى عصرها الحديث.

وهكذا أسس الأوربيون من انجليز وفرنسيين وهولنديين وسويديين مستعمرات أوروبية فى أمريكا الشمالية كان أكبرها وأقواها المستعمرات الانجليزية. وظل التاج البريطانى هو الجهاز السياسى المنظم لهذه الجماعات والمحرك الرئيسى لها. وكان التاج البريطانى ينظر إلى هذه المستعمرات على أنها مستعمرات عسكرية متقدمة فيما وراء البحار، تدر له إيرادات مالية وعينية. وظل التاج البريطانى ينظر إليها على أنها مستعمرات تابعة تدين له بالولاء السياسى.

وكانت السفينة الشراعية قد قوت من أواصر الصلة والعلاقة القائمة بين المستعمرات فى العالم الجديد وصارت السفينة الباخرة تشكل وسيلة

المواصلات بين المستوطنين وبين بلادهم الأصلية. وكان الحصان في المستوطنات الأمريكية يشكل وسيلة مواصلات برية مهمة بين المستوطنات.

ولما أوشك القرن الثامن عشر الميلادى على الانتهاء كانت بريطانيا تسيطر تماما على ثلثى بلاد أمريكا الشمالية، وكانت تشكل قوة أوروبية أساسية ومهمة فى العالم الجديد تفوقت فيه على كل من أسبانيا والبرتغال وفرنسا وهولندا والسويد. وظلت مستوطناتها مدة طويلة وهى تكن لها ولاءاً وتبعية سياسية متميزة وكان ولاء المستوطنين الانجليز لها شديداً. وكانت الإمبراطورية البريطانية فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى تشكل جهازا سياسيا مركزه فى وستمنستر. وكانت تتبع الحكومة البريطانية المركزية فى وستمنستر احدى وثلاثون وحدة سياسة مرتبطة معاً، مؤلفة من حكومة ايرلندا وجميع المستعمرات البريطانية ذات الحقوق والامتيازات والمؤسسات السياسية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية.

ولابد من إيضاح نقطة مهمة وهى أن إنتاج الولايات الانجليزية فى أمريكا الشمالية وتحضرها كان أعظم وأعمق وأقوى من المستعمرات الأوروبية الأخرى فيها كالمستعمرات التابعة لأسرة آل البوربون الفرنسية والمستعمرات التابعة لأسرة الهابسبورج الأسبانية والمستعمرات التابعة لآل اورانج الهولندية.

وكان الاتجاه السائد فى بريطانيا فى القرن الثامن عشر الميلادى يسير نحو المركزية على الرغم من ضعف بعض ملوكها. وكان هناك ميل نحو تركيز السلطة فى أقاليم الإمبراطورية بيد البرلمان البريطانى على اعتبار أنها إمبراطورية موحدة والسلطة المركزية هى المشرف الرئيسى

على نشاط الفرد والجماعة من أجل تنمية موارد الدولة. وكانت كذلك تصدر إنتاجها الصناعى إلى البلدان التابعة لها كوسيلة من وسائل تقوية كيانها وازدياد دخلها. واتجهت بريطانيا صوب نوع جديد من الحكم المتصف بالقوة والشدة بخاصة في عهد الملك جورج الثالث (١٧٦٠- ١٨٢٠م).

وأقرت الحكومة البريطانية نظام الحكم القائم فى مستوطناتها فى أمريكا الشمالية. فارتكز نظام الحكم فى الولايات الأمريكية فى أثناء تبعيتها لإنجلترا على قواعد وهى: الحاكم، والمجلس النيابى (التشريعى) والمجلس الاستشارى.

وكان لكل مستعمرة حاكم يختاره الملك للمستعمرات الملكية وتختاره الجماعات التى تمتلك بقية المستعمرات خاصة فى ميرلاند ودبيلوبر وبنسلفانيا. وكانت للحكام سلطات شبيهة بتلك التى للملك فى بريطانيا. كما كان لكل مستعمرة مجلس تشريعى ومجلس تنفيذى، فالمجالس التشريعية تمثل السلطة كجماعات استشارية ومن ثم فلها اختصاصات قضائية وتشريعية، بينما أعضاء المجالس الأخرى اتجهوا إلى السيطرة على حكومة كل مستعمرة تقريبا. مثال ذلك أن المجلس التشريعى لولاية فرجينيا الذى انتخب عام ١٦١٩، أعلن أنه ليس للحاكم الحق فى فرض أية ضرائب دون موافقة السلطة التشريعية، ومنع استخدام المال الذى يجمع فى غير الأغراض التى يحددها القانون، وجعل للنوات حصانة برلمانية وحرم مخالفة القانون أو خرق نصوصه مهما كانت السباب واتخذ فى نفس الوقت من الإجراءات ما كفل المحاكمة بواسطة المحلفين.

أما المجلس الاستشارى فهو سلطة تشريعية فى الولاية تعمل إلى جانب السلطة النيابية فيها. وعلينا أن نلاحظ أن الحاكم فى الولاية له الحق

فى الاعتراض على قرارات كل من المجلس الاستشارى والمجلس النيابى فى ولايته.

الأسباب التى أدت إلى حرب الاستقلال.

ورغم أن المستعمرات الثلاث عشر الانجليزية فى العالم الجديد فى الجزء الشمالى منه وهو ما يسمى بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد امتدت هذه الولايات من الشمال إلى الجنوب محاذية للمحيط الأطلسى فكانت ولاية نيوهيمشير وولاية ماساتشوستس وولاية نيويورك وولاية رود آيلند وولاية كنكتيك وولاية بنسلفانيا وولاية نيو جرسى وولاية دالوبر وولاية مارى لاند وولاية فرجينيا وولاية نورت كارولينا وولاية ساوث كارولينا وولاية جورجيا. وكانت هذه الولايات تفتقد الروابط العنصرية والثقافية إلا أنها كانت حقا خصبا لمبادئ الديمقراطية والمساواة، كما أن الفوارق الاقتصادية كانت قليلة بين المستوطنين، بينما تتوفر فرص اقتصادية للجميع بسهولة. وإذا وجدت أرستقراطية فقد ساهمت فى نمو المبادئ الديمقراطية.

وقد تمثل الخلاف السياسى بين المستعمرات وانجلترا فى أن الموظفين البريطانيين كانوا يؤمنون بأن البرلمان الانجليزى هيئة إمبراطورية لها فى المستعمرات السلطة ذاتها التى لها فى الوطن الأصلى وان فى وسع البرلمان الحد من سلطة الحكومات المحلية للمستعمرات، بينما اعتقد الأمريكيون سكان المستعمرات الانجليزية أن علاقتهم الوحيدة قانونا هى مع التاج البريطانى وليس مع البرلمان، لأن لهذه المستعمرات هيئاتها التشريعية وحكوماتها التى تتصل بالملك مباشرة، ومن ثم لا يحق للبرلمان الانجليزى أن يشرع للمستعمرات فى وجود مجالس تشريعية محلية.

وإذا تناولنا الأسباب الاقتصادية، فعلينا أن نفرق تفريقاً جلياً بين مختلف القطاعات والمصالح: فقد كان التاجر من سكان الشمال يعانى من مظالم تختلف عما يقاسيه المزارع فى الجنوب ، وكان المستغل للأرض من القطاعات الغربية يعانى غير ما يعانيه هذان.

لقد كانت قوانين الملاحة أو القوانين التجارية أكثر أضراراً بالمستعمرات الشمالية منها بالجنوبية، ولم تكن لهذه المستعمرات الشمالية سلع رئيسية ثمينة تحملها إلى انجلترا مباشرة لاستبدال سلع مصنوعة بها: فكانت عليها بوجه عام، أن تدفع مقابل مستورداتها من انجلترا بنقود حاضرة، وللحصول على النقود كان عليها أن تتجر مع جزر الهند الغربية. فكانت تنقل القمح واللحوم وكتل الخشب إلى جزر الهند الغربية،وتحصل فى مقابلها على القطن أو النيلة أو السكر. كذلك كانت تحصل على الدبس فتصنع به خمر الروم. وكانت تتاجر فى أفريقية للحصول على عبيد تبيعهم فى جزر الهند الغربية أو فى المستعمرات الجنوبية. وفى سنة ١٧٣٣، صدر قانون الدبس الذى فرض رسوما مانعة قصرت تجارة نيوانجلاند مع جزر الهند الغربية على الجزر البريطانية وحدها ولو نفذ القانون تنفيذاً صارماً لأصيبت بنوانجلاند بخسائر جسيمة. غير أن قانون الدبس تفودى على أوسع نطاق. فكانت رود أيلاند مثلاً تستورد حوالى ١٤,٠٠٠ برميل من الدبس سنويا، منها ١١,٥٠٠ ترد من جزر الهند الغربية الفرنسية والأسبانية إذ أن التهريب لم يكن جريمة، وكانت السلطات الانجليزية تغمض عينها، بل كان البعض يقولون صراحة إن النقود المستخلصة من هذه التجارة غير المشروعة، كانت تذهب فى آخر الأمر إلى التجار والصناع الانجليز.

وكان قانون السكر فى سنة ١٧٦٤م فى واقعه بعثاً لقانون الدبس القديم الصادر فى سنة ١٧٣٣م. بحيث يجعله نافذ المفعول. فخفضت الرسوم المانعة القديمة، التى لم يكن من سبيل لتحصليها- بواقع ستة بنسات عن الجالون، وأضيف نص للاستيلاء على كل السفن التى تتهرب من القانون ولعل جعل المعدل بنسين كان أكثر عدالة، بيد أن جماعة الضغط السياسى المتحمسة لجزر الهند الغربية البريطانية فى البرلمان، دفعته إلى المستوى الأعلى . وكانت هذه ضربة قاسية للمصالح الإقتصادية لنيوانجلاند وقد أصبحت رود أيلاند بأن تجارة جزر الهند الغربية كانت تمثل كافة أسس تجارة هذه المستعمرات مع انجلترا، وأن جزء الهند الغربية البريطانية ما كانت تملك أن توفر من الـ ١٤،٠٠٠ برميل من الدبس التى كانت تستوردها سوى ٢٥٠٠ على أكثر تقدير. ونصت احدى مواد القانون على أن القضايا المتعلقة بقانون السكر من الممكن أن تعرض على محكمة يرأسها أى نائب أميرال فى أمريكا، مما يعنى أن أى تاجر قد يجد سفينته وملاحيه مقتادين مسافة طويلة حتى (هاليفاكس) للمحاكمة. وما كان له أن يطالب بنمو يضاف عن الأضرار إذا ما برأ المحالفون ساحته. وكان ثمة باعث آخر للمضايقة، تمثل فى ضريبة التصدير على السلع الأوربية التى تشحن إلى المستعمرات من بريطانيا العظمى، فقد رفعت فى سنة ١٧٦٤ من ٢،٥ فى المائة إلى٥ فى المائة. وصدرت الأوامر لموظفى الجمارك بأن يكونوا أكثر تشديداً، وعزز تنفيذ القانون بعدة طرق، مثل إرساء بوارج حربية ترابط فى المياه الأمريكية لاغتقال المهربين، وإصدار "أوامر قضائية مساعدة" لتمكين ضابط التاج من تفتيش أية أماكن يشتبه فيها.

وكان الجنوب فى موقف مختلف تماماً. فلم تكن له تجارة تذكر مع جزر الهند الغربية، بل كان يرسل سلعه الرئيسية- التبغ والنيلة والأسماك

المحفوظة، والخشب والجلود - إلى انجلترا مباشرة، ويأخذ مقابلها سلعاً مصنوعة. بيد أن هذه التجارة مع إنجلترا كانت تقوم على نظام مناسب للدولة الأم وليس مناسباً لسكان المستعمرات. فقد كان فى أيدى البيوت التجارية البريطانية والعمال أو الوكلاء الذين كانت ترسلهم إلى الأقاليم. فكان العمال يشترون التبغ والسلع الأخرى بأسعار منخفضة بدرجة غير منصفة فى أكثر الأحيان. وكانوا يبيعون الملابس، والأثاث، والخمور، والمركبات وغيرها من البضائع بأسعار مرتفعة بدرجة غير عادلة فى أكثر الأحيان. وكان أصحاب المزارع ذو اليسار قد ركنوا إلى عادة طلب ما يوردون فادحة. وأصبح كثير من الديون وراثية تنقل من أب إلى ابن، وفى هذا كتب جيفرسن بعد الثورة: "وكان أصحاب المزارع هؤلاء نوعاً من "الممتلكات" التابعة لبيوت تجارية معينة فى لندن".

والواقع أن جيفرسن قدر مجموع ما كان على فيرجينيا من ديون للتجارة البريطانيين، فى أوائل الثورة، بما يزيد على مليونى جنيه، حاسباً أن هذا قدر جميع النقود المتداولة فى فيرجينيا عشرين مرة أو ثلاثين. ومن الطبيعى أن أصحاب المزارع كانوا يكرهون دائنيهم الإنجليز، كما كان مزارعو الغرب يكرهون، فى مرحلة لاحقة، الدائنين الذين رهنوا لديهم أراضيهم من أبناء الشرق. وكانوا يدركون تماماً أن أسهل طريقة للتخلص من العبء الفادح هو التمرد على ربقة الإنجليز جميعاً، واللجوء إلى تأجيل أو إلغاء دفع الديون بسبب الحرب. على أنه كانت للدائنين الإنجليز شكاة هم الآخرين، إذ أنهم كانوا قد جازفوا بأموالهم إكراماً لأصحاب المزارع، وما كان مليوناً جنيه بمبلغ يستهان بخسارته.

ولقد أصدرت بعض المجالس التشريعية فى الجنوب، خلال ربع القرن الذى تلا سنة ١٧٥٠، قوانين للإفلاس ولتجميد الديون متساهلة فى صف المدينين. فلما نميت هذه إلى انجلترا أخذ مجلس شورى الملك ينفضها باستمرار تقريباً. ونجم عن هذا شعور ساخط بأن الأغنياء فى إنجلترا كانوا يسحقون كرامة الفقراء. كذلك حاول البرلمان أن يوقف لجوء المستعمرات إلى إصدار نقود ورقية. إذ كانت معظم الأقاليم قد أصدرت قدراً كبيراً من الورق النقدى بعد عام ١٧٣٠، وأضفت عليه بعض الأقاليم قيمة قانونية لسداد الالتزامات، ولكنها صادفت معارضة مطردة الازدياد من لندن. وأخيراً، حظر البرلمان نهائياً، فى سنة ١٧٦٤، على المستعمرات جعل النقود الورقية ذات صلاحية قانونية لسداد الديون، فأثار بذلك ضغينة جديدة، وكبيرة، لدى جامعات المدينين فى كافة أرجاء أمريكا البريطانية.

وثمة مصلحة اقتصادية كبيرة أخرى، تتعلق باستغلال الأرض والتوطين فى الغرب. فقد كانت الثروة تجمع فى البطاح الغربية بطريقتين رئيسيتين : بالاتجار مع الهنود للحصول على الفراء، وبتنظيم شركات للأراضى تحصل على مساحات كبيرة من القفاز، وقسيمها، وبيعها وكان تاجر الفراء والساعى للإستحواذ على الأرض يطمعان فى تلك الأعوام فى أن يظفرا بحرية التصرف، كما يطمع المنقب عن البترول وقاطع الأخشاب فى الغرب، فى أيامنا الراهنة. وإلى جانب هذين الفريقين نجد، بعد سنة ١٧٦٠، فريقاً آخر هم المحاربون من أبناء المستعمرات فى حرب السنوات السبع الذين منحوا أراضى فى الغرب مكافأة لهم. وكانت فيرجينيا بالذات قد كافأت جنودها على هذا النحو، بينما وعد الحاكم "دينويدى" الجنود الذين يبلغون من البسالة أن يطردوا الفرنسيين من ممتلكاتهم الواسعة فى وادى أوهايو بمائتى ألف دونم.

ولقد كان الكثيرون من عامة الشعب فى بنسيلفانيا وفيرجينيا وإقليمى كارولينا من المتعطشين إلى الأرض. ومع نهاية الحرب بدا واضحاً أنه لن يلبث أن يكون ثمة إقبال كبير على الغرب. فأخذت شركات الأرض تكـون واحدة بعد الأخرى، وكان أعظم رجال القارة. وهم "بنجـامين فـرانكلين" ، وجورج وشنطون" وسير ويليم جونسون" – شديد ى الاهتمام، فكانت ثمـة ضجة صاخبة من المطالبات وصفقات الشراء، وعمليات مسح الأراضي.

غير أن الحكومة البريطانية كانت تضع بعزم سياسة جديدة لتشـديد السيطرة وفرض الأمن والنظام فى الغرب، بينما كان هذا السيل من البشـر يتخاطفون أراضى الغرب. وفى سبيل إقرار السلام مع الهنود، ومنع أبناء المستعمرات من الإيغال فى الغرب إلى ما يتجاوز نطاق السيطرة الإنجليزية، وإنهاء فوضى تداخل ادعاءات ملكية الأراضى، أعلنت فى سـنة ١٧٦٣ أن الاستيطان بأكمله يجب أن يتوقف عند قمـة جبـال (أبـلاش)، وأن كافـة الأراضى بعد "خط البيان" هذا محجوزة إلى أجل كأملاك للتاج، ولا ينبغـى أن تباع أى من أراضى الهنود، فى أى مكان، إلا للتاج. وكان الـرأى أن شيئاً من التأخير لا يضـير، وإن مـن الممكـن فـتح الأراضـى لأبنـاء المستعمرات بعد ذلك الأجل شيئاً فشيئاً. وما لبث مجلس التجارة والمـزارع أن ساند مشروعاً لإنشاء مستعمرة غربية جديدة تدعى "فانـداليا". غيـر أن البيان أساء إلى تجار الفراء، وشركات الأراضى، والملاك الذين اكتسـبوا الأرض على سبيل المكافأة، وأولئك الذين كانوا فى نهم إلى أراضى الغرب بوجه عام، إذ بدا أنه أغلق بعنف الباب الذى كان الأمريكيـون قـد قـاتلوا الفرنسيين ليفتحوه قسراً.

وكانت الشكاوى المتعلقة بالكنيسة فـى المسـتعمرات تتركـز فـى العلاقات بالكنيسة الإنجليكانية،:إذ كانت كنيسة تساندها الدولـة فـى كافـة المستعمرات جنوب "ديلاوير" وتعولها جزئياً فى نيويورك كذلك. وكانت ثمة كنائس ذات سلطات فى ثلاث مستعمرات فى الواقع، ومع أن هذه السلطات كانت أشد مما تمارسه الكنيسة الإنجليكانية، فإن هذه هى التى كانـت تثيـر العداء.

ولقد قام هذا العداء على أساسين رئيسيين: أن كثيـرين مـن ابنـاء المستعمرات كانو يعارضون بعنف دفع ضرائب للكنيسـة، وأنهـم كـانوا يخشون قيام سلطة أسقفية بروتستانية ذات ميول سياسية. وكان لكل راعـى كنيسة إنجليكانى بيت، وأرض موقوفة على الكنيسة، ومرتب ثابت يدفع من الضرائب، ورسوم يتقاضاها. ومن المحقق أن أتباع الكنيسة البروتستانتية فى كافة المستعمرات كانوا أقلية. ولقد كانت كل العائلات الكبيرة فى الأراضـى المنخفضة من فيرجينيا. ومنهم آل "واشنطون" وآل "لـى" وآل "رانـدولف"، وآل "كارتر" وآل "ميسون"، وآل "كارى". من الأسقفيين البروتستانت، بيـد أن المنشقين – الكويكر، والمعمدانيين، واللوثريين، والمشيخيين- كانوا أكثر عدداً فى غرب ريتشموند. ولم يكن فى كارولينا الشمالية سوى حفنـة مـن البروتستانت الأسقفيين، وإن كانت السلطات قد حاولت أن تجعل الشعب يعول تسعة من القساوسة الأسقفيين. أما فى كارولينا الجنوبية فكانت الكنيسة أقوى مكانة، ولكن المنشقين كانوا أغلبية كبيرة هناك هم الآخرون، غذ كانت لهم حوالى ثمانين أبرشية. وما من منشق متدين كان يستسيغ دفع إعانة لرجـل دين أسقفى، استساغته دفها لواحد من عقيدته.

وكان ثمة سبب آخر للنزاع يتمثل فى مسألة الدفاع عن الإمبراطورية. كان من المحقق حدوث بعض القتال مع الهنود، بينما كان الفرنسيون يتحرقون شوقاً للانتقام، ولم يكن من سبيل للاطمئنان إلى الإسبانيين فيما وراء نهر المسيسبى. ولم تكن الحكومة البريطانية تعتقد أن بوسع المستعمرات أن تدافع عن نفسها فكانت تشكو من أنها مبطئة ومزعجة فى حشد الجنود فى الحرب الأخيرة، وأنها أخفقت فى العمل بانسجام وتناسق. وكانت الهيئة المركزية الوحيدة هى الحكومة الإمبراطورية فى لندن، برئاسة جورج غرانفيل، ومن ثم لم يلبث أن تقرر الاحتفاظ بعشرة آلاف جندى فى أمريكا الشمالية، ودفع ثلث نفقات بقائها من حصيلة ضرائب المستعمرات. وكان معنى هذا تحصيل حوالى ٣٦٠,٠٠٠ جنيه استرلينى فى المستعمرات. وبعد أن أمهل "غرانفيل" المستعمرات عاماً، وأكد لها أنه سيتخذ خطة أفضل:إذا هى قدمت المبلغ، قدم مشروع قانون لفرض ضريبة تمغة (رسوم طوابع) كعلى الصحف والمستندات القانونية وغيرها. وأجاز البرلمان القانون فى سنة ١٧٦٥ بمعارضة لا تذكر، وأقر معه إجراء يلزم المستعمرات بإمداد الجنود بالوقود والضوء ومعدات النوم، وأوانى الطهو، ومساعدتهم فى الحصول كعلى مأوى. ولقد بدا الأمر بسيطاً فى نظر إنجلترا، بيد أنه بالنسبة لأهالى المستعمرات كان مثالاً واضحاً لفرض الضرائب دون وجود ممثلين للشعب.

أخيراً كانت أمريكا تربة خاصة لتعاليم ومذاهب ذات طابع جمهورى أو شبه جمهورى إذ ظل السكان قرناً ونصف قرن يعيشون فى جو ديمقراطى أو "محقق للمساواة". فكانت الفوارق الديمقراطية قليلة، وكانت الفرص الاقتصادية مفتوحة للجميع على قدم المساواة. ولم يؤد وجود طبقة أرستقراطية لا إلى تنشيط نمو المبادئ الديمقراطية. وكانت ثمة طبقة من

سكان الساحل، أو صفوة متضامنة، قليلة العدد، تستحوذ على معظم الثروة، وتقتصر على بعض الأقاليم، مثل فيرجينيا وكارولينا الجنوبية، وتستأثر بالنفوذ السياسى، وقد واجهت الديمقراطية الناشئة فى داخل البلاد صراعاً طويلاً ضدها، فكان صغار المزارعين فى جوف البلاد، والمهاجرون الألمان والاسكتلنديون. الأيرلنديون، والعمال والميكانيكيون من أهل المدن، يعززون أنفسهم باستمرار إزاء التجار وأصحاب المزارع القدامى. وقد فعلوا ذلك بلة الجيل السابق كعلى الثورة بهمة أذهلت من هم أرقى منهم، وساهمت هذه الروح ذاتها فى تحمسهم الثورى ضد الدولة الأم.

وعندما نحصى القادة فى الثورة كعلى :إنجلترا، نجد أنهم ينقسمون إلى فريقين رئيسيين الأول: مجموعة من المتعلمين، والكتاب، والمفكرين، من أمثال صمويل آدمز، وجون أدامز، وجون جاى، وجيمس أوتيس، وألكسندر هاميلتون، وجون مورين سكوت، ووليم ليفنجستون، وبنجامين فرانكلين، وجون ديكينسون، وتشارلز كارول من كارولتون، وتوماس جيفرسن، وجورج ميسون، وويلى جونز، وجون رتليدج. وكانت تؤازرهم مجموعة من المتطرفين قليلى التعليم أو عديميه، انبثقت من الميكانيكيين وصغار العمال الزراعيين، من أمثال السكندر ماكدوجال، وايزاك سيرز، وجون لام فى نيويورك، وأمثال دانييل روبردو، وجورج بريان فى بنسيلفانيا، وأمثال باتريك هنرى فى فيرجينيا، وترماس بيرسن وتيموثى بلدويرث فى كارولينا الشمالية، وكريستوفر جودسدن وتوماس سومتر فى كارولينا الجنوبية. أما الفريق الثانى فكان من المندفعين ذوى الطابع المتأججة، الذين يميلون على الأخذ بالآراء المتصرفة فى الحكم، فهم يريدون ديمقراطية خالصة أو ما يقرب من ذلك. وكانوا يستمدون إلهامهم من مفكرين أمثال جيفسن وسام آدمز، بيد أنهم بثوا فى الحركة الثورية ،

عندما بدأ عنفوانها، كثيراً من نشاطها العنيف القاسى. على أن الفريق الأول كان أهم من الثانى بكثير فى إيقاد شعلتها. فكان المتعلمون يستغلون الصوت والقلم بإخلاص صادق، ويطلقون أسراباً من المنشورات، ويملئون الصحف بالمقالات، وينشرون آراءهم السياسية عن طريق الاجتماعات العامة.

ولقد رجع كتاب المستعمرات إلى فريقين قويى النفوذ من المفكرين البريطانيين. الفريق لذا كان قد كتب ليبرر التعاليم الداعية لدولة بيوريتانية، والفريق الذى برز ثورة الأحرار (الهويج) فى سنة ١٦٨٨ أى أنهم استمدوا حججهم من سيدنى، وهارينجتون، وميلتون، و فوق هؤلاء جميعاً. جون لوك. فإن ثانى كتب لوك، وهو "رسالتان فى الحكم" يحتوى على بذور "إعلان الاستقلال الأمريكى". فقد كان لوك يرى أن الوظيفة العليا للدولة هى حماية الحياة، والحرية، والثروة وهى الحماية التى لكل :إنسان الحق فيها. وقال إن تلقد السلطة السياسية إنما يكون أمانة من أجل مصلحة الشعب وحده. وعندما تنهك الحقوق الطبيعية الجنس البشرى، فإن للشعب الحق فى – ومن واجبه – إلغاء أو تغيير الحكومة. وهذا المبدأ مكتوب فى مقدمة "وإعلان الاستقلال". ولقد أكد لوك أن "العلاج الحق للقوة بدون سلطة هو معارضها بالقوة". كذلك أرسى حجر أساس كبيراً آخر للثورة، عندما أوضح فى "رسالة فى التسامح الدينى" الرأى بأن الكنيسة والدولة تشغلان مجالين منفصلين تمام الانفصال، ويجب أن يظلا منفصلين. وأبدى أن الكنيسة، فى أسلم شخصية لها، منظمة اختيارية، يعولها أعضاؤها بمحض إرادتهم، لا الحكومة بقوة فرض الضرائب.

وقد كان "لوك" والمفكرون الذين وقفوا معه موضع إعجاب عميق من كل الأمريكيين المتعلمين، المهتمين بالساسة. والواقع أن الأمريكيين ورثوا

فلسفتهم السياسة فى كعين الوقت الذى تحول فيه البريطانيون عنهـا. فـإن الممارسة الدستورية فى بريطانيا، بعد سنة ١٦٨٨، ابتكرت نظامـاً نيابيـاً مشوهاً، وغير ديمقراطى. إذ برزت قلة حاكمة (أوليجاركية)، تقوم علـى نظام دوائر انتخابية غير سليم، وعلى رفض منح المدن الصناعية الجديـدة حق أن يكون لها نواب ممثلون، وعلى حرمان مدروس ومـنظم لأجـزاء كبيرة من السكان من حق الانتخاب. وكان الحرمان من حـق الانتخـاب، والدوائر غير السليمة أو يعادلها موجودة فى أمريكا، ولكن إلى غيـر هـذا المدى. فالواقع أن صراعاً دائباً استمر فى أمريكا طيلة القرن الثامن عشـر لتوسيع نطاق المتمتعين بحق الانتخاب، وللعمل على أن تحظى المقاطعـات الجديدة والمناطق الغربية بتمثيل نيابى عادل، على نسق المستوطنات الأقدم عهداً. فكان لأمريكا نظام نيابى يزداد تمثيلاً للشعب باطراد. أما إنجلتـرا فكان نظامها أقل تمثيلاً باطراد. وكان الشعبان يؤمنان بالحقوق الطبيعية، إذ أن "وثيقة بيان الحقوق" كانت من التراث البريطانى العظيم، بيد أن كثيـرين من البريطانيين كانوا يميلون إلى أن يقبلوا قيام سلطة مطلقة أخرى. وعندما بدأت المتاعب مع الدولة الأم فى سنة ١٧٦٥، وجد الأمريكيون أنهم أوتـوا فلسفة سياسية تماماً وفقاً لحاجاتهم.

نادراً ما أساء غريمان فهم أحـدهما الآخـر، كمـا فعـل أهـالى المستعمرات الأمريكية والتاج البريطانى فى السنوات العشر السـابقة علـى الثورة. فما كانت أى من الخطوات البريطانية الأولى مستلهمة من رغبة فى "التعسف" بأمريكا. إذ كان الحرص على حل مشكلة الهنود الحمر، وإقامـة حاميات فى المستعمرات الأمريكية لحمايتها، وتدعيم المرافـق الجمركيـة، تبدو أموراً عادلة ومعتدلة فى نظر الوزراء فى لندن، ولكنها بدت فى نظر الأمريكيين أشبه بوسائل محكمة للظلم.

ولقد أعقبت حرب السنوات السبع أوقات عصيبة، فإذا الرجال المتعطلون عن العمل والمتحاجون إلى المال يبغون البحث عن مواطن جديدة وراء الجبال. ولكن "خط البيان" كان يمنع ذلك. وكانت التجارة كاسدة، والنقود الحاضرة نادرة جداً، ومع ذلك انتهز التاج هذه اللحظة بالذات ليستنزف ما فى البلاد من ذهب وفضة بضرائب جمركية جديدة، تفرض بصرامة. وفي الوقت ذاته، كان يفرض على أهالى المستعمرات بقانون التمغة ضريبة بدون رضاهم. وكانت الأموال المحصلة بهذه الطريقة تستخدم للاحتفاظ بجيش مرابط، لم يكن معظم أهالى المستعمرات يرون حاجة حقيقية تدعو إليه. ثم إن هذه الحامية المبغوضة كانت موكلة بدورها بأن تنفذ اللوائح الجمركية الباهظة وقوانين الضرائب الجائزة. ولقد كان يبدو لضباط التاج، فى سنة ١٧٦١، أن طلب "أوامر قضائية مساعدة" من المحاكم أمر سليم. فهى أوامر تفتيش لمعالجة التهريب. ولكن هذه الأوامر القضائية كانت فى نظر أهالى المستعمرات تنطبق على كل امرئ وتمنح الضباط الذين يحملونها سلطة مطلقة، وتسمح بداهمة وتفتيش بيت كل امرئ أو حانوته، فهى لا تطاق. وكانت الحكومة البريطانية قد أوفرت قوانين لتقييد أو تحريم الصناعات فى المستعمرات. وقد ظن التاج أن هذا أمر عادل، إذ كان يعتقد أن الإمبراطورية تصبح أكثر رخاء إذا انصرفت المستعمرات على المواد الأولية، وعكفت بريطانيا على نتاج السلع المصنوعة. غير أن كثيرين من أهل المستعمرات كرهوا هذا التدخل.

ثم إن ثمة خلافا نظرياً وراء الخلافات على هذه الأمور العملية، أضفى على النزاع كله عمقاً، وأحدث فجوة لا سبيل لسدها.

ذلك أن معظم المسئولين البريطانيين كانوا يعتقدون بأن البرلمان هيئة إمبراطورية، لها من السلطان على المستعمرات عين مالها فـي الـوطن. فبوسعه أن يقر قوانين لمساتشوسيتس كما يقر قوانين لبيركشـاير. وكانـت للمستعمرات حكوماتها الخاصة حقاً . ولكن المستعمرات كانت مـع ذلـك مجرد "شركات" فهى بهذا الوضع تخضع لكافة القوانين آنجليزية، وللبرلمان أن يحد من حكوماتها أو يوسعها أو يحلها متى شاء. وقال القادة الأمريكيون إن الأمر ليس كذلك/ إذ لا وجود لبرلمان"امبراطـورى" وذهبـوا إلـى أن علاقاتهم القانونية الوحيدة كانت مع التاج. فالتاج هو الذى وافق على إنشـاء مستعمرات وراء البحر، والتاج هو الذى أتاح لها حكومات. وكـان الملـك ملكاً لمساتشوسيتس كما هو ملك لإنجلترا، ولكن البرلمان الإنجليزى لم يؤت حقاً لسن قوانين لمساتشوستس غلا بقدر للمجلس التشريع "لمساتشوسيتس من حق لسن قوانين لإنجلترا.

فإذا كان الملك راغبا فى أموال من مستعمرة ما، فقد كان بوسـعه الحصول عليها بأن يطلب منها منحة، ولكن البرلمان لم يؤت سلطة لأخذها بإقرار قانون للتمغة أو أى قانون آخر من قوانين الدخل الحكومى. وموجز القول أنه لا سبيل لفرض ضريبة على أحد الرعايا البريطانيين، سواء كان فى إنجلترا أو فى أمريكا، إلا عن طريق ممثليه النيابيين.

على أنه من الجديد أن نتبين أن الشعور فى كل من بريطانيا ،أمريكا كان منقسماً انقساماً حاداً إزاء المسائل الرئيسية، وهى أن النزاع المتطور لم يكن صراعاً بين المستعمرات والدولة الأم بقدر ما كان نزاعاً مـدنيا فـى داخل المستعمرات وفى داخل بريطانيا العظمى كذلك. وكان زعماء الأحرار المبرزون فى البرلمان. تشاتهام، وبيرك، وباريه، وفوكس، يميلون ميلاً قوياً

نحو جانب الوطنيين الأمريكيين. وفى المستعمرات، كانت كتلة قوية من المحافظين تساند الحكومة البريطانية. كذلك من الجدير ان ندرك أن بعضاً من المتطرفين من الجانبيين كان يسعدهم أن يستغلوا لخلاف لتعزيز وجهات نظرهم الخاصة. فكان "اللوردبيوت" يغتبط بخشونة الحملة على أهل المستعمرات للنيل من روح الديموقراضية التى كان جون ويلكس وآخرون فى انجلترا ينادون بها. وكان صمويل آدامز فى مساتشوسيتس، وباتريك هنرى فى فيرجينيا ميالين هما الآخران على استغلال النزاع لدفع آرائهما المتطرفة (الراديكالية) فى الشئون السياسية للمستعمرات قدماً، ولإعادة تشكيل المجتمع على قاعدة أكثر مراعاة للإنسان العادى.

لم يكن الانتقاض على الحكومة البريطانية حركة واسعة، تلقائية. بل إنها كانت مرسومة بعناية، بواسطة رجال أذكياء، وقد نفذت بجد وحكمة بوساطة بعض من أنشط الأفراد فى القارة الأمريكية الشمالية. وما كانت لتنجح قط لو كانت قد تركت بغير تنظيم. فنظراً لأن الوطنيين من ناحية كانوا ذوى تنظيم طيب، ولأن المحافظين أو الموالين لبريطانيا لم يكونوا منظمين، كسب الفريق الأول المعركة.

كانت الخطوة الأولى فى الحركة، هى ظهور شغب متقطع، وغير مترابط، لمقاومة الإجراءات البريطانية. وقد أحدث قانون التمغة الصادر فى سنة ١٧٦٥ هذا الرد فى عدة مستعمرات. واحتجت المجالس التشريعية، وأصدرت فيرجينيا بوجه خاص مقررات قوية. بيد أن أشد التصرفات مفعولاً، صدر عن عامة الجماهير الذين أتلفوا طوابع التمغة فى مساتشوسيتس ونيويورك، وفيرجينيا، وكارولينا الشمالية وأقاليم أخرى، واضطروا محصلى الضريبة إلى الاستقالة أو الفرار، بل: إنهم هددوا حياة

الحكام الملكيين. ولقد وجد هذا التمرد تأييداً شعبياً كبيراً فى البداية، ولكن المواطنين المراعين للنظام والموسرين لم يلبثوا أن أبدوا عدم رضائهم عنه. كذلك ظهرت إلى الوجود منظمات تدعى "أبناء الحرية" لتحقق معارضة شعبية للطغيان البرلمانى.

وكانت الخطوة الثانية تنظيم مقاطعة اقتصادية يتولاها التجار، ويؤيدها فى بعض الأحيان المجالس النيابية للأقاليم. وقد دعا إلى ذلك "القانون المؤقت" الذى صدر فى سنة ١٧٦٧م، وفرض مكوس استيراد على الشاى، والورق ، والزجاج، والطلاء. فنتهج التجار والمواطنون ذو المكانة فى عديد من المجتمعات اتفاقيات لعدم الاستيراد أو عدم الاستهلاك، لمقاطعة المواد التي فرضت عليها ضرائب بريطانية. وقد اتخذ هذا الإجراء فى بوسطن، فى مارس سنة ١٧٦٨، فسرعان ما انتشر فى المستعمرات حتى عمها جميعاً خلال عامين. ولد هبطت الواردات من انجلترا فى بعض المستعمرات إلى حوالى النصف، بينما نفذت الاتفاقات فى بعض آخر تنفيذاً سيئاً. وانتهت هذه الحركة فى سنة ١٧٧٠، عندما ألغى البرلمان كل المكوس المؤقتة إلا على الشاى.

وكانت الخطوة الثالثة تشكيل شبكة من اللجان المحلية واللجان المشتركة بين المستعمرات للتراسل. وكان الزعيم الرئيسى لهذا المشروع هو "سام آدامز" من مساتشوسيتس، وكان رجل دعاية وتنظيم بالفطرة. كما كان أقوى الشخصيات نفوذاً فى الجمعية العامة للأحرار، التى اجتمعت فى (فانويل هول) للسيطرة على بوسطن، بينما كان يقوم بدور قيادى فى الهيئة التشريعية لمساتشوسيتس. وعلم المواطنون فى صيف سنة ١٧٧٢ أن الحكومة الملكية كانت تعتزم منح الحاكم وقضاة المحكمة العليا رواتب دائمة،

فتخلصهم بذلك من سيطرة الشعب. فدعيت المدينة إلى اجتماع، واتخذت فيه خطوة " استملت على الثورة الكاملة". وأقيمت لجنة للتراسل كي تتصل بالمدن الأخرى في الإقليم كله. وسرعان ما كان فى كل منطقة لجنة مماثلة، وأصبح الإقليم يطن كخلية نحل هائجة. ونظم القوم من خليج مساتشوسيتس إلى المناطق المتطرفة فى حشد جيد التنظيم. وشهد بذلك كاتب من المحافظين، إذ قال فيما بعد: "كان هذا هو مصدر العصيات. لقد شهدت البذرة الصغيرة عند غرسها. كانت فى ضآلة حبة الخردل، وقد راقبت النبتة حتى أصبحت شجرة عظيمة". وأقامت مستعمرات أخرى لجاناً محلية مشابهة، وعين ممثلو المدن فى فيرجينيا، فى سنة ١٧٧٣، أو شبكة للجان المشتركة بين المستعمرات، فسرعان ما شملت القارة بأسرها.

وكانت الخطوة الرابعة نحو الثورة، هى إقامة هيئات تشريعية ثورية، أو "مؤتمرات" إقليمية، كما كانت تسمى بوجه عام. فما كانت الهيئات تشريعية ثورية، أو م"مؤتمرات" إقليمية، كما كانت تسمى بوجه عام. فما كانت الهيئات التشريعية النظامية القديمة لتسعف المتطرفين، لسببين: أنها كانت تتألف من رجال محافظين إلى حد كبير، وكان أصحاب الثروات يتشبثون بالنظام القائم، كما أنها كانت بطيئة التصرف. أما السبب الثانى، فإنها كانت إلى خد ما تحت سيطرة الحكام الملكيين الذين كانوا يملكون أن يعطلوها أو يفضوها متى شاءوا. ولقد ظهرت أو مؤتمرات إقليمية فى سنة ١٧٧٤، نتيجة نبأ إقرار "قانون ميناء بوسطن". وكانت وسيلة إنشائها غاية فى البساطة.

ففى فيرجينيا مثلا وصلت أنباء "قانون ميناء بوسطن" فى مايو سنة ١٧٧٤، فأثارت هزة فى الإقليم. وكانت الهيئة التشريعية مجتمعة إذ ذاك،

فإذا جيفرسن وباتريك هنرى، وريتشارد هنرى لى، وأربعـــة أعضـــاء أو خمسة آخرين يعقدون اجتماعاً فى قاعة المجلس. وقرروا الدعوة إلى يـــوم صيام وصلاة. وكانت هذه مناسبة جليلة غير عادية، إذ لم يحدث مثلها منذ حرب السنوات السبع. ولقد راجعوا السوابق الصادرة عن البرلمان فى عهد كرومويل، وأغروا ممثلى المدن بتحديد يوم أول يونيو ســـنة ١٧٧٤ لهـــذه المناسبة. وبادر الحاكم "دامور" إلى إلغاء عضوية الممثلين بوصفهم عصاه. فساروا فى موكب ضم تسعة وثمانين عضواً فى الشكيمة، فى الطريق حتى حانة "رالى" وفى قاعة "أبولو" التى كانت مسرحاً لكثير من الحفلات الراقصة والمآدب، انتظموا برئاسة رئيس الهيئة التشريعية "بيتون راندولف". واقترح الأعضاء الراديكاليون عقد اتفاقية جديدة لعدم الاستيراد وأراد ريتشارد هنرى لى "اتخاذ خطوات إضافية، بيد أن البعض أمسكوا عن الموافقة. لأنه "كـــان ثمة فارق بين وضعهم إذ ذاك، ووضعهم حين كانوا مجلساً للمثلى المـــدن". ولكن إحجامهم لم يطل ففى ٢٩ مايو، وصل رسل مـــن بوســـطن حـــاملين رسائل من عواصم مستعمرات أخرى. وقد أحضروا نبأ بأن وقف التجـــارة بأسرها مع إنجلترا كان مشروعاً مقترحاً. فقرر "بيتون راندولف :بمشـــورة خمسة وعشرين من نواب المدن، دعوة أعضاء المجلس السابق إلى اجتمـــاع في أول أغسطس. وبهذه الدعوة ولد أول مؤتمر إقليمى، أو مجلس تشريعى ثورى فى المستعمرات.

الثورة والاتحاد الكونفدرالى:

أخذ الهياج والشغب يزدادان فى المستعمرات شيئاً فشيئا، فإن وجود الجنود البريطانيين فى مختلف المدن، أتاح للزعماء المتطرفين فرصة لإثارة خواطر الأهالى. ولقد حدث فى نيويورك، فى سنة ١٧٧٠، معركـــة جـــولن

هيل التى لم ترق فيها دماء. وهى كما يصفها " كـادوالادر كولـدن" أذكـى الاستياء بين أهل المدينة والجنود بحذق، وأخيراً بدأ بعض سـكان المدينـة يتسلحون، فهرع الجنود من ثكناتهم لمساعدة زملاءهم من الجنود، ولم يحـل دون الاشتباك سوى توسط ضباط الجيش والقضاة، أما فى بوسطن فحـدث تصادم أشد خطراً، فإن تغيير حرس الحامية يوم الأحد، أغضب بعض أهـل المدينة المتمسكين بالتعاليم البيوريتانية، بينما شاعت بعض العناصر الأكثـر ميلا للخشونة، أن تسخر من الجنود، وان تستدرجهم. وقد أخـذ الاسـتدراج يزداد إلحاحاً ووقحة، إذ صدرت الأوامر إلى الجنود بأن يلزموا أكبر كـبح للنفس.

وأخيراً، هاجم أهل المدينة جنديين وضربوهما فى ٥ مارس. ودقت النواقيس لدعوة الناس للخروج إلى الطرقات. وتعرض حارس معين عند دار الجمرك للإساءة، ورجم بالثلج وبقذائف أخرى. وعندما أقبل الكابتن بريستون وشرذمة صغيرة من الجنود لحمايتـه، ازدادت السـخرية والـرجم. وأخـذ الجمهور يصيح: " أطلقوا النار إن تجاسرتم..... أطلقوا النار، عليكم اللعنة!" وأحسن الجنود التصرف إلى أن ضرب شخص ما، جنـديا بهـراوة فألقـاه أرضاً. وإذ نهض الجندى، أطلق بندقيته. وساد هرج عام، وأطلق ثلاثة مـن الجنود الآخرين النار دون أوامر. فقتل ثلاثة رجال على الفـور، وأصـيب اثنان بجراح مميتة. وإذا انبعث دقات الطبول لجمع الجنـود عامـة، ظهـر الحاكم وأعاد النظام. وقال احد الرجلين اللذين أصيبا بجراح قاتلة، وهو على فراش الموت إنه " رأى هياج الغوغاء فى أيرلندا، ولكنه لم يعرف قط جنود تحملت كل هذا التحرش دون أن تطلق النار على المشاغبين وتحسم الأمر"! ولقد اتهم الكابتن بريستون وجنوده بالقتل، ووجد جون آدامز الشاب الجـرأة على أن يقوم بمهمة المحامى للدفاع عنهم، وظفر بتبرئة ساحتهم. وقد كتـب

يقول: "كان خليقا بالحكم على أولئك الجنود بالإعدام أن يكون وصمة خـزى لهذه البلاد، كما كانت أحكام إعدام الكويكر أو السحرة فى الماضـــى". ولقـد بدت مذبحة بوسطن فى نظر الكثيرين كحـدث يـنم عـن ذروة الطغيـان البريطانى، فأصبحت دكراه موضوع احتفال مهيب فى كل عام، كما أنه أثار الأهالى كما لم يثرهم أى شىء حتى ذلك الحين.

وأخفقت الوزارة البريطانية، برئاسة " ورد نورث" ، فى استخلاص الدرس المناسب من الارتياب والعداء الناشبين. ففى سنة ١٧٧٢، وقع حادث آخر ذو أهمية، إذ أن السفينة الحربية الصـغيرة، ذات المـدافع الثمانيـة، " جاسبى " جنحت إلى الشاطىء، بالقرب من (بروفيدانس) ، فى شهر يونيـو، أثناء انهماكها فى تنفيذ القوانين ضد التهرب، فى ميـاه "رود آيلانـد". وإذا بجمع من المدنيين يهاجمونها، ويتغلبون على رجالها، ثم يحرقـون السـفينة المكروهة. وكانت كافة المكوس المفروضة بمقتضى قوانين " تاونسيند " قـد ألغيت ما عدا تلك المفروضة على الشاى، التى بقيت إلزاماً للمبـدأ. وكـان تعاطى الشاى قد انقطع فى المستعمرات فى الواقع، ووقعت شـركة الهنـد الشرقية فى صعاب مالية. ولقد سمحت لها الوزارة فى سـنة ١٧٧٣، علـى سبيل المساعدة لها، بأن ترسل الشاى إلى أمريكا بشروط جعلته رخيصاً، بيد أن لورد نورث ظل مصراً على استبقاء المكوس بواقع ثلاثة بنسـات عـن الرطل، فى المستعمرات، قائلاً إن الملك كان يعتبر ذلك محكاً للسلطان. وقد أدى هذا إلى الثورة الأمريكية مباشرة. فلقد أثار السخط الحاد لدى الأمريكيين ما بدا لهم حيلة خادعة. إذ أرسلت الشركة عدداً من السفن. وقرر القوم فـى كل ميناء المقاومة بإصرار. ففى (تشارلستون) وضع الشاى فى أقبية مغلقة، ومن فيلادلفيا ونيويورك أعيد من حيث جاء على السفن التى أحضرته. ولقد اشتد أوار الانفعال فى بوسطن بوجه خاص، ففى ليـل ١٦ ديسـمبر سـنة

١٧٧٣، تنكرت شرذمة من حوالى خمسين رجلاً فى زى الهنود، يقودهم "سام آدامز" نفسه، وصعدوا إلى السفن،وفتحوا ٣٤٣ صندوقاً من الشاى عنوة، وأفرغوا ما فيها فى مياه المرفأ. ولم يحاول أحد من المسئولين فى المدينة أن يمنع إتلاف البضاعة. وقال جون آدامز منتشيا" هذه أعظم الحركات جميعا أهمية. ففى هذا المجهود الأخير للوطنيين كرامة وجلال وسمو أعجب بها أعظم الإعجاب. إن إتلاف الشاى هذا عمل بالغ الجرأة، وبالغ البسالة، وبالغ الحزم، والإقدام والصلابة، ولابد أن تكون له عواقب بالغة الأهمية والبقاء لدرجة أننى لا أملك إلا أن أعتبره عهداً جديداً فى التاريخ". وبهذا العمل المتسم بالعنف، والذى قوبل بالإعجاب من (مين) إلى (جورجيا)، طرحت "بوسطن" القفاز عند قدمى التاج... وأسرعت الحكومة البريطانية إلى التقاطه!

كان جورج الثالث وأغلبية البرلمان مصرين على معاقبة"بوسطن" العاصية. ودعا "بيرك" و "تشاتهام" على مسلك يفسح السبيل للتراضى، بيد أن الوزارة أجازت عن طريق البرلمان مجموعة من خمسة قوانين شديدة، أحدث أحدها تغييراً جذرياً فى وثيقة التفويض الخاصة بمساتشوسيتس، والتى كانت تحظى بإعزاز كبير، بالقضاء على بعض من أشد معالمه تحرراً. وجعل أحدها من القائد العسكرى البريطانى فى أمريكا، الجنرال جيج، حاكما لمساتشوسيتس، مع تعيين أربع كتائب لمساندته، مع سلطة إنزال الجنود فى بيوت الناس. ونص أحد القوانين على أن الضباط الذين توجه إليهم تهمة القتل المتعمد يرسلون مع الشهود إلى انجلترا للمحاكمة. ونص قانون آخر على إغلاق ميناء بوسطن دون التجارة كافة، إلى أن يدفع تعويض عن الشاى الذىجرى اتلافه، وأن تقدم الأدلة على أن المكوس ستدفع بولاء وطاعة. وأخيراً مد قانون كويبيك حدود (كندا) فشملت الإقليم الواقع شمال أوهايو

وغرب جبال الليغنى، بأكمله. ولم يكن هذا الإجراء الأخير تأديبياً فى طابعه بل إنه ظل طويلاً موضع تفكير، وقد أقيم على دراسة تخصصية إلى حد كبير، واستهدف به توفير تنظيم أفضل لتجارة الفراء فى الشمال الغربى، ووضع السكان الفرنسيين الكاثوليك، فى إقليم متشيغن وإللينوى تحت سلطة مناسبة. غير أنه صدر فى وقت غير ملائم، فكان من الطبيعى أن يرى سكان المستعمرات الساحلية أنه أغلق الشمال الغربى دونهم!

مؤتمر فيلادلفيا الأول:

هذه القوانين القاسية من البرلمان أثارت الغضب والتوتر. وأجمعت لجان التراسل المشتركة، بين المستعمرات على العمل، فعقدت الاجتماعات، وكتبت المقالات فى الصحف، ونشر الدعاية بالمنشورات. وعندما أصدر أعضاء الهيئة التشريعية لفرجينيا، فى اجتماعهم بحانة "رالى"، دعوات إلى مؤتمر ستوى لمناقشة" المصلحة الموحدة لأمريكا" ، جاء الرد فوراً ومتحمساً. وانتخب مجلس فرجينيا الإقليمى مندوبين، فحذت الأقاليم الأخرى حذوه. وفى ٥ سبتمبر سنة ١٧٧٤، اجتمع اول مؤتمر للقارة فى فيلادلفيا، ممثلا لجميع المستعمرات عدا جورجيا. وكان بين المندوبين الواحد والخمسين: واشنطون، وبنجامين فرانكلين، وجون آدامز، وجون ديكنسون، وغيرهم من الأكفاء. وعكفوا- فى تجاهل البرلمان- على توجيه خطب إلى الملك وإلى الشعب فى بريطانيا وأمريكا. ووضعوا بياناً قوياً بحقوق المستعمرات، أكدوا فيه أن للأقاليم "السلطة الكاملة" لوضع التشريعات المتعلقة بشؤونها، على أن يكون للملك حق النقض، ولكنهم وافقوا على القوانين البرلمانية الخاصة بالتجارة الخارجية والمتعلقة بمصلحة حقيقية للإمبراطورية.

على أن المؤتمر القارى تبنى إجراءين كشفا عن قطيعة مع الوزارة البريطانية. وكان أحدهما إعداد اتفاقية تنشر على أوسع نطاق، وتلزم موقعيها بوقف كافة الواردات من السلع الإنجليزية خلال ثلاثة أشهر، وجميع الصادرات إلى الموانئ البريطانية، وبينها جزر الهند الغربية، فى بحر عام. وكانت فى هذا تضحية فادحة. فلم يعد فى وسع أصحاب المزارع فى فرجينيا إرسال تبغهم إلى المستهلكين الإنجليز. ولم يعد لربابنة السفن فى مساتشوسيتس الاشتغال بتجارة جزر الهند الغربية المربحة. وصدقت إحدى عشرة مستعمرة (إذ ظلت نيويورك وجورجيا بمعزل) على "الترابط" ، بينما اللجان المحلية الثلاث عشرة كلها على تنفيذها بالقوة.. فأخذت المواثيق، ونشرت قوائم بالخارجين على الاتفاق، ولجأت أحياناً إلى سوطهة علانية، أو تلطيخهم بالقار والريش. أما الخطوة الثانية فكانت وضع مسودة قرار- هو فى الواقع إنذار- لم يقتصر فيه البرلمان على الموافقة معارضته مساتشوسيتس للقوانين البرلمانية الأخيرة، بل إنه أعلن أن "على أمريكا بأسرها أن تؤيد أهل المستعمرة فى مقاومتهم، إذا استخدمت القوة ضدهم".

بهذا لم يعد ثمة مفر من حدوث تصادم: فإما إبطال القوانين البرلمانية، وإما تستخدم القوفى تنفيذها. وما كان بوسع أحد الجانبين أن يتراجع. فأعلن البرلمان أن مساتشوسيتس متمردة، وعرض على التاج موارد الإمبراطورية لقمع التمرد. وساد الإقبال على شراء الأسلحة جميع أرجاء البلاد، وأخذت السرايا العسكرية فى التدريب. واعتقد القائد البريطانى "جيج" فى بوسطن أن ربيع سنة ١٧٧٥ سيجلب هجوما على قوته. فقرر الاستيلاء على بعض مخازن المعدات الحربية غير المشروعة فى "كونكورد" ، فى مساء ١٨ أبريل، وأرسل لذلك فريقاً من ثمانمائة رجل، وكان الوطنيون متربصين، وصدرت إشارة من مصباح فى برج الكنيسة الشمالية إلى "بول

ريفير" خلف نهر تشارلز، فانطلق على جواده ليستفز أهل الريف. وتجمع المزارعون المتأهبون للمعركة فى الفجر، عند (ليكسينجتون كومون) بنادقهم. وجرى اشتباك وجيز سقط فيه ثمانية من الأمريكيين صرعى. ودارت عجلة الثورة. ولم يكن "سام لآدامز" بعيداً، فلما سمع قعقعة البنادق، صاح: "ياله هذا الصباح من صباح مجيد ! "

بداية حرب الاستقلال، مؤتمر فيلادلفيا الثانى:

وإن هى إلا بضعة أيام حتى كان حشد من الجنود الوطنيين، غير منظم من الناحية العسكرية ونصف مسلح، يحاصرون "جيج" فى بوسطن، وخلال أسابيع قلائل، كانت آخر الحكومات الملكية فى كافة أرجاء البلاد قد قلبت. واجتمع المؤتمر القارى الثانى فى فيلادلفيا، يوم ١٠ مايو، كهيئة ثورية صريحة (وأرسل نداء أخير إلى ملك بريطانيا للتوفيق)، ونظم الجنود المحيطون ببوسطون فى "الجيش القارى الأمريكى" وعين جورج واشنطون ليتولى القيادة. واستولت قوة بقيادة "إيثان آلين" قائد "فتيان الجبل الأخضر" على حصن "تيكونديروجا" ، المشرف على السبيل الوحيد إلى كندا، بانتصار باهر. وإذ ازداد إحكام الخطوط الأمريكية حول بوسطن، تبين جيج أن من الممكن تهديد مركزه من (مرتفعات دورتشيستر) فى الجنوب، ومن التلال القائمة وراء (تشارلستاون) فى الشمال. وعندما زحف الوطنيون فى ١٦/١٧ يونيو لاحتلال الموقع الخير، كان زحفهم تعجيلا لأولى المعارك الكبرى فى الحرب، وهى (بنكرهيل) المواجهة لبوسطن.

كانت المعركة "بنكرهيل" – كما كانت لمعركة "بول رن" Bull Run التى وقعت بعدها بسبع وثمانين سنة– أهمية تتجاوز كل تناسب مع نتائجها

المباشرة. كان الأمريكيون حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل، قد اتخـذوا مراكزهم أثناء الليل، على تل (بريـدزهيل) Breed's Hill– حيـث أقـاموا تحصينات– وتل (بنكر هيل). وجمع "جيج" مجلس حرب، وقرر أن يهاجمهم فى المقدمة، مع أنه كان بوسعه أن يعزلهم عن تحصيناتهم فى المؤخرة. ولعل مبعث هذا الإقدام الجرىء هو تعجيل البريطـانيين القتـال مواجهـة والتحام. وأنزل المشاه تحت موقع الأمريكيين، فشكلوا صفوفهم، ثم لأرسلوا للهجوم فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم قائظ الحر. وزحفوا ببطء، وبنظام بديع وهم فى كامل زيهم العسكرى، وقد حمل كل منهم على ظهره حقيبتـه، ومؤونة لثلاثة أيام، وذخيرة،وبندقيـة... أى مـا يتحمـل أن يبلـغ وزنـه ١٢٥رطلاً. فلما صاروا على أربعين ياردة مـن الاسـتحكامات، صـوب الأمريكيون بنادقهم نحو خط الوسط، وأطلقوا النار فأحدثوا نتيجة رهيبة.... واجفل البريطانيون، ثم أعادوا تنظيم صفوفهم، وعادوا للتقدم ثانيـة، ليبقـوا ناراً قاتلة أخرى حين صاروا على عشرين ياردة.. وتراجعوا مرة أخرى، ثم نظموا صفوفهم ثانية،وفى هذه،اجتاحوا الاستحكامات، بينما كان الوطنيـون يطلقون آخر دفعتين من ذخيرتهم. كان عملا رائعـا، ولكنـه كـان غيـر ضرورى بدرجة إجرامية. فقد كان بوسع قـوة مسـاوية لهـذه، أن تحتـل "تشارلستاون نيك" Chearlestown Neck تحت حماية الأسـطول، فتحاصـر الأمريكيين حتى يدفعهم الجوع إلى الاستسلام فى أمد وجيز. وكانت خسـائر البريطانيين ١٠٥٤ رطلاً، وخسائر الأمريكيين ٤٤١ رجلا فقط.

ولقد أثبتت المعركة للأمريكيين أن بوسعهم، ولو بدون تنظيم سليم أو تجهيز كاف، أن يصدوا خير جنود نظاميين فى أوربا، فاكتسبوا ثقة هائلة فى أنفسهم.

ولقد بلغ من تأثر "هاو" بالمذبحة- وكان القائد المباشر للجانب البريطانى- أنه لم ينسها قط. فلما خلف "جيج" ، الذى استدعى إلى انجلترا مجللا بالعار، أبدى جنبا جنباً فى دفع الأمريكيين إلى الالتحام، مما ساعد على أن تخسر إنجلترا الحرب.

امتد الصراع أكثر من ست سنوات، دار القتال خلالها فى كل مستعمرة، ووقعت اثنتا عشرة معركة كبيرة ذات أهمية. وكان من العسير على "وشنطون" أن يؤلف جيشاً حقيقياً من خليط القوات الناقصة التدريب، التى كانت تحت إمرته... وكان الأشد هذا من عسراً، أن يستبقى الجيش كاملاً. فإن الشعور بالولاء للملك أخذ يستشرى، وكان عدم الاكتراث أكثر استشراء. ولقد أظهر الناس فى نيوإنجلاند، وفيرجينيا، وأجزاء من كارولينا الشمالية والجنوبية سليقة قتالية عارمة. ولكن نيويورك أظهرت من المحاباة للبريطانيين بقدر ما أظهرت من الوطنية، وفى بنسلفانيا أبى اتباع مذهب "الكويكر" أن يقاتلوا، وفى حين أن معظم الألمان كرهوا أن يغادروا مزارعهم. أما فى كارولينا الشمالية فإن كثيرين من مستوطنى المرتفعات كانوا يكرهون سكان الراضى الدنيا، فاحتشدوا ليقاتلوا فى صف الملك. كما أن قسماً كبيرا من أهل جورجيا اجتنبوا الصراع تحت تهديد آل كريك، ومقابل منحة مالية خاصة من الملك. ولقد حمل السلاح فى جانب الملك من الأمريكيين خمسة وعشرون ألفا، على أقل تقدير. ولو أن الموالين للملك دربوا تدريباً شاقاً ونظموا بعناية، ووجدوا قيادة قديرة، لاختلفت نتيجة الحرب.

أما القوات الوطنية فكانت سيئة التنظيم فى بادى الأمر، حتى وصل فى عام ١٧٧٨ البارون فون ستوين – وكان من أركان حرب العاهل

الألمانى فردريك الأكبر- متطوعا لتحسين الموقف، فسرعان ما ارتقى إلى مركز مفتش عام. ولقد وجد أن قوة الفرق كانت تتراوح بين ثلاث وثلاث وعشرين سرية لكل منها وكانت نوعية الضباط ضعيفة، إذ كان بوسع أى رجل مفوة ذى شخصية مستحبة، فى بعض المستعمرات، أن يغرى الرجال بالانضواء تحت قيادته، أو قد يسعى- باستخدام الخمر والمال- إلى أن ينتخب لمرتبة أرقى. وقد أدت الديمقراطية فى نيوإنجلاند وغيرها إلى انعدام الطاعة. فقد كان المزارع أو القروى يعزف عن تلقى الأوامر من قائده حين يعلم أنه جار له. ولهذا كتب وشنطون أن "اليانكى" لم يكونوا يقيمون لضباطهم وزنا. كذلك لم يكن كثير من الجنود يصدرون عن شعور قوى بالمسئولية، بل كانوا يشعرون بأنهم انضموا إلى الجيش لمدد من الممكن إنهاؤها عند ما يروق لهم ذلك!.. فكانوا يتسربون من المعسكر إذا ما جاء طقس الشتاء البارد، أو حين كانوا يسمعون بأن المحصولات أوشكت على النضج وما من أيد لجمعها، أو عندما يشتد حنينهم إلى ديارهم وتخور عزائمهم. ولقد سعى وشنطون لدى الكونجرس لتقرير التجنيد الطويل الأجل، فخوله الكونجرس ذلك فى سبتمبر سنة ١٧٧٦، بيد أن هذا لم يعالج السوء معالجة تامة. وأخيرا، أهاب وشنطون بالكونجرس أن يخول المحاكم العسكرية سلطة إيقاع عقوبة أقصاها خمسمائة جلدة بالسوط على المخالفين، وذلك لتعزيز صلابة النظام.

ولقد أوشك الجيش أن يتلاشى مرارا. فبعد أن استولى الوطنيون على بوسطن، فى مارس سنة ١٧٧٦، ونقل وشنطون جنوده إلى نيويورك، وجد أنه لم يؤت سوى ثمانية آلاف رجل صالح للخدمة، وكان مجموع القوات البريطانية خمسة وثلاثين ألفا، وقد هبط "هاو" فى (لونج آيلاند) بعشرين ألفا من الأكفاء على الأقل. ومن الطبيعى أنه لم يلق عناء فى تحطيم القوة

الصغيرة من الوطنيين التى وجدها عند "فلاتبوش" ، ولم يبق أمامه سوى خمسة آلاف وخمسمائة جندى، ولو أنه زحف فى الوقت المناسب، لاستطاع أن يوقع بهم الارتباك وأن يأسرهم جميعاً، بيد أنه ترك الفرصة تفلت إلى أن هرب وشنطون تحت جنح الضباب إلى جزيرة (مانهاتان). ثم وقعت هزيمتا الوطنيين فى مانهاتان و"هوايت بلينز"، وفيما كان وشنطون يتراجع عبر نيوجرسى، ذاب جيشه حتى أوشك أن يتلاشى، فلقد هجر رجال المليشيا من نيويورك ونيو إنجلاند الجيش زرافات. ولقد أضاع مؤونته، وأمتعته، ومدفعه. وقبل أن يبلغ نهر نهر ديلاوير، كان رجال المليشيا من نيوجيرسى وميريلاند قد هجروه بدورهم. فلما أقام لجيشه معسكراً لفترة الشتاء، لم يكن لديه سوى حوالى ثلاثة آلاف وثلاثمائة رجل، نصفهم ممن لا يكاد يعول على ثباتهم. ولم ينفذ البلاد سوى جأته وبراعته فى الضربات البارعة التى أوقعها بالبريطانيين فى "ترينتون" ورينستون، فى ذلك الشتاء. ولقد تمكن من أن يبدأ الحملة فى ١٧٧٧– "عام المشانق الثلاث" كما قال المحافظون– بأحد عشر ألف رجل، وهو العدد الذى كان تحت إمرته عندما تقدم فى فيلادلفيا فى ٢٤ اغسطس سنة ١٧٧٧، ومعه ما وصفه احد كتاب ذلك الحين ب "ثلاث فرق منهوكة القوى، مفككة النظام، عارية". وزحف "هاو" على فيلادلفيا بعشرين ألف جندى مدرب، واضطر وشنطون إذ هزم فى (جيرمانتاون) إلى التقهقر ليقضى شتاء قاسياً فى (فالى فورج).

كذلك كان عدم قدرة الوطنيين على تمويل الحرب تمويلاً كافياً، يشل حراكهم إلى درجة رهيبة. فبما كان لهم من سبيل إلى طرح سندات لقرض ما. وكان اللجوء إلى الضرائب أمرا شبه مستبعد، فما كان لأية هيئة قارية سلطة فرض الضرائب، وكان على الكونجرس أن يطلب إلى الولايات الثلاث عشرة إقرار فرض الضرائب، ولما كانت الولايات تغار بعضها من بعض،

وتتسم بالشح، وتخضع لحكم سيئ، فإنها لم تجد بغير معونة متيسرة، وعلى كره منها. فإذا كافة ما حل للأغراض القومية، بفضل تشريعات الولايات الضريبية، حتى سنة ١٧٨٤، يقل عن ستة ملايين من الدولارات، بقيمة العملة، أو ما لا يصل إلى دولارين عن الفرد الواحد. ولم تحقق القروض سوى مبالغ غير كافية.. فكانت القروض الداخلية زهاء اثنى عشر مليوناً من الدولارات، والقروض من الخارج (وأغلبها من فرنسا، مع مساهمات من هولندا وإسبانيا) دون الثمانية ملايين. وكان لزاماً على الولايات المتحدة أ، تجعل اعتمادها الرئيسى فى خوض الثورة على النقود الورقية.

ولقد رزحت البلاد تحت سيل من الأوراق النقدية، فسرعان ما تداعت قيمتها، حتى إن العائد على خزانة الدولة بقيمة العملة الحقيقية كان أقل من ٣٨ مليوناً من الدولارات، بالرغم من أن قيمتها الاسمية كانت تصل إلى حوالى ٢٤٠ مليوناً. ولم يحن ربيع سنة ١٧٨١ حتى كانت العملة الورقية القارية قريبة من الصفر، حتى إن جدران حوانيت الحلاقة كانت تكسى بها، وحتى عن الملاحين العابثين العائدين من رحلاتهم، كانوا يأخذون حزم الوراق النقدية التى تمثل مستحقاتهم، فيوجهونها إلى صنع ثياب لهم منها، ويختالون فى الطرقات فى هذه الأسمال المهلهلة. ومن الطبيعى أن الأوراق المالية المتداعية القيمة كانت مصدر ظلم، وتذمر، وسوء تنظيم بالغ. وقد كتب فى هذا مراب معاصر، هو "بيلاتياه ويبستر" يقول: "لقد شوهت الأوراق النقدية عدالة قوانيننا، وأحالتها إلى أدوات للجور، وأفسدت عدالة هيئتنا الإدارية العامة،وقضت على ثروات الآلاف الذين كانوا يثقون فيها، وأضرت بالتجارة، والمزارع، والصناعات فى بلادنا، ثم ذهبت إلى درجة القضاء على أخلاق شعبنا".

ومن ناحية أخرى، عانت القضية الوطنية أشد العناء من حدة عدم ثقة المستعمرات بالكونجرس – كل على حدة – ومن غيرة كل منها من الأخرى. فقد كان من المستحيل إقامة حكومة قارية. كانت المستعمرات متمردة على أية سيطرة مركزية، وكانت تؤمن بالحكم المحلى فى كل منطقة. وفضلاً عن هذا، فإن الشعور الأخوى بينهما تضائل بعد انحسار التوهج الأول للتحمس الوطنى. فكانت فيرجينيا تكره "اليانكى" بوصفهم زمرة من السوقة، والطامعين فى السلطان، والساعين إلى إسفاف فى الديمقراطية. بل إن واشنطون المتحفظ، كتب عن سوء سلوكهم بلهجة قاسية. وكان "اليانكى" يرون أن الجنوبيين يميلون إلى الكبرياء والأرستقراطية، وكانت كل مستعمرة من مستعمراتهم تعيش بمعزل عن سواها، حتى إن "جون آدامز" كان يجهل اسماء الزعماء الرئيسيين لنيويورك وبنسيلفانيا تقريباً، عندما ذهب إلى الكونجرس القارى. وكان على الكونجرس أن يجثو متوسلا فى طلب تدعيم الجيش والخزانة، وكثيراً ما ذهبت توسلاته أدراج الرياح.

كذلك لم يكن للأمريكيين قوة بحرية تذكر، وإن لم يلبث "جون بول جونز" أن قام ببعض مغامرات رائعة فى البحر، مغيراً فى جرأة على المياه البريطانية. ولقد كان البريطانيون يحتفظون بسيطرة عامة على المحيط حتى سنة ١٧٧٨، ثم بسيطرة جزئية بعد ذلك. كان بوسعهم أن يهاجموا أى مكان تقريبا، حيثما طاب لهم، على ساحل طوله ألف وخمسمائة ميل. وكانت لديهم أموال وإمدادات وفيرة، وقد جلبوا حوالى ثلاثين ألف جندى مرتزق من الألمان، كما أن ضباطهم كانوا على مران فائق بالمسائل العسكرية. لهذا لم يكن من المستغرب أنهم توقعوا الانتصار فى البداية وكلهم ثقة به.

على أن الأمريكيين أوتوا ميزات عظيمة بقدر ما أوتوا من معرقلات، وقد قلبت هذه الميزات ميزان الصرع فى النهاية، ومنها مسرح القتال. فقد كانوا يقاتلون فى بلادهم غير المزدحمة بالسكان. إذ كان قسط كبير منها بعد فقرا – على ثلاثة آلف ميل من بريطانيا. وكان من الممكن أن ينهزم جيش فى مكان ما، فيهب جيش آخر على بعد مئات الأميال. وما كان بوسع البريطانيين أن يخضعوا مثل هذه الأراضى الشاسعة، إذ كان نقل الرجال والإمدادات عبر المحيط الواسع باهظ التكاليف وعسيرا، فى حين أن الإدارة السليمة للسياسة الإستراتيجية للقوة البريطانية بأسرها. من لندن كان أمرا مستحيلاً. وهناك ميزة أخرى هى روح القتال الفائقة التى أبداها الجنود الأمريكيون في بعض اللحظات الحاسمة. فإن هـؤلاء الجنود المزارعين الوافدين لفورهم من دروب الصيد وخطوط المحراث، قاتلوا فى بعض الأحيان قتال الموهوبين. بالرغم من أن فرديتهم وأخطاءهم كانت مبعثاً للضيق فى ثلاث أرباع الوقت. ولقد أثبت جنود الشمال الذين احتشدوا للقضاء على جيش "بيرجوين" الغازى في سنة ١٧٧٧، وجنود الجنوب الذين تلقوا هزيمة إثر أخرى فى ١٧٨٠ – ١٧٨١ وهم يعودون في كل مرة إلى الهجوم حتى حان النصر فى النهاية. أثبت هؤلاء وأولئك أن فى وسع الوطنيين الأحرار من عامة الناس أن يرتفعوا فوق الهزيمة. ثم كانت هناك ميزة أخرى بعد سنة ١٧٧٨، هى التحالف مع فرنسا التى كانت تتحرق شوقاً إلى الانتقام لنفسها من بريطانيا. وكان تحالفاً جلب المال، والرجال، والتشجيع، والسيطرة على الساحل فى اللحظة الحاسمة الأخيرة. وما كان سوء التدبير الذى قاد به "بيرجوين" و"هاو" و "كلينتون" الجنود البريطانيين بأقل النعم التى حظى بها الوطنيون. وكان "وولف" قدمات، ولم يبرز بين البريطانيين "ويلنجتون" آخر.

وكانت الميزة التى توجت ميزات الأمريكيين ، هى القيادة فلقد أوتى الأمريكيون "جورج واشنطون". فمع أن الكونجرس اختاره دون دراية تذكر بقدراته، فإنه أثبت فى كل الأمور أنه خير مرشد معين للقضـــية الوطنيـــة. وهو قد يتعرض للنقد على نطاق عسكرى محدود، فما سبق له أن تولى جيشاً يزيد على فرقة واحدة من الفرق الحديثة، فأخطأ فى كثير مـــن الخطـــوات، وهزم مرة تلو مرة. ومع ذلك فإنه أصبح، إذ تولى القيادة فى ســـن الثالثـــة والأربعين، روح الحرب. كان هذا المزارع الفيرجينى، وضابط الحـــدود برتبة "كولونيل" هو الروح الهادية للحر، بسبب وطنيته التى لا تتذبـــذب ، وحكمته الهادئة، وشجاعته المعنوية الرصينة، ولأنه فى أحلك الساعات لـــم يفقد مهابته، ولا اتزانه، ولا قدرته على البت، ولأن نزاهتـــه، وترفعـــه، وسمو تفكيره لم تتخل عنه لحظة، ولا اهتزت صلابته وجلده. كان يعـــرف كيف ينتظر الساعة المناسبة ليوجه ضربته، حتى إن يقظته المتسمة بالصبر والأناة أكسبته لقب "فابيوس".

وكان من الممكن ان يفقد أعصابه فيثور بضراوة إذا ما استثير فوق الطاقة، كما تبين الخائن"تشارلز لى" فى معركة "مونماوث" بيد أنه كان يتسم بوجه عام، بسيطرة فولاذية على نفسه، بلغ من كمالها أنه عندما حملت إليه، فى سنوات لاحقة، أنباء هزيمة "واين" الشنيعة على أيدى الهنود، وكان فى مأدبة عشاء فى قصر الرئاسة، لم يكشف عن أية اختلاجة أمـــام ضـــيوفه. ونظراً لأنه لم يكن يطمئن إلى شي، فقد قاد جنوده بشدة، وقسا فى عقـــاب المخالفين للنظام فى الجيش، بيد أن عدالته وحبه لرجاله أكسباه الولاء التـــام منهم. ولقد ذرف الكثيرون الدمع، عندما بدأ خطابه فى الجنود الـــذين لـــم يتقاضوا رواتبهم فأعلنوا التذمر فى (نيوبيرج)، بهذه الكلمات" أيها الســـادة، اسمحوا لى بأن استعمل نظارتى لأننى لم أزدد شيباً فحسب، بل أوشـــكت أن

أصبح أعمى فى خدمة أبناء وطنى" كان من السمات المميزة له أنه لم يقبل شيئا مقابل خدماته الثورية سوى نفقاته، وكان يسجل هذه النفقات بحرص دقيق. وعندما انتهت الحرب، لم يفكر إلا فى العودة إلى مزرعته الحبيبة، التى كان يبغى أن يجعلها أحسن مزرعة فى أمريكا. ولقد كتب بهذا الصدد"لقد ظلت الزراعة ملهاتى المفضلة طيلة حياتى". غير أنه مكث استجابة لنداء الواجب. ومع أنه كان أقل استهواء للنفوس من بعض أبطال الجمهورية الآخرين، فإنه ظل مبرزاً عن سواه فى كبر شخصيته، وما اتسمت به أهدافه من ترفع ثابت، وحكمة واتساع تفكير. ولقد كان "جولدوين سميث" على حق حيث ذكر أن أبدع ثلاثة أمور فى الثورة هى : "شخصية واشنطون، وسلوك جيشه فى (فالى فورج)، وولاء الطبقة العليا من أنصار الملك".

فيما يزيد على العام بقليل، تحول ما بدأ على أنه حرب "الحقوق انجليز" ولمجرد علاج الشكايات إلى حرب من أجل الاستقلال. وكان هذا طبيعياً تماماً. ففى بداية الأمر، أخذ الكونجرس يعلن بحرارة ولاءه للعرض. ولكن المرارة الناشئة عن إراقة الدماء والدمار، والاستياء الذى أثاره مسلك "جورج الثالث" الذى لا ينثنى، مع شعور بالحق الطبيعى للأمريكيين فى أن يقروا مصيرهم بأنفسهم. كل هذه لم يلبث أن أفضت إلى انفصال تام. فقد رفع جيش وشنطون فى أوائل عام ١٧٧٦. علماً أمريكياً مستقلاً. وفى الوقت ذاته، كان ثمة تأثير عميق يتأتى عن كتيب "الإدراك العام"، الذى كتبه شاب متطرف نابه، هو "تاماس بين"، الذى وفد من انجلترا فى الفترة الأخيرة. فلقد أوضح أن الاستقلال هو العلاج الوحيج، وأنه كلما تأخر ازدادت مشقة الفوز به، وأنه وحده الكفيل بأن يجعل اتحاد أمريكا ممكنا!. ومع مقدم شهر يونيو، نفد صبر كثير من أعضاء الكونجرس. وقدم

مندوب من فيرجينيا، هو "ريتشارد هنرى لى" اقتراحا بقــرار بالاســتقلال، انضم اليه فى تبنيه "جون آدامز". ثم وضعت لجنة من خمسة أعضاء تــولى تومس جيفرسن" سكرتيراتها إ'لانا رسمياً بالاستقلال، أجازة الكونجرس فــى ٢ يوليو، وأعلن فى ٤ يوليو سنة ١٧٧٦م.

ولم يقنع الذين وضعوا وتبنوا هذه الوثيقة التى أقامت عهداً جديــداً، بمجرد إعلان الاستقلال فقد نادو "باحترام لائق لآراء البشر"، كما حرصـــوا على أن يبينوا بتفصيل الأسباب الت "دفعتهم إلى الانفصال"، والفلسفة التــى كانت تبرره. ثم إن هذه الأسباب – وقد بلغت حوالى خمسة وعشـــرين، أو ثلاثين، سبباً. ذكرت بحيث تبرر فى حد ذاتها خطوة بهــذه الشـــدة. وقــد أوردت بترتيب مقصود لإثبات "عزم على ارادتهم تحت حكم مطلــق" مــن جانب جورج الثالث. ومن الأمور ذات المغزى، أن الأمريكيين، منذ البداية الباكرة لتاريخهم القومى بنوا موقفهم كعلى مبادئ وأعلنوا فلسفة.

فما هى مبادئ الحكم هذه التى صيغت هنا بتعبير خالد؟ "إننا نعتبــر هذه الحقائق ذاتية الموضوع" ، كما كتب جيفرسن:

إن كل البشر قد خلقوا سواسية، وإن خلاقهم اولاهم حقوقاً معينة لا مراء فيها، وإن بين هذه الحقوق "الحياة" والحرية" "والسعى إلى الســعادة". وإنه من أجل صون هذه الحقوق تنشأ "الحكومات" بــين "البشـــر" مســتمدة سلطاتها العادلة من قبول المحكومين. وإنه إذا ما أصبح أى شكل من أشكال الحكم هدماً لهذه الغايات، فإن "من حق الشعب" أن يغيــره أو يزيلـــه، وأن ينشئ حكومة جديدة، يقيم أسسها على المبادئ وينظم سلطاتها بالشكل الــذى يبدو له أصلح لتحقيق "سلامته" و"سعادته".

والذى نجد هنا، هو فى الواقع فلسفة الديمقراطية. فلسفة لم يتح لها من قبل بيان بمثل هذا الإيجاز أو هذه البلاغة. فلقد قال الأمريكيون إن هناك أموراً معينة لا يمكن أن يرتاب فيها إنسان عاقل، فهى حقائق تنطوى على وضوح ذاتى. فهناك حقيقة أن كل البشر خلقوا متساوين. إن كل البشر متساوون فى نظر الله، متساوون أمام القانون. ولقد كانت فى أمريكا قطعاً وكما كتب جيفرسن – كثير من حالات عدم المساواة عدم المساواة بين الأغنياء والفقراء، وبين الرجال والنساء، وبين السود والبيض. ولكن إخفاق أى مجتمع فى أن يعيش وفقاً لمثل أعلى، لا يلغى صلاحية المثل الأعلى، ولقد كان مبدأ المساواة، منذ إعلانه، أشبه بخميرة فى الفكر الأمريكى.

وهناك حقيقة أخرى أعلنت فى البيان، هى أن البشر "أولوا" حقوقاً لا مراء فيها، وبين هذه الحقوق: الحياة، والحرية، والسعى على السعادة. فهذه حقوق لم تمنحها للبشر حكومة خيرة، ولا تقوم وفقاً لهوى تلك الحكومة. بل إنها حقوق يولد بها كافة البشر، ولا يملكون أن يفقدوها. ولقد عمل هذا المبدأ كذلك كخميرة فى عقول الأمريكيين وغيرهم، مغيراً موقفهم نحو السلطة، إذ أن الحكومات إنما نظمت كما أوضح البيان – لصون هذه الحقوق بالذات، فى المقام الأول. فالذى أتيناه هنا هو النظرية "المحكمة الموجزة" للحكم. النظرية القائلة بأن البشر كانوا يعيشون يوماً فى "وضع طبيعى". وأنهم فى هذا الوضع كانوا فى خطر باستمرار، وأنهم ليحموا أنفسهم قد تجمعوا وأقاموا حكومات، ومنحوا هذه الحكومات من السلطة ما يكفى لحماية حياتهم، وممتلكاتهم. وقصارى القول، أن البشر صنعوا الحكومة لفعل الخير لا الشر، صنعونا لتحميهم وليس لتضرهم. وفى اللحظة التى تحقق فيها الحكومة فى الأغراض التى من أجلها أقيمت، لا تعود جديرة بتأييد البشر أو ولائهم.

وهكذا كان بوسع البشر إقامة الحكومات، وأن لهم الحق في أن يغيروا أو يزيلوا الحكومة السيئة، وأن ينشئوا أخرى جديدة. وسرعان ما أثبتوا أن هذه لم تكن مجرد نظرية، فقد شرعوا في ترجمة هذه الفكرة إلى واقع، حتى والثورة قائمة، وفي أثناء وطأة الحرب وصحبها. فلقد اجتمعوا في جمعيات عامة وألغوا فعلاً حكوماتهم القديمة، وأقاموا حكومات جديدة. ولقد كتبوا في دساتيرهم ضمانات راسخة للحياة، والحرية، والسعادة. فإذا الأفكار التي ظلت قروناً وقفاً على الفلاسفة، قد نقلت من الفلسفة وجعلت قانوناً.

سير القوات والمعارك

كانت (ساراتوجا) اكبر معركة حاسمة في الحرب، ونقطة التحول فيها من الناحية العسكرية. في بداية سنة ١٧٧٧م. كان لدى البريطانيين قوات كبيرة في كندا وجيش متين في نيويورك تحت قيادة "هاو". ولو أن هذه القوات ركزت في نيويورك، لكان بوسع التاج أن يدفع إلى الميدان خمسة وثلاثين ألف جندي نظامي مجهزين أقوى تجهيز. ولو أن قائداً بريطانياً موفور النشاط استخدم هؤلاء الجنود إذ ذاك ليوجه ضربات لا هوادة فيها لجيش وشنطون الصغيرة المؤلف من ثمانية آلاف من القاريين (الاتحاديين) في نيوجيرسي. كما فعل "جرانت" في سنة ١٧٦٤: إذ وجه ضربات لا تهن على "لي" في فيرجينيا. لكان م شبه المحقق أن تنهار الثورة. وكان أقصى ما يخافه وشنطون هو هذا التركيز للجنود من أجل القضاء عليه. ولكن السلطات في لندن، قررت إبقاء قواتها مقسمة، بفضل سوء مشورة"بيرجوين" الذي كان قد ذهب على الوطن في عطلة. فكان على أحد الجيوش. وكان بقيادة بيرجوين. أن يتحرك من كندا، ويسير جنوباً إلى (ألباني)، عند رأس الملاحة في نهر هدسن. وكان على جيش هاو في

نيويورك أن يزحف شمالاً على نهر هدسن إلى ألبانى. وصدق الملك كعلى الخطة. ثم أرسلت التعليمات الوافية من لندن إلى السلطات الكندية لتشن النصف الشمالى من الحملة المشتركة. بيد أن "هاو" لم يتلقى أوامر محددة، فزحف لعى فيلادلفيا بدلاً من آلبانى.

وقد كان من العيوب الجذرية فى مشروع "بيرجوين" أنه حال دون توحيد للقوات البريطانية ما كان من سبيل إلى دفعة. وثمة عيب جذرى آخر، هو أن الجيش الشمالى بمجرد تقدمه داخل الأرض الأمريكية أصبح بعيداً عن قاعدته أكثر مما كان ينبغى فقد كان بيرجوين عند وصوله إلى "فورت إدوارد"، فى شمال نيويورك، على ١٨٥ ميلاً من مونتريال، وكانت كل خطوة إلى الأمام تزيد من الأراضى الوعرة بينه وبين إمداداته. فكان عليه أن يدير المؤن من الريف المحيط به. وقد كانت فى (بنينجتون). فى الجزء الجنوبى من الإقليم الذى يعرف اليوم باسم فيرمونت. مخازن كبيرة للدقيق والماشية، ولم يكن يحرسها سوى نفر قيل من المليشيا. وفى سبيل الاستيلاء عليها، وإيقاع ضربة قاسية بمنطقة كتب "بيرجوين" عنها أنه "تزخر بأشد عناصر القارة نشاطاً وعصياناً، وتخيم على يسارى كأنها عاصفة تستجمع قواها"، أوفد حوالى ألف وثلاثمائة من الألمان وسواهم ليهاجموا بنينجتون. وكأنما هاجموا عشا للزنابير، فإن الجنود الفرحين من أبناء نيو إنجلاند، وكانوا يبلغون حوالى ألفى رجل تحت قيادة أحد المحاربين القدامى فى الحرب الفرنسية، ويدعى جون ستارك، تغلوا عليهم.

وفى الوقت ذاته، كان ثمة جيش أمريكى سريع التزايد، يتصدى للقوة الرئيسة لبيرجوين فى أعالى حوض نهر هدسن. فلما التحم الجيشان عند "فريمانز فارم". فى ١٩ سبتمبر سنة ١٧٧٧، كان عدد الأمريكيين حوالى

تسعة آلاف، وعدد البريطانيين حوالى ستة آلاف. وأتمت اشتباكات أخـرى خيبة جهود بيرجوين، الذى سرعان ما تورط فى القفار، منهـوك القـوى، وأخذ يمنى بخسائر فادحة، بينما ارتفع عدد الجيش الأمريكى على عشـرين ألفا. وفى ١٧ أكتوبر، ألقى جنوده أسلحتهم وقد أحيط بهم. وبذلك أثبت غباء الزحف بجيش حوالى مائتى ميل، بعدياً عن قاعدته، فى جوف بلاد تزخـر بالمجندين المعادين.

ولقد كانت لهزيمة بيرجوين عواقب بعيدة المدى. إذ فقد جيش الملك ما يقرب من ربع جنوده الأكفاء فى أمريكا بضربة واحدة، وصار حـوض هدسن تحت السيطرة الأمريكية نهائياً، وظفر لاوطنيون بروح بروح معنوية جديدة. ولقد كان "بنجامين فرانكلين" يناضل باستبسال فى باريس لإغـراء "فيرجين"، وزير خارجية فرنسا، بإرسال معونة للأمريكيين. فلمـا ترامـت الأنباء بأن "هاو" فى فيلادلفيا، وأن "بيرجوين" استولى على (تيكونـديروجا)، فتر تحمس الفرنسيين. أما حين وصلت أنباء معركة "ساراتوجا"، فيقـال إن بومارشيه، صديق فرانكلين، أصيب بالتواء ذراعه، وهو يهرع فرحاً لإبلاغ الملك. وفى ٦ فبراير سنة ١٧٧٨، وقعت فرنسا والولايات معاهدة تحـالف أضفت على الحرب وضعاً جديداً كل الجدة. أن "لافاييت" الشهم، الذى قـدم على الولايات المتحدة على نفقته الخاصة ليؤدى خدماته فى أى وضع، قـد عين فى درجة "ميجر جيرال" بقرار من الكونجرس. وكـان ملكـا فرنسـا وأسبانيا قد قدما للأمريكيين قروضاً فى السر، ابتيعت بها مقادير كبيرة مـن الذخائر والأسلحة. أما الآن، فقد تأهب الفرنسيون لايفـاد سـتة آلاف مـن الجنود الممتازين بقيادة "روكامبو" لتعزيز قوات وشنطون، وقـدموا المـال والإمدادات بكميات أكبر من ذى قبل، وأدت عمليات الأساطيل الفرنسية على تفاقم صعوبات البريطانيين فى إمداد قواتهم.

وإذ أخفق البريطانيون فى هزيمة الشمال، تحولــوا إلــى الجنــوب. وكانت خطتهم أن يستولوا على (جورجيا)، التى كانت ضعيفة بدرجة شنيعة، وأن يزحفوا شمالاً بإصرار لا يقاوم، وهم يظفرون فى مضيهم بعون الموالين اللمك. ولقد استولوا على (سافاناه) فى الأيام الأخيــرة مــن ســنة ١٧٧٨م، واحتلوا مناطق من جورجيا وكارولينا الجنوبية فى ســنة ١٧٧٩. فأرســل الأمريكيون الجنرال بنجامين لينكولن لمعالجة الموقف. ولكنه تــرك للعــدو فرصة محاصرته فى (تشارلستون)، ثم أسره البريطانيون ورجاله الخمســة آلاف، واستولوا على الميناء الرئيسى فى الجنوب، فى آن واحد، فى مــايو سنة ١٧٨٠. وكانت هذه من أفدح الصدمات للثورة، فسرعان مــا اجتيحــت كارولينا الجنوبية بأكملها. وذهب قائد قائد أمريكى ثان إلى الجنوب ليوقــف السيل، هو "هوراشيو جيتس" بطل (سارتوجا) ولكن جيشه الصغير المؤلــف من ثلاثة آلاف نصفهم من المليشيا غير المــدربين، ســحق أمــام لــورد كورنواليس عند (كامدن) فى ١٦ أغسطس ســنة ١٧٨٠. وبلــغ مجمــوع خسائره ألفى رجل، بين قتيل وجريح وأسير، بينما لم يتوقف "جيــتس" فــى فراره حتى قطع زهاء مائتى ميل.

بيد أن قوة "فرسان الملك" وكانت تضم ألفاً من الموالين من غــرب كارولينا، هزمت فى تلك الأثناء على أيدى جيش يفوقهــا مــن المــواطنين. ووصل إلى مسرح عمليات الجنوب قائد أمريكى ثالث، كان يفــوق ســابقيه مقدرة بكثير، هو "ناثانييل جرين". وقد هزم هو الأخــر. عنــد (جيلفــورد كورتهاوس)، فى أوائل سنة ١٧٨١، بيد أنه أبدى براعة مذهلة فى الزحــف الطويل ولاسريع، والواقع أنه وإن خسر أبرع معارك مهمة فى تسعة أشهر، إلا أنه أضنى الجنود البريطانيين، ومالبثت تهديداته مجتمعــه مــع عــداوة

السكان. أن اضطرتهم إلى التراجع الى (تشارلستون) و (ســافاناه). فكــان جرين على غرار وشنطون: خسر اشتباكاته ولكنه فاز فى حملاته.

وبينما كان جرين يطهر أقصى الجنوب، كان ثمة جيش بريطــانى آخر يوشك أن يهلك. إذ أن "كورنواليس" ترك ريف "كيب فير) فى أواخــر الربيع، وسعى شمالاً ليلحق بقوة الخائن "بنيدكت آرنولد" فى فيرجينيا. وبعد مطاردة غير مثمرة للقوات الأمريكية التى كانت بقيادة لافايت، انسحب إلــى (يوركتاون)، عند مصب نهر (يورك)، وقام بتحصينها. وكان لدى وشنطون، فى ذلك الوقت، حوالى ستة آلاف رجل بالقرب من نيويورك، كما كان لــدى روكامبو حوالى خمسة آلاف فى "نيوبــورت"، ب (رود أيلانــد). ومــا أن انسحب كورنواليس على الساحل، حتى جاءته رسالة من الأميرال الفرنسى فى جزر الهند الغربية "دوجراس"، بان بوســعه أن يبســط تعاونــه. ورأى وشنطون فرصته المنشودة، فاستغلها بذكاء لامع. وبعمليات زحف اتســمت بسرعة رائعة، نقل إلى امام يوركتاون جيشــاً مشــتركاً مــن الأمــريكيين والفرنسيين قوامه ستة عشر ألفاً. وسدت الطريق إلى النجاة بحراً أما رجــال كورنواليس الثمانية آلاف، بفضل أسطول "دوجراس". وتم الاســتيلاء علــى حصون "كورنواليس" الخارجية، كما هدمت المدفعية الأمريكية اســتحكاماته الدفاعية الداخلية. وفى ١٩ أكتوبر، أرسل سيفه إلى وشنطون، الذى أمر بأن يتسلمه الجنرال لينكولن، وألقى الجنود البريطانيون أسلحتهم، بينمــا كانــت موسيقاهم تعزف نشيد "انقلب الدنيا رأساً على عقب.

وإذ ذاك، كانت الحرب قد انتهت فى الواقع. ولقد ظل الملك جورج فترة يرفض الاعتراف بالهزيمة فى عناد. ولكن الجلاء تــم عــن المــوانى

الجنوبية بأكملها أثناء سنة ١٧٨٢، ولم تلبث القوات الملكية أن أصبحت دون اى سلطان، اللهم إلا صوت أبواق الحامية فى مدينة واحدة، هى .. نيويورك.

معاهدة الصلح

بموجب معاهدة السلم النهائية فى باريس فى ٣ سبتمبر سنة ١٧٨٣ بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة، ولقد قدمت بريطانيا العظمى نصوصا سخية فى المعاهدة التى أنهت الحرب، فى سنة ١٧٨٣. ولو شاءت حكومتها، لساقت مساومة عسيرة بشأن الحدود. فإن الأسطول البريطانى بقيادة "رودنى" كان قد أحرز لتوه نصراً حاسماً على الأسطول الفرنسى فى جزر الهند الغربية، كما عز إجلاء الجنود البريطانيين عن نيويورك. ومن الصحيح أن حملة البنادق الأمريكيين، بقيادة جورج روجرز كلارك، كانوا قد نفذوا على الإقليم الوعر، شمالى نهر أوهايو، واستولوا على المراكز البريطانية فيما أصبح (إنديانا)، والإينوى)، (ومتشيجان)، إلا أن شطراً كبيراً من هذا الإقليم استرده البريطانيون قبل انتهاء الحرب. ولقد كان من الممكن للوزير البريطانى "سيلبيرن"، الذى تولى مفاوضة المندوبين الأمريكيين المفوضين "بنجامين فرانكلين" و"جون آدامز" و"جون جاى" أن يحاول تضييق رقعة أمريكا الجديدة ولكنه بدلا مكن ذلك، نزل للجمهورية الجديدة عن كل الأراضى الواقعة بين جبال الليغنى ونهر المسيسبى، مع جعل الحدود الشمالية حيث هى الآن تقريباً، بينما أسلم فلوريدا لإسبانيا، ومنح الأمريكيين حقوقاً واسعة لصيد الأسماك فى مياه الساحل الكندى.

وأثمر السخاء نتائج ثمينة، فلو أن البريطانيين حاولا أن يستبقوا شطراً كبيراً من الشمال الغربى، لكان النزاع بينهم وبين الولايات المتحدة

(وهو ما لم يكن مفتقداً على أية حال) خليقاً بأن يكون دائباً وخطيراً. ولقد كان التوسع الطبيعى للجمهورية فى اتجاه الغرب، مما اضطر الفرنسيين فى النهاية إلى النزول عن (لويزيانا)، والمكسيكيين: إلى النزول عن المنطقة الواقعة شمال (بيوجراند). على أنه لم يسبب كثير قلق للإمبراطورية البريطانية، لاسيما بعد سنة ١٨١٥، والواقع أن كندا والولايات المتحدة امتدتا حتى المحيط الهادى جنباً إلى جنب، وهما اليوم تملكان الشطر الأكبر من القارة كصديقتين حميمتين وحليفتين.

نمو الديمقراطية

حققت أمريكا ثورة لن تنسى، فى العلاقات الخارجية. كما طرأ تغير مهم على الشؤون الداخلية. فإن التغير الشامل الذى جلبته تلك السنين على المجتمع الأمريكى كان يعادل فى أهميته قطع الارتباط ببريطانيا.

كان من الطبيعى أن يعنى الانفصال عن بريطانيا كسباً فورياً مباشراً فى مجال الديمقراطية السياسية، فأصبح الحكام ينتخبون بوساطة الشعب، ولا يعينون من قبل التاج. وأصبحت المجالس العليا فى الهيئات التشريعية تؤلف بالانتخاب بدلاً من التعيين، والقوانين التى يطالب بها الشعب بمنجاة من النقض "الفيتو". ولا تقل الإصلاحات الداخلية عدالة. ففى بنسلفانيا، قامت مطالبة هائلة، فى ١٧٧٥. ١٧٧٦، بخوتين ديمقراطيتين، أولاهما منع المقاطعات الغربية، التى طال عبها، تمثيلاً فى الهيئة النيابية يتناسب مع عدد سكانها، والآخر هو إلغاء شرطى المؤهلات القائمة على الثروة وعلى الجنسية الأصلية، التى كانت تقصر حق الانتخاب على طبقة أثيرة صغيرة العدد. وقد فاز الشعب بالمطلبين فوزاً حاسماً. فأجازت الهيئة التشريعية، فى مارس سنة ١٧٧٦، زيادة سبعة عشر عضواً إلى أعضائها، بينما وسع

نطاق الحقوق الانتخابية ليسمح لأى دافع ضرائب من الـذكور بـأن يـدل بصوته. ولا تزال القطاعات القديمة الاستيطان تحظى بتفوق غير عادل فى الهيئة التشريعية فى بعض الولايات، مثل فيرجينيا، فى حين ظلت المؤهلات المتعلقة بالثروة مطلوبة لدى الناخب، فى بعض ولايات أخرى. أمـا فـى بنسيلفانيا، وديلاوير، وكارولينا الشمالية، وجورجيا، وفيرمونت، فأطلق حق الانتخاب من كل القيود، حتى قال أحد المحافظين المتنكـرين أن أى دافـع ضرائب "من وحوش الغابة" قد يحظى بحق الانتخاب.

كذلك أدى تشتت أنصار الملك مساهمة عظيمة للديمقراطيـة، فـإن كثيرين من المحافظين وأنصار بريطانيا من أصحاب الأراضى أبدوا كراهية لأولئك الذين وصفتهم دوروثى هتشينسون بأنهم "الرعاع القذرون". وبـدافع من الوفاء للنظام القديم، هجروا البلاد وهم يفيضون بخليط عـاطفى مـن الاستهجان والأسف. فعند جلاء "هاو" عن بوسطن، أبحر معه حوالى ألـف من أنصار بريطانيا، وسرعان ما لحق بهم ألف آخرون، وكان سـعارهم: "إما الجحيم، أو السفينة، أو هالفاكس". وكان كفاءة أصحاب الثروات تقريباً، فى إقليم نيويورك، من الموالين لبريطانيا. وعند جلاء البريطـانيين عـن تشارلستون، انطلقت فى الخليج مائة سفينة اتخذت شكل هلال كبير، حاملة أنصار بريطانيا الراحلين. وكان منظراً رائعاً ومحزناً. واستقبل شمال كنـدا والأقاليم المطلة على البحر أكثر من ستين ألفا من اللاجئين، كما اسـتقبلت جزر الهند الغربية آلافا أخرى، وتلقت إنجلترا حشداً غير محتفى به، حتى لقد كتب أحدهم "لن تكون هناك قرية فى إنجلترا تقريباً، دون ما شئ مـن تراب أمريكى، عندما نرقد جميعا رقدتنا الأخيرة". وفى أعقـاب رحيـل هؤلاء أصبح البسطاء من المزارعين الكـادحين، وأصـحاب الحوانيـت، وأصحاب الحرف أحراراً فى صنع حضارة وفق هواهم. ومن ذلك الحـين

هبطت أهمية المكانة، والفراغ، والثقافـة وازدادت قيمـة الطاقـة العاملـة والاعتداد الفج بالنفس. وأصبح التاجر الطموح والمضارب الجشـع أكثـر بروزاً فى المجتمع الأمريكى. أصبح كل امرئ متساويا مع سـواه، وكـل امرئ فى عجلة من أمره، ولم يعد من هم لكل امرئ تقريباً سوى "الدولار".

كذلك توفر دافع قوى نحو الديمقراطية، بفضل الحملة الناجحة على الدعائم الثلاث للامتيازات: القضاء على قصر الوراثة على الابن الأكبـر، ووقف الثروة على شخص واحد وسلالته، وتفتيت ضياع أنصار بريطانيـا الكبيرة، والإطاحة بالسلطان الرسمى للكنيسة الانجليكانية أينمـا وجـدت. وكانت فيرجينيا هى المستعمرة التى توطدت فيها وراثة الأبن الأكبر، ووقف الثروة على شخص واحد وسلالته أكثر من توطدها فى أية مستعمرة أخرى. وكانت نتيجتها صون ضياع العائلات الكبيرة من أى مساس. وبهـذا اتـيح للإقليم، كما قال جيفرس فى كتابه "ملاحظات عن فيرجينيـا" كتلـة مـن العائلات الاستقراضية الكبرى، الت "اتخذت شكل نظـام سـلطان أبـوى، وامتازت بأبهة مؤسساتها وفخامتها". فكان أصـحاب القصـور الإقطاعيـة "ويستوفر"، و"سيرلى"، و "تكهاو" يشرفون على أملاك لا تتاح إلا لأمـراء. ولقد شن توماس جيفرسن الحملة على وقف الثروة على شخص واحد سلالته فى الهيئة التشريعية لفيرجينيا، واستطاع أن يمحوه فى أول هجوم تقريباً فى سنة ١٧٧٦. فتعرضت كل الضياع بعد ذلك للبيع دون ما قيود. كذلك نجـح جيفرسن فى سنة ١٧٨٥، فى إلغاء قصر الوراثة على البن الأكبر. ولقـد اقترح البعض وجوب منح الابن الأكبر نصيباً مضاعفاً على الأقـل، فـرد جيفرسن قائلاً: "كلا ، اللهم إلا إذا كان يأكل قدراً مضـاعفاً مـن الغـذاء، ويقوم بنصيب مضاعف من العمل". وعندما قدر للرحالة الفرنسـى بريسـو دووارفيل أن يزور فيرجينيا بعد ذلك بقليل، استطاع أن يكتب: "لقـد بـدأ

التمييز بين الطبقات يتلاشى". فأخذت الضياع الكبرى تقسم بين الأبناء بسرعة، أو تباع أجزاء للوافدين، بينما أخذ الأبناء يتقاضون الأقمشة وينزحون إلى الغرب. وسرعان ما حذت ولايات جنوبية أخرى. جورجيا، وكارولينا الجنوبية. وميريلاند – جذور فيرجينيا.

كذلك مهدت مصادرة لمساحات الشاسعة من الأرض التى كان يستأثر بها الملاك والأغنياء من المواليين لبريطانيا، لقيام نظام ديمقراطى قوامه صغار الملاك. وكانت اكبر أسرتين رئيستين من ملاك الأراضى هما أسرة "بن" فى بنسيلفانيا، وأسرة اللورد يتميور فى (ميريلاند). ولقد منحت بنسيلفانيا آل "بن" ١٣٠،٠٠٠ جنيه تقديراً لذكرى ممستها، أما هارفورد، فلم يتلق من ميريلاند سوى ١٠،٠٠٠ جنيه. ولقد صادرت فيرجينيا عدداً من الضياع، لاسيما ضيعة صديق وشنطون القريب إلى قلبه "لورد فاكس" السادس. واستولت كارولينا الشمالية على ممتلكات آل "جرانفيل" ومساحتها ملايين من الذونمات. وأخذت نيويورك كافة أراضى التاج، وفوقها ضياع نفر معين من أنصار بريطانيا، منها أراضى "فيلبس" وكانت حوالى ثلاثمائة ميل مربع. ولقد بيعت ضيعة "دولانسى" فى "ورشيستر" وأراضى روجر موريس فى مقاطعة بوتنام إلى أكثر من خمسمائة مالك. أما ضيعة سير "جون جونسن" التى صودرت فى شمال نيويورك، فآوت آخر الأمر عشرة آلاف من المزارعين واستولت مساتشوسيتس على عدد من الملكيات بينها أراضى فى "مين" لسير ويليم بيبريل، وهو نبيل كن يستطيع أن يمضى راكباً ثلاثين ميلاً، فى خذ واحد، فى أراضيه. وفى كافة الأصقاع من نيوهامبشاير_ حيث فقد سير جون ويتويرث إقطاعيته. إلى جورجيا، حيث منى سير جيمس راين بالمصير ذاته، انتقل صغار الزراعيين مغتبطين إلى أرض خصبة ما كانت من قبل لتقبلهم إلا كمستأجرين.

ومع أرستقراطية ملاك الأرض وكبار الموظفين، هو أرستقراطية رجال الدين التى كانت مرتبطة بالعهد البريطانى، ولقد ظلت الامتيازات الخاصة للكنيسة الأبرشية فى نيوإنجلاند إذ لم تكن لها علاقة بالتاج. بل إن مسانشوسيتس دعمت هذه الامتيازات، ولكن امتيازات الكنيسة الإنجليكانية فى الجنوب انهارت.

ولقد هدمت الثورة الكنيسة الرسمية فى كارولينا الشمالية، فلم تبق منبراً من منابرها مشغولاً. كما أنها أتاحت، فى ولايات أخرى، للمتطرفين السياسيين وللطوائف المتذمرة. كالمعمدانيين والمشيخيين – فرصة ذهبية. واتخذت كارولينا الشمالية، فى سنة ١٧٧٦، دستوراً كفل حرية الدين وحرم أى كنيسة رسمية، وأقامت كارولينا الجنوبية على خطوة ذاتها فى دستورها، سنة ١٧٧٨. وكذلك فعلت جورجيا فى دستورها، سنة ١٧٧٧. ولكن أعنف النضال دار فى فيرجينيا، إذ كانت الكنيسة الرسمية فيها وطيدة الأركان، نظراً لأنن معظم العائلات الأرستقراطية كانت من الإنجليكانيين. حتى إن ثائراً سياسياً مثل "باتريك هنرى" كان يعتقد أن معونة الدولة للدين أمر لا غنى عنه بالنسبة للتقوى والأخلاق الحميدة. بيد أن الطوائف المتذمرة وجدت قيادة فى شخصين عظيمين من المتحررين "الليبراليين". ترعرعا فى أحضان كنيسة إنجلترا، هما توماس جيفرسن، وجيمس ماديسون.

وكان من السهل على هذين الزعيمين أن يتغلبا على القبة الأولى، بالتوصل إلى كفالة التسامح الدينى. فكتب ماديسون فى "إعلان الحقوق"، فى سنة ١٧٧٦، هذا المبدأ البسيط: "لكل الناس، على قدم المساواة، حق حرية ممارسة الدين". ولكن الكنيسة الرسمية ظلت قائمة، واحتاج الأمر إلى معركة مداها عشر سنوات للإطاحة بها. وقد وصف جيفرسن الصراع بأنه

"اقسى نضال قدر لى أن اشترك فيه". ولقد وفق ابتداء من سنة ١٧٧٦، مت أصدقائه إلى إيقاف الضرائب الكنسية عاماً بعد عام، ثـم ألغـوا فـى سـنة ١٧٧٩، تنادى بوجوب الاحتفاظ بمسألة فرض ضريبة عامة لجميع الكنائس، احتشد فريق قوى النفوذ لمساندة هذه المطالبة بضريبة دينية عامة. وكـان المشروع فى جوهرة كفيلاً بأن يجعل المذهب المسيحية رسـمية. كـديانات للدولة على قدم المساواة، وأن يعولها من الخزانة العامة. وكان أقوى الدعاة إليه هو "باتريك هنرى" الخطيب المثير.

وحلت الأمة فى ١٧٨٤- ١٧٨٦، فإن "هنرى" بمقدرته الجدلية التى لا تقاوم، أجاز فى مجلس مندوبى المدن قراراً يقول: "ينبغى على أهل هذه الدويلة أن يدفعوا ضريبة معتدلة، أو اكتتاباً لمساندة الدين المسيحى، أو إحدى الكنائس أو المذاهب المسيحية، أو أية طائفـة مـن المسـيحيين. علـى أن المعارضة حشدت كل قواها، عندما بدأ ثمة مجهود لتنفيذ هذا القول بوساطة مشروع بقانون. ودار نقاش هائل بين هنرى وماديسون، أحرز الأخير فيـه انتصاراً كبيراً، فأرجى مشروع لقانون، وأتاح هذا لزعماء الأحـرار شـن حملة من أجل التعليم. وفى سنة ١٧٨٦ دفن هذا المشروع نهائيا. وأجيز فى الوقت ذاته، مشروع القانون الشهير الذى طرحه جيفرسن خاصـاً بالحريـة الدينية. وهو مشروع يبين أنه ليس للحكومة أن تتدخل فى شؤون الكنيسة أو المسائل الخاصة بالإيمان، أو أن تفرض ما يعوق الرأى الدينى. ولقد اصبح هذا التشريع الحاسم حجر الزاوية للحرية الدينية، لا فى فيرجينيا وحدها، بل فى كثير من الولايات الجديدة فى الغرب كذلك.

وما أكثر ما ينبغى أن يقال عن الإجراءات التى اتخذت فى عديد من الولايات لتدعيم أسس التعليم أيضاً. فلقد تمكن الأمريكيون خـلال سـنوات

الحرب والقلاقل من إنشاء ما لا يقل عن سبع كليات جديدة منها ديكنسون وفرانكلين فى بنسيلفانيا، وهامبدن سيدنى ووشنطون فى فيرجينيا، وترانسيلفانيا فى كنتكى النائية. فى حين أرست ثلاث ولايات أسس جامعات مملوكة للدولة. بيد أن النزاع كان ذا أثر مؤسف على المدارس الخاصة والكليات فى الوقت ذاته.

فاغلقت كلية – ييل) إلى حين، وكذلك كلية الملك التى أصبحت تسمى كولمبيا. ولقد كان رئيس كلية "ويليم ومارى" يعلم مجموعة من الفتية الحفاة، إلى فترة متأخرة وصلت إلى سنة ١٧٩٧، فى حين أن هيئة التدريس فى هارفارد كانت تتألف فى سنة ١٨٠٠من رئيس الكلية وثلاثة من الأستاذية وأربعة من المدرسين. ولم يظهر فى الفترة ١٧٨٠ – ١٧٨٤ فى الصحيفة الرئيسية فى بوسطن إعلان واحد للمكتبات.

على أن الآثار السعيدة للثورة أنها بعثت مطالبة عامة بالتعليم الشعبى بالمدارس العامة المجاني. فلقد تجلى على الفور أن الحكم الذاتى يتطلب ناخبين متعلمين. ولقد قال "جورج كلينتو" حاكم نيويورك، فى سنة ١٧٨٢: "أنه لواجب مبرز، على حكومة أية دولة أخرى تفتح فيها أعلى المناصب للمواطنين من كل مستوى، أن تسعى – بإنشاء المدارس وحلقات الدرس إلى نشر درجة المعرفة اللازمة لإنشاء مناصب المسئولية العامة" وكتب جيفرسن "آمل أن يتسنى الانصراف إلى تعليم العامة قبل كل شئ، اقتناعاً بأن بوسعنا أن نركن بأقصى درجات الاطمئنان إلى حسن إدراكهم من أجل صون درجة من الحرية لا بد منها". ولقد عرقل الفقر جهود الولايات فى البداية، ولكن صدور هذا المطلب الجديد فى الوقت المناسب، أدى على تسهيلات للتعليم الأولى أفضل بكثير مما كان موجودا قبل الحرب. ولقد

كانت مواد "قانون الأرض" الصادر فى سنة ١٧٨٥ ذات أهمية بعيدة الأثـر بالنسبة للتعليم، إذ يسرت ملايين الدونمات من الأراضـى العامـة منحـة للمدارس العامة.

الافتقار إلى حكومة قومية

هكذا كانت الصورة العامة للجمهورية الناشئة، حافلة بالأمل والتقـدم فى نواح كثيرة. ومع ذل فقد خيمت على الأفق سحابة قاتمة واحـدة، إذ أن الولايات الثلاث عشر لم توفق قط على إقامة حكومة "قومية" حقاً. اتخذت فى مارس سنة ١٧٨١ بعض مواد معينة لاتحاد "كونفدرالى"، ولكـن هـذا النظام كان ضعيفاً وغير كاف، إذ كان مجرد "رابطة صداقة". فلم تقم أيـة هيئة تنفيذية حقيقية، ولم تنشأ أية شبكة محاكم قومية. كان "المؤتمر القارى" المؤلف من مجلس واحد لكل ولاية فيه صوت واحد، أضعف من أن يكون ذا فعالية. فما كان يملك أن يفرض الضرائب، أو يجند القوات، أو يعاقب الذين ينتهكون ما يقر من قوانين، أ يجبر الولايات على احترام المعاهـدات التى أبرمتها مع دول أخرى . والأسوأ من كل هذا، أنه لم يملك أن يجمـع من المال ما يكفى للقيام بمهام الحكومة أو دفع فوائد القرض الوطنى. على أن المبالغة فى ضعف المواد وعدم كفايتها أمر سهل. فإذا لم يكن المـؤتمر قد حل مشكلة الاتحاد، فإنه قطع شوطاً طويلاً على طريق الحـل، وكـان التقسيم الذى وضعه بين السلطات العامة والسلطات المحلية تقسـيما سـليما. كان خطوة مهمة، بل ضروري، على طريق الانتقال من اسـتقلال وسـيادة الولايات فرادى، إلى الإتحاد "الفيدرالى" فى سنة ١٧٨٩.

وموجز القول أن الثورة منحت الشعب الأمريكى مكانا مستقلا فـى أسرة الأمم ولقد أتاحت له نظاماً اجتماعياً مغيراً، قلت فيه أهمية الوراثـة

والثروة والمكانة، وزادت فيه قيمة الصفة الإنسانية. خفضت فيه مؤقتا مستويات الثقافة وآداب السلوك، ولكن مستويات المساواة رفعت لمكانة علية. أعطته ألف ذكرى لتعميق منحدرات تل (بنكر هيل" المضمخة بالدم. موت منتجمرى تحت أسوار "كوبيك" قول ناثان هيل:"لست آسف إلا على أننى لم أوت سوى حياة واحة أجودها بها فى سبيل بلادى " السفن التى اتخذت شجوناً فى نهر هدسن. مصرع "بنيديكت أرنولد" وهو يحاول أن يخون بلاده. برد (فالى فورج) الذى ينخر العظام. مقاتلو العصابات بقيادة "ماريون" فى كارولينا الجنوبية، الذين اكتسبوا له لقب "ثعلب المستنقاعات" روبرت موريس رجل المال الوطنى وهو يدبر الموال بصبر من أجل القضية الوطنية الكسندر هاميلتون وهو يجتاح الحصن فى يوركتاون. الأسطول البريطانى يبحر معادراً خليج نيويورك، عند جلالته العظيم.

على أنه ظل لزاماً على الشعب الأمريكى أن يبين أنه أوتى عبقرية حكم نفسه وجعل جمهوريته دولة ناجحة. كان عليهم بعد أن يثبتوا أن بوسعهم أن يحلوا مشكلة التنظيم الاستعمارى. فإنهم لم يكونوا قد اثبتوا ذلك بعد إذ بدا أن "رابطة صداقتهم" كانت تتحول إلى رابطة خلاف وشقاق. وكان مؤتمرهم "الكونجرس" يهوى إلى انعدام تام للاحترام. فقد أخذت المنازعات بين الولايات تستفحل بدرجة خطيرة قطعاً. ولم تعان جماعة من فوضى هذه الأحوال أكثر مما عانى الجيش، الذى لم يستطع الحصول على ما كان يحتاج من طعام وكساء ورواتب. وكثيراً ما كان ضباطه يسربون نخب الأمل فى "طوق للبرميل". فما لم يتوفر الطوق، كان من المحتمل أن ينهار البرميل إلى كومة من الألواح الخشبية.

وضع الدستور

هناك اتفاق عام على أن الولايات المتحدة أوتيت دستوراً من أوضح الدساتير التى أعدت فى يوم من الأيام وأكثرها فعالية . دستوراً على غير غرار دستور بريطانيا، فهو مكتوب ولكنه اتسع بمرونة بأتساع الأمة. ولقد قال فيه غلاديستون "إذا كان الدستور البريطانى هو أبرع كيان قدر له أن يمضى قدماً من التاريخ التقديمى، فإن الدستور الأمريكى هو أروع عمل انطلق فى وقت معين من عقل الإنسان وعزمه على غايته". ولقد كان – فى الواقع – نتاجاً تقديماً إلى حد كبيرى كذلك. بيد أنه تشكل فى جمعية من أعجب الجمعيات التأسيسية فى العصور الحديثة.

ولعله كان من يمن الطالع أن مواد الاتحاد "الكونفيدرالى"، الذى انتهجته الولايات قرابة نهاية الثورة، كانت ناقصة على حد كبر. فلو انها نصت على إطار للحكم أفضل، لكان من المحتمل أن يقنع الأمريكيون برتقها لإصلاح عيوبها ولكان من المحتمل أن تشقى البلاد عشرات كثيرة من السنين بدستور ضعيف ولكنها نبذت جانباً، إذا تداعت تداعياً كاملا تقريباً. ولأن انهيارها انبعث عن ضعفها، وضع الدستور الجديد قوياً بدرجة غير عادية. كذلك كان من حسن الحظ أن انهيار المواد صادف كساداً تجارياً فى سنتى ١٧٨٥ و ١٧٨٦. وما كان لغير أزمة ظاهرة أن يفضى بكثير من الأمريكيين المتشككين إلى قبول حكومة مركزية جديدة قوية.

ذلك أن سنة ١٧٨٦ كانت الذروة العليا للفترة الحركة. فلم تكن البلاد بدون جهاز حكم قومى قوى حقيقى فحس، بل أن الولايات الثلاث عشرة كان قد أصبحت من التنافر والاضطراب بدرجة دعت الناس إلى أن يتحدثوا عن قيام حرب بين بعضها. ففى يسيلفانيا وفيرمونت، كان القوم فى

عراك على خطوط الحدود، بل كانوا يتضاربون من أجلها. ولقد كان من الواجب أن تملك الحكومة القومية السلطة لفرض أية رسوم جمركية تدعو إليها الضرورة لتنظيم التجارة، ولكنها لم تكن كذلك. وكان من الواجب أن تملك هذه الحكومة سلطان فرض الضرائب للأغراض القومية، لكنها لم تكن تملك هذا أيضا وكان من الواجب لها الانفراد بالسيطرة على العلاقات الخارجية، بيد أن عددا من الولايات كانت قد شرعت فى مفاوضات مع دول أجنبية. ولقد كان من الواجب أن تملك هذه الأمة الإشراف الأوحد على العلاقات مع الهنود، ولكن عدة ولايات تولت الأمر مع الهمجيين وفق هواها، وبدأت جورجيا حرباً هندية وأنهتها.

وعندما هددت القلاقل الداخلية سلامة الممتلكات فى مساحات كبيرة، اشتد ذعر الطبقات الوسطى الرصينة التفكير. فلما استفحل الكساد فى ١٧٨٥ – ١٧٨٦، نجمت عنه ضائقة شديدة فى المناطق التى كان الناس يعيشون فيها فى مستوى قريب من الكفاف. فشحت الأموال على طول الحدود، وشلت الأسواق، وتلفت المحصولات على أرضها لعدم وجود من يجنبها. ولجأ الناس إلى المقايض. وطالبت جماعات المدنيين حكومات الويات بإصدار نقود ورقية ليتمكنوا من تصريف محصولاتهم وسداد إلتزامتهم. كما طالبوا بقرار لإرجاء تحصيل الديون "موراتوريوم"، وبتشريعات تجعل الماشية أو القمح أداة قانونية لسداد الديون. ولد ذكرت مظلمة مدينة غرينويتش، بولاية مساتوسنتس، فى يناير ١٧٨٦/، أن عمليات البيع القضائى للأراضى نتيجة عدم الوفاء بالديون، كانت تجرى يوميا وبثلث القيمة الحقيقية، وأن الماشية كانت تباع بنصف ثمنها، وأن الضرائب خلال السنوات الخمس السابقة قد عادلت القيمة الإيجارية للمزارع بأكملها. ،أتخذ التزاحم السياسى شكل صراعات بين الطبقات الدائنة والطبقات المدينة.

واستفلحت الكراهية بين الفقراء ومن كانوا فى مسيرة كثير مـــن الولايـــات. ومن أمثلة ما قيل، هذا القول الذى صدر عن فريـــق مـــن أهـــل كارولينـــا الجنوبية، فى النيل من الحاكم "رتليدج" وغيره من الأرستقراطيين "أثريـــاء هذه الولاية المتسلطون، وأتباعهم العبيد آكلوا الضـــفادع وصـــنائعهم مـــن المستعبدين الراضين بالعبودية من لاعقى لعاب الفريقين".

ولقد انصاعت الهيئات التشريعية فى سبع ولايات لضغط المطـــالبين بالنقود الورقية، فى سنة ١٧٨٦. وأجيزت فى (رود آيلاند) إجراءات لكـــل امرئ بمقتضاها أن يفى بالتزاماته بعملة القيمة لها فى الواقع. وقد كتب فى هذا أحد مؤلفى الرجز. "يفلسون دائنيهم بإلحاح أهوج دون توقف، والرحمة من جامعات المدينين" ولما كانت النقود المتردية القيمـــة أداة وافيـــة لســـداد الديون المستحقة لأناس فى ولاية أخرى، فإن مساتشوسيتس وكنيكتيكت أقرتا فى إباء إجراءات انتقامية. على أن القوى المطالبة بنقود ورقية أخفقت فـــى حمل الهيئتين التشريعتين المسيطرتين على شمال "نيواجلاند بأسه، ألا وهما هيئتان مساتشوسيتس ونيوها مبشاير. وهنا انـــدلعت اضـــطرابات مســـلحة. وكان دستور مساتشوسسيتس القائم يضع السيطرة على الحكومة فى أيـــدى العناصر ذات الثروة فى المجتمع. إذ كان قد أقام تحصينات خاصة للـــدفاع عن الملكيات فيما نص عليه من مـــؤهلات للنـــاخبين ومـــؤهلات لشـــاغلى المناصب. وكانت الهيئة التشريعية المحافظة قد فرضت إذ ذاك ضرائب لدفع ديون الثورة، وهى ديون كان معظمها للمضاربين. وعبثا التمست اجتماعات البلدية والاجتماعات العامة التخفيف، فاســـتمرت عمليـــة البيـــع القضـــائى للأراضى المرهونة ونزع الملكية سداداً للضرائب المتأخرة. فلا عجب فـــى قيام تمرد زراعى. فكان انقضاض المحكمة العامة، فى يوليو ســـنة ١٧٨٦، ايذاناً بقيام "ثورة" بقيادة أحد من خاضوا معركة " بتكرهيـــل" وهـــو "دنبيـــل

شايز"، وكان "تمرد شايز" – كما أصبحت تدعى – على غرار الانتفاضـــات الزراعية الأولى، مثل "تمرد بيكون"، أو حركات الإصلاح فى غرب كارولينا الشمالية قبيل الثورة. فهى لم تكن ثورة ضد الحكومة بقد ما كانت احتجاجــاً عنيفاً ضد أحوال أصبحت لا تطاق.

ونشطت الولاية للعمل بهمة بقيادة الحاكم بودوين، الجنرال لينكولن، وبعض الموسرين الذين كانوا يقرضون مالهم فى الأزمة، فكان من الســـهل إيقاف زحف "شايز" عندما حاول أن ينهب ترسانة الأسلحة فى سيرينغيلد وأن يوزع قواته. بيد أن الصراع الوجيز أزعج الدوائر المحافظة فى كافة أرجاء الأمة أيما إزعاج، فقد لاحت نذيراً بحركة ثورية نحو اليسار. فكتب الجنرال نوكس لوشنطون أن لدى نيو إنجلاند اثنى عشر أو خمسة عشر ألفــاً مـــن المستيئبين الذين كانوا يعتنقون ما يسمى الآن أراء شـــيوعية: "عقيـــدتهم أن ثورة الولايات المتحدة قد صينت من أن تصادرها بريطانيا، بفضل الأعمال المشتركة التى قام بها الجميع، ومن ثم فينبغى أن تكون ملكاً مشاعاً للجميع". ولقد أثاروا خوف "كل امرئ ذى مبادئ وثروة فى نيو إنجلاند".

ورأى وشنطون أنه كان على سلطات مساتشوسيتس أن تكون أقسى صرامة، فكتب فى جزع أشد من جزع الجنرال نوكس: " هناك أمور قابلـــة للاشتعال فى كل ولاية، قد توقد النار فيها شرارة واحدة". وكانت هذه هـــى وجهة النظر العامة. وكانت النتيجة المنطقية المستخلصة من هذا أن الحاجة تمس إلى حكومة قومية أشد مكانة لتساعد الولايات على معالجة الشغب. وقد كتب ستيفن هيدجينسن نظامنا الحاضر، وما لم نحرز فى القريب مزيداً مـــن القوة للاتحاد، بأية وسيلة، فإن المتمردين سينهضون ولن يلبثوا أن ينتزعـــوا

الزمام منا. ولن يكون ثمة مفر من أن ندفع إلى.. تشنجات عنيفة ستؤدى إلى حكومة أو أكثر تقوم على إراقة كثير من الدم".

وكانت المشاحنات بين حكومات الولايات قد أحدثت عناء قاسياً للجماعات التى كان عيشها يتوقف على قدر من التناسق. فكان التجار فى يأس بسبب الافتقار إلى عملة رسمية، إذ كانوا مضطرين إلى التعامل بخليط عجيب من العملات التى سكنتها أكثر من عشر دول، وكثيرة منها متآكلة وناقصة الوزن، وبقطع نقدية مزيفة، وبمجموعة لا يصدقها العقل من النقود الورقية القومية والخاصة بالولايات،اتسمت بهبوط سريع فى قيمتها، فبات من الواضح أنه لن يكفى للموقف سوى نقد قومى مقنن. وأخذ المصدرون كافة يئنون من افتقاد الحماية لإقدامهم على محاولة تسويق السلع الأمريكية فى الخارج. كما وجد "الكونجرس" الضعيف أن من المستحيل إعادة إقامة العلاقات التجارية القديمة مع الإمبراطورية البريطانية ومع جزر الهند الغربية بوجه خاص. وكانت إسبانيا قد أغلقت فى تحد مصب نهر المسيسيبى فى وجه التجارة الأمريكية، وكان ثمة خوف عام من أن تستخذى الحكومة منصاعة لهذه الخطوة القاضية على مصالح الغرب الأمريكى. وما كانت من وسيلة تكفل للتجار الاطمئنان على تحصيل ما لهم من نقود، حتى فى داخل البلاد. فكان النيويوركى الذى يقاضى مديناً فى بنسلفانيا تحت رحمة محاكم بنسلفانيا ومحلفيها الذين كانوا ينحازون لمواطنيهم بطبيعة الأمر. وباتت طبقة أصحاب المصانع الأمريكيين، الذين كانوا فى نمو سريع، تحت رحمة منافسة من أوربا تنحر الأسعار نحراً.

غير أن أسوأ الشرور انبعث من المعوقات المتعمدة التى أقيمت ضد التبادل التجارى بين الولايات وعمد من الولايات إلى فرض رسوم جمركية

على كافة الواردات، فى تلهفها على الحيلولة دون إغـراق الـبلاد بالسـلع الأوربية وعلى اكتساب إيرادات. وبدت ثلاث خطوات رئيسـية فـى هـذه العملية. ففى أثناء الحرب، كانت فيرجينيا وحدها هى التى فرضت رسـوما على مجموعة كبيرة من السلع، إذ كانت لها تجارة كبيرة من جراء تصديرها التبغ واستيرادها مختلف السلع، ومن ثم كانت تملك أن تفعل ذلك. ثم فرضت جميع الولايات، ما عدا نيوجيرسى، فى الثلاث سنوات الأولى بعد الصـلح، رسوماً على الواردات، ولكن اكتساباً للدخل فقط، وليس للحماية وأخيراً، لـم تحن سنة ١٧٨٥ حتى كانت نيوإنجلاند ومعظم ولايات الوسط قـد أنشـأت صناعات محلية تبشر بالنجاح، فعانت من المنافسة الأوربية. ومن ثم فإنهـا فرضت رسوماً جمركية للحماية.

وسرعان ما دب فى الموقف عنصر بين الولايات من التعامل بالمثل. فإن الولايات الجنوبية وبعض الولايات الشمالية الصغيرة لم تـؤت سـوى مصانع قليلة، فكانت بحاجة إلى السلع المستوردة لـذلك أنشـأت ديلاويـر ونيوجيرسى موانئ حرة للبضائع الأوربية. كذلك وضعت قيود على تنقلات السفن، فلم يكن بوسع أبناء نيوجيرسى مثلا أن يجتازوا نهر هدسـن لبيـع الخضر فى نيويورك دون أن يدفعوا أجوراً باهظة. وأخذت ضراوة المشاعر بين الولايات تستفحل بطبيعة الأمر. فكان أبناء كارولينا الشمالية- فى غمرة التشهير بفيرجينيا وكارولينا الجنوبية- يشبهون ولا يتهم بقنينة كبيرة مخروقة الطلرفين. وقال أوليفر إيلسويرث أن ولايته الصغيرة " كنيكتيكت" كانت مثل " إيساخار" فى الماضى، بغلا قوياً يزحف مثقلا بحملين على الجانبين.

كانت مجموعة واسعة التباين من جماعات الدائنين، بجانب التجـار وأصحاب المصانع، ينعون على البلاد الافتقار إلى أية سلطة قومية تستطيع

أن تضع قيوداً فعالة تكبح اتجاهات الهيئات التشريعية المتطرفة نحو " المساواة ". وكان بين أفرادها مقرضو المال، وواضعوا اليد على رهونات ضايقتهم قوانين " وقف البيع" التى فرضتها تلك الولايات، وبعمليات الإصدار الجزافى للنقود غير ذات القيمة. وكان بينهم أمريكيون ممن لديهم صكوك بديون كانت لبريطانيين وآلت إليهم، إذ أن الجماعات المتطرفة المسيطرة على بعض الهيئات التشريعية والمحاكم كانت قد قضت بأن تكون الديون المستحقة لبريطانيين قابلة للاقتضاء. وكان بينهم كثير من الضباط والجنود الذين تسلموا صكوكاً لتملك أراض كجزء من رواتبهم عن الخدمات الثورية. وكان بينهم المضاربون على الأراضى، الذين كانوا قد ابتاعوا مساحات كبيرة، سواء من أراضى الجنود أو من الأراضى المصادرة، بأسعار زهيدة، وكانوا تواقين إعادة بيعها. كان مالكو الأراضى هؤلاء يبتغون حكومة قومية لها من القوة ما يحمى الحدود من الهنود، ويكفل النظام فى المناطق الحديثة الاستيطان، ويحمى حقوق تملكهم. وأخيرا، فإن كتلة ذات وزن من حاملى السندات الاتحادية وسندات قروض الولايات، أخذوا يرقبون فى جزع وأسى الظروف المالية التى دبت فيها الفوضى فى ذلك العهد، والتهرب التشعبى من الضراب. ففى الأربعة عشر شهراً الأخيرة من عمر مواد الاتحاد الكونفدرالى، بلغت الفائدة على قروض الدولة الداخلية والخارجية قرابة ١٤ مليوناً من الدولارات، فى حين أن إيرادات الحكومة القومية كانت ٤٠٠ ألف دولار فقط!.. وقد شرح وشنطون الموقف بإيجاز، حين كتب إلى جيمس وارين فى سنة ١٧٨٥ : " إن عجلات الحكومة قد غاصت فى الوحل".

قانون الشمال الغربى:

قدر لحكومة الاتحاد الكونفدرالى أن تحرز نجاحاً كبيراً واحداً. فعندما ووجهت بمشكلة ما ينبغى أن تفعله بالأراضى غير المستوطنة غربى جبال الليغنى (إذ كانت الولايات قد نزلت واحدة بعد أخرى عن مطالبتها بحقوق تملك هذه الأراضى إلى الحكومة العامة)، ابتكرت خطة حكيمة كان لها أثر كبير فى أن تصبح الولايات المتحدة ما هى عليه. إذ قررت أن تبيح هذه الأراضى للاستيطان المنظم والتقدمى، وأن تشجع السكان على إقامة حكم ذاتى على مراحل منتظمة، ثم أن تنشئ ولايات جديدة، متشابهة مع الولايات الثلاث عشرة الأصلية فى السلطات. وهذا المشروع تضمنه " قانون الشمال الغربى" (سنة ١٧٨٧) الذى شمل المنطقة الواقعة شمال نهر "أوهايو"، ونص على المراحل التى تنتهى بإنشاء ما بين ثلاث وخمس ولايات.

فحرم دخول الرق إلى المنطقة، وعين ثلاث مراحل منتظمة للحكم. فكان للكونجرس أولاً أن يقيم "إقليماً" وأن يعين حاكماً وقضاة لهم أن يسنوا القوانين، على أن يكون للكونجرس حق النقض " الفيتو". فإذا ما بلغ السكان خمسة آلاف، تكون لهم بعد ذلك هيئة تشريعية من مجلسين ينتخبون بأنفسهم المجلس الأدنى منهما. وأخيراً. إذا ما بلغ السكان ستين ألفاً، يحول الإقليم إلى ولاية كاملة، تتساوى مع الولايات الأصلية فى كل اعتبار. وبهذا حلت الولايات المتحدة "مشكلة المستعمرات" الخاصة بها، وأقامت الأمة نسقاً اتبعته فى امتدادها إلى المحيط الهادى، وأتاح لها آخر الأمر خمسين ولاية.

بيد أن الاتحاد "الكونفدرالى" كان مخيباً للآمال فى معظم النواحى الأخرى. وقد كتب وشنطون أن الولايات المتحدة لم تكن متحدة إلا بحبل من الرمال، كما صرح مراقب آخر بأن "استياءاتنا أخذت تتفاعل لتصبح حرباً

أهلية". كان عدد ذوى الكفاءة من أعضاء الكونجرس قد تضاءل كل التضاؤل، وكانت مكانته أدنى مما ينبغى بكثير، مما لم يكن يكمنه من وضع نظام أفضل للحكم. وكان "توماسبين" قد اقترح وقت طويل "عقد مؤتمر للقارة، ليصوغ ميثاقاً قارياً". وقد أثار هذا الاقتراح نفر من الزعماء اجتمعوا ليبحثوا مسائل تجارية.

الدعوة إلى مؤتمر قومى:

وقصة الخطوات الولية للمؤتمر الدستورى معروفة. فقد كانت ثمة مشكلة تجارية خاصة تلح على الأذهان، بينما كان ذوو الفكر الصائب يزدادون برما بالضعف القومى، وبمشاكسات الولايات. ذلك أن ميربلاند فرضت السيادة على نهر بوتوماك بأكمله، من حيث يفصلها عن فيرجينيا حتى شاطئه الجنوبى. وخشى أهل فرجينيا أن تعترض ميريلاند حرية ملاحتهم فى هذا النهر المهم. فاجتمع مندبو فيرجينيا وميريلاند فى سنة ١٧٨٥ مع جورج وشنطون فى "ماونت فيرنون" لبحث الملاحة فى نهر بوتوماك وخليج تشيزابيك، وكان ماديسون، الذى حضر الاجتماع، فى هم شديد من جراء الفوضى العامة فى التجارة، إذ كان يعتقد أنه لابد من مؤتمر أكبر، بعقد بغرض حمل الولايات على أن تكل لوائحها إلى الكونجرس. واجتمع هذا المؤتمر فى (أنابوليس) سنة ١٧٨٦، وقد بدا فاشلا كل الفشل حين لم يحضروه سوى وفود خمس ولايات أخرى.

وشاء الحظ أن يكون أحد المندوبين "ألكسندر هاميلتون" المقدام، الذى انتزع من الهزيمة انتصاراً، إذ حمل الجمع على أن يدعوا الولايات إلى تعيين مفوضين يجتمعون فى فيلادلفيا فى شهر مايو التالى، لدراسة موقف الولايات المتحدة "وليضعوا من النصوص الجديدة ما سيتراءى لهم لازماً

لجعل دستور الحكومة الفدرالية كافيا لمتطلبات الاتحاد الضـــرورية". ولقـــد استنكر المؤتمر القارى هذه الخطوة الجريئـــة فـــى بـــادىء المـــر، ولكـــن اعتراضاته المهتاجة اقتضبت عندما ورد نبأ بأن فيرجينيا انتخبت وشـــنطون مندوباً. إذ ذاك عاد الكونجرس إلى انتظامه، وحدد يوم الاثنين الثـــانى مـــن مايو سنة ١٧٨٧، تاريخاً للاجتماع. واختارت الولايات جميعاً، ماعدا (رود آيلاند) الصغيرة الساردة فى عنادها، مندوبيها خلال الخريف والشتاء.

كانت الهيئات التشريعية للولايات هى التى اختارت الوفود. وكانـــت بعض هذه الهيئات تحت سيطرة الجماعات الزراعية المتطرفة، كمـــا كـــان الذائدون عن سيادة الولايات فى جميع هذه الهيئات عزيزى الجانب. ومع ذلك فقد طلب معظمها إلى موفديها إنشاء حكومة قومية متينـــة، وأرســـلت إلـــى فيلادلفيا بمجموعة من الرجال كانوا قوميين فى نظرتهم العامة. وبوجه عام، كان "القوميون" جميعاً– وقد اطلقوا على أنفســـهم فيمـــا بعـــد: الاتحـــاديين "الفيدراليين" – هم الذين أهمهم أعمق الهم تصدع الاتحـــاد "الكونفـــدرالى"، والذين أطلقوا الدعوة الأصلية إلى عقد المؤتمر القومى– كذلك كان القوميون هم الذين امسكوا بزمام المؤتمر، وقد حالفهم الحظ بأن كان وشـــنطون فـــى صفهم، وكان وشنطون هو المختار المحتوم من كافة الوفود لرئاسة المؤتمر. وقد أوتوا من حسن الإدراك ما جعلهم يأتون مستعدين بمسودة لدستور جديد، زما مكنهم من جعل هذا المشروع موضوع الدراسة بدلا من المواد القديمة.

وشهدت اوائل شهر مايو المندوبين يسعون إلـــى فيلادلفيـــا فـــرادى وأزواجا. وكان وشنطون دقيقاً فى معده بما طبع عليه، فوصل فـــى الثالـــث عشر من الشهر، متشحا بالمخمل الأسود، متقلدا سيفا لمجرد أبهة المنظـــر، فأصبح على الفور مقعد الانتباه. وأقام بنجامين فرانكلين فى السادس عشـــر

مأدبة عشاء للوفود التى كانت موجودة بالمدينة إذ ذاك، قدر لهـا أن تعلـق بالأذهان طويلاً، ففض لهم قنينة كبيرة من الشراب كان أحد أصـدقائه قـد أرسلها له، وقدم إليهم وافراً من نبيذ "ماديرا" المعتق ولاشك. وكـان بـين ضيوفه "جيمس ماديسون" مندوب فيرجينيا، وكان ضئيلاً فى الجسم ولكنـه عملاق فى قدراته على التحليل السياسـى. وهـو- كخـريج فـى جامعـة "برينستون"، ومحام من أصحاب المزارع، يقضى الكثير من وقته فى الـدب الرفيع- كان ثانى اعظم أعضاء المؤتمر علماً بعد فرانكلين، وقـدر لـه أن يثبت أنه كان أكثر المندوبين دأباً، وأعظمهم عقلية بناءة. كذلك كـان بـين الضيوف جورج وايت، البالغ من العمر خمسا وستين سـنة، والـذى علـم جيفرسن وماديسون، وجون مارشال، وغيرهم من المحتمين اللامعـين فـى فيرجينيا القانون. ثم كان هناك حاكم فيرجينيا "إدموند راندلولف" ، الذى كان يمتلك حوالى سبعة آلاف دونم ومائتى عبد. وكان بـين منـدوبى بنسـلفانيا "روبرت موريس" ، رجل المال الجليل الذى دبر من المال ما مكن جيـوش وشنطون من البقاء فى الميدان خلال أحلك أيام الثورة. وفى البيت الأنيـق، بيت موريس، أقام وشنطون أثناء الاجتماعات. كما كـان هنـاك جـوفرنير موريس، الذى ولد فى أسرة غنية فى نيويورك وأصبح فى طليعة المحـامين والمضاربين على الأرض فى فيلادلفيا. وحضر كذلك " جاريـد إنغرسـول" الذى درس فى "ميدل تميل" وارتقى ليصبح من أحسن المحامين فى بنسلفانيا، و"جيمس ويلسون" ، وكان رجلا متزمتاً فى صراحته، ولد وتعلم فى استكندا، وأصبح أضلع القانونيين وأوسعهم إطلاعاً فى أمريكا. وكان من العسـير أن تجمع مواهب وشخصيات تفوق هؤلاء حول مائدة عشاء، فى أى مكان فـى العالم، فى سنة ١٧٨٧. بل المحقق أنه ما كان لأية مجموعة فى العالم القديم ان تزهو بشخصيات باهرة تفوق وشنطون الجاد، الجليل، وفرانكلين الحكـيم

والطيب فى بشاشة ولطف، والذى كان يبدو كانه " يفيض تحـــرراً وســـعادة منطلقين" ، كما كتب أحد المعاصرين.

ومن الجدير بالملاحظة أن بعضاً ممن كانوا أكثر نشاطاً فى إطـــلاق الثورة والقتال من أجلها، لم يشتركوا فى المؤتمر. فقد كان جيفرســـن فـــى فرنسا، ورفض باتريك هنرى الاختبار، وكان جون آدامز وزيراً مفوضاً فى إنجلترا، كما أن الاختبار لم يقع على الخطباء الثائرين الثلاثة: تومبين، وسام آدامز، وكريستوفر جادسدن. وموجز القول أن المتطرفين لم يكونوا ممثلـــين تمثيلاً كافياً. ولقد وجه بعض المؤرخين كثيراً من الاهتمام إلـــى أن النســـبة الكبرى من المندوبين كانوا من أصحاب الأراضى، وممتلكى سندات الحكومة القارية أو حكومات الولايات. ولكن الجدير بنا أن نتذكر أن النسبة الكبـــرى من الأمريكيين كانوا ينتمون إلى العناصر الوسطى المالكة لثروات. فقد كان فى أمريكا- كما ذكر بنجامين فرانكلين- نفر قليل من فاحشى الغنى، ونفـــر قليل من الفقراء المدقعين، فى القرن الثامن عشر. ومن الواجب أن نضـــيف أن المؤتمر "الفدرالى" كان- فيما يحتمل- أكثر اجتماع سياسى ممثل لشـــعبه يمكن العثور عليه فى العالم الغربى فى ذلك الحين.

هكذا كان المؤتمر خلقاً نادراً، هيئة معقودة العزم بتصميم صـــادق. وكان عجيباً من حيث أنه كان لكل ولاية أن توفـــد أى عـــدد شـــاءت مـــن المندوبين، إذ أن كل ولاية اختارت المندوبين على حـــدة. بيـــد أن معظـــم الولايات أرسلت وفوداً صغيرة لأسباب دعتها للاقتصاد. فلم يكـــن مجمـــوع الحضور سوى خمسة وخمسين، ولم يحضر بعضهم إلا لوقت قصير، لـــذلك فلم يكن الحاضرون فى الختام سوى تسعة وثلاثين، ولم ينجح إلى الســـكوت أثناء المداولات سوى قلة، منها وشنطون طبعاً.

وكان النصف تقريباً من خريجى التعليم العالى، كما كانت أغلبية كبيرة من المحامين، فعبروا عن آرائهم بدقة وإجادة. ولم يحتفظ بتقرير مفصل للمداولات، ومما لا شك فيه أن الروايات التى نشرت فى يوميات "ماديسون" وغيره حذفت كثيراً من الكلام. بيد أن أحداً لا يملك أن يقرأ هذه الملخصات دون أن يبهر بما لمعظم المتكلمين من قوة إقناع منطقى. ولقد أعانتهم فى مناقشاتهم قاعدة السرية التى حرص عليها المؤتمر بشدة. إذ أن النشر كان خليقاً بأن يضخم الخلافات، وأن يغرى الأعضاء بإلقاء خطب لترددها المحافل والصحف، مما كان يعرضهم لضغوط من ناخبيهم. ولقد استحق مواطنوا فيلادلفيا العاقلون الثناء لأنهم رفضوا الاطلاع على عمل المؤتمر. ولقد ذكر فرانكلين لأصدقائه فى مأدبته الخرافة القديمة عن أفعى ذات رأسين ماتت جوعاً لأن الرأسين أبيا أن يتفقا على أى جانبى الشجرة تمر الأفعى عنده، وقال إن بوسعه أن يقدم مثالا من مناسبة حديثة فى المؤتمر، بيد أن أصدقاءه ذكروه بقاعدة السرية فأوقفوه عن الكلام.

اتفق المندبون ضمناً، فى بداية المؤتمر، ألا ينقحوا مواد الاتحاد "الكونفدرالى"، بل يضعوا دستوراً جديداً كل الجدة. وقد تجاوزوا بهذه السلطة التى منحهم إياها قرار المؤتمر القارى، ولكنهم لم يتجاوزوا السلطات التى استخلصها من الهيئات التشريعية للولايات، إذ أن معظم هذه الهيئات خولتهم وضع دستور "كاف لمتطلبات الاتحاد" . ولما لم يكن مجرد التعديل للمواد القديمة كفيلاً بتحقيق هذه الغاية، فقد أقدم المندوبون "باعتداد نبيل ببلادهم"– كما كتب ماديسون فيما بعد– على المضى فى جرأة نحو شكل جديد للحكم. ومن المهم فى وصف عمل المؤتمر، إبراز بضعة اعتبارات عامة عظيمة. كان المندوبون يدركون أنه لابد من إقامة جهاز متراكب، فما كانت أية حكومة بسيطة لتكفى. كان عليهم فى البداية أن يوفقوا فى رفق تحف به

الهواجس، بين سلطتين مختلفتين: سلطة السيطرة المحلية التى كانت تمارسها فعلاً الولايات الثلاث عشرة نصف المستقلة، وسلطة الحكومة المركزية الحديثة الإنشاء. وكانت مهمة لم يتضمن سابقة لها سوى تاريخ الإمبراطورية البريطانية. فقد كان فى الإمبراطورية، كما كانت قائمة قبل سنة ١٧٦٣، نظام "فيدرالى" بالنسبة لكافة النوايا والأغراض.. وتقسيم لاختصاصات الحكم بين السلطات المركزية والمحلية. بيد أ، الاتحادات الأخرى التى أنشئت حتى ذلك الحين، كانت جميعاً- دون ما استثناء- صغيرة المساحة، وكادت أن تكون جميعاً- دون ما استثناء- مفككة للغاية، ونادراً ما رافقها النجاح لأية مدة طويلة. وكان جيمس ماديسون وبضعة نفر آخرين قد قاموا بدراسة واسعة للحكم بوجه عام، والاتحادات فى اليونان، وهيلفسيا، وهولندا بوجه خاص. فى حين كان معظم المندوبين من ذى الاطلاع الواسع فى مجال الفكر السياسى. وكان البدأ الذى اتخذوه هو أن وظائف الحكومة القومية وسلطاتها يجب أن تحدد بعناية، بينما يكون من المفهوم أن كافة الوظائف والسلطات الأخرى ملكاً للولايات. وكان لا بد من ذكر وإثبات سلطات السيادة القومية – بوصفها سلطات جديدة، وعامة، ولا تقبل التجزئة.

النتائج النهائى للعمل

ومضت عملية إنشاء جهاز قومى قدماً، جنباً إلى جنب مع عملية تسديل السلطات هذه وقد ساند هذا العمل كذلك مبدأ عام. كان من المفهوم أنه لابد من إقامة ثلاثة فروع منفصلة للحكم كل منها متساو ومتناسق مع الاخرين. الهيئات التشريعية، والتنفيذية والقضائية فتكون متكاملة ومترابطة بدرجة سمح بانسجام عملها ولكنها – فى الوقت ذاته تكون من قوة التوازن بحيث لا يتسنى لأية مصلحة فردية أن تفرض سيطرتها. كانت هذه الفكرة

عن توازن السلطات فى القرن الثامن من تجربة المستعمرات، وعزز بكتابات "لوك" و "مونتسكيثو" التى كان معظم المندوبين على دراية بها. وكان التعريف الأمريكى للحكومة الجائزة، أنها الحكومة التى يستولى فيها عنصر واحد بمفرده على دور متسلط. كذلك كان من الطبيعى التسليم بشأن الفرع التشريعى يجب أن يتألف من مجلسين، كما كانت الهيئات التشريعية فى المستعمرات وكالبرلمان البريطانى. ولم يكن الإيمان بقيام هيئة تنفيذية واحدة اجتماعيا، ولكن دعاة تعدد الهيئة التنفيذية أفحموا إ ذكروا بالمثل العام الذى ضربته المستعمرات والولايات.

ولقد أدى قرارا إقامة هيئة تشريعية من فرعين، غى تيسير تسوية النزاع الأساسى، وأن لم يكن واقعياً، فى المؤتمر بصدد سلطات الولايات الصغيرة والولايات الكبيرة، فلقد أكدت الولايات الصغيرة أن من حقها أن تتساوى مساواة تامة مع شقيقاتها الكبرى، كما كانت الحال فى الاتحاد "الكونفدرالى."، وأن كنيكتيكت الصغيرة يجب ألا تداس تحت أقدامن نيويورك الكبيرة، ولا ميلايلاند الصغيرة تحت أقدام فيرجينيا الكبيرة. أما الولايات الواسعة، فقد أكدت أن السلطان يجب أن يتناسب مع الحجم، السكان، والثورة وبفضل التوفيق الذى انتهج فى النهاية منحت الولايات الصغيرة حق المساواة فى التمثيل فى مجلس الشيوخ مع الولايات الكبيرة أما مجلس النواب، فوزعت المقاعد على أساس السكان. وعند الانتقال إلى الهيئة التنفيذية، كانت المشكلة الكبرى هى الاستقرار على نهج انتخابى. هلى يكون اختيار الرئيس بوساطة الكونجرس؟ إن هذا يميل كثيراً نجو جعله مستنداً إلى الفرع التشريعى، مما يخل بميزان القوة. هل يختار بتصويت شعبى؟ لقد كان شعب الولايات المتحدة، متناثراً فى مساحة هائلة ومطردة الامتداد، وكانت وسائل المواصلات قاصرة. ومن ثم فيسكون من العسير عليهم أن يركزوا

أصواتهم على مشرح واحد أو عدد قليل من المرشحين وسكونك هناك عــدد كبير من الاختيارات، فلا يقدر لرجل واحد أن يقترب من إحــراز أغلبيــة الأصوات. لهذا استقر الرأى أخيراً على إقامة " مجمع انتخابى"، يكون فيــه لكل ولاية من المندوبين بعدد ما لها من شيوخ ونواب. ولم يطبق هذا النظام فى الواقع بالشكل الذى قصد إليه واضعوه، فاتهم أن يــروا مقــدما تطــور الأحزاب السياسية التى بدأت على الفور. فيما يتعلق بالفرع الثالث، وهــو القضاء الفدرالى، فتقرر أن يعين الرئيس القضاة بمشورة مجلــس الشــيوخ وموافقته، لمدىَ الحياة إذا أحسنوا التصرف.

إن براعة واضعى الدستور وحكمتهم لتعلوان على إعجابنــا. فلقــد أقاموا أكثر الحكومات التى ابتكرها الإنسان– حتى الآن– تراكباً وهى كذلك الأبدع توازناً والأكثر حظا من الحماية. فكان كل من الفروع الثلاثة مستقلاً عن الآخرين ومتساوياً معهما، ومع ذلك فقد كان كل منهما تحــت إشــراف الآخرين ورقابتهما. فما كان للتشريعات التى يقرها الكــونجرس أن تغــدو قوانين حتى يصدق عليها الرئيس، وكان على الرئيس بــدوره أن يعــرض تعييناته للمناصب وارتباطاته وكافة معاهداته على مجلس الشيوخ، كما كان من الممكن اتهامه ومحاسبته وإبعاده عن منصبه بواسطة الكونجرس. وكان للهيئة القضائية أن تنظر كل القضايا التى تثار تحت القــوانين والدســتور، ومن ثم فقد كان لها أن تفسر القانون الأساسى والقانون التشريعى.

بيد أن القضاة كان يعينون من قبل الرئيس ويعزز مجلــس الشــيوخ تعيينهم فى حين كان من الممكن للكونجرس أن يوجه الــيهم الاتهــام ٓهــم الآخرين. ولما كان الشيوخ ينتخبون بمعرفة الهيئات التشريعية للولايات لمدة ست سنوات، وكان الرئيس يختار بمعرفة مجمع انتخابى، وكــان القضــاة

يعينون، فلم يكن أى جزء من جهاز الحكم معرضاً لضغط من الجمهور اللهم إلا المجلس الأدنى فى الكونجرس. يضاف إلى هذا أن موظفى الحكومة كانوا يختارون لمدد واسعة التباين، تتراوح بين مدى الحياة وعامين، فلم يكن من سبيل الموظفين تغييراً كاملاً إلا بثورة.

ولقد أعلن بعض الدارسين للمؤتمر، وقد تناولوه على أنه هيئة اقتصادية وليست سياسية، أن النتائج الرئيسية له كانت فى صالح ملاك الثورات، و"طبقة" التجار وأصحاب القروض. ولكن علينا أن نتذكره مرة أخرى أن أمريكا كانت، فى سنة ١٧٨٧، بلاداً يكاد الجميع فيها من مزارعين، وأصحاب مزارع، وأصحاب حوانيت ومهنيين – أن يكونوا فى ميسرة، فكانت الفواصل الطبقية فيها قليلة وباهتة. كما أن الأمن والاستقرار كانا لنفع كل امرئ، إذ كانت الجميع يصبوت على نقد نائب، وتجارة منعشة، وحماية الأصقاع الغربية، وتطبيق حازم للعدالة، وتطبيق كفئ لكل شأن من شئون الحكم اليومية. أما فيما يتعلق بأن الدستور وثيقة "طبقية" فيكفى أن نلاحظ أن نصوصه لم تتضمن أية مؤهلات من ثروة أو دين للظفر بحق الانتخاب أو للترشح لأى منصب اتحادى ولقد كان من الممكن أن تكون القرارات التى كفل بها المؤتمر للحكومة الاتحادية أن تكون من القوة بحيث تصون النظام وتحمى الروة. كان من الممكن لهذه القرارات أن تكون متفجرة بدرجة خطيرة، فى أية ظروف أخرى بيد أن معظمها أتخذ بعد مناقشة موجزة وهادئة. فمنحت الحكومة الاتحادية السلطة الكامل دون ما قيود، لفرض الضرائب مما كفل لها الوسائل لدفع الديون التى تجاوزت مواعيد استحقاقها بأجل طويل، ولتسترد قروضها، لفرض الرسوم والضرائب المباشرة والاستقطاعات الرسمية، وأن تقر قوانين رسمية للإفلاس. ولقد منحت سلطة سك النقود وتحديد الأوزان والمقاييس ومنح رخص الاختراع

وحقوق النشر، وإقامة مكاتب البريد، وطرق للبريد. ولقد حولت سلطة تكوين جيش وأسطول والاحتفاظ بهما. وكان لها أن تنظم التجارة بين الولايات. ولقد عهد إليها بتولى العلاقات الهندية بأسرها والعلاقات الخارجية، والحرب وكان لها أن تتدخل لإقرار النظام إذا اندلعت" أعمال العنف المحلية" فى أية ولاية، وطلبت الهيئة التشريعية أو الحاكم المساعدة وكان لها إصدار قوانين لمنح الأجانب الجنسية. ونظراً لسيطرتها على الأراضى العامة، فقد كان بوسعها ضم ولايات جديدة على قدم المساواة مع القديمة. وكان لها أن تتخذ عاصمة خاصة بها فى بقعة لا تتجاوز عشرة أميال مربعة. وقصارى القول أن الحكومة القومية كانت عزيزة السلطان من البداية، وقدر لها أن تزداد قوة بفضل تأويلات المحكمة العليا للدستور. وكانت هذه النقود رد فعل طبيعياً عن ضعف الاتحاد "الكونفدرالى".

على أن الولايات ظلت هى الأخرى قوية. فقد احتفظت بكافة سلطات الحكم المحلى، وتولت تنظيم معظم الأمور اليومية التى تهم الشعب. فالمدارس ، والمحاكم المحلية، وصون الأمن، وتخطيط المدن الصغيرة والكبيرة، وإجازة شركات المصارف والأوراق المالية، والعناية بالجسور والطرق والقنوات. كل هذه الأمور وكثير غيرها كانت فى أيدى الولايات. وكان للولاية أن تقرر من الذى له حق الانتخاب، وكيف وكان مسئولية– فى المقام الأول – عن حماية الحريات المدنية. ولقد ظل كثير من الناس أمداً طويلاً يرون أنفسهم أبناء جورجيا، أو ينسيلفانيا أو فرجينيا قبل أن يشعروا بأنهم أمريكيون. أخيراً واجه المؤتمر أهم المشكلات جميعاً: كيف ينبغى تنفيذ السلطات التى منحت للحكومة القومية الجديدة؟ كانت الحكومة "الكونفدرالية" القديمة تمتلك سلطات كبيرة – وإن لم تكن كافية – على الورق. ولكن سلطاتها عند التطبيق العملى كانت قريبة من لاشئ، لأن الولايات لم تولها أى

اهتمام. فما الذى كان ينقذ الحكومة من أن تصادف عين العقبات والرفض؟ ولم يقدم معظم المندوبين فى بادئ الأمر سوى رد واحد. استخدام القوة.

اقترحت فيرجنيا مع الكومجرس السلطة" لدعوة قوة الاتحاد ضد أى عضو. يخفق فى أداء واجبه وفقاً للمواد التالية". وكان هذا خطأ من الناحية النظرية، لأن القوة أداة للقانون الدولى، وكان من الممكن أن تكون قاضية عند التطبيق، إذ أنها كانت بمثابة حرب أهلية. كان تطبيق القوة خليقاً بأن يحطم الأتحاد سريعاً، وسط الدم المراق والخراب.

مع استمرار المناقشة، تبلور حل جديد، ومثالى فقد تقرر ألا توجه الحكومة تصرفها إلى الولايات إطلاقا، بل يجب أن تتصرف مع الشعب فى داخل الولايات مباشرة، فتضع التشريعات لمصلحة جميع سكان الدولة ولفرضها عليهم، متجاهلة حكومات الولايات. وفى هذا كتب ماديسون إلى جيفرسن. "لم يكن من سبيل للأمل فى أن تراعى كافة الأعضاء (الولايات) القانون الاتحادى طواعية. ومن الواضح أنه ما كان من الممكن وضع أى قانون لإلزامها بذلك موضع التطبيق، فإذا تسنى ذلك فإنه كان سينطوى على كوارث للبرئ والمذنب على السواء، وعلى مشهد أقرب شبهاً – بوجه عام. بحرب أهلية منه على قيام حكومة نظامية بمهامها. من هنا اعتنق الحل البديل، الذى يقضى بحكومة تمارس مهامها على الأفراد المؤلفين للولايات، بدلاً من الولايات ذاتها، وبدون تدخلها. وأقر المؤتمر المادة الموجزة التالية، كمبدأ أساسى: هذا الدستور، وقوانين الولايات المتحدة التى ستصدر وفقاً له منذ الآن، وكافة المعاهدات المبرمة أو التى ستبرم بسلطان الولايات المتحدة، ستكون الشريعة العليا للبلاد، وسيكون القضاء فى كل ولاية ملتزمين بها منذ الآن، بالرغم من أى شيء فى دستور أية ولاية أو قوانينها مخالف لها." بموجب هذه المادة، أصبحت قوانين الولايات المتحدة

قابلة للتنفيذ فى محاكمها القومية، وعن طريق قضاة الولايــات ومســئوليها القضائيين. وقد بث هذا النص حيوية فى الدستور ما كان مــن الممكــن أن يكتسبها بدونه، كما أن من المحتمل أنه يقدم خير مثال يصور ما اتسمت بــه هذا الجهاز (الدستور) – فى مجموعة – مــن جمــع بــين الإدراك الســليم والإلهام، بين البراعة التطبيقية، والتطلع البعيد النظر.

وفى يوم الاثنين ١٧ سبتمبر، عقد المؤتمر آخر اجتماعاتــه، بعــد أحسن إنتاج صيفى قامت به أية جمعية ف ى العالم التأمت للسعى إلى غاية صممت عليها. ولم يرفض التوقيع سوى ثلاثة من المنــدوبين الحاضــرين فقط.، أما معظم المندوبين فكانون مغتبطين. وأعلن "فرانكلين" المسن أنــه وإن لم يكن يقرر كافة أجزاء الدستور فإنه كان فى دهشة من أن يجده أقرب ما يكون للكمال. ولقد رجا أى رجال لا يرتاحون إلى بعــض معاملــه أن يرتابوا فى عصمتهم الشخصية من الخطأ قليلاً، فيقبلوا الوثيقــة. وأطلــق "الكسندر هاميلتون" الشاب المندفع، رجاء شبيها بهذا إلى حد ما. فلقد كــان يأمل فى حكومة من نوع أكثر مركزية وأكثر ارستقراطية، ثم تساءل ولكن كيف يمكن لآى وطنى صادق أن يتردد بين الفوضى والقلاقل مــن ناحيــة، والنظام والتقدم من ناحية أخرى؟ وأقبل المندوبون الممثلون لأثنتــا عشــرة ولاية على التوقيع.وبدا الكثيرون مسوقين تحت جلال اللحظة، بينما جلــس وشنطون فى استغراق واجم. بيد أن فرانكلين خفف من التوتر بإحدى ملحــة الفكهة، إذ أشار إلى نصف قرص الشمس المرسوم بلون ذهبى لامع علــى ظهر مقعد وشنطون، وقان إن الفنانين اعتادوا دائماً أن يجدوا عنــا، فــى التمييز بين شمس مشرقة وشمس غاربة. واستطرد قائلاً كثيراً ما تطلعــت مراراً وتكراراً – خلال الاجتماع، وتضارب آمــالى ومخــاوفى بالنســبة لمقرراته – إلى الشمس التى وراء الرئيس، دون أن أملك أن اجزم بمــا إذا

كانت مشرقة أو آفلة. أما الآن، وأخيراً، فإنى سعيد إذ أعلم أنهـا شـمس مشرقة وليست جانحة للغروب".

بدا لكثير من عامة الناس أن الدستور الجديد مليئاً بالأخطـار. ألـن تجوز عليهم الحكومة المركزية القوية التى أقامهـا، وتظلمهـم بالضـرائب الباهظة، وتجرهم إلى الحروب فى الخارج، ولقد قـرر المـؤتمر أن يغـدو الدستور سارياً بمجرد أن تقره تسع من الولايات الثلاث عشـرة. وقبـل أن تنتهى سنة ١٧٨٧ كانت ديلاوير، وبنسلفانيا، ونيوجيريسى قد صدقت عليه، ولكن هل تتبعها ست ولايات أخرى؟.. كان واضعو النظام الجديد يشـعرون بقلق عظيم. ولقد أدى الصراع من أجـل التصـديق إلـى مولـد حـزبين: الاتحاديين (الفدراليين)، ومناهضى الاتحاد، ؟ أى الذين كانوا يؤثرون حكومة قوية، والذين كانوا يبتغون مجرد رابطة للولايات. واسـتمر النضـال فـى الصحافة، والهيئات التشريعية، والمؤتمرات السياسية فى الولايات. وتـدفقت من الجانبين المجادلات الحامية. وكانت أقدرها مفعولاً "البحوث الاتحاديـة"، التى كتبها ألكسندر هاميلتون، وجيمس ماديسون، وجون جاى دفاعـاً عـن الدستور، فكانت مجموعة قدر لها أن تصبح من روائع التأليف فى السياسة. وتجلى أن المعركة أشد أواراً فى ثلاث ولايات، هى مساتشوسيتس ونيويورك وفرجينيا. ففى مساتشوسيتس أدى التأييد القوى مـن عمـال الملاحـة فـى بوسطن، والمشتغلين بالأعمال المعدنية وغيرهم من الميكانيين، إلى تعزيـز المحاميين والتجار وقسط كبير من المزارعين،مما أفضـى بالدسـتور إلـى الفوز. وفى نيويورك، حولت بلاغة ألكسندر هاميلتون المجادل الرئيسى فى آخر الأمر، وصدعت قوات العدو، وظفرت بالتصديق بأغلبية كبيرة. أما فى فرجينيا، فإن نفوذ جورج وشنطون (الذى كان قوياً فى كل مكان)، وحجـج ماديسون القوية، ظفرت بالفوز. وعندما آن لفرجينيا أن تبت فى الأمر أخيراً،

كانت تسع ولايات أخرى قد أصدرت موافقتها، ومن ثم بات من المحقق أن تصبح الحكومة نافذة السلطان، بيد أن التأييد الكامل من ولاية وشنطون بدا أمراً لا غنى عنه، وقد استقبل بمظاهر صاحبة للفرح.

ولقد حشدت فيلادلفيا موكباً عظيماً، يوم ٤ يوليو ١٧٨٨، للاحتفال بقبول نظام الحكم الجديد. وأظهرت إحدى مناصب الموكب الرمزية سفينة الكونفدرالية المصدعة (تمثيلاً للحكومة الضعيفة بموجب مواد الاتحاد الكونفيدرالى) يقودها "الغباء، وقد امتلأت بالماء وجنحت للغرق. وأظهرت أخرى سفينة "الدستور" المتينة متأهبة لتخوض أعلى البحار. ولقد كانت مستعدة فعلاً، فقد اتخذت التدابير لاختيار الرئيس والكونجرس، ولتحقيق قيام الحكومة الجديدة فى ربيع سنة ١٧٨٩. ولم يكن على شفاه الجميع سوى اسم واحد كرئيس للدولة، فاختير وشنطون رئيساً بالإجماع. وهكذا شهدت البلاد، بعد ظلمات الأعوام الأخيرة، الشمس المشرقة التى كان فرانكلين قد حياها فى "قاعة الاستقلال". ومن الأحداث البهيجة فى مطلع التاريخ الأمريكى، حادث شاعرى ومثير للعواطف فى آن واحد، تمثل فى الرحلة التى قام بها واشنطون من ضيعته الجميلة المطلة على نهر بوتوماك ليتسلم زمام الحكم فى نيويورك. فقد انطلق فى أواسط أبريل، والربيع المكتمل يتفتح على تلال فيرجينيا. واتجه شمالاً فى طريق كانت شديدة الشبه، فى بعض مواقعها، من الطريق التى سلكها فى سنة ١٧٨١ ليأسر "كورنواليس". وأخذ الناس يتدفقون فى كل محلة وبلدة ومدينة ليحيوه بهتافات جذلة. وقام الفرسان فى فيلادلفيا بعرض منظم، وبلغ "ترينتون" بعد ظهر يوم مشمس، فى حين أنه قبل اثنى عشر عاماً عبر ديلاوير المليء بالثلوج فى جنح الظلام، وتحت العاصفة، ليوجه إحدى ضرباته الحربية الشهيرة. وهنا أخذ فريق من العذارى المتشحات بثياب بضاء ينثرن الزهور فى طريقه وينشدن إحدى القصائد

العصماء. وعلى ضفاف خايج نيويورك، انتقل إلى سفينة عبور جميلة، تولى أمرها ثلاثة عشر رجلا فى بزات بيضاء، حتى اقترب من المدينـة، أطلـق ثلاثة عشر مدفعا، وهبط ليجد المدينة مليئة بحشود مبتهجة، بينهما كثير من المحاربين فى الثورة، وفى ٣٠ \ابريل وقف فى شرفة القاعة الاتحادية فـى "دول ستريت" ، أمام جمع.

تقييم السلطة فى الدستور:

إن واضعى القواعد الدستورية اتفقوا على الجزم بأن الطريقة الوحيدة التى بها تنجو الحكومة من الاضطراب هى تقسيم هيئات التنفيـذ وهيئـات التشريع، وهيئات القضاء.

والمبدأ الرئيسى الشكلى لأسلوب دستور الولايات المتحدة هو أساس تقسيم السلطة السياسية بين مستويى الحكومة المستوى المركزى ومسـتوى الولايات (محلى). فإن نصوص الدستور مركزة علـى مشـكلات تخـص الحكومة المركزية، حينما يترك المشكلات التى تخص الولايـات للحكومـة المحلية تباشر عملها.

إذن ما هى السلطة المخولة للحكومة المركزية؟

بيان الهيئات التشريعية ينص بلسان واضح على أن معظمها ينـاط على كونجرس فى مسلسل ثمانى عشر فقرة. فنص علـى مجموعـة مـن سلطات أنبطت إلى الهيئة التنفيذية والقضائية فى الولايات المتحـدة.وهـذه السلطة هى السلوك العام، وجب تطبيقها فى الحكومة المركزية مثل تحديـد الضرائب المركزية، والإشراف على قروض الولايات المتحـدة، وتأسـيس قوانين المحكمة العليا، وتأسيس القيادة العامة. والأخرى محصـورة علـى

مستوى قومى. وعلى الحكومة المركزية تقع مسئولية تنفيذ العملة المستعملة، يحرم على الولايات القيام بنفس المسئولية القيام بنفس المسئولية وكذلك القيام بالدفاع عن مسئولية الحكومة المركزية. ويحرم علـــى الولايـــات صـــلاحية الحكومة المركزية فى القيام بعقد المعاهدات الدولية ويقوى تحريم الولايـــات بالقيام بعقد المعاهدات أو المعاملات الأجنبية دون تدخل الكونجرس.جميـــع صلاحيات الحكومة المركزية مقررة فى الدستور وفى الحقيقة أن الدســـتور نص بوضوح على تحويل مجموعة من الصلاحيات للكونجرس كما حولـــت كذلك إلى بعض أقسام الحكومة المركزية.

مع هذا فإن الحكومة الفيدرالية محصورة (مقيـــدة) لأقصـــى حـــدود سلطتها التشريعية إلى حد إعطاء مهمة بالنسبة لذلك النفوذ ويجب أن يكـــون معلوماً:-

(أولاً) أن دستور الدولة، والقوانين والمعاهدات المبرمة عليهـــا، فـــى نـــص الفقرة السادسة، (تقول إن القانون الأعلى نص على أن كل ما فى الدستور أو القوانين فى كل ولاية من الولايات يبدو مضاداً مع ذلك).

ومعنى ذلك أن جميع قوانين الولايات تعد شرعية يجب أن تخضـــع أمام القوانين الفيدرالية عندما تكون مضادة لها. بما أن القـــوانين الفيدراليـــة قوانين أسمى للوطن.

(ثانياً) عند البيان عن شرعية السلطة نص الدستور بلهجة واضحة ومرنـــة، فى الفقرة (الأولى القسم الثامن) نصاً ضرورياً على أن الكـــونجرس، تمتـــع بسلطة إنشاء القوانين تمضى للنفوذ على فوريتها فى جميع أنحاء الولايـــات التى تمارس سلطاتها تحت نفوذ الحكومة الفيدرالية.

من خلال نصوص الدستور ورد فيها أن الولايات فى أتم ضمان الأمن والسلامة فى أقاليمها، وباعتبار كل من ضمن اتخاذ نظام الحكومة المركزية وتعامل الولايات معاملة متحدة فى اختيار رئيس الدولة ونائبه وجميع أعضاء التشريعية والتنفيذية، وتتمتع بحق الاشتراك التام فى عملية تعديل الدستور الفيدرالى إن وجد وأهم من ذلك أن التعديل العاشر للدستور أجدى بالقبول عند الولايات على وجه التخصص أو الشعب عامة، لأن ذلك حق ليس مخولا للولايات المتحدة أو محرماً من قبل الدستور.

الهيئات التشريعية:

بصرف النظر عن السكان، الولايات ينوب عنها إثنين من النواب فى مجلس التشريع فى الولايات المتحدة على حد سواء. وكذلك نسبة عدد نوابها فى المجلس.

ينص الدستور على أنه لا تحرم أية ولاية من هذا الحق (المساواة فى مجلس التشريع) مجالس التشريع فى الولايات المتحدة ينتخب أعضاءها لستة سنوات فلذلك ثلث عدد النواب تنتخب كل سنتين. وانتخاب مجلس النواب يعتمد على عدد الأشخاص الذين يختارهم. وفى نفس الدستور كل عشر سنوات بعد التعداد أو إحصاء عدد السكان فإن الكونجرس تبين عدد النواب الذين سوف ينتخبون خلال العشر سنوات المقبلة. هذا العدد سوف يضرب فى عدد السكان للولاية. والنتيجة تبين العدد المطلوب إلا أنه كل ولاية مهما قل عدد سكانها لابد من أن تحظى على الأقل بنائب فى مجلس النواب. وأعضاء مجلس النواب ينتخبون لسنتين فقط إلا أن جميع الأعضاء يغيرون فى وقت واحد أو فى نفس الوقت. كل ولاية لابد وأن تقسم إلى سلطة محلية يوافق عدد نوابها فى مجلس النواب ولكنها عندما يكون العدد المعتبر للولاية

زائداً فإن تلك الولاية ليس لها حق الزيادة فى المجلس فى هذه الحالـــة فـــإن النواب يعتبرون منتخبين من قبل الولاية. كل نائب لابد من أن يكون مقيمـــاً فى الولاية التى أنتخب فيها. من ضمن نصوص الدستور أن مجلس النـــواب (له صلاحية فى طرد أو إقالة فى الفقرة الأولى القسم الثانى فرعه الخامس) وعلى أى حال فإن نائباً له نفوذ فى محاولة الإقالة (فى الفقرة الأولى القســم الثالث فرعه السادس) أو بعبارة أخرى فالمجلس الأصغر يجــب أن تقــوم شكواها أو تقاريرها ولكن للمجلس الأكبر أن يستفيد منها كشرعى.

أسلوب رئيس الجمهورية والسلطة القضائية:

فى دستور الحكومة الفيدرالية الحكومة أو المركزية يطبق أســلوب رئيس الجمهورية رئيس تنفيذى ضرب من التفريق بين مجلس الوزراء فـــى المملكة المتحدة والبلدان الأخرى. فى نظام الرئيس الجمهورى الحريةِ حرية التنفيذ ينتخب لمدة معينة ويتخذ المكتب فى خلال تلك المدة وذلـــك بغــض النظر فى أن يكون مشاركاً الحزب بين هيئات التشريع أم لا. هيئات التشريع مجموعة من الأشخاص ينتخبون لمدة معينة، وليس هناك سلطة فـــى هيئـــة التنفيذ تلغى صلاحيتهم للمكتب أو تطلب إعادة انتخابهم فى أى وقت. بطريقة التقسيم للسلطات كما تطبق فى الولايات المتحدة تمنع أى عضو من هيئـــات التنفيذ أن يتخذ له صوتاً أو مكاناً فى هيئة التشريع، وتحــت هــذه القاعــدة لرئيس الدولة الشرعية تنفيذية وزيادة على ذلك له اســتعمال حــق الفيتــو المخول إليه سلطة كبيرة أن يتدخل أو يوجه سلطته التشريعية.

دور حكومات الولايات:

تعتبر الولايات فى النظام الفيدرالى وحدات ذلــك القطــر، ولــيس حكومات مستقلة عن الدولة. والصلاحيات الممنوحة للولايات وفقاً للبند رقم عشرة من الدستور تنص على الهدف الرامى لإقامة دولة واحــدة. وتمنــع الولايات، إلا بموافقة الكونجرس الأمريكى من الاحتفاظ بقوات مســلحة أو سفن حربية فى وقت السلام، أو التدخل فى معاهدة مع دولة أخرى أو تمارس أى نشاط من قوى أجنبية، أو تشارك فى حرب. ويحظــر علــى الولايــات الدخول فى أحلاف أو معاهدات.

هذه التحذيرات تسلب الولايات من أى وجــود مســتقل كحكومــات مستقلة قائمة بذاتها. بالرغم من هذا فإن سلطات الحكومات كالولايات تعتبر سلطات واسعة ومفهومة. وفيما عدا الالتزام بأن يكون شكل الحكم جمهوريا، فإن الولاية تقوم بتنظيم أجهزتها المركزية المحلية ودعم تلك الأجهزة.

تمثل المحاكم أكبر جهاز قانونى يحمى الأفراد ومكافحة الجريمــة. ويقع التعليم تحت الإشراف المباشر للحكومات فى الولايات، وكذلك ســائر المنشآت والطرق البرية وكل ما يقع تحت دائرة اختصاص الحكومة المحلية مما يعنى بمتطلبات المواطن.

ودور الحكومة الولاية فى الحكومة الاتحادية (المركزية) له عدة أوجه:

فى انتخاب رئيس الجمهورية تتعامل كل ولاية على أنها شيء قــائم بذاته. فالرئيس لا ينتخب بواسطة غالبية كل الناس ولكن بمجموع الأغلبيــة فى الولايات. ومما يعزز قوة الحكومة المحلية فى الولايــة ذلــك الاعتبــار

الخاص غير المكتوب الذى يتقبل الرئيس بموجبه توصيات بعض الرسميين الاتحاديين العاملين ضمن إطار الولاية المعينة.

مؤتمر انديانا بولس:

بالرغم من الحاجة الظاهرة لعمل متفق عليه كانت ولايات فرجينيا ، نيوجيرسى، ديلاور نيويورك، بنسلفانيا، ممثلة فى مؤتمر انديانا بولس ولم يذكر ممثلين من ميرلاند الولاية المضيفة للدعوة وولاية كونكيتكوت وجورجيا أو جنوب كارولينا.

مع أن الممثلين اختيروا من هاميسير وماساشوستس وجزيرة رود وشمال كارولينا ولكنهم لم يحضروا من بين إثنى عشر رجلاً ذهبوا إلى انديانا بولس "الكسعد هاميلتون" وجيمس ماديسون وخاصة أملوا أن يوسعوا جدول أعمال كى يشمل أكثر من الأمور التجارية وأنيستفيدوا من الاجتماع لمراجعة شاملة لبنود الإتحاد. وأدرك الممثلون أن خمسة فقط من والولايات الثلاث عشرة الممثلة لا يستطيعون أن يتناولوا بالتغيرات من البنود.

لذلك خططوا أن يخاطبوا الولايات المتحدة المنظمة للسلطة المعطاة لمندوب نيوجيرسى كممثل مفيد وجانبين على اجتماع آخر لأعضاء اللجنة المنظمة من كل الولايات أن يستدعى كى تفحص كل العيوب فى نظام الحكومة وتضع مشروع كى تصححها عند الموافقة على هذا الإعلان وسع المندوبون سلطتهم إلى أقصى حد ونتج عن ذلك الدعوة إلى الاجتماع الدستورى وصدق على القرار بواسطة "الكونتينتال كونجرس" تحت تحريض

ماديسون تجاوبت إثنتى عشرة ولاية (كلهم ماعدا جزيرة رود) وفى مـايو ٢٥ عام ١٧٨٧ مجموع ٥٥ ممثلاً بدعوا الاجتماع فى فلادلفيا.

الدستور المرن

لقد وردت إجراءات تعديل الدستور فى البند الخامس منه ويمكن أن يتم التعديل بثلثى الأصوات فى مجلس النواب والشيوخ. أو بناء على تبنـى مجلس النواب (الكونجرس) لتشريع يتم تطبيقه فى ثلثى الولايات. وبـالرغم من أن اقتراحات بالتعديل يتم تقديمها من حين لآخر إلا أن غالبية التعديلات تتم بواسطة مجلس النواب وتتم إجازة التعديل بموافقة ثلاثة أرباع الأعضاء أو بموافقة أكثر مؤتمرات الولايات وعلى مجلس النواب (الكونجرس) اختيار ما يراه من هذين الإجراءين. والتعديل الحادى والعشرين لعام ١٩٣٣م والذى نقص التعديل الثامن عشر (تعديل المنع) هو الوحيد الذى استخدم فيه قـرار موافقة مؤتمرات أغلبية الولايات.

ومن سنة ١٧٨٩ م وحتى منصف السبعينات من القرن العشرين لـم يتم سوى ستة وعشرون تعديلاً. وبما أن التعديلات العشرة الأولـى لوثيقـة الحقوق قد تمت كلها فى سنة ١٧٩١م وتمت متفردة لمجرد تسـهيل عمليـة الاقتراع عليها فليس صحيحاً القول بأن الدستور قد عدل ستاً وعشرين مـرة وإنما الصحيح أنه قد عدل سبع عشرة مرة فقط فضلاً علـى أن التعـديلين، الحادى عشر الخاص برفع قضايا على الولايـات المتحـدة فـى المحكمـة الفيدرالية، والتعديل الثانى عشر والذى صحح خطأ فى الإجراء الأساسـى للكليات المنتجة كانا ذوى صبغة فنية والتعديل الحادى والعشرون كان فقـط ناقضا للتعديل الثامن عشر. أما التعديلات الثالـث عشـر والرابـع عشـر والخامس عشر وهى من أهم التعديلات الدستورية فقد جاءت نتيجة لانتصار

جيش الشمال واحتلال الجنوب نهاية الحرب الأهلية الأمريكية (عام ١٨٦١ - ١٨٦٥م).

وإذا أيد قانون الولاية تعديل مقترح كانت المحكمة العليا قد عارضته سلفاً فإنه لا يحق للولاية أن تعيد النظر فى اقتراحها وتصوت ضده فيما بعد. أما إذا صدقت الولاية ضد تعديل مقترح ورأت فيما بعد أن تؤيده فيجوز لها ذلك (كولمان ف ميللر سنة ١٩٣٩).

إحدى الأسباب التى جاءت فى تبرير هذا الإجراء المزدوج هو أن الدستور يهتم عادة بالتأيي، وسبب آخر أقوى من هذا هو أن المحكمة تعتقد أن هذه مسائل سياسية ومن اختصاصات الكونجرس.

وإذا رغب الكونجرس فى أن يوافق على مؤازرة التعديل أو اختيار تجاهل قرار المشروع فى تغيير وجهة نظره فالمحكمة ترى أن ليس لها فى مقدورها عمل شيء فى هذا الخصوص.

وفى حالات التعديل الثامن عشر. والعشرين والحادى والعشرين. والثانى والعشرين والتعديل السابع والعشرين المقترح فقد أقر (الكونجرس) أن تتم الموافقة خلال سبع سنوات لكل. وبينما نجد البند الخامس لا يشير إلى مدة محدودة للتأييد. فإن المحكمة العليا قد أفتت بأن تحديد فترة معينة يعتبر تدخلا مقبولا من سياق اللائحة إذ أن عملية التقدم بالتعديل وعملية الموافقة عليه مرحلتان متلازمتان.

وثيقة الحقوق:

عندما عقدت مؤتمرات بالولايات للمصادقة على الدستور كانت هناك مقترحات للتغير جاءت من جميع الولايات تقريبا وتمركزت جميعا فى فقدان وثيقة للحقوق. وكان توماس جيفرسون ممن أهم الدعاة للوثيقة بالنسبة للدستور الفيدرالى ففى عام ١٧٨٧م كتب جيفرسون من باريس إلى جيمس ماديسون قائلا: "أن وثيقة للحقوق هى ما يتطلع إليه الجمهور ضد إفتاء الحكومات".

ووثيقة الحقوق تستمد أصولها من الوثيقة العظمى (ماجناتشارتا) (وثيقة الحقوق الانجليزية) ومن النضال الإستعمارى ضد الملك والبرلمان، يصحب ذلك إحساس متزايد بالعدالة لدى الشعب الأمريكى. وإعلان فرجينيا للحقوق والذى أعده جورجِ ماسون عام ١٧٧٦م يعد نموذجا لما تكون عليه الحقوق لولاية ما.

والدستور فى عمومه يحمى عددا من الحقوق، فهو يمنع رفع المر بالمثول أمام المحكمة إلا فى حالات الثورة أو الغزو (٩،١) ويمنع القرارات الفيدرالية لتجريد المرء من حقوقه، والقوانين ذات الأثر الرجعى (١٠،٩،١) التى تتطلب عرض القضايا والجرائم ضد الولايات المتحدة على محاكم فى الولايات التى تمت فيها هذه الجرائم (٢،١١١) وتجدد التعريف، والمحاكمة، وعقوبة الخيانة (٣،١١١) وتمنع الأتعاب (٩،١) وما يشبه محاكم التفتيش عند تولى المناصب الحكومية(١٧) وضمان قيام نوع من الحكم الجمهورى فى كل ولاية (٤،١٧) والتأكيد على كل مواطن وتمتعه بامتيازات وحصانات المواطنين فى العديد من الولايات (٢،١٧). وقد بدأ عدم الرضا عن هذه القيود والحدود فى العديد من مؤتمرات الولايات.

التعديلات الحادى عشر والثانى عشر:

هنالك تعديلان هامان حالا دون المصادقة على وثيقة الحقوق فى عام ١٧٩٥م يمنع رفع دعاوى ضد الولايات فى المحاكم الفيدرالية وتولى التعديل الثانى عشر تصحيح خطأ دستورى وقع أثناء انتخابات الرئاسة سنة ١٨٠٠م. فقد كان الفوز فى تلك الجولة السياسية من نصـيب الجمهـوريين توماس جيفرسون وأرون بور فقد حصلا على ٧٥ من أصوات الناخبين ولما كـان على ناخب أن يمنح صوتاً لجفرسون وآخر لبور (كما ينص الدستور) فقـد انتهى الاثنان إلى وضع متأزم خاصة وأن بور والذى كان مؤملا أن يكـون نائبا للرئيس قد رفض أن ينسحب من الترشيح للرئاسة وعرض الأمر علـى مجلس النواب حيث كان الفيدراليون أغلبية ضعيفة(إذ ظلوا فى مناصبهم حتى يتم تولى الفائزين الجدد). وخلافا لرغبة هاملتون الذى كان يرى أن بور من العصاه من المتمردين فإن الفيدراليين قد أيدوا بور وعقدوا أمر المجلس فـى ست وثلاثين محاولة اقتراع. وقد وردت هذه المشكلة فى التعديل الثانى عشر الذى تم فى سنة ١٨٠٤م والذى ينص على أن يكون انتخاب كل من الرئيس ونائبه منفصلين.

تعديلات الحرب الأهلية:

لقد كانت التعديلات الثالث عشر والخامس عشر من النتائج المباشرة للحرب الأهلية فالتعديل الثالث عشر (١٨٦٥م) حرم تجارة الرقيق بينما ينص التعديل الخامس عشر (١٨٧٠م) على الحرمان من حق الانتخـاب بسـبب العرق واللون أو حالة العبودية سابقا ولفترة ما اعتبر التعديل الرابع عشـر (١٨٦٨م) بواسطة المحاكم على أنه خاص بالرقيق الذين تم تحررهم وهـو ينص على أن كل من ولد أو ترعرع فى الولايات المتحدة فهو مواطن بهـا

ومن سكان الولاية التى يعيش بها (ويعنى هذا أن السود مواطنون دون اعتبار لحالة الرق التى كانوا عليها) وينص التعديل أيضاً على أنه "لا يحق لأى ولاية أن تسن قانوناً ينتقص من حرية المواطن المريكى أو يقلل من الحصانات التى يتمتع بها أو أن تسلب حياته أو حريته أة أى من ممتلكاته الخاصة دون إجراء قانونى أو أن يحرم أى مواطن من حق التمتع بحماية القانون.

وبينما نرى أن تعديلات الحرب الأهلية هذه لا تصرح بوضوح للولايات تلك الضمانات الواردة فى التعديلات العشر الأول، فإن المحكمة العليا أوضحت فيما بعد أن العبارات "الحرية" وبإجراء قانونى "الواردة فى التعديل الرابع عشر تنصان على عد تخول الولاية الحقوق الأساسية الممنوحة للمتهمين فى وثيقة الحقوق الأساسية.

والحقوق الأساسية المشار إليها واضحة فى مفهوم الحرية المنظمة إذ أنه لو تمت التضحية بها فلن تكزن هناك حرية أو عدالة (القاضى بنجامين كاردوزو سنة ١٩٣٧م).

وهكذا فإن كثيراً من الحصانات القانونية ضد تخول الفيدرالية والواردة فى التعديلات الأول، والرابع والخامس، والسادس، والثامن امتدت لحماية الفرد من تخول مماثل من الولايات. وعليه فقد حقق التعديل الرابع عشر من الإصلاح الدستورى ما كان يطمح إليه ماديسون فى البند الثالث عشر من وثيقة الحقوق ذلك البند الذى لم يسمح مجلس الشيوخ بإجازته وتقديمه للجمهور.

الحكومة الثلاثية

فصل السلطات

كان البديهى بالنسبة لواضعى الدستور أن هناك وسيلة واحدة للحد من تخول السلطة التى يخططون لها. وذلك بفصل السلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية عن بعضها البعض.

ومن الواضح أن واضعى الدستور قد تأثروا بأفكار القرن السابع عشر وبآراء الفيلسوف الإنجليزى جون لوكى فقد جاء فى رسالتيه عن الحكم (١٦٩٠) دحضه للنظريات المطلقة للحكم: "أن تكون لحرية المحكومين صوت مسموع وموقف من الحكم.. حرية تتبع حريتى ورغبتى فى كل الأشياء التى يمنعها الحاكم، إلا أن أكون خاضعاً لرغبة متقبلة مهزوزة عشوائية لإنسان آخر".

والتحقيق مثل هذه الحرية يفضل لوكى دستوراً مزيجاً من السلطة التشريعية وهذه تتم بالانتخاب، وتنفيذية وهى عادة تتركز فى شخص واحد هو الملك على عهد لوكى. وعليه فهو من الدعاة للفصل بين السلطة التشريعية والتنفيذية. والناس حكام فى النهاية وإن لم يتضح أين تستقر السلطة المباشرة حسب نظريته.

وذهب الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو فى كتاباته بعد جيل من لوكى على خطوة أبعد فى فصل السلطات. فقد ورد فى مقالة "روح الحكم" وهو من الإضافات العظمى إلى النظرية السياسية- هجرة للتصنيف الكلاسيكى لأنواع الحكم: الملكي، والأرستقراطية، والديمقراطية. ووضع لكل نوع نظرية مضادة: الجمهورية وتستند على الفضيلة، والملكية وترتكز على الشرف والدكتاتورية وأساسها الخوف والإرهاب.

وأشهر فصل فى هذا العمل كتب فى سنة ١٧٣٤م وعند نشره فى سنة ١٧٤٧م كان أهم عمل فى حقل السياسة فى القرن الثامن عشر فلقد حظى بالإعجاب وأعتبر حجة فى بريطانيا وأوصى بالكثير من إعلان حقوق الإنسان فى الثورة الفرنسية وكان له أثره الكبير فى دستور الولايات المتحدة. وفى هذا الفصل قد بدا واضحاً فصله للسلطات الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية.

وأكد أنه فى الدولة التى تكفل الحرية وتطورها لابد أن تتولى هذه السلطات الثلاث أجهزة مستقلة تماماً عن بعضها البعض.

وبريطانيا هى البلد تم فيه تنفيذ هذه الفكرة بكل حرفيتها فقد أصبح فصل هذه السلطات شيئاً تقليدياً. وليس للسلطة التنفيذية أن تتدخل فى الممارسات القضائية وعلى العكس فقد اعتبر من الصواب بل الحق أن يتدخل القضاء فى الممارسات التنفيذية فى حالات تصرف الوزراء أو الأجهزة بصورة غير قانونية وللقضاة أن يصدروا أحكامهم بقانونية النشطة التنفيذية أو عدم قانونيتها وبهذه الصورة أصبحت فكرة حكم القانون تثبيت تدريجياً فى الأذهان.

الأسلوب الأمريكى

لقد سادت فكرة تقيد السلطة التنفيذية بالسلطة القضائية فى الولايات المتحدة إلا أن بعض مظاهر نظرية الفصل الأخرى قد اعترف بها التشريع كما ورد فى الدستور الفيدرالى ودساتير الولايات لقد كانت فكرة الفصل بالنسبة للزراع غير عملية وعليه فقد سعوا إلى تعديل الوضع بإضافة "ضوابط وأوزان" تستطيع عن طريقها أن تقدم كل سلطة السلطات الأخرى

وتحد من غلوائها. ولقد زاد هذا من سلطة المحاكم ومراقبتها للجهاز التنفيذى للدولة.

وعلى ضوء هذه التجربة التشريعية فقد وضح أن فصل السلطات الثلاثة بعضها عن البعض ما هو إلا إحدى العوامل لحل أشمل للمسألة التشريعية. وكيف يمكن الذهاب بهذا الفصل إلى مدى بعيد دون أن يكون لذلك أثره على تخلخل الحكم وتفككه فالنظام الفيدرالى حيث يتم فصل السلطة بين حدود تشريعية يعتبر وسيلة أخرى لتحقيق هذه التجربة وتجربة الفصل تحت هذا افطار تخلو من ذلك التحجر والانقياد الأعمى الصرف. ولقد تميز الدستور الأمريكى بمزجه بين عمليتى فصل السلطات مع التقسيم الجغرافى الفيدرالى.

لقد تعرض فصل السلطات إلى هجوم حاد باسم الديمقراطية والكفاءة من الفاشيين والشيوعيين الذين عارضوا الفكرة من أساسها، وأصروا على الحاجة إلى تركيز السلطات جميعها فى يد الحزب الحاكم والذى يملى على التحول الثورى على المجتمع ومع نهاية ابقرن الثامن عشر بدأ الفيلسوف الإنجليزى جيرمى بنثام ونقاد آخرون فى معارضة الأثر السلبى بفصل السلطات وأكدوا على عدم مرونة النظام وتوقفه عن العمل. كما أن أنظمة الحكم الدكتاتورى وذات الحزب الواحد التى تلت الحزب قد دعت الكثيرين لإعادة النظر فى نظام فصل السلطات وهناك خلاصة واحدة تبدو واضحة وهى أن الديمقراطية الدستورية تفترض نظاماً متزناً بفصل السلطات إذ أنه بهذا النظام وحده يستطيع المواطن أن يستمتع بقدر من الحرية والاستقلال عن طريق الحريات المدنية.

الكونجرس

توجد الجذور التاريخية للكونجرس الأمريكى فى الجمعيات البرلمانية فى العصور الوسطى. ومنذ تلك المدة نشأت فى المجتمعات الغربية مفـاهيم التمثيل على أساس الانتخاب على نطاق واسع للمناصب العامـة والوظيفـة التشريعية الموسعة التى تشمل الرقابة العامة على الحكومة الوطنيـة. وقـد شكلت الأفكار السياسية التى كانت سائدة فى القرن الثـامن عشـر الهيكـل الرسمى للكونجرس، والسلطات القانونية المتمثلة فى دستور مكتوب والعلاقة بين الكونجرس والرئيس.

إن النظرية الأساسية التى يعمل الكونجرس بمقتضاها هى أن كافـة العمال الرسمية تكون لها قاعدة قانونية. وهذا يعنى أن الكونجرس يجـب أن تكون له علاقة رقابية مع بقية الحكومة ومع المجتمع بوجه عام كى يتحقـق أن القانون الحالى كاف، وأن يخلق قانونا جديدا إذا اقتضت الضرورة. لقـد أصبح الكونجرس جهازا سياسيا تنظيميا عظيما لتسوية الصراع فى المجتمع وكذلك أصبح مؤسسة تراقب الإدارات الحكومية عن طريق القانون ومعايير الموظفين والقواعد، والانتقاد.

لقد أوجد الدستور الأمريكى لعام ١٧٨٩م الكونجرس وله مجلسـان لهما سلطة قانونية محددة، ينفصلان فى تركيبهما عن الإدارة التنفيذية والنظام القضائى وللمجلسين وظائف مماثلة ينتهى بها إجراءات متشابهة فى وظائفها ولكن هناك بعض الفروق.

ومنذ القرن الثامن عشر زاد عمل الكونجرس أضـعافا مضـاعفة، ولكنه أثبت مرونة واضحة فى التكيف مع تلك المتطلبات. إن السياسات التى

تنبتها السلطة التشريعية على مدى السنين تعكس لا محالة تاريخ الولايات المتحدة التى تنعكس بدورها فى القوانين العامة. وكذلك فإن الخلافات السياسية التى خاضها الكونجرس والحلول التشريعية التى توصل إليها إنما هى جزء لا ينفصل عن سرد تاريخ الولايات المتحدة.

لقد نشأ الكونجرس بموجب دستور عام ١٧٨٩م وصدرت قوانين وأحكام التوزيع الانتخابى عن طريق الكونجرس الأمريكى ممثلة بالمندوبين الذين تكلموا ومثلوا شعب الولايات الأمريكية المستعمرة من عام ١٧٧٤-١٧٨٩م.

وفى المؤتمر الأول للكونجرس أوجدوا كلمة "الرئيس" وكلمة الكونجرس واختاروا السيد بيتون رائد ولف من ولاية فرجينيا رئيسا للكونجرس. لقد كانت الطريقة الانتخابية التى يجب إتباعها موضوع مناقشة منذ وقت مبكر واقتراح السيد باتريك هنرى على إعطاء نفوذ لممثلى أى ولاية حسب عدد سكانها. ولكن الممثلين القادمين من الولايات الصغيرة أصروا على أن يخصص لكل مستعمرة صوت واحد واشترطوا تحقيق رغباتهم مقابل موافقتهم على إنشاء الاتحاد.

لقد رفض المؤتمر الأول الكونجرس الأمريكى خطة تقضى بأن يطاب إلى السلطات البريطانية الإذعان والموافقة على تحرير المستعمرات. واستعاضوا بدلا عن ذلك بتصريح يطالبون فيه بالحقوق الفردية والحرية وحق الملكية والتجمع وأن تكون المحاكمة بهيئة محلفين. كما تضمن التصريح رفضهم للضرائب بدون تمثيل كما رفضوا بقاء الجيش البريطانى فى المستعمرات بدون موافقة.

لقد أرسل المؤتمر الأول التماسا إلى الملك وخطابا إلى الشعب البريطانى طالبا من بريطانيا العظمى إصلاح ذات البين ورفع الضيم المتراكم منذ عام ١٧٦٣م وإعادة العلاقات التى كانت قائمة بين البلد الأم والمستعمرات على ما كانت عليه فى ذلك التاريخ ودعى الكونجرس إلى إقامة روابط ما بين المستعمرات للتخفيف من الضغط الاقتصادى على البلد الأم.

لقد أصدر المندوبون قرارا لدعوة الكونجرس للانعقاد مرة ثانية من أجل اتخاذ قرارات لاحقة على ضوء سلوك الحكومة البريطانية فى تلك الفترة.

بدأت الاشتباكات والمنازعات فى ليكنجتون وكونكورد قبل انعقاد المؤتمر الثانى فى عام ١٧٥٥م. وقد تبنى الكونجرس فى المؤتمر الثانى قرارا بتجميع القوات العسكرية الإنجليزية الجديدة فى بوسطن بعد معركة ليكنجتون وكونكورد وعينوا جورج واشنطن قائدا عاما للجيش الأمريكى، وشكلوا إدارة عامة لحرب المستعمرات وهى بمثابة حكومة للولايات المستعمرة تتصرف بالأموال (إصدار واقتراض الأموال) وتشرف على الخدمة البريدية وعلى الأسطول البحرى. وفى تاريخ ٢ يوليو (تموز) من عام ١٧٧٦م أحال الكونجرس قرارا إلى ولاية نيويورك يقضى بأن تكون الولايات حرة ومستقلة، وبعد يومين وافقت على القرار كخطوة نهائية وحاسمة.

لقد استمر الكونجرس بتوجيه المجهود الحربى الأمريكى كما أعدوا المواد المتعلقة بالكوفدرالية وبعد مصادقة جميع الولايات عليها أصبحت تلك

المواد دستورا نافذا للولايات المتحدة اعتبارا من عام ١٧٨١م ولغاية ١٧٨٩م. حيث استبدله الكونجرس فى ذلك العام بدستور آخر جديد.

لقد كشف المناقشة التى جرت فى عام ١٧٨٧م من أجل التصديق على الدستور عن مفاهيم واسعة ومخيفة من احتمال حدوث تجاوزات وتقصيرا من قبل الحكومة القومية. وقد كان الأمة وصول الرئاسة الاستبدادية إلى الحكم حيث كان الآباء الأولون متلهفين لإبعاد الدكتاتورية عن الحكومة القومية. لقد ظهرت بعض المشاكل لدى حكومة الكونجرس ولكنه أصبح كالمكتبة حيث ظهرت عدم كفاية مواد الكونفدرالية التى أذيعت تحت ضغط الحرب لحل المشاكل التى تواجه الهيئة التشريعية.

الفصل الثالث

مبدأ منرو والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية

المشكلة الجديدة التى ستواجه الولايات المتحدة فى هذه المرة لا تختص بحدودها هى، وإنما يختص بالدول الجديدة التى ستنشأ فى أمريكا الجنوبية، هى تختص بالمستعمرات الأسبانية والبرتغالية فى هذه القارة. لقد ثارت هذه المستعمرات على الحكم الأسبانى مقتدية بالولايات المتحدة فى ثورتها ضد الحكم الإنجليزى، ولخضوع اسبانيا للحكم الفرنسى خلال العهد النابليونى. ولقد فضلت تلك المستعمرات الانفصال عن أسبانيا، فلا فائدة ترجى من بقائها تحت حماية دولة لا يمكنها الدفاع عن نفسها.

ورأت الولايات المتحدة أن قضية هذه الدول الناشئة هى قضية الحرية، وهى القضية الأمريكية. ووجدت الولايات المتحدة فى انجلترا أكبر نصير لها فى رفع علم الحرية فى أمريكا الجنوبية. ولما وثقت الولايات المتحدة من تأييد انجلترا الصادق وجدت من نفسها القوة لتنادى بالمبدأ المشهور بمبدأ منرو.

موقف انجلترا من مبدأ منرو

كان موقف الولايات المتحدة معتمداً بلا شك على موقف انجلترا، وتفوق القوى البحرية الإنجليزية فى ذلك الوقت هو الذى جعل لنظرية منرو قوة، وجعل لها أثراً بيناً محترماً. ولذا يحق لكاننج وزير خارجية انجلترا فى

ذلك الوقت أن يقول: "أنه أيد الدنيا الجديدة لكى يحفظ التوازن فى العالم القديم" ويقصد بذلك أنه ناصر حركة الحرية فى أمريكا الجنوبية لكى يضع حداً لنمو قوى الاستبداد فى أوروبا.

لم يكن كاننج هو الذى وضع قرار الاعتراف بدول أمريكا الجنوبية، فلقد تضمنته التعليمات التى أرسلها سابقة كاسلريه إلى ولنجتن Wellingten ممثل انجلترا فى مؤتمر فيرونا Verona (١٨٢٢) . ولكن فى عهد كاننج تم تنفيذ ذلك القرار. والذى أثار هذه المشكلة المعقدة رغبة الدول الكبرى الأوروبية الاستبدادية تكليف فرنسا القضاء على الثورة التى قامت فى أمريكا الجنوبية ضد الحكم الأسبانى.

وإذا وجدت انجلترا أن فرنسا قد عقدت العزم على اقرار الأمور فى أسبانيا وفق مشيئة الرجعيين، فإن انجلترا قد عولت على منعها ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة، وخصوصاً إذا حاولت قوات فرنسا عبور الأطلنطى والتدخل فى مسائل أمريكا الجنوبية، لأن مصالح انجلترا التجارية ستكون إذن فى خطر مبين. ولذا يقترحكاننج أن تدعى الولايات المتحدة إلى مؤتمر فيرونا، وهو مؤتمر قررت دول أوروبا الكبرى عقده للنظر فى شئون أسبانيا، وكانت قد قامت فيها ثورة ضد الاستبداد، ثم للنظر فى أمور ولايات أمريكا الجنوبية الثائرة على الحكم الأسبانى.

يقترح كاننج أن تدعى الولايات المتحدة إلى مؤتمر فيرونا، وأن تشترك فى مناقشته، لأن انجلترا وقفت فى شبه عزلة سياسية فى القارة الأوروبية، فما كانت تستطيع الموافقة على مبادئ الاستبداد والرجعية السائدة. وكان الرأى العام فى انجلترا فى ذلك الوقت ميالا لمناصرة حرية الشعوب ومناهضة النظام الأوروبى القائم على ضغط آمال الشعوب والحد

من حرياتها. ثم ما كانت انجلترا تستطيع أن تنسى أن مصالحها بحرية قبل أن تكون قارية، وأن لها تجارة مهمة مع أمريكا الجنوبية. وأن هي دولة رأسمالية تهتم بالإنتاج الصناعى الكبير ومحتاجه إلى أسواق عالمية. فهى إذن مستعدة لأن تعترف باستقلال الدول الثائرة فى أمريكا الجنوبية مهما أساء ذلك إلى عواطف أسبانيا التى كانت حليفتها بالأمس ضد نابليون.

ثم لماذا تؤيد انجلترا سياسة روسيا وهى مختلفة معها فى سياستها فى المسألة الشرقية، فى مسألة اليونان وغيرها من مسائل أوروبا. والولايات المتحدة بعد ذلك الحليف الطبيعى لبريطانيا العظمى، فهى ترحب بتأييد وجهة النظر الإنجليزية، لأنها تخشى وجود دول أوروبية قوية مجاورة لها فى الأمريكتين، ثم هى ترقب مطامع فرنسا وروسيا فى العالم الغربى بعين القلق.

على أنه إذا كان لانجلترا أثر كبير فى ظهور مبدأ منرو، فإنها لم توافق فى ذلك الوقت على هذا المبدأ الخطير، فلقد كانت سياسة انجلترا العمل على الوقوف أمام ازدياد نفوذ الولايات المتحدة فى أمريكا الجنوبية، بل ولقد عارضت فعلاً الفكرة التى ترمى إلى قيام جامعة أمريكية تحت إشراف الولايات المتحدة فأعلنت "أن أى مشروع يرمى إلى وضع الولايات المتحدة على رأس اتحاد أمريكى ضد أوروبا لا يجد قبولاً من الحكومة الإنجليزية" لقد كانت خشية انجلترا من أن يتفوق نفوذ الولايات المتحدة فى أمريكا الجنوبية كخشيتها من أن يتفوق نفوذ أى دولة أوروبية كبرى فى الأمريكتين. ولقد تحدت انجلترا فعلاً هذا المبدأ حين احتلت جزائر فوكلاند فى سنة ١٨٣٣ دون أن تغير احتجاج الأرجنتين اهتماماً كبيراً، وأما الولايات المتحدة فلم تحرك ساكناً وآثرت الصمت.

أما من حيث مبدأ منرو، فلم يكن الرئيس منرو أو من فكر فيه. ولم يكن الدافع للمناداة به هو الدفاع عن حرية الشعوب الأمريكية في تقرير مصيرها فحسب، كما أن ذلك المبدأ لم يكن من صنع منرو وحده، وإنما هو - كما رأينا - إلى حد كبير راجع إلى سياسة انجلترا الخارجية إزاء شئون أمريكا الجنوبية، ثم هو وليد الظروف التى مرت بها أمريكا فى نهاية الربع الأول للقرن الماضى، وربما كان الفضل فيه راجعاً إلى جون كوينسى آدمز وزير الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس منرو. على أنه لا يستطاع انكار فضل الرئيس منرو فى تقنين ذلك المبدأ، فهو بلا شك المرجع الأعلى للسياسة الخارجية الأمريكية.

لقد وجدت الولايات المتحدة على حدودها دولاً أوروبية كبرى لا تطمئن إلى نواياها، ودولاً أخرى كان ضعفها مغرياً للدول الأخرى القوية بالتدخل فروسيا تعمل على التوسع فى المحيط الهادى وعلى شوطئه الأمريكية فى أقصى الشمال عند مضيق بيرنج. وأسبانيا فى حالة انحلال سياسى واجتماعى تنذر بتدهور امبراطوريتها فى الأمريكتين. وربما كانت السياسة الروسية لا الأسبانية هى التى دعت الولايات المتحدة إلى إعلان مبدئها الخطير.

وفى سنة ١٨١٣ كانت روسيا صديقة للولايات المتحدة داعية للوئام بينها وبين انجلترا ولكن فى سنة ١٨١٩ كانت روسيا صديقة لأسبانيا الرجعية مؤيدة السياسة الاستبدادية، ومناهضة للنظم الديموقراطية، ثم هى تعمل فوق ذلك على التوسع فى المحيط الهادى. وكان ذلك التوسع دون ريب من العوامل التى دعت إلى التقارب بين الدولتين الإنجليزية والأمريكية فى سنة ١٨٢٣.

لقد اهتمت الولايات المتحدة فى السنوات التى سبقت هذه السنة بتوطيد علاقتها مع روسيا فكان بين الدولتين نوع من التعاطف والود، وروسيا مثل الولايات المتحدة تنادى البحار.

ولكن روسيا برزت من العهد النابليونى ممتازة مع أوروبا، تنادى بضرورة تعضيد الحلف الأوروبى المقدس، وتدعو إلى توثيق الصلة بين الملوك وتأييد الملكية. وكانت تبغى ضم الولايات المتحدة إلى ذلك الحلف. وسعت لإقناع الولايات المتحدة برأيها ولكن صداقة القيصر الروسى لأسبانيا، وتعضيده المبادئ الاستبدادية جعلت تدخله فى مسائل أمريكا الجنوبية أمراً محتمل الوقوع فالروسيا لا تميل إلى الموافقة على تكوين دول مستقلة عن أسبانيا فى أمريكا الجنوبية وكان يحفزها إلى ذلك مبدأ نصرة أصحاب الحقوق الشرعية ولم تكن سياسة القيصر قائمة على المبادئ المثالية فحسب، بل مصالح روسيا القومية الأوروبية الملكية.

وأجاب آدمز، وزير الخارجية الأمريكية على دعوة الروسيا لكى تنضم الولايات المتحدة إلى الحلف المقدس بأن الولايات المتحدة تقدر مبادئ الحلف المقدس حق قدرها. ولكن الولايات المتحدة تخدم هذه المبادئ وتحسن صنعاً لو نفضت يديها من المشاكل الأوروبية المعقدة، وأن من الخير لرفاهية أوروبا وأمريكا أن يبقة نظام أوروبا السياسى منفصلاً ومتميزاً عن النظام السياسى الأمريكى.

لم يكن مرمى القيصر الروسى من وراء ذلك الطلب خدمة المبادئ المسيحية فحسب، فربما كان دافعه الأول هو خشية اتفاق الولايات المتحدة وانجلترا على سياسة أمريكية مناهضة لسياسة دول الحلف المقدس. ولقد زاد القلق فى الولايات المتحدة حين انتشرت الإشاعات التى تقول بأن أسبانيا

تنوى التنازل عن كاليفورنيا لروسيا، لا سيما وأن روسيا أعلنت فـــى ذلـــك ' قت إشرافها التام على سواحل المحيط الهادى الشمالية آســيوية كانـــت أو ـريكية، هذه السواحل المشرفة على مضيف بيرنج، دعن هذه الظروف إذن الولايات المتحدة لتحديد موقفها إذا حاولت أوروبا التدخل الفعلى فى شـــئون أمريكا الجنوبية.

فأعلنت الولايات المتحدة أولاً حيادها إزاء المشاكل الأوروبية، فهى مسائل لا تعنى الولايات المتحدة، وبينت فى نفس الوقت أن مصلحتها تقتضى الاعتراف بالشعوب الثائرة فى أمريكا الجنوبية، فقـد كانـت أعمـال دول التحالف المقدس فى مؤتمرى ترباو وليباخ منذرة الولايات المتحدة بأن دول التحالف المقدس ستتخذ خطة إيجابية عملية لتأييد الرجعية والقضـاء علـى الحرية فى أمريكا الجنوبية ألم تعمل هذه الدول على القضاء على الثورة فى ايطاليا؟

علمت الولايات المتحدة بأن القيصر الروسى لا يمانع فعلاً فى إرسال جنود لمعاونة الرجعية فى اسبانيا، بل وأعلن على لسان بـارون دى تيـول Tuyll وزيرة المفوض فى واشنطن بأنه غير راض عن حركـة الشـعوب الثائرة فى أمريكا الجنوبية وأنه مصمم على ألا يستقبل ممثلين سياسيين لها.

أمام هذا الموقف يجد آدمز نفسه مضطراً لأن يعلن لممثل روسيا أن تلك السياسة لا تروق الولايات المتحدة ، بل أن حياد الولايات المتحدة فـى مسائل أمريكا الجنوبية متوقف على حياد أوروبا فهـو يعنـى أن الولايـات المتحدة ستعمل على تأييد الشعوب الثائرة فى العالم الغربى الأمريكى، تأييداً فعلياً إذا حاولت دول أوروبا التدخل.

ولكن ذلك الاحتجاج لم يمنع الدول الاستبدادية الأوروبية من دعوة مؤتمر فيرونا للنظر فى شئون أسبانيا، ومسائل امبراطوريتها الأمريكية، وأراد القيصر الروسى أن يشرك الولايات المتحدة فى ذلك المؤتمر. ولكن زعيم الرجعية فى ذلك الوقت المستشار النمسوى Metternich مترنيخ يرفض دعوة دولة غير أوروبية إلى مؤتمر أوروبى. ففى نظر ذلك السياسى العتيد "الولايات المتحدة غير مرتبطة بنظام المحالفات الأوروبية منذ ١٨١٤"، ثم لأن غاية المؤتمر الأوروبى هى حماية السلام والمحافظة على الحالة السياسية الراهنة فى أوروبا، ثم لأن أمريكا غريبة عن المبادئ والنظم السائدة فى القارة الأوروبية، ثم لأن أمريكا غريبة عن المبادئ والنظم السائدة فى القارة الأوروبية، ولقد ذكر مترنيخ القيصر الروسى بأن مصالح الولايات المتحدة مختلفة عن مصالح أوروبا، "فمصالح أوروبا هى المحافظة على السلام والاستقرار ومصالح العائلة الأوروبية وحماية مصالح هذه الدولة (أسبانيا) التى خلقت ولايات أمريكا الجنوبية وحكمتها لمدة ثلاثة قرون"، بينما مصالح الولايات المتحدة فى أمريكا الجنوبية مصالح اقتصادية، مادية، وسياستها سياسة توسع وتجارة.

ووقفت فرنسا موقفاً غريباً إزاء المسألة الأمريكية وعبر عن وجهة نظر الملكيين الرجعيين فيها شاتوبريان Chateaubriand فلقد ترك ذلك السياسى لخياله أن يميل به مذهباً طريفاً. فكان يحلم بإنشاء ممالك فى أمريكا الجنوبية وثيقة الصلة بفرنسا، ويتوج لهذه الممالك ملوك البربون، وبذا يمكن التوفيق بين سياسة فرنسا القومية وبين المبدأ السائد فى أوروبا، وهو تقوية دعائم الملكية، وبذا يمكن التوفيق بين مبادئ أوروبا ومطالب دول أمريكا الجنوبية فى الاستقلال. ولما كان شاتوبريان يعتقد أن الولايات المتحدة لا

تقبل الاستماع إلى مثل ذلك المشروع لم يرحب الوزير الفرنسي باشتراك الولايات المتحدة فى المؤتمر الأوروبى.

على أن الولايات المتحدة من ناحيتها لم ترحب بالاشتراك فى مؤتمر يناقش مسائل كونت فيها رأياً نهائياً، فلقد اعترفت باستقلال دول أمريكا الجنوبية التى أعلنت استقلالها. وكان اعترف الولايات المتحدة باستقلال هذه الدول فى ٨ مارس بسنة ١٨٢٣، ولذا فى أثناء الوقت الذى أرسلت فيه الدعوات لحضور المؤتمر فى ديسمبر سنة ١٨٢٣ كان رد الولايات المتحدة يعبر الأطلنطى، وكان رسالة الرئيس منرو فى طريقها إلى أوروبا، وكانت رسالة الرئيس منرو إلى مجلس الكونجرس الأمريكى فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣.

تفسير مبدأ نمرو

تشرح نظرية منرو موقف الولايات المتحدة إزاء المسائل الأوروبية فتقول: "إن سياستنا نحو أوروبا ... لا زالت كما هى، وهذه السياسة تقضى بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأوروبية، هذه السياسة تقضى بالاعتراف بالحكومات القائمة في أوروبا كحكومات شرعية.

"وسنعمل من جانبنا على توطيد دعائم الصداقة معها بحزم وشجاعة" ولكننا لا تستطيع قبول أى ضيم أو اعتداء".

ثم تمضى الرسالة تبين موقف الولايات المتحدة إذا حاولت دول أوروبا التدخل فى شئون أمريكا الجنوبية فتقول:

"ولكن الموقف يختلق بالنسبة للقارتين الأمريكتين ... فمن المستحيل أن تعمل الدول الأوروبية المتحالفة على تطبيق نظمها السياسية فى أى جزء

من هاتين القارتين دون أن يتعارض ذلك مع رفاهيتها ومصالحنا ... ولذا لا تستطيع الولايات المتحدة أن تقبل مثل ذلك التدخل ...

"وإن تدخل الدول الأوروبية فى شئون أمريكا فيه مساس صريح بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها".

"وأن القارتين الأمريكتين أصبحت لهما الآن نظم حرة، ولذا فمن العبث ومن الباطل أن ينظر إليهما فى المستقبل كأماكن صالحة للاستعمار الأوروبى. وأن أمريكا تحفزها الصراحة وروابط الصداقة مع الدول الأوروبية تعلن أنها تعتبر أية محاولة من ناحية هذه الدول لفرض نظامها السياسى على أى جزء من القارتين الأمريكتين عنلاً خطراً على سلامة الولايات المتحدة وسلامتها".

"إن الولايات المتحدة لم تتدخل فى شئون مستعمرات الدول الأوروبية الموجودة حاليا. ولكن الولايات المتحدة وجدت بعد إمعان النظر أن تعترف بالحكومات التى أعلنت استقلالها فى أمريكا الجنوبية، وأن الولايات المتحدة ستنتظر إلى أية خطوة تقوم بها دولة أوروبية للاعتداء على هذه الحكومات أو لفرض نظامها السياسى عليها كعمل عدائى موجه للولايات المتحدة".

لم يكن الرئيس منرو هو أول من نادى بتلك المبادئ، ولقد أوضحنا قبل ذلك كيف أن جفرسون كان ينادى بضرورة تفوق النفوذ الولايات المتحدة الأمريكية فى العالم الجديد. ولما لا؟ وهى أكبر وأعظم دولة فى هذا العالم. وأوضح بما لا يدع مجالا للشك بأن من مصلحة القارتين الأمريكتين عدم ازدياد النفوذ الأوروبى فيهما، وحض الدول الأمريكية على العمل من أجل دفع هذا النفوذ ما أمكن.

وقد عبر عن هذا المبدأ ممثل الولايات المتحدة فى لنـــدن ريتشـــارد رش R. Rush لوزير خارجية انجلترا المستر كاننج عندما اشـــتدت أزمـــة مريكا الجنوبية، وقبل أن ترد إليه تعليمات حكومته بهذا الخصوص قائلاً بأن حكومته تعتقد بأنه "إذا حاولت إحدى الدول الأوروبية الكبرى أن تحتـــل أى جزء من أجزاء أمريكا الجنوبية ستكون هذه المحاولة ظالمة، وسينجم عنهـــا عواقب وخيمة".

وإذا نظرنا إلى رد الفعل الذى أحدثه هذا المبدأ لـــدى دول أمريكـــا الوسطى وأمريكا الجنوبية. نجد أن تلك الدول قد اعتبرت هذا المبدأ مؤيـــداً لاستقلالها وحريتها، ولكنها فى نفس الوقت رفضت أى تـــدخل مـــن قبـــل الولايات المتحدة فى شئونها الداخلية. أو أن تقوم بعمل يتعارض مع استقلالها أو يحدد مستقبلها.

لم يكن معنى نظرية منرو فى أول الأمر أن الولايات المتحدة قلـــدت نفسها واجب الدفاع الفعلى عن حقـــوق دول أمريكـــا اللاتينيـــة وحرياتهـــا واستقلالها، بل فى الواقع ظلت دول أمريكا الجنوبية تعتمد إلى جانب تأييـــد الولايات المتحدة على قوة الأسطول الإنجليزى.

ولقد حدد آدمز صاحب الفضل فى وضع هذا المبدأ، والرئيس الـــذى خلف منرو، حدد أدمز هذه النظرية كما يفهمها هو فقال: "إن على كل دولـــة من الدول الثائرة أن تلجأ إلى وسائلها الخاصة للدفاع عـــن اســـتقلالها". ولا يرمى آدمز بذلك إلى أن الولايات المتحدة ستتخلى عن تأييـــد هـــذه الـــدول ومساعدتها إذا ما وقع عليها اعتداء أوروبى.

على أن الرأى العام فى الولايات المتحدة لم يكن قد استعد بعد لقبول ما تنطوى عليه السياسة التى ترسمها خطة منرو. بل إن مجلس الكونجرس الأمريكى لم يقم بأية خطوة مباشرة فى عهد آدمز لتطبيق رسالة منرو تطبيقاً عمليا. بل الأكثر من ذلك لم تقف الولايات المتحدمة موقفاً جدياً حيال حركة الجامعة الأمريكية في مبدأ نشأتها.

ففى عهد الرئيس آدمز فى سنة ١٨٢٥ دعت بعض جمهوريات أمريكا الجنوبية والوسطى والولايات المتحدة إلى مؤتمر أمريكى يعقد فى بنما لمناقشة المسائل التى تهم الأمريكيين جميعا، وكانت الفكرة من وراء ذلك المؤتمر ترمى إلى إنشاء اتحاد من الأمم الأمريكية الديمقراطية فى العالم الغربى تواجه الاتحاد المقدس الاستبدادى فى العالم الشرقى وتحد من مطامعه. فلم تلق هذه الفكرة تعضيداً كبيراً فى الولايات المتحدة. فلم يكن برنامج المؤتمر محدوداً، ثم كان من مشروعات المؤتمر النظر فى مسألة إلغاء تجارة الرقيق وتحرير الرقيق. ولذا لم يكن الجنوب فى الولايات المتحدة ليرضى بمناقشة موضوع قد يؤثر تأثيراً كبيراً فى نظامه الاجتماعى. ثم من ناحية أخرى لم يكن ذلك العصر يقبل فكرة جلوس ممثلى هايتى السود بجانب ممثلو أمريكا فى مؤتمر واحد.

وكان لمعارضة انجلترا أثر كبير فى فشل المؤتمر، فلقد صمم كاننج على معارضة الولايات المتحدة إذا حاولت السيطرة على دول أمريكا الجنوبية أو الوسطى. وعلى أى حال لم يظهر كوينسى آدمز نشاطا كبيرا فى الناحية الخارجية أثناء رياسته لجمهوريات الولايات المتحدة، كما أظهر أثناء توليه الوزارة. ولقد خشيت الولايات المتحدة أن تتورط فى سياسة قد تؤدى إلى الحرب، لأنها كانت اعلم أن غرض جمهوريات جنوب أمريكا هو إنشاء

اتحاد غايته الأولى مقاومة أسبانيا وغيرها من الدول الأوروبية التى تحاول التدخل فى شئون أمريكا الجنوبية. ثم إن غرض هذه الجمهوريات بعد ذلك هو مناقشة مسألة طرد الأسبان من جزيرتى كيوبا وبورتوريكو.

وأخيراً عين آدمز مندوبين وافق عليهما مجلس الكونجرس الأمريكى بصعوبة، فلقد كانت فكرة هنرى كلاى H. Clay وزير الخارجية الأمريكية إنشاء جمهوريات فى أمريكا الجنوبية تعترف للولايات المتحدة الأمريكية بالزعامة السياسية. وعلى أى حال مات أحد هؤلاء المندوبين قبل أن يشترك فى المؤتمر، ولم يذهب الثانى لأداء مهمته. ولذا كتب للمؤتمر الفشل فانعقد وانفض دون أن تشترك فيه الولايات المتحدة.

ثم تقرر عقد مؤتمر آخر فى المكسيك، وذهب إليه ممثلا الولايات المتحدة فى الوقت المعلوم فلم يجد المؤتمر!! وانتهى الكلام مؤقتاً من مسألة الجامعة الأمريكية.

تطور مدلول المبدأ

ومما يجدر ملاحظته أن مبدأ منرو قد وضع نظاماً أمريكياً لتحقيق أمن وسلام الولايات المتحدة أولاً والسلام الأمريكى ثانياً. ومع أن هذا لم يوضع موضع الاختبار بصفة جدية فى أوائل القرن الماضى، ومع أن دول أوروبا لم تعترف به رسمياً إلا فى مستهل هذا القرن، فإنها قد احترمته فى مواضع كثيرة. ويعتبر مبدأ منرو المبدأ الأول فى السياسة الأمريكية الذى وضع أساساً ثابتاً لسياسة دفاعية بعيدة المدى، وسيظل باقياً ما بقيت الولايات المتحدة. ولقد أوضح هذا المبدأ بشيء كثير من التحديد موقف الولايات المتحدة إزاء دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، كما حدد فى نفس الوقت

موقف العالم الجديد من العالم القديم. وسنجد أن هذا المبدأ سيطبق بنجاح فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكلما زادت قوة الولايات المتحدة كلما زادت فى تفسيره مذاهب شتى تتفق مع قدرتها الحربية وثقلها السياسى فى المجال الدولى.

هذا المبدأ – كما ذكرنا – مكون من جزئين أساسيين، أولهما عدم تدخل الولايات المتحدة فى شئون أوروبا واحترامها للنظم القائمة مهما اختلفت هذه النظم عن النظم الأمريكية. والثانى عدم السماح لدول أوروبا من أن تتدخل فى شئون العالم الجديد أو أن تفرض نظمها السياسية أو الاجتماعية عليها.

وقد تمسكت الولايات المتحدة بهذين الجزئين طالما كانت محدودة القوى، وتثقل كاهلها المشاكل الداخلية التى تواجهها. وبمعنى أدق فإن الولايات المتحدة الأمريكية فى مستهل القرن التاسع عشر لم تكن تملك القدرة على التدخل فى شئون دول أوروبا، بينما كانت هذه الدول تستطيع التدخل فى الشئون الأمريكية دون أن تستطيع الولايات المتحدة أن تتصدى لها من غير مساعدة انجلترا.

ولكن حينما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تحس بتزايد قوتها وبما أصبح لها من مركز دولى ممتاز، أخذت تطبق هذا المبدأ بما يتفق مع مكانتها المرموقة كدولة كبرى، على اساس جزئة الثانى فحسب، أى عدم قبول التدخل الأوروبى فى شئون القارتين الأمريكتين. وكانت فى ذلك الوقت تعنى حقيقة ما تقول.

فعندما ثارت مشكلة المجر فى سنة ١٨٤٨، وقام الأهالى يشقون عصا الطاعة على الحكم النمساوى، وقفت الولايات المتحدة منها موقف العطف وتمثل ذلك فى استقبالها الرائع لزعيم الثورة المجرى كوشوط، وكانت على استعداد للاعتراف بالثوار لو نجحوا فى مهمتهم. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تهدف من وراء ذلك مناصرة الحريات، وفى نفس الوقت إظهار قوتها وعظمتها للعالم الأوروبى.

ولقد اتسع مدلول ذلك المبدأ بشكل واضح ليشمل كل أنواع التدخل الأوروبى غير المسلح، وليخضع له كل تصرفات الدول الأمريكية المتعلقة بالهبة أو البيع أو التنازل لأى جزء من أجزاء القارتين الأمريكتين. فمثلاً لا تستطيع أية دولة من دول أمريكا أن تهب أو تبيع أو تتنازل عن أى شبر من أراضيها لدولة أوروبين أو أسيوية دون اعتراض الولايات المتحدة الأمريكية، حتى لو أدى ذلك إلى استخدام القوة أو التلويح بها. فمعنى هذا تجميد الوضع السياسى فى أمريكا الوسطى والجنوبية، وأصبح أمام الدول الأوروبية التى لها مستعمرات فى أمريكا أحد أمرين لا ثالث لهما: فإما أن تمنح تلك المستعمرات حريتها واستقلالها، وإما أن تحتفظ بها كما هى دون أن تملك الحق فى منها أو التناول عنها للغير – فيما عدا الولايات المتحدة بطبيعة الحال – دون تدخل الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الرابع

أمريكا اللاتينية فى أعقاب حرب الاستقلال الأمريكية

المستعمرات الأسبانية فى أمريكا اللاتينية

لقد تشجع سكان المستعمرات الأسبانية فى أمريكا اللاتينية على القيام ضد أسبانيا الأم. وقرروا أن ينهجوا السياسة نفسها التى انتهجتا الولايات المتحدة الأمريكية الثلاث عشرة تجاه الإمبراطورية البريطانية الم. لقد أفاد سكان المستعمرات اللاتينية من الثورة الأمريكية فائدة كبيرة فى مجال التجربة السياسية، لكنهم لم يستطيعوا أن يقطفوا ثمرة هذه التجربة لأنهم تأثروا بمجموعة كبيرة من الظروف العامة والظروف الداخلية أثرت إلى حد كبير على المحصلة الناجمة عن حركتهم ضد أسبانيا وثورتهم عليها.

وقد عرف سكان المستعمرات اللاتينية صدى ما حل بأسبانيا من ضعف سياسى وعسكرى فى أعقاب الثورة الفرنسية وبخاصة فى عهد الإمبراطور نابليون بونابرت فقد انضمت أسبانيا إلى بوتقة الدول الأوروبية المعادية للثورة الفرنسية كبريطانيا والنمسا وبروسيا. إلا أنها اضطرت إلى الانسحاب من الحرب متنازلة عن جزيرة سانتودومنجوى "Santo Domingo" لفرنسا وتشكل سانتودومنجو القسم الشرقى من جزيرة هايتى وهو من الممتلكات الأسبانية، ويعد هذا الجزء من المراكز الاستعمارية المهمة لأسبانيا فى البحر الكاريبى.

وقد تأرجح الموقف الأسباني تجاه الحرب الدائرة فى أوروبا بين الثورة الفرنسية وبين الدول الأوروبية المعارضة. فبعد أن كانت أسبانيا فى أول أمر النزاع واقفة إلى جانب بريطانيا تجدها تعدل موقفها متجه إلى فرنسا. صحيح أنها تأثرت فى موقفها هذا بمتغيرات سياسية وعسكرية وهى مدى التفوق العسكرى الفرنسى فى كل من إيطاليا والنمسا وبروسيا. إلا أن هذا الموقف قد هجرها إلى تحسين علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية المجاورة لنفوذها فى العالم الجديد. وذلك بمنحها حق الملاحة الحرة في نهر المسيسبى من جهة والتنازل لها عن الأرض الواقعة بين ولايتى فلوريدا وتنيسى "Tennesse" من جهة ثانية. وبهذا الأسلوب السياسى فقد أخذت أسبانيا تضعف نفسها فى العالم الجديد، وأدى هذا الضعف إلى تقوية السيادة العامة للولايات المتحدة الأمريكية فى العالم الجديد وأتساع رقعة أرضها. كما أن تحالف أسبانيا مع فرنسا دفع بريطانيا إلى انتزاع جزيرة ترينيداد "Trinindad" القريبة من ساحل فنزويلا "Venzuela" إحدى المستعمرات الأسبانية فى منطقة أمريكا الجنوبية. وكان انتزاع بريطانيا لهذه الجزيرة ضربة جديدة للنفوذ الأسبانى فى المستعمرات اللاتينية. وفى الوقت الذى احتدم فيه الوضع الإقليمى الذى أقامت معاهدات سنة ١٨١٥م فى قارة أوروبا – وباستثناء مملكة الأراضى المنخفضة – شهدت أمريكا تغييرات كان لها تأثيرا بعيد المدى على مستقبل العالم. فالمستعمرات الأسبانية التى كانت الثورة قد بدأت فيها منذ سنة ١٨١٠م، وكذلك البرا مستعمرة البرتغال الكبرى تمكنت من الحصول على استقلالها، وتشكلت فى أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى، عشرون دولة جديدة، وساعدت وأثرت على تكوين تيارات سياسية جديدة وفتحت مجالات واسعة للسياسة الدولية.

وتطورت حرب استقلال المستعمرات الأسبانية بنفس سرعة تطـور التاريخ الداخلى لأسبانيا فيما بين عامى ١٨١٤ و ١٨٢٤م، وسمحت عـودة الملك فرديناند فى مايو سنة ١٨١٤م للملكة الأسبانية بإرسـال قـوات إلـى أمريكا، وببذل الجهود لإعادة الغزو يعتمد على العناصر "الموالية" وفى سنة ١٨١٦م ظهر أن هذا المجهود يسير صوب النجاح: وبقيت الأرجنين وحدها حرة. وسهل وصول الأسلحة والمتطوعين من أقاليم أوروبا عـودة هجـوم الثوار من جديد. وفى سنة ١٨١٨م تمكن سان مارتـان San Martin مـن الوصول – من قاعدة عملياته فى الأرجنين – إلى الأنـديز، ومـن طـرد القوات الأسبانية من شيلى، وفى سـنة ١٨١٩م حـرر بوليفـار Bolivar فنزويلا وكولومبيا من جديد. ومع ذلك فإن الثورة لم تصل إلى بيرو مركز المقاومة الأسبانية ولاذى كان المخلطون فيهـا قـد أخـذوا موقفاً ضـد أرستقراطية المستوطنين وجاءت الثورة الأسبانية فى سـنة ١٨٢٠م، لكـى تفتح أمام ثورة المستعمرات إمكانيات النصر، وبدت فـى قـادس Cadix بحركة تمرد بين القوات المكلفة بالذهاب لأمداد الحاميـات الأسـبانية فـى أمريكا. ولمدة عامين انشغلت الحكومة "الحرة" التى نتجت عن هذه الثـورة مع "الحرب المقدسة" التى شنها الكاثوليك عليها، وفى سنة ١٨٢٣ م استعاد الملك فرديناند سلطته نتيجة للتدخل الفرنسى، وسمحت فترة هذه السـنوات الثلاث لثوار أمريكا بإعداد مجهودهم النهائى. وفى سنة ١٨٢٤م، أكـدت هزيمة الجيش الأسبانى فى أقاليم بيرو العليا نجاح حركة الأستقلال.

ولقد شارك تطرف السياسة الأسبانية – المتمثلة فى موقف الكورتيز سنة ١٨٢٠ م وموقف الملك فرديناالد – إلى درجة بعيدة فى الوصـول إلـى هذه النتيجة فهى لم تحاول الإفادة من اخـتلاف وجهـات النظـر الكبيـرة الموجودة بين رؤساء الثوار بالنسبة لمستقبل الدول الجديدة. وإذا ان بوليفار

قد فضل منذ سنة ١٨١٥م تكوين جمهوريات، فإن سان مارتان كان ملكيــاً مثله في ذلك مثل معظم رؤساء الحركة الثورية فى منطقة ريودى لايالانـــا، ومثل ايتوربيد Itribid فى المكسيك، وكان الملكيون مستعدين لمنح عروش لأمراء من الأسرة الملكية الأسباني، وهو الحل الذى فكر فيه سان مارتان فى شهر يوليو سنة ١٨٢١م، وفى الهدنة التى عقدها مع قائد القوات الأسبانية فى بيرو، وكان كذلك الحل الذى قبله ايتوربيد فى المعاهــدة الـــى وقعهـــا فـــى كوردوفا، مع نائب الملك الأسبانى، ولكن كل من الملك فرديناند وحكومـــة كورتيز الحرة رفضا قبول هذا الحل الوسط، رغم الفرص التى كانـــت فـــى سعه أن يتركها، بالنسبة للمستقبل لإعادة إقامة الحكم الأسبانى، وظلت "عدم قابلية" إنقسام الإمبراطورية عقيدة لهم.

وحدث كذلك الانفصال بين البرتغال والبرازيل فى ظل الأحداث التى وقعت فى الوطن الأم، ولكن حدوث إراقة للدماء. كانـــت الأســـرة الملكـــة البرتغالية، قد التجأت الى ريودى جانيرو، وفى سنة ١٨٠٨ م وقت الغـــزو الفرنسى واحتفظت هناك بمقر الحكومة، حتى بعد ســـنة ١٨١٤م، وحينمـــا نشبت حركة ثورية فى البرتغال فى سنة ١٨٢٠ من ونتيجة لحوادث أسبانيا " عاد الأمير جوان الوصى على العرش لشبونه، وترك لأبنه بيدرو أمر إدارة البرازيل، وسار المستوطنون البرتغاليون على طريق المستوطنين الأسبانيين، ولم تكن الحكومة البرتغالية فى وضع يسمح بمقاومة مطالب الاستقلال، ولم يجد بيدرو حلاً آخر، غير أن يرأس بنفسه الحركة، ويعلن نفسه أمبراطـــوراً فى أكتوبر سنة ١٨٢٢م، وبعد ثلاث سنوات اعترف لشبونه بالأمر الواقع.

ومكانه هاتين الحادثتين بيانية فى العلاقات الدولية لاستقلال البرازيل لا يجذب الأنظار، بشكل واضح إلا فـــى بريطانيـــا العظمـــى، فالحكومـــة

الإنجليزية قد دافعت سنة ١٨١٠ م عن البرتغال ضد فرنسا كانت قد استفادت منها ومنحت نفسها فى البرازيل تعريفة جمركية فى صالح استيراد السلع المصنوعة وأمام الأمر الواقع فى سنة ١٨٢٢م، أخذت تفكر فى الاحتفاظ بهذه الميزة، وما أن وافق بيدرو على ذلك، حتى قامت السياسة الإنجليزية بالضغط على الحكومة البرتغالية لكى تجبرها على الاعتراف باستقلال البرازيل. ولكن استقلال المستعمرات الأسبانية كان مسألة ذات أبعاد كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة وبالنسبة للدول الأوروبية.

ولا شك فى أن حكومة النمسا وبروسيا كانتا لا تعطفان على الحركة التى قلقلت سلطة إحدى الحكومات الأوروبية التى عادت فى سنة ١٨١٤م، ومع ذلك فلم يكن لهما فى هذه المسألة مصالح تكفى للتفكير فى استخدام القوة. روسيا كان القيصر اسكندر، وأكثر منه سفراؤه فى باريس ومدريد بظهور نية إعطاء تأييد لأسبانيا. فى سنة ١٨١٧ م – ١٩٨١٨ م فكرت الدبلوماسية الروسية فى وساطة جماعية، تمارسها الدول العظمى ولا تعتمد على الأسلحة، ولكن على وسائل العقوبات الاقتصادية التى يفرضونها ضد المتمردين ولا شكل أنه كان لهذه الاقتراح هدفاً أوروبياً أكثر من الأهداف الأمريكية فالقيصر الذى كان مشغولاً دائما بالحصول على وسائل ضغط ضد السياسة الإنجليزية، حاول أن يجذب أسبانيا ولعل نظامه الدبلوماسى، ولم يكن له مخططات محدودة فى أمريكا اللاتينية، رغم اتهام كاسلرية لـه بذلك . وعلى أى حال فإنه لم يصر على مقترحاته بمجرد اصطدامها بالعقبات.

ولكن بريطانيا العظمى وفرنسا، وهما تطلان على المحيط الأطلسى، كانتا لهما مصالح مؤكدة، وكان اهتمام الولايات المتحدة أكثر قوة.

المصالح الاقتصادية للقوى العظمى

كانت الدوافع المؤثرة بالدرجة الأولى فى سياسة هذه الدول الثلاث، اقتصادية، فكان انهيار السيطرة الأسبانية يمهد لفتح أمريكا الجنوبية ،امريكا الوسطى للتجارة الدولية فكيف يمكن الإفادة من هذه الإمكانيات.

بريطانيا العظمى

كانت بريطانيا العظمى فيما بين عامى ١٨٠٨م و١٨١٤ م هى التى تحمى اسبانيا ضد نابليون بونابرت، وحصلت فى نظير ذلك من حكومة قادس على تصريح بالتجارة مع المستعمرات الأسبانية فى أمريكا طوال مدة الحرب فى أوروبا وبعد أن انتهت هذه الحرب كان هدف السياسة الإنجليزية هو الإحتفاظ بهذا السوق، فكان رجال الصناعة، ورجال السفن، وكبار رجال المصارف، يوجهون قرارات الحكومة فى هذا الإتجاه. وضمنت الأوساط الإقتصادية الإنجليزية مكاناً متفوقاً فى كل المناطق التى عجزت مجهودات إعادة الغزو الأسبانى عن الوصول إليها من سنة ١٨١٥م إلى سنة ١٨٢٤م، وبلغت صادرات المملكة المتحدة إلى مناطق ريودى لابلاتا التى كانت الأولى فى التحرر من السيطرة الأسبانية، ومنذ سنة ١٨١٨ م بلغت ٧٠٨ م ٧٣٠ جنيه إسترلينى، وبلغت سنة ١٨٢٤م ١٠٤،٥٠٠، ١ إسترلينى أما صوب المكسيك التى كانت التجارة الإنجليزية قد بدأت فى الوصول إليها سنة ١٨١٨م، فإن حجم هذه الصادرات إليها لا تذكر (٤١٤٩ جنيه استرلينى) فى سنة ١٨١٨م، فإنها قد ارتفعت فى سنة ١٨٢٤ م إلى ٤٣٠،٩٥٠ جنيه إسترلينى وفى كولومبيا كان الإنجليز هم المسيطرون على السوق فى سنة ١٨٢٢ – ١٨٢٣م، وكانت سفنهم هى الوحيدة تقريباً التى تتعامل مع موانيها. وكسبت صناعة النسيج بوجه خاص عن هذه الحالة، رغم أن أصحاب

رؤوس الأموال الإنجليز، كانوا قد بدءوا كذلك فى الاستثمار فى مشروعات المناجم والمشروعات الزراعية. ففى سنة ١٨٢٤ – ١٨٢٥ أثارت هذه الاستثمارات لرؤوس الأموال "حماس" أوساط رجال الأعمال فكيف يمكن لبريطانيا العظمى أن تقبل إعادة فرص السيطرة الأسبانية، إذا ما كانت هذه السيطرة تعنى إعادة نظام الاحتكار؟ وكانت انجلترا تملك وسيلة فعالة لحماية مصالحها الاقتصادية، هى السيادة على البحار – وكان فى وسعها أن تمنح كل الدول الأخرى من التدخل فى حرب استقلال المستعمرات الأسبانية.

فرنسا:

ولم تكن المشغوليات الاقتصادية تمثل نفس الأهمية بالنسبة لفرنسا، حيث لم تكن الصناعة قد وصلت إلى نمو يمكن مقارنته، حتى من بعيد، بنمو بريطانيا العظمى، ومع ذلك فإن سوق أمريكا الجنوبية كان يعطى عموماً إمكانيات مواتية لتصدير الحرير والنبذة ودرست الحكومة الفرنسية، وخاصة منذ سنة ١٨٢٠م الإمكانيات المقبلة، ولم تكن ترغب فى ترك بريطانيا تضمن لنفسها احتكاراً فعلياً. وفى مناسبات ثلاث، أرسلت فرنسا بعثات إلى موانى أمريكا الجنوبية لدراسة وسائل تنمية التبادل التجارى. وذكر مجلس التجارة فى نوفمبر سنة ١٨٢١م "ستفتح هذه العلاقات لصناعتنا قارة واسعة وستضمن لنا عملاء عديدين فى منطقة لا تقوم فيها صناعة".

الولايات المتحدة الأمريكية

أما المصالح التجارية للولايات المتحدة الأمريكية، التى لم يكن لها بعد نشاط صناعى هام، وكانت مجرد مصدرة للمواد الأولية، فكان لها شكل آخر. ذلك فى أنه كان فى وسع الأقاليم الأسبانية فى أمريكا أن تمنح سوقا

للقطن الخام، ولأخشاب التجارة وللحبوب، فيما عدا الأرجنتين فكانت إمكانيات مهمة بالنسبة لمنتجى منطقة المسيسبى، الذين كانوا لا يفكرون فى إرسال منتجاتهم صوب أوروبا عن طريق نيويورك وبوسطن، نتيجة لصعوبة المواصلات، وكان فى وسع الأسطول التجارى للإتحاد أن يقوم بدور هام فى الملاحة بين موانى المكسيك، وأمريكا الوسطى، وفنزويلا، ومع ذلك فكانت أوساط رجال الأعمال فى الشرق فى سنة ١٨١٥م، غير مستقرة بعد على رأى، خاصة وأن تجارتهم مع أسبانيا كانت أهم من تجارتهم مع المستعمرات الثائرة. مع زيادة تأكيد نمو التجارة الإنجليزية زاد قلقهم، وخشيت الولايات المتحدة من أن تضمن لبريطانيا العظمى وسيلة لنفوذ سياسى، عن طريق التفوق الاقتصادى، وكانت الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت لا تطالب بامتيازات ولنكها شعرت بأنه من حقها أن تحصل على معاملة الدول الأكثر وداً فى الدول الجديدة التى كانت تنشأ فى ذلك الوقت.

المصالح السياسية

ويمكن إضافة إلى هذه المنافسة الاقتصادية ، اختلاف وجهات النظر السياسية، وكانت مرتبطة بموقف كل من الحكومات الثلاث تجاه الملكية الأسبانية، بخاصة فيما يتعلق بمسألة النظام الذى ستتيحه المستعمرات إذا ما نجحت فى الحصول على الاستقلال.

فرنسا

ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها بالنسبة لذلك فى موقف خاص، إذ أن إعادة البربون إلى فرنسا وفرديناند إلى مدريد كان قد أقام، فى الواقع حلفا أسرويا. ولذلك فإن حكومة فرنسا ستطرح، منذ سنة ١٨١٤م مبدأ

يتخلص فى أنها لن تقوم بأى ش لمساعدة المستعمرات الثائرة، وتعلن حتى أنها تتمنى نجاح إعادة الغزو الأسبانى. فهل تبقى هذه الأمنية افلاطونية؟ تتميز السياسة الفرنسية بمفصليات تتمشى مع تغيير الشخصيات الحكومية.

فكان الدوق دى ريشيليه يرغب فى أثناء وزارته الأولى، وبالتأكيد فى رؤية استقرار " النظام" فى أمريكا الأسبانية، إذ أنه كان يرى أنه من الخطر على أوروبا "ترك الفوضى تنبت فى هذه المناطق". ألم يكن هناك دائماً "وحدة لاشعور" بين الثوار؟ وكتب أحد خطاباته الخاصة "أنه من الواجب إخماد هذا البركان" الذى يهدد بأنى يلقى على القارة الأوروبية "بحمم من الفوضى ومن الثورة". ومع ذلك فكان لا يقتصر فى إمكانية انضمام المستعمرات إلى الوطن الأم إذا لم تقبل الحكومة الأسبانية تقدم تنازلات. ولماذا يفكر فرديناند فى إقامة "مملكة" في أمريكا الأسبانية. ويسلم عروشها "لأمراء من أسرة البربون"؟ وكانت هذه الإشارة تعنى بربون أسبانيا وحدهم. فحين فهم من تقارير أحد الوكلاء شبه الرسميين فى سنة ١٨١٨م، أن حكومة لابلاتا المؤقتة توافق على ترشيح أمير فرنسى، أبعد ريشيليه هذه الإمكانية التى ستعطى لسياسته كما قلت " لونا من الخداع والمؤامرات".

وكانت هذه هى نفس السياسة التى مارستها وزارة ديسول – ديكاز فان يأمل فى إقامة ملكية فى لابلاتا، دون أن يجبر الحكومة الأسبانية على ذلك، واقترح ترشيح أما الأمير لوى من آل بوربون بارما، وإما دوق دى لوك Duc de Lucque ولكنه وجد كذلك أن أحسن موقف متعقل بالنسبة لفرنسا هو أن تحتفظ بحيادها.

وعدلت الثورة الأسبانية سنة ١٨٢٠م من الإمكانيات، إذ أنها فى نفس الوقت الذى زادت فيه من نجاح الثورة، حددت الحكومة الفرنسية من "التزاماتها المعنوية" التى كانت تربطها بأسبانيا. ولذلك فإن ريشيليه رأى فى أثناء وزارته الثانية، أن إنشاء دول مستقلة قد أصبح أمراً لا يمكن التراجع فيه، وكانت هذه هى الفترة التى أرسلت فيها الحكومة الفرنسية بعثات إلى امريكا الجنوبية، درست فيها إمكانية عقد اتفاقيات تجارية مع الدول الجديدة.

ولكن وزارة فييل قررت بعد مؤتمر فيرونا، تدخلاً عسكريا فى أسبانيا، وأعادت ملكية فرديناند المطلقة. ألم يكن فى وسع فرنسا أن تفكر كذلك ضد المستعمرات الثائرة؟ لقد عاد شاتوبريان، وزير الخارجية فى تعليماته إلى السفير الفرنسى فى مدريد. وبإصرار، إلى الحل الذى اقترح فى سنة ١٨١٨م إقامة ملكيات كبيرة فى أمريكا الأسبانية تحت حكم أمراء من أسرة البربون، يمكن تقديم المعونة لهم. وكان مشغوليات السياسة الداخلية هى السبب فى ذلك" ستهلك ملكيات القارة القديمة، إذا ما أصبح العالم الجديد كله جمهوريا ولم يكن هناك تفكير فى ذلك الوقت، كما كان عليه الحال من قبل فى أمير فرنسى. والجديد فى الموضوع هو أن الحكومة الفرنسية فكرت فى أن تعطى فرنسا " معونة حربية" حتى تتمكن من تنفيذ مثل هذا الحل: وفى خطاب من فييل فى ٣ يوليو سنة ١٨٢٣م إلى دوق أنجوليم Duc d' Angouleme ، قائد الجيش الفرنسى فى أسبانيا، اقترح تقديم قوات بحرية وأموال وبعض الجنود "نظير بعض الامتيازات التجارية، التى ستعطيها الملكيات الأسبانية لفرنسا. ومع ذلك فغنها لم تكن إلا مجرد رغبات. فلم يقترح مشروع التدخل على الحكومة الأسبانية ، وستتخلى عنه حكومة فرنسا ، بمجرد ظهور مقاومة بريطانيا العظمى له.

انجلترا

وكانت الخطوط الرئيسية الإنجليزية بسيطة. فرغم أنها كانت قبل سنة ١٨١٤م حليفة الأسبانيين ضد نابليون، فلم يكن لها أى دافع للاحتراس عل فرديناند بعد إعادة إقامة الملكية فى أسبانيا. ولا شك انها كانت تقبل من حيث المبدأ، الاحتفاظ بالسيادة الأسبانية، إذا ما ضمنت حرية التجارة، ولكن الواقع أن مصالحها الاقتصادية كانت تدفعها إلى أن تتمنى نجاح حركة الاستقلال، ولذلك فإنها اعترفت بصراحة منذ سنة ١٨١٧م، على كل تدخل من جانب: إحدى الدول الأوروبية فى صالح أسبانيا، ومع ذلك فلم يكن كاسلرية معادياً للحل الملكى . ففكر فى سنة ١٨٢٢ م وقبل موته، فى أن يقترح على مؤتمر فيرونا " أن يقوم بمجهود يهدف جعل المستوطنين يقبلون أمراء برربون كرؤساء للدولة المستقلة" وعمل فى هذا الاتجاه لذى الحكومة الأسبانية وفى هذا الموقف المختلف عن موقف الحكومة الفرنسية، لم تكن أفضليات المبادئ هى الأساسية، فكان كاسلرية وكاننج من بعده يرون أنهم ما اتخذت الدول الجديدة نظاماً جمهورياً، فإنها تكون أكثر تأثراً بنفوذ الولايات المتحدة، ولذلك فإنه كان من الأفضل المساعدة على إقامة ملكيات، وبشكل يؤدى إلى تجنب "مبدأ الجامعة الأمريكية" الذى سيكون خطراً على المصالح الإنجليزية وفى هذا الميدان ألم يكن من الممكن التفكير فى تعاون فرنسا مع بريطانيا العظمى، رغم اختلاف الدوافع عن الواحدة عنها عن الأخرى؟ لم تكن هناك إمكانية لذلك، فى سنة ١٨٢٢م. ولكن ما أن ظهر أن الساسة الفرنسية قد اتجهت صوب تدخل مسلح، حتى ظهر قلق الحكومة البريطانية فظهر لها أن هذا الحل الملكى مشئوماً، إذا ما تحقق بمساعدة فرنسا التى لن تتراجع عن أن تكسب منه على حساب المصالح الاقتصادية لبريطانيا العظمى، ولذلك فإن الحكومة الإنجليزية أخذت موقفاً صلباً ضد سياسة فييل،

وهزمتها بسهولة" وبعد الحصول على هذه النقطة ألم يكن فى وسع بريطانيا أن تستعد لمواصلة المفاوضات، التى كانت قد بدأت فى سنة ١٨٢٢ م لقد جاءت العقبة من ملك أسبانيا، الذى كان معاديا لحل لا يمكنه فى رأيه، وأن يمنع تفكك امبراطوريته، وكان مثل البرازيل واضحا لإثبات ذلك ولذلك فإن الساسة البريطانية قد تراجعتن أمام الأحداث وقبلت أن تضم الدول الجديدة نظاما جمهوريا، وأظهرت استعدادها للاعتراف بحكوماتها، وكنها استعنت فى نفس الوقت، المخاوف الناتجة عن نيات التدخل الفرنسى، وحاولت ونجحت بعض الشئ – أن تظهر بمظهر "المخلص" حتى على التوقيع على معاهدات تجارية مواتية، يمكنها أن تعارض بها نفوذ الولايات المتحدة.

الولايات المتحدة الأمريكية

وانتهى موقف حكومة الولايات المتحدة بتسهيل نجاح السياسة الإنجليزية كيف ولماذا؟ كان تفكك الإمبراطورية الاستعمارية الأسبانية يخدم مصالح الجمهورية الناشئة بشكل واضح ويمنحها إمكانيات للتوسع. وفى اول الأمر منحت هذه الأزمة لحكومة واشنطن الفرصة لكى تسوى لصالحاها مسألة هامة كانت مطروحة وتحتاج لحل منذ استيلائها على لويزيانا. وهى الوصول على ساحل حليج المكسيك ولم تكن معادة ١٨٠٣م قد أعطت الولايات المتحدة إلا واجهة ضيقة على الخليج، حول دلتا المسيسبى ، ولذلك فإن ولاية الغرب وخاصة تينيسى، طالبت بضرورة توسيع هذه الواجهة. وكانت أسبانيا هى التى تمتلك المنطقة الساحلية، ورفضت أن تتنازل للرئيس ماديسون Madison بإعلان ضم جزء من فلوريدا الغربية، مع مسافة ٥٠ كم تقريبا من الساحل، وميناء موبيل. ومع استمرار الثورة ازداد ضعف الحكم الأسبانى فى هذا الإقليم، التى لم تحتل منها الجنود الأسبانية إلا

نقطتين أو ثلاث ولم تعد تمارس إشرافاً على الأهالى، الذين كانوا من الهنود الحمر والعبيد الفارين وسمح هذا الضعف بفتح الطريق أمام تدخل الولايات المتحدة الذى كان زراع تينيسى يطالبون به وكانت الحاجة هى "الأمن" الرغبة فى حماية أقاليم ضد الغارات التى كان يشنها المغامرون، وكذلك حجج تتعلق بالمصالح المادية. منع اللاجئين من العبيد من الالتجاء إلى هذا الإقليم. وسويت هذه المسألة فى سنة ١٨١٨م، بواسطة جاكسون، قائد القوات الفيدرالية فى الجنوب وتبرأ الكونجرس من عمليات جاكسون ولكن يبدو أن محاولته كانت قد حظيت بموافقة الرئيس مونرو Monro وسمحت لحكومة واشنطن بأن تحصل الحكومة الأسبانية فى فبراير سنة ١٨١٩ م على تنازل عن كل فلوريدا، وعن طريق الشراء.

أما فيما وراء هذه المسألة، ألم يكن من صالح الولايات المتحدة أن ترى انهيار الإمبراطورية الأسبانية؟ كان إنشاء دولة مستقلة، ستكون ضعيفة، يفتح مجالات جديدة أمام العمل السياسى والاقتصادى للإتحاد.

ولذلك فإن سياسة الاتحاد الأمريكى أخذت خطاً رئيساً وظلت محتفظة به فرفضت السماح بتدخل الدول الأوروبية من أجل إعادة إقامة سيطرة أسبانيا على مستعمراتها. ورفضت المشاركة فى أى مشروع " يقوم أساس على قاعدة تختلف عن الاستقلال التام".

وكان هذا الموقف يمثل المبادئ. فهل فكرت الولايات فى أن تعارض بالسلاح هذه الامكانية للتدخل الأوربى؟ وهل صممت على عرقلة مجهود أسبانيا لإعادة الغزو، إذا ما كانت أسبانيا فى وضع يسمح لها بالقيام به، وبوسائلها الذاتية، كانت سياسة حكومة واشنطن حذرة بالنسبة لذلك، إذ أنه لم

تكن لديها الوسائل العسكرية أو البحرية التى تسمح لها بالدخول وحدها فـــى حرب.

وحينما اشتكت الحكومة الأسبانية فى سنة ١٨١٧م مــن أن بعــض مواطنى الاتحاد كانوا يقومون بمجهودات فردية لتزويد المستعمرين الثائرين بالأسلحة، صوت الكونجرس على "قانون الحياد" الذى قلل من هذه الحركـــة. والحقيقة هى أن الولايات المتحدة كانت ترغب، فى هذه الفترة، فى عـــدم إثارة أسبانيا، إذ أنها كانت تفاوض معها أمر التنازل الودى فلوريدا وبعد أن تمت تسوية هذه المسألة أصبحت الولايات المتحدة أكثر حرية فـــى عملهـــا، فهل ستعترف بالحكومات المؤقتة التى تشكلت فى امريكا الجنوبية؟ لم يكـــن الوقت قد حان بعد وسفى مايو سنة ١٨١٩م ذكر آدم، سكرتير الدولة، لرجال فنزويلا والأرجنتين أن نية الولايات المتحدة فى هذا الوقت، هى الاحتفـــاظ بالحياد التام وفى ديسمبر سنة ١٨١٩م شرح للجنة العلاقات الخارجية فـــى البرلمان، أن منح "الاعتراف" يهدد بالتسبب فى حرب مـــع أســـبانيا فمـــن الأفضل التمهل. ولم يختف هذا الخطر إلا بعـــد الثـــورة الأســـبانية ســـنة ١٨٢٠م. وكان الاعتقاد قد ساد فى الأوساط السياسية، فى ذلك الوقت، بـــأن الوقت قد حان لاتخاذ موقف، إذا ما كانوا يرغبون فى تجنب رؤية بريطانيا العظمى تضمن تفوقاً فى الحياة الاقتصادية لأمريكا الأسبانية. ولكن الحكومة الأسبانية لم تتقدم إلا خطوة بعد خطوة وأشار خطاب الرئيس مـــونرو إلـــى الكونجرس، فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٢١م، إلى أن اسبانيا غير قـــادرة بشـــكل واضح على أن تجبر مستعمراتها على الطاعة بالقوة. وأعلن أمله فى أنهـــا ستوافق على قبول استقلالهم. وفى ٦ أبريل سنة ١٨٢٢م، أبلـــغ ســـكرتير الدولة أدم، الحكومة الأسبانية، أن الولايات المتحدة تعتـــرف بوجـــود دول جديدة وأنها ستدخل معهم فى علاقات دبلوماسية، ولكنه أشار إلـــى أن هـــذا

القرار هو مجرد اعتراف بالواقع، وأنه لا يؤثر فى شئ فى حق أسبانيا فى إعادة إقامة الإتحاد بين هذه الأقاليم وبين ممتلكاتها الأخرى إذا ما كانت لديها الوسائل " وتأكدت سياسة الحكومة بوضوح ابتداء من سنة ١٨٢٣ م، فنصح آدمز حكومات الدول الجديدة رسمياً بأن يبقوا مخلصين للنظام الجمهورى، وهو الشكل الوحيد المناسب"للمبادئ الأمريكية" أما فى حالة قبولهم لحل ملكى، وفى صالح أمراء يحضرون من أوروبا، فإنهم سيكونون "خاضعين للمصالح الأوروبية" من وجهة النظر السياسية، ومن وجهة النظر الاقتصادية". وكانت الحكومة الاتحادية قلقة كذلك فى هذه الفترة – من إمكانية تدخل فرنسا ولكنه كان فى وسعها أن تعتمد على تعاون بريطانيا العظمى، لكى تمنع هذا الخطر.

المنازعات

لم تؤد هذه الخلافات بين مصالح الدول الأطلنطية الثلاث إلا إلى منافسات دبلوماسية، وفى ثلاث مرات فى سنة ١٨١٧م وفى سنة ١٨١٦م، وفى سنة ١٨٢٣م زادت أهمية هذا الموضوع بالنسبة للعلاقات الدولية، حينما ظهرت نيات التدخل فى صالح أسبانيا، ورغم ذلك فإنها لم تؤد إلى خطر الصدام المسلح بين الدول العظمى.

كانت المشروعات الأولى التى تساند مسألة الاحتفاظ بالسيطرة الأسبانية قد جاءت من روسيا، ووضعت هذه الساسة ابتداء من نهاية سنة ١٨١٧م، حينما اقترح المستشار نسلردو Nessclorde. فى مذكرة وجهها للحكومة الانجليزية، وساطة جماعية للدول لإنهاء ثورة المستعمرات. وكان على الحكومة الأسبانية أن تتعهد نظير ذلك، بأن تقيم فى ممتلكاتها الأمريكية نظاماً دستورياً وبأن تفتح السوق للتجارة الخارجية، لم يكن هناك تفكير فى

فرض هذا المشروع بالقوة. فعلى الدول أن تمارس "الضغط الاقتصادى على المتمردين.

والمحاولة الثانية التى بدأت فى صيف سنة ١٨١٨م، والتى نوقشت فى أثناء مؤتمر اكسن لاشابل، اشركت السياسة الفرنسية مع السياسة الروسية ولكن فى أى اتجاه؟ لقد ظهر أن الدوق دى ريشيليه قد انضم إلى اقتراح القيصر الذى كان يرغب فى روية الدول تقوم بواسطة بين اسبانيا ومستعمراتها، ولم يكن يفكر فى إعادة السيادة الأسبانية، ولكن فى إنشاء دول ملكية يحكمها أمراء أسبانيون. فما الذى يمكن القيام به فى حالة قبول الحكومة الأسبانية لهذه الوساطة، ورفض المستعمرات لها؟ مكتب ريشيليه أن المسألة لك تكن تعنى أبداً "استخدام القوة" ضد الثائرين" فهو أمر من المستحيل إعلانه" ويمكن أنهم قد يصلوا إلى ذلك بعد بدء العملية. ولكنه نصح الحكومة الأسبانية رسمياً بالا تثير هذه الامكانية، إذ أنه كان يعتقد، وتشهد على ذلك خطاباته الشخصية إلى السفير فى لندن (أن الحكومة الانجليزية لن توافق أبداً على استخدام وسائل القوات ضد الثوار. ولذلك فإن هذه المحاولة كانت ضعيفة وبقيت بالتالى بدون نتيجة إذ أنها اصطدمت بمعارضة بريطانيا العظمى كما أن ملك أسبانيا كان يعتقد حتى ذلك الوقت فى أنه قادر على غزو مستعمراته وكان يرفض فكرة الوساطة.

وأخذت المسألة بعداً أكثر خطراً فى سنة ١٨٢٣ م، حين ظهر أن فييل كان يفكر فى تدخل مسلح فرنسى، وتعرض هذا المشروع مشتركة، أعطت فيها بريطانيا العظمى والولايات المتحدة "ضربة قاضية" للسياسة الفرنسية هناك بمجهودات متوازية ولكن منفصلة.

ومن هذه المجهودات بقيت واحدة سرية، وهى المتعلقة بالحكومــة الإنجليزية أما الثانية فكانت علنية: وتتمثل فى إعلان "مبدأ – مونرو" فمــا هى العلاقات التى يمكن إقامتها بين هذين العملين؟

كان التفكير الأول لكاننج هو أن يمنح وفاقا للولايات المتحدة– فاقترح أن ينشر تصريحاً مشتركاً تعلن فيه الحكومتان رغبتهما فى وقف مشروعات التدخل الفرنسية. ووافق رش Ruch سفير الولايات المتحدة فى لندن، على هذا المبدأ ولكنه طلب أن تقوم الحكومة الإنجليزية – وقبــل أن ينتظــر رد حكومته _ بقبول الاعتراف بالدول الجديدة، مع النظام الذى كانوا قد أقاموا بالفعل، أى النظام الجمهورى. ولم يكن كاننج يرغب فى قبول هذا الشرط. فكان يخشى من أن لا يوافق الملك وزملاؤه فى الوزارة على ذلك، وكــانوا يرون أن الوقت لم يحن بعد لمنح هذا الاعتــراف، وكــان يفضــل كــذلك الاحتفاظ ببعض الفرص، التى يمكن للحل الملكى أن يحصل عليها.

وأما الصعوبة التى ظهرت فى طريق الوفاق مع الولايات المتحــدة، قام كاننج وحده بإرسال تحذيره للحكومة الفرنسية، وأعلن السفير بولنتيــاك Poliguac فى ٩ أكتوبر سنة ١٨٢٣م، أن تدخل دولة أجنبيــة بــالقوة أو بالتهديد "فى مشروعان أسبانيا ضد مستعمراتها" سيدفع بريطانيا العظمى إلى أن تعترف فى التو باستقلال هذه المستعمرات، وأسرع بولنتيــاك وأكــد أن الحكومة الفرنسية لا تفكر فى استخدام القوة وعمل كاننج محضــرا، بهــذه الحادثة ووافق فييل دون صعوبة فى ١٩ اكتوبر ولم تحقق رغبة فرنســا فــى التدخل ولكن كاننج أسرع بتوصيل هذه المذكرة إلى الولايات المتحــدة وإلــى الحكومات المؤقتة فى أمريكا الأسبانية. حتى يظهر بمظهر بطل الاســتقلال. وكان هذا نجاحا دبلوماسيا حصل عليه رجل الدول الإنجليزى بثمن قليل.

وفى خلال ذلك الوقت تشاورت حكومة واشنطن، ولكـن معلوماتهـا كانت ناقصة. فكانت قد استلمت عرضاً بتصريح مشترك، ولكنها كانت لا تعلم حتى ذلك الوقت أن كاننج قد صمم على العمل بمفرده. رغم اختلاف وجهـات النظر الإنجليزية والأمريكية على مسألة النظام السياسى للدولة الجديدة، فـإن الرئيس مونرو كان يميل إلى قبول الاقتراح الإنجليزى، ولكن آدمز، سـكرتير الدولة لم يكن يقبل أن تظهر الولايات المتحدة بمظهر "التابع" لبريطانيا العظمى، وكان يفضل تصريحاً أمريكا على تصريح مشترك. فالمسألة مسألة كرامة بلا شك. ولكنها كانت أيضاً مسألة حذر فكاننج باقتراحه هذه المفاوضة، ألم تكـن لديه نية "فرملة" السياسة الأمريكية والحصول مثلاً عل وعـد مـن الولايـات المتحدة بعدم استيلائها على كوبا أو تكساس؟ ووجد آدمز بعض الصـعوبات حتى يجعل نظريته مقبولة. وتساءل زملاؤه فى الوزارة عمـا إذا كـان مـن الحكمة اتخاذ موقف رسمى بالعزلة وستصبح الأخطار جسيمة، إذا ما أصبحت فرنسا "معتدية" وإذا ما أيدتها دول التحالف المقدس فى ذلك، ورد آدمز المسألة لم تكن تعنى الاشتباك فى حرب. فيمكن للولايات المتحدة فى حل الأزمة – أن تعتمد على بريطانيا العظمى التى كانت مصالحها متطابقة مع مصـالح هـذه الولايات، والتى كان فى وسع قوتها البحرية أن تكفى لإبطال مفعول محاولـة التدخل ففى نفس الوقت الذى تنازلت فيه عن قبول الدعوة الإنجليزية، اعتمـد عليها لكى يكتب الرسالة التى وجهها الرئيس مونرو إلى الكـونجرس فـى ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣م. وقال مونرو أنه ما دامت المستعمرات الأسـبانية " قـد أعلنت استقلالها وحافت عليه، وما دامت الولايات المتحدة قد اعترفـت بهـذا الاستقلال فإنه لا يمكننا أن نعتبر كل تدخل من أية دولة أوروبية – يهدف إمـا إخضاع أو ممارسة أى عمل على مستقبلها بأى طريقة أخرى – عبـارة عـن إظهار استعداد غير ودى تجاه الولايات المتحدة".

وهكذا أعلن "مبدأ مونرو"، وحسب قول أحد المؤرخين الإنجليز تحت غطاء الأسطول الإنجليزى". ولكن خطر التدخل الفرنسى لم يكن قائماً بعد، فى اللحظة التى نشرت فيها هذه الرسالة ما دام فبيل قد وقع على مذكرة بولنتياك ولذلك فإن التصريح الأمريكى لم يجتذب فى هذه اللحظة التى نشرت فيها هذه الرسالة مادام فبيل قد وقع على مذكرة بولنتياك ولذلك فإن التصريح الأمريكى لم يجتذب فى هذه اللحظة أنظار أوروبا كثيراً.

هل كان معنى ذلك أنه يمكن أن ينسب دوراً أساسياً للسياسة الإنجليزية فى النتائج الأخيرة؟ وهل من اللازم الاعتقاد أنه كان فى وسع حرب الاستقلال للمستعمرات الأسبانية أن تأخذ، بدونها شكلاً مختلفاً؟ لكى يعتقد ذلك لا بد من وجود الدليل الذى يثبت أن خطة فرنسا للتدخل – لم تكن مجرد تمنيات. ولا يظهر أن فبيل قد فكر فى أن يعطى لسبانيا مساعدة عسكرية لها قيمتها، ولم يحاول أن يقوم بأقل مقاومة للضغط الذى مارسه كاننج. ولذلك فإنه لم يكن للمناورات الدبلوماسية إلا أهمية ثانوية. ويثبت السير تشارلز وبستر CHARLES K, WEBSTER المؤرخ الإنجليزى لهذه الفترة أن شعوب أمريكا الأسبانية قد حصلت لعى استقلالها بمجهوداتها الشخصية، اكثر من المعونات الخارجية.

ما هى أبعاد هذا الاستقلال بالنسبة للمستقبل؟

لم تحتفظ أسبانيا فى أمريكا سنة ١٨٤٢م، فى الوقت الذى انهت فيه هذه المسألة، إلا بممتلكاتها الواقعة فى جزر الأنتيل، والتى كانت كوبا أهمها، وكان المعمرون فى هذه الأراضى والتى كانت لزراع قصب السكر فيها دورا هاماً فى الحياة الاقتصادية للعالم، قد بقوا مخلصين للوطن الأم، إذ أنهم كانوا يخشون من ثورة عبيدهم. وعلاوة على قيمتها الاقتصادية، كان لهذه الجزر

موقعاً إستراتيجياً هاماً فكانت تتحكم فى الطرق البحرية المؤدية إلى برزخ أمريكا الوسطى، حيث بحثت منذ سنة ١٨٢٥م إمكانية إنشاء قناة توصل المحيطين، فهل يمكن لأسبانيا أن تحتفظ بعد ذلك بكوبا لفترة طويلة؟ لقد ظهر أن فى وسع المكسيك أو كولومبيا أن تستولى عليها. ولكن أعلنت الولايات المتحدة فى مارس سنة ١٨٢٦م، أنها لن تقبل هذا الحل. ولم تكن الولايات المتحدة ترغب فى هذا الوقت، فى مسألة كوبا، إذ كان فى وسع بريطانيا العظمى – سيدة البحار – أن تتدخل فيها. ولذلك فإن الولايات المتحدة قد فضلت أن تبقى هذه الجزيرة الكبيرة أسبانية. حتى اللحظة التى يمكنها فيها أن تتنزل إليها، بدون مخاطر.

وعلى اشلاء الإمبراطوريات الأسبانية والبرتغالية تكونت عشرين جمهورية، وكان بوليفار Bolivar لا يشارك ميراندا Miranda فى أمله، فى سنة ١٨١٦م فيما يتعلق بإمكانية تكوين الأقاليم الأسبانية فى أمريكا لدولة واحدة كبيرة وكانت اختلاف الظروف المناخية والاقتصادية، والاختلاف فى نوع السكان والتقاليد التى انشأها نظام الاستعمار الأسبانى، الذى كان قد قسم هذه الأراضى إلى "نيابات تملك" تعتبر عقبات يصعب التغلب عليها "من الجنون التفكير فى توحيد كل الأسبانيين فى أمريكا فى دولة واحدة" أليس من اللازم علاوة على ذلك، أن تحسب حساباً للأطماع الشخصية للرؤساء المحليين للثورة، كاختلاف بشأن النظام السياسى المقبل؟ ولذلك فإن التقسيم السياسى كان حقيقة واقعة، وثارت مسألتان فى سنة ١٨٢٥م، فهل سيكون هناك رابط اتحادى بين هذه الدول الجديدة يمكنه أن يضمن استمرار السلم فى أمريكا اللاتينية، ويسمح بالقيام بعمل مشترك فى السياسة الخارجية، وماذا ستكون عليه العلاقات بين هذه الدول وبين الولايات المتحدة فى أمريكا الشمالية، والتى فرضت نفسها كحامية للاستقلال، برسالة مونرو؟

كان بوليفار يأمل فى إنشاء رباط اتحادى أو فيدرالى بين الجمهوريات الجديدة ، وأعلن ذلك مراراً لأنه منذ يناير سنة ١٨٢٥م واستبعد هذا "المحرر" لأن يلعب دور "المنظم" فى كل أمريكا الجنوبية على الأقل. فتحفظ هــذه الأول بنظمها السياسية الخاصة، ولكنها تعد بعضها بتأييد متبادل فى حالة اعتداء من دولة أخرى، وتقبل أن تعهد لجهاز مشترك بأمر توجيه العلاقـات الخارجيـة للإتحاد، وكذلك بأمر "الاحتفاظ بالنظام الداخلى" داخل كل جمهوريـة وفكـر بوليفار فى نهاية سنة ١٨٢٥ م فى أن يحتفظ لنفسه فى داخل هذا النظام بـدور "عالمى" وهو دور رئيس هذا الاتحاد وكان مؤتمر بنما، الذى كـان عليـه أن يجمع كل ممثلى الدول الدول الجديدة، يهدف فى روحه تمهيد الطريق لمثل هذا الاتحاد، وكان يفكر حتى فى دعوته ممثل حكومة الولايـات المتحـدة لهـذا المؤتمر، وأن ينشئ تضامناً " لجامعة أمريكية" وفـى واشـنطون، وفـى ٦ ديسمبر سنة ١٨٢٥ م أعلن الرئيس الجديد آدمز. والذى كان هو واضع رسالة مونرو رغبة فى قبول هذه الدعوة وكان يأمل فى أنيتمكن الأمريكيون مـن أن يقيموا بينهم روابط سياسية، إذ أنه كانت لهم جميعاً مصالح تختلف عن مصالح أسبانيا.

فه كانوا يسيرون صوب إنشاء جامعة الدول الأمريكية، تحت اشراف الولايات المتحدة؟ لقد اقلق هذا الأمر كاننج، فكان لا يستطيع أن يوافق علـى قيام حكومة الاتحاد بترأس "الاتحاد الفيدرالى للأمريكتين". وكان يوافق علـى مجرد إنشاء جامعة بين الدول الجديدة، إن لزم الأمر. ولكن الواقع أن مشروع بوليفار قد فشل على مستوى أمريكا اللاتينية، كما فشل على مستوى الجامعـة الأمريكية، ومنذ افتتاح مؤتمر بنما عرف "المحرر" أن دول دى لابلاتا وشيلى والمكسيك غير مستعدة لإقامة اتحاد فيدرالى بين الجمهوريات الجديـدة. أمـا الأرجنتين والبرازيل فإنهما لم تقوما حتى بارسال مندوبين عنها إلى المجلس

المنعقد فى بنما وحينما قبل بوليفار مشروعا أكثر تواضعاً، وهو مشروع اتحاد فى أمريكا الجنوبية تدخل فيه كل من كولومبيا وفنزويلا وبيرو، فشل من جديد، وفى هذه الأحوال، هل كان مشروع الجامعة الأمريكية هو كذلك، قد ولد ميتا؟ لم يحاول مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة إحيائه فكان يتردد فى أن تسير على الطريق الذى نصح به آدمز، وكانت جمهوريات أمريكا الجنوبية قد قررت تحرير العبيد السود الأمر الذى نصح به آدمز، وكانت جمهوريات أمريكا الجنوبية قد قررت تحرير العبيد السود الأمر الذى كان يهدد بأن يأخذ شكل العدوى، كما أن مثل هذا الوفاق قد يجبر الولايات المتحدة على أن تتراجع عن سياسة التوسع فى بحر الأنتيل. وحينما وافق مجلس الشيوخ أخيراً على قبول طلبات الرئيس، كانت الفرصة قد أفلتت: فلم يصل مندوبو الولايات المتحدة إلى بنما إلا بعد انتهاء المؤتمر.

وترك هذا الفشل المزدوج – والذى أسلم الدول الجديدة فلإنقسام وللمناقسات والذى حدد حدوده سياسية الولايات المتحدة – الباب مفتوحاً أما نفوذ أوروبا فى أمريكا اللاتينية – وكان بريطانيا العظمى هى الوحيدة المستفيدة لجنى المكاسب، ما دامت الحكومة الفرنسية لم تكن قد قررت بعد الإعتراف بالجمهوريات الجديدة، ولم تقدم على ذلك إلا بعد عدة سنةات وكانت بريطانيا العظمى هى التى تمنح الولايات المتحدة فى أمريكا اللاتينية منتجاتها المصنوعة. والتى كان فى وسعها كذلك أن تمنحهم رؤوس الأموال ومنذ سنة ١٨٢٥م بلغت قيمة التجارة الإنجليزية ٨٠ مليون ددولار. أى ثلاثة أضعاف تجارة الولايات المتحدة.

وهكذا حصلت بريطانيا العظمى، فى هذه الدول الجديدة على تفوق اقتصادى احتفظ به لما يقرب قرن من الزمان.

امثلة لبعض الثورات فى أمريكا اللاتينية:

ثورة فنزويلا

عندما تدخل نابليون فى أسبانيا سنة ١٨٠٨م، نادى المجلس البلدى فى كاركاس بفرديناند السابع ملكاً على اسبانيا والانديز واقترح فى نفس الوقت تأليف مجلس محلى، وبعد سنتين خلع المجلس البلدى غير العادى الحاكم العام وشكل مجلسا محلياً باسم الملك.

وفى عام ١٨١١م بادر المجلس برفض ولاية ملك أسبانيا عليهم وطالب بانضمام فنزويلا إلى الصوف الولايات الحرة، كما دعا المستعمرات الأخرى إلى اتخاذ خطوة مماثلة. ثم إيفاد لجنة من بينها سيمون بوليفار نفسه إلى انجلترا لطلب معونتها. عاد ميراندا إلى فنزويلا لتولى زمام القيادة.

وأعلن مؤتمر عام استقلال فنزويلا. وتم وضع دستور لها. تولى ميراندا أمرة قوات الثورة. وأصبح بوليفار أحد نوابه، وقد كرس سيمون بوليفار (١٧٨٣ – ١٨٣٠ م) الذى ولد فى كاركاس من أبوين عريقين من سلالة الكربول. وتعلم فى المدينة مسقط رأسه، ثم تم تنقل كثيراً فى ربوع أوروبا، وتبحر فى الفلسفة الفرنسية وتأثر أبلغ الأثر بآراء أستاذه سيمون روديجز الذى كان يدين بالنظام الجمهورى – كرسى جهده لتحرير المستعمرات الأسبانية وأصبح أحد بطلى حركة الاستقلال.

وشهدت الفترة من سنة ١٨١١ – ١٨١٢ م بعض التطورات، حيث أحرزت القوات الأسبانية بقيادة خوان دومنجو مونت بردى نجاحا ملحوظاً فى معركة إعادة غزو الولاية فثار صراع داخلى. ووقع زلزال أحدث دماراً مروعاً مما نتج عنه توهين العزائم فى المنطقة الخاضعة للثوار، لم يمتد هذا

الزلزال إلى المنطقة التى كانت فى أيدى الملكيين، أعلن رجال الدين أن هذه الكارثة نقمة الهيئة دفعها الثوار ثمناً لخيانتهم، وكان لهذا تأثيره الضار فى قضية الثورة.

ونصت ميراندا دكتاتوراً لتنظيم عمليات المقاومة ولكن القوات الملكية أحرزت تقدماً سريعاً فأكره على التسليم ووقع معاهدة سان ماتيو التى نصت على العفو عن الثوار، ومع ذلك فقد عمل مونت بردى فنزويلا كمقاطعة مغلوبة على أمرها. وهكذا فشلت ثورة ميراندا عام ١٨١٢م، وانتهى الأمر بنفيه إلى أسبانيا حيث مات هناك عام ١٨١٤م.

ولقد استفاد بوليفار من جماعة الإنجليز الذين حاربوا فى صفوف الجيوش التى هزمت نابليون فى أوروبا فى تطويعهم كمحاربين معه ضد السلطات الأسبانية (أستفاد أيضاً من جماعة بايز فى استمرار ثورته من أجل تحرير فنزويلا من الاستعمار الأسبانى. كما أن بوليفار قد أستفاذ من ثورة مناطق الجنوب بقيادة سونتاندر ضد الأسبان حتى تحالف مع سونتاندر وانتصر معاً على القوات الأسبانية فى وقعة بوى آكا واستوليا على مدينة بوجاتا فى الجنوب وهى عاصمة ما كان يعرف باسم غرناطة الجديدة (كولومبيا) وحدث أن توحدت غرناطة الجديدة (كولومبيا) مع فنزويلا وسميتا معاً باسم كولومبيا العظمى، وأصبحت مدينة كوكوتا عاصمة الجمهورية الجديدة، وأصبح بوليفار رئيساً لها. وكان نجاح الثوار فى فنزويلا وكولومبيا يعدو على انشغال أسبانيا بثورتها الداخلية عام ١٨٢٠م.

واستطاع الثوار ضم إقليم جديد إلى الأتحاد وهو أقليم كيوتو ١٨٢٢م وصارت جمهورية كولومبيا العظمى تتألف من كولومبيا وفنزويلا وكيوتو.

ثورة المكسيك:

كان من نتيجة الأحداث فى اسبانيا عقب تدخل نابليون عام ١٨٠٨م أن رغبت عناصر الكريول فى نصيب أكبر فى الحكم. اجتمع مجلس محلى بتأييد من نائب الملك خوسيه دى أتيار يجارى الذى كان يطمع فـى خدمـة مصالحه هو، رغم معارضة مجلس الولاية الذى كان يتكون مـن أسـبان لا يثقون فى عناصر الكريول. على أنه سرعان ما قامت فئـة مـن الأسـبان بتحريض من مجلس الولاية بطرد نائب الملك. تعاقب بعد ذلك فـى فتـرة وجيزة أربعة من نواب الملك (١٨٠٨ – ١٨١٣م).

كان أول من قاد حركة مباشرة ضد الحكم الأسبانى هـو ميجويـل هيدلجو كوستيا (١٧٥٣ – ١٨١١م) وهو قسيس من سلالة الكريول متجر فى الفلسفة الفرنسية وحريص على صالح جمهور مواطنيه.

كان هيدلجو يهدف إلى الإنفصال والإصلاح الإجتماعى. بدأ بأشعال الثورة فى إقليم جانا خواتو بمساعدة بعض الكروليين بعد أن أنضم إليه عدد من الهنود والمولدين ومزيد من الريوليين. استولوا علـى جانـات خواتـو وجوادا لاجار وبلد الوليد ووصل إلى مشارف العاصمة وهنا اضطر رجالـه وعددهم ٨٠٠٠٠ يعورهم السلاح إلى التقهقر على يد قوة أسبانية صـغيرة بقيادة فيليكس كاليجا وسرعان ما اتخذت هذه الحركة بزعامة هيدلجو طـابع ثورة عبيد، الأمر الذى ترتب عليه نفوز الطبقات العليا من الكريول.

تحول كاليجا إلى موقف هجومى، فسحق بجيش من ٦٠٠٠ رجـل، القوات الثورية عند قنطرة كالديرون بالقرب من جوادالاجـار. فرهيـدلجو بجيشه شمالا، ولكن القائد وقع فى أيدى الأسبان فحوكم وأعدم.

واصل خوسيه ماريا موريلوس القتال (١٧٦٥ – ١٨٥١م) وهو قس مولود كان يحارب غرب مدينة المكسيك بصفته نائباً لهيدالجو. سار موريلوس غرباً وتمكن من السيطرة على منطقة كبيرة واستولى على أوكاكا. ثم اتجه غرباً واستولى على أكابولكو عام ١٨١٣م.

وفى عام ١٨١٤م دعى مؤتمر إلى الإجتماع فى تسيلبانثجو وأسندت رياسة الحكومة إلى موريلوس وأعلن الاستقلال (٦ نوفمبر) أجريت إصلاحات إدارية واجتماعية ومالية وأعلن دستور اباتثنجان، وأخفق موريلوس فى محاولة الإستيلاء على بلد الوليد وأرغم على الانسحاب على يد أوجستين دى أتوربيدى (١٧٨٣ – ١٨٢٤م). وهو من سلالة الكريول وكان يعمل فى خدمة الأسبان. أزداد وضع قضية الثوار بأسا فقد وصلت الإمدادات للملكين من أسبانيا واضطرت الحكومة إلى تغيير مقرها مراراً.

وتخلى موريلوس عن سلطته التنفيذية عام ١٨١٥م رغم الاحتفاظ بالقيادة العسكرية قبض عليه وهو يقود الحكومة إلى تواكان ثم أعدم بعدها بقليل حل مجلس الثورة. وانتهج خوان رويث أبوداكا سياسة التوفيق والأسترضاء فتم بذلك استسلام قادة الثورة وبذا توطد النفوذ الأسبانى مرة أخرى ولم يواصل المقاومة سوى بعض قادة حرب العصابات من بينهم بيثنتى جيريرو (١٧٨٢ – ١٨٣١م) وفى عام ١٨١٧ نزلت حملة تالف بانجلترا والولايات المتحدة بقيادة فرانسيسكو خافير مينا إلى ساحل الخليج وتوغلت حتى جانا خوالو ولكنها هزمت أعدم خافير مينا. وهددت ثورة ١٨٢٠م بأسبانيا كما هددت عودة دستور ١٨١٢م مركز رجال الدين والطبقات العليا والعناصر الرجعية والمحافظة التى صممت على الانفصال وجدت هذه الطوائف أداة لخدمة أغراضها فى شخص أتوربيدى الذى أبرم

مشروع أجوالا مع جيريور. وأعلن هذا المشروع استقلال المكسيك كما أعلن أن الحكومة يجب أن تكون ملكية دستورية تحت حكم فرديناند السابع أو أمير أوروبى آخر. وتعهد بضمان المذهب الكاثوليكى الرومانى والاحتفاظ بمركز الكنيسة وأملاكها. كما حض على اتحـاد كـل الطبقـات لمـؤازرة الإدارة الحكومية، أيد الملكيون وكبار رجال الدين وعدة الكروبوليين هذه الحركـة. تالف جيش وخلع أبوداكا نائب الملك. وتقبل نائـب الملـك الجديـد خـوان أودونوخو مشروع أجوا الذى قدمه إليه مؤتمر قرطبة احتل جـيش الثـوار مدينة المكسيك. وتألف مجلس وصاية برياسة اتوربيدى حتى يـتم اختيـار عاهل للولاية. دعى مؤتمر تأسيس إلى الانعقاد. ورفضت الحكومة الأسبانية الاعتراف بمؤتمر قرطبة وحض أتوربيدى بعض أعضـاء المـؤتمر علـى انتخابه إمبراطور. توج باسم أوجستين الأول.

ثورة البرازيل:

تعد البرازيل أكبر الأقطار الأمريكية وذلـك إذا اسـتبعدنا الاسـكا والمنطقة القطبية غير المأهولة من الولايات المتحدة وكندا علـى التـوالى، وتحتل البرازيل نصف مساحة أمريكا الجنوبية ولكنها تختلف عن جاراتهـا من حيث اللغة والتاريخ، وإلى حد كبير من حيث الجغرافيا، ولا ينطبق عليها كثير، وتعتبر هذه الاختلافات اللغوية والتاريخية نتيجة عرضـية للإعـلان البابوى الذى أصدره عام ١٤٩٣م البابا الكسندر السادس الذى لم يرس له قدم إطلاقاً فى الأمريكيتين وينص هذا الإعلان والذى كان يهدف إلـى تجنـب الاحتكاك بين الدول المسيحية فى القارة المكتشفة حديثاً على أن الأقاليم الواقع على بعد ٣٧٥ ميلاً شرق رأس فيردى ينبغى أن ينضم إلـى البرتغـال وأن تنضم كافة الأقاليم الواقعة إلى الغرب إلى أسبانيا.

وقد أكدت الدولتان هذا الإعلان فى معاهدة توردسيلاس فى العـالم التالى. ولهذا فحينما رأى الملاح البرتغالى "بيدرو الفاريس كابرال" فى عـام ١٥٠٠ الساحل البرازيلى لأول مرة تمكن من المطالبة بضم مساحة كبيـرة إلى التاج البرتغالى (وقد أزدادت فيما بعد بدرجة ملحوظة).

وقد ظلت البرازيل منذ البداية والتى اشتقت اسمها من شجرة تعرف باسم "بالوبرازيل" فى وضع انعزالى، وفى ظروف متباينة عن المستعمرات الأسبانية فى نصف الكرة الغربى، وكان ينقصها فى مبدأ حضارات سـكان البلاد الأصليين التى كانت تعتبر تحدياً للأسبان فى بيرو والمكسيك كما خلقت مشكلات للأجيال الجديدة، ومن ناحية أخرى فلم تكن البرازيل تملك المعادن الثمينة التى ملأت أذهان الغزاة بأحلام الثروة والمجد، ويتكون جزء كبير من إقليم البرازيل من غابات أو أراضى جدباء.

ولم تكن البرازيل بلاداً تثير الحماس فى صدور الأبيريين، ولهذا فقد كانت نتيجة لتخطيط الحدود والاكتشاف الفجائيين منطقة غير مرغوب فـى استيطانها. وكانت السلطات البرتغالية فى الواقع تعامل ممتلكاتها الجديدة كما كانت بريطانيا تعامل استراليا من قبل وذلك باعتبارهـا مسـتودعاً خصـباً للأشخاص الذين لم يكن مرغوباً فيهم فـى بلادهـم الأصـلية وبـالأخص المجرمين واليهود الذين أزداد عددهم فيما بعد نتيجة لتدفق وصولهم الجبرى فى هيئة بحارة تحطمت سفينتهم، وقد اتخذ هؤلاء الرجال فى غياب عشيرتهم من النساء زوجات لهم وكثير أماكن أكثر من واحدة من القبائل الهندية الرحل التى كانت تكون السكان الأصليين الوحيدين وبدأت بهذا عملية "التهجين" التى ميزت البرازيل منذ ذلك الوقت.

ولم يكن اهتمام البرتغاليين بالبرازيل كبيراً حتى جاء عام ١٥٣٠م الذى أنشأت فيه لشبونه أخيراً حكومة رسمية فى المستعمرة، وأرسل المبعوث الرسمى الأول "مارتيم أفونسودى سوزا" تقريراً متشائماً سواء عن الإمكانيات الفقيرة للبلاد، أو مصاعب الدفاع عنها لدرجة أن حكومة البتغال قررت أن البرازيل تسبب إزعاجاً كبيراً وحولتها إلى مشروع خاص وقسمتها إلى خمسة قطاعات تمتد من الساحل إلى خط توردسياس، وأوكل الحكم فيها إلى مواطنين برتغاليين. (قامت حكومات بريطانية فيما بعد بإجراء مماثل حيث أوكلت تنمية أجزاء كبيرة من الإمبراطورية إلى الشركات صاحبة الامتياز) وكان هذا الإجراء واحداً من العوامل التى أسهمت فى البناء الفيدرالى الحالى للبرازيل.

وفى عام ١٥٤٩م ذاع ما عرف بعد ذلك على الورق بالنظام الاستعمارى التقليدى ولكن المظهر الإقليمى كان قد أنشئ فى ذلك الوقت، ولم تمتد السلطة الحقيقية للحكام العامين (الذين عرفوا فيما بعد بنواب الملك) من الناحية السلبية فيما وراء حكمهم الفعلى حول"ساوسلفادور دى باهيا" بينما لم تبد السلطات البرتغالية سوى اهتمام بسيط بالبرازيل وهو لا يتعدى اهتمام الحكومة الأسبانية بأى واحدة من ممتلكاتها عبر المحيط.

لم يكن هذا هو الاختلاف الوحيد بين تطور المستعمرات الأسبانية والبرتغالية وبالرغم من أن ممتلكات اسبانيا قد صيغت نتيجة للحملات الإنجليزية التى هاجمت السفن والمدن الساحلية فإنها لم تخضع للتدخل الأجنبى حتى الوقت الذى تعرضت فيه لإغارات بريطانيا العدوانية عامى ١٨٠٦، ١٨٠٧م.

وكانت البرازيل فى ذلك الوقت تواجه ظروفاً أشق، وأقام الفرنسيون بالفعل مستعمرة فى البرازيل عام ١٥٥٥ ولم يطردوا منها حتى عام ١٥٦٧م بعد أن أضعفتهم المنازعات الداخلية بين الكاثوليكيين والبروتستانت من أتباع "كالفن"، وفى أواخر ذلك القرن أستوطن جماعة من الهيجونوت الفرنسيين الساحل الشمالى ولم يطردوا منه حتى عام ١٦١٥. وقد أدى القتال من أجل إبعادهم إلى بداية التوسع البرازيلى فى الشمال، وفى الوقت نفسه بدأ إهمال الوطن الأم للبرازيل أكثر وضوحاً بصفة خاصة نتيجة لاحتلال أسبانيا للبرتغال فى عام ١٥٨٠ وللحرب الأسبانية البرتغالية فى عام ١٦٤٠ – ١٦٨٨ والتى أدت إلى استعادة البرتغال لسيادتها.

وحل الهولنديون حينذاك الفرنسيين باعتبارهم المغتصبين الأجانب الرئيسيين حيث استولوا على "أولينوا" و "ريسيف" فى عام ١٦٣٠م، وفى خلال عقد من الزمان أستولت شركة جزر الهند الغربية الهولندية على المنطقة الواقعة شمال البرازيل وأرسل الأمير "ماوريتس فان تاسو" كحاكم لها، ولم تفعل البرتغال وهى التى كانت مشغولة فى الداخل بحربها مع أسبانيا شيئاً لمساعدة المستعمرة وكان على البرازيليين مثل الأرجنتين عند "إعادة الغزو" و "موقعة الدفاع" أن يدافعوا عن أنفسهم ويقوموا بطرد الهولنديين الذين كانوا مشغولين فى ذلك الوقت فى حرب مع انجلترا فى عام ١٦٦١. ولم يسفر هذا النصر مثل موقعتى الغزو والدفاع عن تدعيم مشاعر الوطنية المحلية والثقة بالنفس ولكنه جمع أيضاً كافة الأجناس والطبقات بالبرازيل من أجل الدفاع عن قضية مشتركة. ومنحهم نوعاً من التعلق بالوطن لم تحققه المستعمرات الأسبانية كوحدات مستقلة إلا بعد وقت طويل.

ولم يكن إسهام الأجانب فى تحقيق التقدم بالبرازيل قاصراً على التدخل المسلح، ففى الحقل التجارى كانت لشبونة إلى حد كبر أكثر تساهلا من مدريد فى سماحتها لرعاياها فيما وراء البحار بالتجارة مع الأجانب، وفوق هذا فقد كانت أقل مقدرة فى تطبيق القيود التى فرضتها بالفعل ونتج عن هذا أنه قدر أن نصف تجارة البرازيل فى القرن ١٨ كانت مع بريطانيا بينما كان معظم الباقى بالرغم من المنازعات مع فرنسا وهولنده.

لم تكن العوامل الوحيدة التى جعلت البرازيل مختلفة عن جاراتها من الدول المتحدثة بالأسبانية هى نمط الاستيطان أو التجارة أو الحروب الخارجية، وبالرغم من أن الأسبان مثل غيرهم كانوا يستجلبون العبيد الزنوج إلى مستعمراتهم بالكاريبى فلم تكن تجارة العبيد الزنوج تشكل عاملاً حيوياً له تأثيره على اقتصاديات الأقاليم الأخرى التابعة لأسبانيا، ولكن كان لهذه التجارة تأثيرها فى البرازيل بسبب عدم رغبة الهنود وعدم ملاءمتها لهم. ولا توجد أية أرقام يمكن الاعتماد عليها عن التكوين العنصرى لفترة الاستعمار الأولى ولكن فى عام ١٨١٨مقدر المستكشف "الكسندر هون همبولدن" سكان البرازيل بـ ١,٨٨٧,٥٠٠ من الزنوج ٨٤٣,٠٠٠ من البيض ٦٢٨,٠٠٠من العنصر المخلط (أما الرقم الذى أعطاه عن تعداد الهنود الذى يبدو أقل من المحتمل بكثير، فالأغلب أنه يعتمد فيه على الحدس) ولم يبق كافة الزنوج كعبيد واعترف بالعديد من المستيكوس والماmليكوس، من جانب أبنائهم الأوروبيين، كما حصلوا على نوع من الاعتراف بوضعهم الإجتماعى، ولهذا فبالرغم من أنه كان بالبرازيل ولا يزال حتى الآن فرق شاسع بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى، فقد كان يوجد بالفعل طبقة متوسطة لها اعتبارها، وكانت هذه الطبقة المتوسطة إلى حد كبير قليلة الوجود فى الدول المتحدثة بالأسبانية، وفوق هذا فبالرغم من أن

العديد من ملاك العبيد كانوا متوحشين بالفعل فى معاملاتهم فقد كان الآخرين يعاملونهم معاملة الآباء وكانوا بمرور الوقت أكثر تنوراً. وكان هذا ينطبق على عدد لا يكاد يذكر من "الأينكومنديروس"، بالرغم من أن الهنود الذين كانوا يعملون تحت إمرتهم لم يكونوا من الناحية الرسمية عبيداً.

وقد كان للكنيسة فى البرازيل ايضاً وخاصة التى تتبع نظام الجيزويت تأثيرها الطيب بالنسبة لمعاملة مختلفة الأجناس من رعاياها وخاصة فى شمال البلاد أما فى الجنوب فلم يول "البياوليستاس" الجشعين أهتماماً كبيراً بالقسس، بينما كانوا مندفعين فى اهتمامهم وبطريقة جافة إلى المناطق الداخلية.

أما الاختلاف الكبير الآخر بين وضع البرازيل ووضع جاراتها فإنه ينبع من علاقتها بالتاج، وكان ملوك أسبانيا يميلون إلى أن يضعوا أنفسهم فى أبراج عاجية، ولم يكونوا مشغولين فقط بالحصول على ممتلكات أمريكية تزيد عن طاقتهم وإنما أيضاً بالالتزامات الأوروبية المتزايدة، وكان البراجانكاس الذين حكموا البرتغال أكثر ارتباطاً حتى من الناحية الجغرافية إقليمهم عبر المحيط وأصبح هذا الارتباط أكثر قوة حينما قام نابليون فى عام ١٨٢٤ بغزو البرتغال واحتلالها.

وقد أبحر الأمير الوصى "دوم جوار" بصحبة العائلة الملكية بأجمعها إلى البرازيل تحت حماية الأسطول البريطانى وحينما أستقر فى ريودى جانيرو قام بعدة إصلاحات من بينها إنشاء أول صحافة مطبوعة فى البرازيل وهى التى طال انتظار إقامتها، وحينما تمكن فى عام ١٨٢١م من العودة إلى البرتغال باعتباره الملك، جواو السادس ترك وراءه ابنه بيدرو نائباً للملك ونظر برلمان لشبونة مع هذا نظرة غير مؤيدة للحريات الجديدة لمستعمراتها

السابقة، وأمر "دوم بيدرو" بالعودة إلى بلاده ولكنه أمتنع عن العودة، وفي يوم ٧ سبتمبر عام ١٨٢٢ أعلن أن البرازيل صارت مستقلة ونصب نفسه الإمبراطور "دوم بيدرو الأول" وبهذا أصبحت البرازيل أول دولة أمريكية بخلاف كندا تحقق استقلالها بدون حرب وتبقى على النظام الملكى، وكان لما حققته هذا تحقيقاً مفاجئاً تأثير عظيم فى تكون المظهر القومى البرازيلى.

وبالرغم من أن الملك الجديد قام بمثل هذه الخطوة الشعبية إلا أن المهمة لم تكن سهلة أمامه. وبعد أن منح البلاد دستوراً متحرراً نسبياً ووجه بالمتمردين والجمهوريين فى الداخل بينما أصبحت بلاده فى الخارج بعد أن كانت متفقة مع الدول فيما وراء البحار متعاركة مع جيرانها، ففى اللحظة الأولى اشتركت فى حرب الأرجنتين حول السيادة على إقليم يعرف بالضفة الشرقية لأوروجواى.

الفصل الخامس

الحرب الأهلية الأمريكية

١٨٦١ – ١٨٦٥

لقد كانت هناك مشاكل عديدة استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحلها إما بعقد اتفاقات أو معاهدة مثال ذلك، المشكلة التى حدثت بينها وبين بريطانيا العظمى بخصوص إدعاء الدولتان ملكية إقليم أوريجون وهو الإقليم الذى يقع بين خط العرض ٥٢، ٤٠، ٥٤ وإن كان أن الأقليم محل النزاع هو الواقع بين نهر كولومبيا وخط العرض ٤٩°، وفى معاهدة ١٨٢٨م مع شرط جديد هو من حق كل الطرفين إنهاءها بشرط أخطار الطرف الأخر قبل موعد الإنتهاء بسنة وكانت مصلحة بريطانيا فى إقليم أوريجون تتركز فى تجارة الفراء التى هيمنت عليها بعد عام ١٨٢١م شركة خليج هدسون. وقد زار التجار الأمريكيين منذ زمن مبكر المنطقة الساحلية لإقليم أوريجون واكتشف الكابتن جراى منبع كولومبيا (١٧٩٢م) وارتاد كل من لويس وكلارك الإقليم كله كما قام جون جاكوب استور بإنشاء مركز استوريا عام ١٨١١م، واستقرت بعثة تبشيرية من الميثوديين فى وادى ويلاميت سنة ١٨٣٤م، وتبعتها بعثات أخرى، وفى أوائل الأربعينات هاجر كثير من الفلاحين الأمريكيين إلى هذا الوادى، وبذلك أصبح التنافس بين أمريكا وبريطانيا تنافساً بين تجار الفراء وبين النازحين الأمريكيين، ووقعت اتفاقية أوريجون سنة ١٨٤٦م، رسمت الاتفاقية الحد الفاصل بخط العرض ٤٩° على الأرض ثم منتصف القنال حتى المحيط.

وهكذا نجد أن الولايات المتحدة استطاعت أن تحل هذه المشكلة عن طريق عقد اتفاقية أوريجون مع بريطانيا العظمى، ولم تلجأ إلى الحرب كوسيلة لإنهاء هذه المسألة مثلما حدث فى مسألة المكسيك فإنها أى الولايات المتحدة الأمريكية اضطرت إلى حل هذه المسألة بالحرب، ومن هنا نجد أن جذور الحرب الأهلية ترجع إلى عدة عوامل منها مسألة الرق أو قضية الرقيق الأسود، ومسألة ضم تكساس وموقف كل من بريطانيا وفرنسا.

وأدى ذلك إلى قيام الحرب بينها وبين المكسيك. وكان من ضمن العوامل قضية فى غاية الأهمية، وهى قضية تقدم الشمال على الجنوب، ثم اندلاع الحرب بين الأشقاء ومراحلها ونتائجها.

قضية الرق والرقيق:

وبالنسبة للرق أو قضية الرقيق فيرجع ذلك إلى اتفاق الميسورى وعلى الرغم من أن الرق لم يكن حتى ذلك الحين، قد حظى باهتمام عام يذكر فإنه قد نما بسرعة حتى أصبح مشكلة ذات نفوذ عظيم وفى سنة ١٨١٩م وبمباغتة مذهلة، انفجرت المشكلة على الانتباه العام "كجرس ينذر بحريق فى جوف الليل"، كما كتب جيفرسن إذ أن كثيراً من الزعماء افترض أن الرق لن يلبث أن يذوى فى كل مكان عندما كانت الولايات الشمالية تضع التشريعات لتحرير العبيد فوراً أو تدريجياً. ولقد كتب واشنطن إلى لافاييت فى سنة ١٧٨٦م. أنه كان يرجو صادقاً إمكان اتخاذ خطة ما يتسنى بها إلغاء الرق بدرجات بطيئة أكيدة غير ملحوظة، وقد أعتق عبيده فى وصيته. وكان جيفرسون يرى أن الرق يجب أن يمحى بعملية تجمع بين التحرير والإبعاد عن البلاد وكان يقول: "أننى أرتجف فرقاً من أجل بلادى عندما أفكر فى أن الله عادل. وصرح باتريك هنرى، وماديسون، ومونرو، وكثيرون غيرهم

بمثل هذا وكان العديدون من الجنوبيين يرون حتى سنة ١٨٠٨م عندما ألغيت تجارة الرقيق، أن الرق لن يكون سوى شر مؤقت.

بيد أن الجنوب تحول أثناء الجيل الثانى إلى قطاع كان فى الغالب متحداً إتحاداً قوياً وراء إلى الرق. فكيف يتسنى هذا؟ ولماذا اختفت تقريباً روح إلغاء الرق فى الجنوب؟ من الأسباب أن المبادئ التحررية الفلسفية التى ذكرت واستقرت فى أيام الثورة، أخذت تضعف تدريجياً ومن الأسباب أن روح عداء عام بين نيوانجلاند البيورتانية والجنوب المتثبت بالرق، أصبحت واضحة، وقد اختلفنا بصدد حرب سنة ١٨١٢م. والرسوم الجمركية ومسائل كبرى أخرى. وأخذت استساغة الجنوب لما أطلق عليه "مبدأ التحرير لدى الشماليين" تقل باطراد بيد أن فوق الأسباب جميعاً. أن عوامل اقتصادية جديدة جعلت الرق أكثر ربحاً وانفعاً مما كان قبل سنة ١٧٩٠م. فما كان يعتبر أصلاً شراً لابد منه "أصبح ضرورياً حتى أنه لم يعد شراً. وهناك عصر معروف من عناصر التغيير الاقتصادى.. ذلك هو قيام صناعى كبرى فى الجنوب، هى إنتاج القطن. وقد استندت فيما استندت إليه على إدخال أنواع محسنة من القطن، ولكنها استندت بقسط أكبر على اختراع "ايلى هوينتى" الذى أحدث ضجة فى ذلك العهد.. اخترع الحلج لتنظيف القطن فى سنة ١٧٩٣م. وسرعان ما زحفت زراعة القطن من كارولينا الشمالية والجنوبية وجورجيا نحو الغرب، منتشرة فى قسم كبير من الجنوب الأدنى ممتدة إلى نهر المسيسبى، ما لبثت أن امتدت إلى تكساس. وكانت زراعة قصب السكر عاملاً آخر أقام الرق على قاعدة جديدة. فإن أراضى الدلتا الخصبة، الدافئة فى الجنوب الشرقى من لويزيانا مثالية لقصب السكر. فقد نجم عن ذلك رواج عظيم، فلم تحن سنة ١٨٣٠م حتى كانت الولاية تقدم

حوالى نصف حاجة الأمة من السكر. وقد تطلب هذا عبيداً فاستجلبوا بالآلاف من الساحل الشرقى.

وأخيراً انتشرت زراعة التبغ هو الآخر نحو الغرب وآخذت الرق معها. كان الإنتاج المتواصل قد أنهك تربة المنطقة المنخفضة من فيرجينيا، وقد كانت من أعظم مناطق التبغ فى العالم، فلم يجد المنتجون مانعاً من الانتقال إلى كنتكى وتنيسى، مصطحبين زنوجهم. وترتب على هذا أن العبيد الذين كانوا يتكاثرون بسرعة فى أعالى الجنوب تضاعلوا إلى حد كبير إذ انتقلوا إلى ادنى الجنوب وإلى الغرب. وقد ارتاح كثيرون من المراقبين إلى هذا الانتشار للرق، لأنه خفض خطر قيام عصيان من الرقيق مثل "عصيان نات تيرنر" وهو تمرد قام به ستون أو سبعون من عبيد فيرجينيا فى سنة ١٨٣١م. وقدر له أن يكون ذا أثر كبير فى زيادة تخوف الجنوبيين من مبادئ التحرير. ومع امتداد مجتمع الشمال الحر. ومجتمعه العبيد الجنوبى نحو الغرب. بدأ من المستحب إقامة نوع من المساواة بينهما. فعندما ضمت ايلينوى إلى الإتحاد فى سنة ١٨١٨م.وكانت ثمة عشر ولايات تبيح الرق وإحدى عشر ولاية حرة.وفى سنة ١٨١٩م طلبت الاباما وميسورى الانضمام للاتحاد.وكان لزاماً على "الاباما" أن تبيح الرق. بحكم شروط نزول جورجيا عن الأرض التى كانت لها. ومن ثم فإن ضمها كان كفيلاً بتحقيق التوازن بين الولايات المبيحة للرق وتلك المجندة للحرية. بيد أن كثيرين من الشماليين بادروا إلى التكتل لمعارضة انضمام ميسورى إلا كولاية حرة. وتقدم النائب تالميد النيويوركى تعديلاً لمشروع قانون الضم، مطالباً ميسورى بأن تأخذ تدريجياً بعتق العبيد. واجتاحت البلاد عاصفة هوجاء. وبدا لفترة أن الكونجرس فى مأذق لا منفذ منه، إذ كان أبناء الولايات الحرة يسيطرون

على مجلس النواب ودعاة الرق يسيطرون على مجلس الشيوخ. بل لقد خشى الناس أن تراق الدماء.

ثم تسنى تدبير حل وسط بزعامة هنرى كلاى المحب للسلام. فكـان لميسورى أن تنضم كولاية تبيح الرق، ولكن من تنفصل فى الوقت ذاته"عن مساتشويتسى وتضم كولاية حرة" وأصدر الكونجرس قانوناً بإقصاء الرق إلى الأبد عن الإقليم الذى تسنى اكتسابه بمقتضى صفقة شراء لويزيانا شمالى خط عرض ٣°، ٣٦°، وهو الحد الجنوبى لولاية ميسورى.

وعاد الصحو إلى السماء مرة أخرى، ولكن كل مراقب بعيد النظـر كان يدرك أن العاصفة لابد وأن تعود. وقد كتب جيفرسون أن هذا الحـادث الذى كان شبيهاً بجرس الحريق فى بهيم الليل، بدا له نذيراً بنهاية الاتحاد.

وكان من الممكن لسحابتين لا تزيدان عن قبضة الإنسـان أن تعلنـا للجنوب العاصفة التى كانت تتحفز. ففى سنة ١٨٢١م أنشأ شاب من الكويكر يدعى بنجامين صحيفة فى أوهايو معارضة للرق تدعى"داعية العتق العالمى" وفى سنة ١٨٢٣م أقام المصطلح الإنجليزى "ويلبرفورس" جمعية لمناهضـة الرق انضم إليها زاكارى وغيره من ذو المكانة.

وبدأت مشكلة الرق تظهر منذ عام ١٨٣٠م بين القطاعين الشـمالى والجنوبى.وكان نمو الدعوة على إلغاء الرق،والشعور بحرية البلاد أشد فـى الولايات الشمالية. وظهر المتحمسون لتحرير الرق لدرجة أن بعضـهم قـد تعرض للاضطهاد نتيجة لمطالبته بإلغاء الرق. ولكن لـم يـؤد ذلـك إلـى تقاعسهم عن المطالبة بتحرير الرق. ولقد رأى البعض أن هذا النـزاع بـين قطاعىَ الدولة يهدد الاتحاد فانذر "جون كوينسى آدامز" الجنوب مراراً فـى

مجلس النواب بأن الإنفصال صنع الحرب، وأنه من اللحظة التى تصبح فيها ولا يتكلم الممتلكة للعبيد مسرحاً لحرب أهلية أو إرغامية أو أجنبية...من تلك اللحظة تمتد سلطات الحرب فى الدستور لتبيح اعتراض نظام الرق. وكان مقدر للينكولن أن يثبت صدق هذه النبوءة.

لقد كان وضع الرقيق الأسود فى الولايات الجنوبية وضعاً مزرياً حقاً. فهم يعملون فى المزارع من الفجر حتى الليل، ويشرف عليهم رجل زنجى مثلهم يضربهم بالسوط حال تثاقلهم وتباطئهم عن العمل. وكان يشرف على الجميع رجل أبيض يراقب العمل عن كثب. وكان طعامهم رخيصاً وغير مكلف ولا أجور لهم. وكانوا جهلة ليس من حقهم التعلم ودخول المدارس. أنه عمل مضنى وشاق وعناية قليلة وجهل وتأزم فى أحوالهم النفسية، كل هذا سبب هوة واسعة بين الجل الأبيض وبين الرجل الأسود.وقد تراكمت البغضاء حتى وصلت بينهم إلى درجة الكره.وشكلت الحالة هذه حواجز نفسية بين المجتمع الأبيض وبين الجماعات السود فى الولايات الجنوبية.

وتحت ضغط الولايات الشمالية على الولايات الجنوبية فى مسالة تحرير العبيد السود فى ولاياتها بدأت علامات الانفصال تظهر فى الولايات الجنوبية. وهددت ولاية ساوث كارولينا بالانفصال عن الولايات المتحدة عام ١٨٣٢م.

وتطورت الأحداث وخاصة بعد قرارات ديفيز والتى صدرت بشأن الرق سنة ١٨٦٠م لحماية ملكية العبيد فى مختلف الولايات. وفى نفس السنة قامت معركة انتخابات الرئاسة وفاز إبراهام لنكولن ولم يحرز أى صوت انتخابى فى الولايات التى تستخدم العبيد.

مسألة تكساس:

حينما كانت الولايات المتحدة قد حصلت من فرنسا فى سنة ١٨٠٣م على التنازل عن لويزيانا. لم تكن حدود هذا الإقليم من ناحية الجنوب الغربى قد تحددت بعد. فهل كان من الواجب تحديدها بنهر سابين أو بنهر ريوجراند؟ ولم تكن الحكومة الفرنسية خلال الفترة القصيرة التى كانت فيهـا صـاحبة لويزيانا.قد مارست الملكية الفعلية فى المنطقة الواقعة بين هذين النهرين. أى فى تكساس. وفى سنة ١٨١٩م. وفى وقت الحصول على فلوريدا قرر آدمر سكرتير الدولة. فى جعل أسبانيا تعترف بحقوق الولايات المتحدة على هـذا الإقليم الصالح لزراعة القطن.ولكن الرئيس منرو لم يوافقه على ذلك، لأنـه كان يخشى من التسبب فى صعوبات داخلية إذا ما أدخل فى الإتحاد منطقـة لن يتردد المزارعون فيها من استخدام العبيد السود. ولذلك فـإن المعاهـدة الأسبانية الأمريكية قد حددت الولايات المتحدة بنهر سـابين. وبعـد خمـس سنوات كان الحكم الأسبانى قد اختفى من "نيابة مملكة المكسـيك" وأدخلـت الدولة المكسيكية الجديدة تكساس فى نطاقها. وفـى سـنة ١٨٢٨م وقعـت الولايات المتحدة على معاهدة اعترفت بذلك بالفعل ولكن سرعان ما حـدث بعد ذلك.ونتيجة لمجهود صامويل هوستون Samule Houston حاكم ولاية تنيسى، وربما كان ذلك بموافقـة الـرئيس جاكسـون Jackson. أن أتـى المعمرون الأمريكيون وأقاموا فى تكساس، ودون أن تواجههم أية عقبة: فلم تفكر الحكومة المكسيكية، وكانت مشـغولة بالاضـطرابات الثوريـة فـى عاصمتها. وعلى الأقل حتى سنة ١٨٣٤م، فى منع هذه الهجرة وفى مارس سنة ١٨٣٦م كان هذا "الأستعمار" قد نما بشكل جعل الأمريكيـون يكونـون غالبية الأهالى، ولذلك فإنهم قد تمكنوا من جمع مجلس أعلن استقلال الإقلـيم وقرر فى نفس الوقت إباحة الرق الذى كان القانون المكسيكى قد ألغاه. وهذا

الحل بقى مع ذلك ضعيفاً لأن الدولة المستقلة كانت تخشى من عودة هجوم المكسيكيين.

ولكى تواجه هذا الخطر وتواجه النتائج الاجتماعية التى تنتج عنه أى إلغاء الرق كانت الوسيلة الوحيدة هى طلب إنضمام الإقليم إلى الاتحاد الأمريكى، وتم هذا منذ سبتمبر سنة ١٨٣٦م، ولكن حكومة الولايات المتحدة أكتفت بالاعتراف باستقلال الدولة الجديدة دون أن تقبل العرض الخاص بالضم. وأعلن أنها لم تقم أبداً بتحقيق التوسع الإقليمى إلا بطريقة التنازل السلمى، ولكن الحكومة المكسيكية لم تكن لديها النية فى هذه الحالة فى التنازل عن حقوقها وكان الدافع الحقيقى لهذا الامتناع الأمريكى هو الانقسام الذى كان قد ظهر فى الرأى العام، فكانت حياة ولايات الجنوب توافق على هذا الضم الذى سيدخل فى الإتحاد إقليما كانت الاقتصادية وبنيانه الاجتماعى بمثابة لحياتهم ولبنيانهم، ولنفس هذا السبب. أخذت ولايات الشمال موقفاً معارضاً إذ أنها لم تكن ترغب فى زيادة عدد الولايات "ذات العبي" ولذلك فقد أصبحت مسالة تكساس إذن مرحلة من مراحل الصراع بين أقسام الاتحاد ولم تكن الحكومة ترغب فى إثارة المشاعر.

وأمام رفض القوة لم يصر رجال تكساس أكثر من ذلك خاصة وأن التهديد المكسيكى لم يكن قد تحدد بعد. وفى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٣٨م قام وزير تكساس فى واشنطن بسحب عرض "الانضمام" ولذلك فإن تكساس ستحاول أن يكون لها وجود مستقلاً ومهما كان من الواضح أن هذا الحل لن يكون مضموناً، وكيف يمكن الاعتقاد فى أن رفض الولايات المتحدة سيكون نهائياً، فقد حاولت حكومة الدولة الصغيرة مع ذلك ولمدة بضعة سنوات أن تتشبث به. إذ أنه وجدت فيها ميزة لبقائها مسيطرة على رسومها الجمركية.

ولكن هل كان فى وسعها أن تعيش بدون معونة خارجية؟ لقد كانت تحتاج إلى مستوطنين وإلى رؤوس أموال، ولقد قامت بطلبهم من بريطانيا العظمى ومن فرنسا، ومنذ ذلك الوقت خرجت مسألة تكساس خارج النطاق الأمريكى.

موقف بريطانيا وفرنسا:

كانت بعض الأوساط فى هاتين الدولتين الأوربيتين تهتم بهذه المسألة لأنه كان فى وسع تكساس أن تصبح سوقاً للتصدير وخاصة لأنها كانت مورداً للقطن الخام فهل كان من الممكن مع ذلك المخاطرة مع الاعتراف باستقلال الدولة الجديدة بالاصطدام بحقوق المكسيك أو بمصالح الولايات المتحدة!

فى لندن كان بالمرستون فى أول الأمر متحفظاً للغاية. فكان يرغب فى إظهار اهتمامه بشئون المكسيك. وربما كان ذلك تحت تأثير الأوساط المالية التى كانت قد شاركت فى القروض المكسيكية. وفى باريس لم تكن هذه المشغولية موجودة فى علاقات فرنسا مع المكسيك كانت قد تدهورت نتيجة للحادثة التى كانت قد تسببت فى مظاهرة بحرية أمام فيراكروز ولذلك فإن موليه Mole قد فكرت فى الإفادة من الظروف لكى تضمن ميزة على بريطانيا العظمى: فوافقت على عقد اتفاق تجارى مؤقت مع تكساس على أساس معاملة الدولة الأكثر وداً وكلفت سكرتيراً فى سفارة واشنطن بالذهاب لعمل تحقيق فى الإقليم ونتيجة للتقرير المتفائل لهذا الوكيل. وقعت الحكومة الفرنسية فى ٢٥ سبتمبر ١٨٣٩م، على معاهدة صداقة ومعاهدة تجارة فى صالح استيراد الأنبذة والحراير إلى تكساس وكان هذا سبباً كافياً لكى تقوم بريطانيا العظمى وخاصة فى هذا الوقت الذى كانت المحاولات الفرنسية فى المسألة المصرية تثير قلقها بإعادة النظر فى موقفها. وقام بالمرستون الذى

كان قد رأى فى خلال ذلك الوقت عدم قدرة المكسيك علـــى إعـــادة فـــرض سلطتها على تكساس بالتوقيع بدوره على معاهدة تجارة فى ١٣ نوفمبر سنة ١٨٤٠م، وعرض وساطته من أجل الحصول من حكومة المكســيك علـــى الاعتراف بالاستقلال. ولكن حكومة تكساس كانت ترغب في الحصول على تأييد مالى قبل أى شئ آخر.وفى سنة ١٨٤١م بحثت هذه الحكومة عن قرض فى باريس ثم فى لندن، وحتى فى بروكسيل وعرضت فى مقابل ذلك ميزات تجارية، ولكن هذا المجهود بدون جدوى إذ أن أحداً فى أوروبا لم يظهر على أنه يثق فى مستقبل الدولة الصغيرة، وتسببت الصعوبات المالية فى تكســـاس فى اضطرابات داخلية، أفادت منها الحكومة المكسيكية فى سنة ١٨٤٢م لكى تحاول بلا نجاح القيام بعملية للغزو فهل يثير الدهشة أن يقوم المزارعون فى تكساس، ما داموا لا يقدرون على الاعتماد على تأييد أوروبى، بالعودة مـــن جديد للأمل فى الانضمام إلى الولايات المتحدة.

ومع ذلك فقد قامت الحكومة الإنجليزية فى صـــيف ســـنة ١٨٤٣م، والتى أخذ فيها ابردين مكان بالمرستون، بتغيير موقفها ولما كانـــت مســـألة رسم حدود واضحة بين الأقليم الكندية والولايات تتسبب فى ذلك الوقت فـــى بعض الصعوبات فقد بدا من الأفضل، وبصفتها وسيلة ضـــغط إثـــارة قلـــق الولايات المتحدة على حدودها الجنوبية ولذلك فإنه قرر أن يرسل إلى تكساس شارل إليوت Charles Elliot القائم بأعمال، ويمنح قرضاً ولكنه طلب إلى حكومة تكساس إلغاء الرق: فكان هذا إرضاء يطالـــب بـــه الـــرأى العـــام الإنجليزى. مادام الرق قد ألغى من المستعمرات البريطانية.

وساعدت هذه المحاولة من جانب بريطانيا العظمى مخططات أنصار الضم فى الأوساط السياسية للولايات المتحدة. وأدت وفاة الريس هاريســـون

W. Harrison إلى وصول جون تايلر John Tyler أحد أبنـاء فرجينيـا والذى كان يتمنى منذ وقت طويل ضم تكساس إلى الرئاسـة وأعطـت لـه المحاولة التى قامت بها الدبلوماسية الإنجليزية الحجج الضرورية لكى يـؤثر على الرأى العام على الكونجرس وتساءل عما إذا لم يكن من اللازم الخوف من أن تقوم حكومة تكساس، والتى كانت مواردها الماليـة تنضـب بقبـول الشروط التى فرضتها الحكومة الإنجليزية وقام سام هوستن Sam Hoston رئيس تكساس وربما كان ذلك لمجرد رغبته فى إثارة قلـق الـرأى العـام الأمريكى، يجعلهم يفهمون أن هذه الإمكانية متوقعة. فإذا وقعت تكساس تحت النفوذ البريطانى. فماذا تكون النتائج الإقتصادية؟ سينافس قطـن الولايـات المتحدة على السوق الإنجليزى، ستبعد المنتجات الصناعية الإنجليزيـة مـن سوق تكساس المنتجات الصناعية الأمريكية وربمـا تتوغـل عـن طريـق التهريب إلى داخل السوق الأمريكى عن طريق حدود برية لا يمكن مراقبتها. اليس من الضرورى التفكير فى أن إلغاء الرق فى تكساس هو تفكير الحكومة الإنجليزية.مقدمة "لمشروع عام" يسعى إلى إلغاء الـرق "فـى كـل القـارة الأمريكية" وكيف يمكن الإصرار على ضرورة الاحتفاظ بأيدى عاملة مـن العبيد فى مناطق زراعة القطن فى الولايات المتحدة إذا ما تخل المزارعون فى منطقة زراعة القطن المجاورة تكساس المستقلة عن هذا النوع من الأيدى العاملة؟ وكيف يمكن تفادى هروب العبيد ما دام فى وسع الفارين أن يجـدوا لنفسهم ملجئاً فى هذا الإقليم؟ وكتب وزير الدولـة أوبشـار Upshar فـى أغسطس سنة ١٨٤٣م لن تكون هناك مصيبة أكبر بالنسبة لبلادنا من إقامـة نفوذ إنجليزى فى تكساس، وإلغاء الرق فى هذه الدولة.

وقرر رئيس الولايات المتحدة بسرعة أن يسبق الأحداث وفـــى ٢ أبريل سنة ١٨٤٤م. حصل من حكومة تكساس على معاهدة بالضم. ولكــن هل سيوافق الكونجرس ويصدق عليها؟ فدوافع السياسة الداخلية التى كانت قد أجبرت الولايات المتحدة فى سنة ١٨٣٦م. على فرض دخول تكساس فـــى الاتحاد. لم تكن فقدت أى شئ من قيمتها. ولذلك فقد كـــان مـــن المســـتحيل الحصول فى مجلس الشيوخ على أغلبية الثلثين اللازمة للتصديق،ومع ذلـــك فقد أنتخب فى انتخابات الرئاســـة فـــى نـــوفمبر ســـنة ١٨٤٤م. المرشـــح الديمقراطى بولك Pollk انتخب بالكاد، وكان من أنصار الضم، وذلك نتيجة للأغلبية التى حصل عليها فى ست ولايات "بدون عبيد" وحيث كانت الرغبة فى التوسيع أقوى من الشعور "المعادى للرق" فى فبراير سنة ١٨٤٥م. قـــام الكونجرس بقرار مشترك من المجلسين بالتصديق على الضم الذى قبله أهالى تكساس مجتمعين بدورهم فى مجلسهم بعد خمسة أشهر، وبتصـــويت شـــبه إجماعى.

وانتهت الحكومة الإنجليزية بأن وافقت.وكانت قد فكرت مع ذلك فى يناير سنة ١٨٤٤م. فى حماية استقلال تكســـاس، وطلبـــت إلـــى الحكومـــة الفرنسية فى نطاق الوفاق الودى الذى أنشاه جيزو أن تشارك معها فى تقديم طلب دبلوماسى للحكومة الأمريكية، وكانت حتى قد فكرت فى يونيـــو فـــى ضمان الاستقلال ولكن السفير الانجليزى فى واشنطن لفت نظر ابـــردين إن هذا المشروع سيصطدم من جانب الولايات المتحدة "بأقصى مقاومة متطرفة" وأعلن جيرو بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية الإنجليزية فى ٢ ديسمبر ســـنة ١٨٤٤م أن المسالة لم تكن على درجة من الأهمية تبـــرر "الالتجـــاء إلـــى السلاح" فاضطر أبردين إلى التراجع.

ولذلك فإن الرئيس بولك دون التعرض لأقل خطر أضاف في رسالته إلى الكونجرس في ٢ ديسمبر سنة ١٨٤٥م، وبمناسبة مسالة تكساس نتيجة بديهية لمبدأ مونرو إذا ما اقترح جزء من الشعب من شعوب هذه القارة الذي يكون دولة مستقلة في ان يتحد مع اتحادنا فإنها مسالة تسوى بينه وبيننا دون تدخل أجنبي. أننا لا نوافق بتاتاً على تدخل الدول الأوروبية لكي تمنع هذا الاتحاد بدعوى تعارضه مع التوازن الذي ترغب في المحافظة عليه في هذه القارة.

الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك:

كان كثيرون من الأمريكيين مهتمين كذلك وفي الوقت ذاته، بالسيطرة على كاليفورنيا بالطرق السلمية ذاتها وقدر أن هذا ممكن بسبب الوضع الخاص لكاليفورنيا إذ لم تكن في سنة ١٨٤٥م تضمن سوى عدد هزيل من السكان لا يتجاوز أحد عشر ألفاً أو إثنى عشر ألفاً تشبثوا بالبقاء على الساحل ولم يكونوا يمتلكون مالاً ولا جيشاً ولا خبرة سياسية وكانوا في عروقهم من الدم الأسباني أكثر مما أوتيت الجماهير المكسيكية، فكانوا يرون في أنفسهم أرقى من المكسيكيين جسداً وعقلاً، حتى أنهم لم يكونوا تابعين للمكسيك إلا أسماً. والواقع أنهم كانوا خليقين بأن يطيحوا بالسلطان المكسيكي تماماً،ولولا أحقادهم العائلية ونزاع قديم من شمال كاليفورنيا وجنوبها، ولم توفر المكسيك في واقع الأمر، ولا قوات أمن، ولا مرافق، ولا مدارس. وكان المواصلات بين كاليفورنيا ومدينة المكسيك نادرة وغير مضمونة.

وهكذا كانت المكسيك تدرك صراحة أن سيادتها مجرد ظل، حتى أنها أبدت ميلاً في أواسط الأربعينات لأن تتبع المنطقة إلى بريطانيا العظمى. وكان العنصر الأمريكي في كاليفورنيا ينمو عاماً بعد عام من حيث العدد

ومن حيث العدوان، فقد ظلت السفن الأمريكية زمناً طويلاً تتجر من الساحل في حين أن المهاجرين الذين كانوا يرغبون فى الإستقرار فى المناخ الذهبى وجمع ثروة من الماشية والقمح قد بدأوا يجتازون الجبال فى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر فلم يحل عام ١٨٤٦م حتى كان نفى كاليفورنيا ألف ومائتان من المقيمين من الأجانب معظمهم من الأمريكان فلا عجب ان بعض الناس كانوا يوقنون من أن كاليفورنيا ستسقط كالفاكهة الناضجة فى يد الولايات المتحدة وأن العاجلة لن تدعو إلى قوة.

ولعل هذا ما كان يحدث لولا اندلاع الحرب المكسيكية فى صيف ١٨٤٦م. وكان السبب البعيد لهذا الاشتباك ازدياد انعدام الثقة بين الدولتين.فى حين أن السبب العاجل كان نزاعاً على حدود تكساس.وتبينت الولايات المتحدة أنها حرب قصيرة وذكية. فقد أوفدت جيشاً أمريكياً بقيادة زاكارى تايلور إلى شمال المكسيك استولى على مدينة "مونتيرى" الحصينة وهزم قوة مكسيكية كبيرة فى معركة "بونافيستا" وجاء جيش آخر بقيادة "وينفيلد سكوت" بطل حرب سنة ١٨١٢م فى فيراكروز فشق طريقه غرباً فوق الجبال، واستولى بعد قتال شديد على مدينة "مكسيكو" وهنا رفع العلم الأمريكى فى "أبهاء موفتزوما" وعندها أبرم الصلح فى فبراير سنة ١٨٤٨م، لم تظهر الولايات المتحدة بكاليفورنيا وحدها التى كان المقيمون الأمريكيون فيها قد ثاروا فى تلك الأثناء وأقاموا جمهورية "علم الدب" وإنما ظفرت كذلك بالمساحة الهائلة القائمة بينها وبين تكساس والمسماه بنيو مكسيكو (المكسيك الجديدة) وكانت تضم ولايتى نيفادا ويوتاه الحاليتين،وبلغ مجموع ما كسبته الولايات المتحدة فى هذا الإقليم وفى تكساس حوالى ١٨ ألف من الأميال المربعة.

ولقد ظفرت كذلك بكنز إذ بينهما كان التصديق على المعاهدة جارياً. اكتشف الذهب فى تلال كاليفورنيا وفى الحال تدفق سـرب مـن متصـدى الشراء، واقبل بعضهم بحراً، وبعضهم بالدرب البرى، إلى الوهاد والخيرات حيث كان من الممكن غسيل السبائك فـى الأحـواض الخشـبية والأوعيـة النحاسية وازدخرت الجبال بالمعسكرات الصاخبة ظفرت شان فرانسيسـكو بين عشية وضحاها لتصبح عاصمة صغيرة تنضج حيوية، وتنم بالرذيلـة، والرفاهية والنشاط وتحولت كاليفورنيا فى غمضة عين من مجتمع رومانتيكى ناعس، من أصحاب مزارع تربية ماشية من الأمريكيين أسبانى الأصل إلى دويله دائبة الحركة زاخرة بالأنجلوساكسون ولقد نمت كاليفورنيا سريعاً حتى أنها ضمت فى سنة ١٨٥٠م إلى الإتحاد كولاية.

قضية تقدم الشمال على الجنوب:

وتجمعت مظاهر الاختلاف بين ولايات الشمال من ناحية وولايـات الجنوب من ناحية أخرى لتؤدى فى النهاية إلى اشتعال الحرب الأهلية. فإلى كلا جانب أن سكان الجنوب الأبيض حوالى ثلث عدد سكان الشـمال. فـإن الولايات الشمالية كانت تستقبل باستمرار تدفقاً عظيماً من المهـاجرين مـن شمال أوروبا وغربها هذا إلى جانب أن ولايات الشمال تشهد نشاطاً صناعياً وعمرانياً ومالياً. بينما تهتم ولايات الجنوب بالنواحى الزراعيـة وخاصـة زراعة القطن فى مزارعه. وقد لعب هذا التفوق لدى الشمال دوراً بارزاً فى إيجاد عقدة دائمة لدى سكان الجنوب وظل الشماليون يعدون أنفسهم أنهم أول من وصل إلى القارة الأمريكية الشمالية، وعليه فقـد تكبـدوا الكثيـر مـن الصعاب فى تكوين هذه البلاد كما أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم نـواة حـرب

الاستقلال الأمريكية. فمن بوسطن اندلعت الثورة واندلعت المقاومة ضد بريطانيا.

وبناء عليه فقد تولدت لدى سكان الجنوب نزعة الاستقلال عن الشمال خوفاً من تقلبهم عليهم وسيطرتهم الكاملة على أجهزة الدولة الفيدرالية. ومن هنا تولدت فكرة تغلب الشمال على الجنوب، مما أدى بالجنوب إلى العمل على الانفصال عن الشمال مهما كلفهم ذلك من مقاومة وجهد ونفقات.

وقد أعطت الاختلافات فى المصالح المادية وأشكال الحضارة حدة الصراع بين ولايات الشمال وولايات الجنوب فبينما يستخدم الجنوبيين الرقيق فى العمليات الزراعية، يطالب الشماليون بتحرير الرقيق، كما شعر الجنوبيين بأن الولايات الشمالية قد تزايد عدد السكان فيها نتيجة للهجرة الأوروبية وبالتالى زاد عدد ممثلى الشمال فى مجلس النواب بحيث أصبحوا يشكلون ثلثى عدد أعضائه. كما أن الولايات المتحدة الشمالية تسعى لفرض حماية جمركية على المنتجات بين الولايات وهذا فى غير صالح الولايات الجنوبية التى عارضته.

تبلورت الاختلافات بين الولايات الشمالية حتى ظهر اتجاه عام بين الجنوبيين للانفصال عن الاتحاد مع ولايات الشمال. وكان إنشاء الحزب الجمهورى فى عام ١٨٥٦م والذى وضع مسألة إلغاء الرق فى برنامجه، ثم كانت الطريقة التى سارت بها حملة الانتخابات للرئاسة سنة ١٨٦٠م ونجاح المرشح الجمهورى "إبراهام لنكولن" والنص المعلن لإلغاء الرق. كان سبباً فى أن يفكر كبار مزارعى الجنوب الذين اعتقدوا أن استخدام الأيدى العاملة المشتراه كان ضرورياً للمحافظة على رفاهيتهم فى الدعوة إلى الانفصال عن

الاتحاد مع ولايات الشمال. ولذلك بالإضافة إلى ذلك نجد أنه فى الوقت الذى كانت فيه الولايات الشمالية تتجه لأن تكون المركز الرئيسى للصناعة والتجارة والمال فى البلاد كان الجنوب يعمل على تطوير زراعة القطن والأرز بحيث تصبح زراعة هذه المواد الدعامة الأساسية لاقتصاده وبدا يكون كل من الشمال والجنوب يسير فى طريق اقتصادى مختلف عن الآخر مع ما يجره بذلك من اختلاف فى العقلية والتفكير وطريقة الحياة عند المواطنين.

والواقع أن الاقتصاد ليس المسؤول عن اختلاف الجنوب والشمال بل أن الطبيعة جعلت القسمين مختلفين من حيث التربة والمناخ والتكوين الجغرافى والجيولوجى وبالتالى كان لابد من القسمين أن يكون له أسلوبه الخاص فى الحياة الاقتصادية وهذا ما يفرض بالضرورة نمطاً معيناً من التفكير السياسى. فانقسام البلاد إلى مجتمعين صناعى فى الشمال وزراعى فى الجنوب أخذ يخلق للسكان مصالح متعارضة ومتضاربة إلى حد كبير. ولقد ظهر أن هذا الاختلاف ظهر لأول مرة عند معالجة قضية الحماية. وخاصة عندما طالب الشمال الحكومة الفيدرالية باتخاذ القوانين التى تعمل على تنشيط الصناعة والتجارة وتحد من منافسة الصناعة الأجنبية للصناعة الوطنية عن طريق فرض جمارك عالية على المصنوعات غير الوطنية وعن طريق تشجيع الصناعة الوطنية بفرض حمايتها والمحافظة عليها. كما أنهم طالبوا بتحسين المواصلات التى هى شريان الحركة الصناعية والتجارية.وطالبوا الحكومة الأمريكية الفيدرالية بتشجيع الهجرة وسن القوانين المشجعة عليها بخاصة الهجرة القادمة من أوروبا لأنهم أصبحوا بحاجة إلى أعمال ممارسين فى الصناعة، وطالبوا بإنشاء عملة مركزية قوية تعمل على دعم الإقتصاد الأمريكى وبنك وطنى يساعد على تطوير الحركة المالية

والتمويلية التى تقوى الاقتصاد الصناعى وتسهل حركة التبـادل التجـارى وحركة التمويل الخاصة بالصناعات الوطنية.

وعندما فرضت رسوم جمركية مرتفعة على البضائع المستوردة من أوروبا ولقد لقيت هذه الضرائب مقاومة عنيفة من الجنوب الزراعى. ذلك أن سكان الجنوب كانوا ينتخبون المواد الأولية الزراعية فيصـدرونها للخـارج ويشترون بثمنها مصنوعات أوروبية اعتادوا استهلاكها منـذ أمـد بعيـد. فارتفعت أثمانها بفرض الضرائب الجمركية عليها. وقد تأزمت هذه المشكلة زمن الرئيس جاكسون لدرجة أن هددت كيان الاتحاد.وعندما أقر الكونجرس قانون حماية التجارة عام ١٨٣٢م أدخل هذا القانون تعديلاً علـى التعريفـة الجمركية،ولكنه استبقى مبدأ حماية التجارة الذى لم ترضى عنـه كارولينـا الجنوبية وأدى ذلك إلى مشكلة. وأعلن فى مـؤتمر عـام ولايـة كارولينـا الجنوبيـة أن قـانونى التعريفـة الجمركيـة الصـادرين فـى عـامى ١٨٢٨م، ١٨٣٢م قانونان غير دستوريين ولا يعمل بها فى الولاية وفى ١٠ ديسمبر اصدر الرئيس جاكسون بياناً ضد دعاة وقف تنفيذ القوانين الفيدرالية وفى ١٦ يناير سنة ١٨٣٢م طالب جاكسون الكونجرس بإصدار تشـريعات إضافية تمكنه من تنفيذ قوانين التعريفة الجمركية فى مختلف الولايات وفـى أول مارس أصدر الكونجرس قانون التنفيذ الإجبارى وفى الوقت نفسه تقـدم هنرى كلاى فى ١٢ فبراير بمشروعه للتعريفة الجمركية على أساس التوفيق بين وجهات النظر المختلة واقترح فيه تخفيض التعريف تدريجياً حتـى أول يوليو سنة ١٨٤٢م بحيث تصل إلى حد الـ ٢٠%.

وهناك مسألة أخرى، وهى مسألة البنك الثانى حيث ارتكب هذا البنك بعض الأخطاء السياسية، كانت هذه الأخطاء سبباً فى إثارة سـخط الـرئيس

جاكسون بالإضافة إلى كراهيته لما أشيع من الميول الاحتكارية لهذا البنك. عندما حض كلارى روبستر البنك على التقدم بطلب تجديد ميثاق الضمان لإحراج مركز جاكسون فى حملة سنة ١٨٣٢م ثار جاكسون إلى حد أنه اعترض على القانون واعتبر فوزه فى الانتخابات على كلاى بمثابة تأييد شعبى لاعتراضه على قانون البنك وصمم على تحطيم هذه المؤسسة فبدأ فى عام ١٨٣٢م سحب الودائع أو نقل اعتمادات الحكومة إلى بعض البنوك الحكومية المعنية التى عرفت باسم البنوك المدللة.

بالإضافة إلى ذلك فقد ظهر فى عام ١٨٤١م قانون توزيع الأراضى بحق الشفعة. كان بنتون يدافع منذ زمن بعيد عن سياسة الشفعة فيما يتصل بالأرض العامة على حين دافع كلارى عن مبدأ توزيع عائد المبيعات الخاصة بالأراضى العامة بين الولايات وكحل وسط أدمج الاقتراحات نع اشتراط أصر عليه الجنوبيون مفاده أن بتوقع التوزيع فى حالة ما إذا تجاوزت التعريفة حد الـ ٢٠%.

إندلاع الحرب:

ترجع أسباب إندلاع الحرب الأهلية الأمريكية بأن أقرت ولاية كارولينا الجنوبية ما هو معروف بقانون الانفصال ديسمبر سنة ١٨٦٠م بمثابة احتجاج على انتخاب لنكولن. وجريت محاولات لا جدوى منها لإنقاذ الإتحاد، قرارات كريتندين للتوفيق التى تقترح مد الحل الوسط الميسورى إلى الباسفيك، مؤتمر لمحافظى الولايات الشمالية، مؤتمر السلام فى واشنطن فى فبراير سنة ١٨٦١م. ثم انفصلت عن الإتحاد ولايات الميسيسبى وفلوريدا والباما وجورجيا ولويزيانا وتكساس وفرجينيا وتنيسى وأركنساس وشمال كارولينا. وأطلقت المدفعية فى شارلستون نيرانها على السفينة نجمة الغرب

واجتمع مندوبو الولايات السبع التى أعلنت الانفصال فى مونتجمرى وكونوا حكومة مؤقتة أطلق عليها اسم الولايات الأمريكية المتحالفة. وبدأت الأحداث العسكرية بعد أن أستولى المتحالفون على الأموال والممتلكات الفيدرالية فى الجنوب، تقدموا مطالبين بإخلاء القلعة الفيدرالية سومتر فى ميناء شارلستون. ولما رفض الماجور اندرسون قائد القلعة الاستسلام بلا قيد أو شرط قام الجنرال بوريجارد بقذفها بالقنابل فى نفس الوقت الذى وصلت فيه حملة إنقاذ من جانب الاتحاديين.

ودعا لنكولن لتجنيد ٧٥ ألف متطوع للخدمة مدة ثلاثة أشهر واستدعى الكونجرس للاجتماع فى ٤ يوليو سنة ١٨٦١م، وفى ٣ مايو طلب تجنيد ٤١ ألف رجل للخدمة ثلاث سنوات أو لمدة الحرب، وكان الجميع يتوقعون أن النزاع سوف يكون قصير الأمد وكان للشمال مزايا ضخمة على الجنوب فهو يتألف من ٢٣ ولاية تعدادها ٢٣ مليون نسمة فى مقابل ١١ ولاية فى الجنوب عدد سكانها من البيض ٥ ملايين نسمة بالإضافة إلى قوة الشمال المالية والتيسيرات الضخمة للصناعة والمواصلات الواسعة... ألخ. وكان الجنوب يعتمد فى الأغلب على زراعة القطن، ولكنه كان معوقاً بسبب الحصار المضروب على موانى المتحالفين وكان الجنوب منذ البداية يقف موقف المدافع. ومما يعزز موقف الشماليين أيضاً أن بريطانيا اعترفت بالولايات المتحالفة كولايات محاربة.

معركة بول رن الأولى:

فى خلال شهر يوليو سنة ١٨٦١م تجمع فى واشنطن وحولها ثلاثون ألفا من القوات غير المدربة تحت قيادة الجنرال وينفيلد سكوت. وعسكر عبر البوتوماك ٢٥ ألف من القوات المتحالفة بالقرب من ملتقى الطرق الحديدية

فى مانساس تحت قيادة بورجارد فى وادى شاندو، بالقرب من ملتقى الطرق الحديدية فى مانساس تحت قيادة الجنرال "جوزيف أ. جونستون" وحين اجتمع الكونجرس فى ٤ يوليو طالب باتخاذ عمل فعال فأرسل الجنـرال باترسـون لمحاصرة هذه القوة الأخيرة وتقدم الجنرال ايرفن ماكـدويل ت. ج (سـتون وال) استطاعت أن تخرج من الحصار وأن تنضم إلى قوات بورجارد. وفى بول رن انهزم الجيش الفيدرالى هزيمة ساحقة وتقهقر عائداً إلى واشنطن فى حالة من الإنحلال وكانت نتيجة المعركة أن تفتحت عيون الاتحاديين وتنبهوا للموقف واتخذوا أهبتهم فى فترة من الزمن للإستعداد المنظم الواسع النطاق.

وعين الجنرال جورج ب. ماكيلان قائداً للقـوات الفيدراليـة خلفـا لسكوت وكانت سياسة ماكيلان سياسة تقوم على الحرص والاستعداد الـدقيق والاعتماد على كثرة العدد، ولذلك أمضى الشتاء يدرب ٢٠٠ ألف محـارب (جـيش اليوتومـاك) تأهبـا للزحـف علـى رتشـموند عاصمة المتحالفين.

وفى ٨ نوفمبر سنة ١٨٦١م انتزع ماسـون وسـليديل المنـدوبان الساميان للولايات المتحالفة لدى بريطانيا العظمى وفرنسا، عنوة من الباخرة البريطانية "ترنست" بواسطة الباخرة الإتحادية سان جاسنتو، قدمت بريطانيا احتجاجات شديدة ولاح خطر الحرب ولكن أمكن تفادى الحرب بفضـل مـا أبداه وزير خارجية الإتحاد وليم هـ سيوارد من حكمة ومهارة فأعيد تسـليم المندوبين طبقاً لأحد مبادئ القانون الدولى التى طالما تمسكت بها الولايـات المتحدة.

وتحقيقاً لأحكام الحصار على السواحل الجنوبيـة ومنـع القرصـنة أرسلت حملة مشتركة من القوات البرية والبحرية فى أغسطس سنة ١٨٦١م

للإستيلاء على المواقع الرئيسية على طول الساحل. وتم الهجوم والإستيلاء على قلاع كلارك وهاتراس على ساحل كارولينا الشمالى، وروانوك ايلند ومدينة اليزابيث وجزيرة اميليا على ساحل فلوريدا.

وفى مجال المعارك البحرية فقد استعد الفريقين بأسطولهما، حيث ظهرت الفرقاطة المتحالفة ميرى ماك المصفحة فى هاميتون رودز وأغرقت "كمبرلند" وتعرضت الفرقاطة الإتحادية المصفحة "مونيتور" ذات المدافع المتحركة للفرقاطة ميرى ماك وأجبرتها على الانسحاب. ويعتبر ذلك تطور هام فى الحرب البحرية. واحتلت القوات الإتحادية جاكسون نفيل فى فلوريدا. وتم الإستلاء على نيوبيرن شمال كارولينا. أتاح هذا الإستيلاء للقوات الإتحادية قاعدة تشن منها الهجوم على العاصمة رتشموند وأرغم القوات المتحالفة على إستبقاء جيش بالقرب من العاصمة. واجتاحت قوة اتحادية مكونة من ٢٧ سفينة، ١٥ ألف مقاتل تحت قيادة تحت قيادة حامل العلم (أمير البحر مؤخرا) د. ج. فراجوت والجنرال بنيامين ف. بتلر، القلاع الساحلية جنوبى أورليانز وتمكنت من قصف المدينة بالقنابل وبعد إنزال الجنود تم الاستيلاء على المدينة.

وحدثت بعد ذلك معركة شبه الجزيرة بعد تأخر لا ينتهى قرر ماكليلان أن يزحف على رتشموند لا عن الطريق البرى الذى يسير خلال أراضى تتخللها الأنهار الكثيرة بل عن الطريق المائى إلى مصب نهر جيمس ويورك، وبدأ الزحف وواجهت القوات المتحالفة بقيادة جولستون وروبرت لى، وعين قائداً للقوات المتحالفة بعد أو يونيو سنة ١٨٦١م قوات تفوقها عدداً مما أضطرها لانسحاب وقد أنقذها من الهزيمة المنكرة تردد ماكيلان من ناحية ومن ناحية أخرى العلميات التى قام بها جاكسون الذى استدرج قوة

كبيرة من جيش القوات الإتحادية إلى وادى شـناندره. وبـذلك نجـح فـى الإنضمام إلى لى بإمدادات قوية ودارت رحى الحرب العنيفة حول رتشموند فى معركة الفيراوكس ومعركة الأيام السبعة ومعركة ميكانيكزفيل وجينزمل ومعركة هوايت أول سومب ومعركة مالفون هل وإنتهـت الحـرب بجـلاء القوات الفيدرالية عن شبه الجزيرة.

أما معركة ماريلاند فقد بدأت فى خريف سنة ١٨٦٢م حيث بدأ القائد "لى" يدفع قواته نحو واشنطن وهزمت القوات المتحالفـة بقيـادة جاكسـون القوات الإتحادية بقيادة بانكس عند جبل سيدار، كما هزم جاكسون الجيـوش الإتحادية بقيادة الجنرال بوب فى معركة بول رن الثانية وعبر المتحـالفون البوتوماك وغزوا ماريلاند.

وحدثت معركة أنتيتام ولم تكن حاسمة ولكن لى بدأ يتراجـع إلـى فرجينيا وكالعادة لم يستطع ماكليلان أن ينتهز الفرصة المتاحة له ولذلك لـم يتابع لى انسحابه ولم يعبر البوتوماك إلا فى وقت لاحق. وعـين الجنـرال امبروزوى. بيرن سايد قائداً عاماً خلفاً لماكليلان ودافع بقواته فى فيرجينيـا ولكن لى هزمه هزيمة منكرة فى معركة فريد ريكزبرج.

وانتهت هذه المعارك بانتصار الشمال على الجنوب حيث استسـلمت القوات المتحالفة بقيادة جونستون شيرمان ثم استسلم آخر جيوش الجنـوبيين بقيادة الجنرال كيرى سميث فى شريفبورت بولاية لويزيانـا. فرجيفرسـون رئيس الولايات المتحدة المتحالفة إلى جورجيا وألقى القبض عليـه فـى ١٠ مايو سنة ١٨٦٥م وأدع بالسجن.

المظاهر السياسية والاجتماعية لفترة الحرب:

كانت المظاهر السياسية والإجتماعية لفترة الحرب الأهلية تتمثل فى صدور العديد من القوانين. مما كان لها أبلغ الأثر فـــى جميـــع المجـــالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

ففى المجال السياسى نجد أنه فى عام ١٨٦٤م تـــم إعـــادة انتخـــاب الرئيس لنكولن رئيساً وأندرو جونسون نائباً. أما المجال الإقتصادى فنجد أنه فى عام ١٨٦١م صدر قانون تعريفة موريل الجمركية. وكانت بداية زيادات متوالية فى التعريفة الجمركية حتى بلغت ٤٧% فى عام ١٨٦٤م. وحـــددت ضريبة الدخل بمقدار ٣% على كل الدخول التى لا تزيد علـــى ٨٠٠ دولار سنوياً. كما صدر أول قوانين العملة الرسمية فى فبراير سنة ١٨٦٢م، وقـــد تلتها قوانين مماثلة فى عام ١٨٦٢م، ١٨٦٣م، وأصدر أول قـــانون شـــامل لمصلحة الضرائب بالإيراد الداخلى عقب الحرب، كما شـــهد عـــام ١٨٦٣م صدور قانون المصارف الأهلية لإيجاد سوق مالية لسندات الولايات المتحدة ولوقف تداول أوراق النقد الخاصة بالولايات ولخلق دعامـــة ماليـــة قويـــة للحكومة وإيجاد عملة رسمية واحدة فى جميع البلاد، صار لأصحاب السندات المالية الحاصلين على ترخيصات مالية رسمية أن يشتروا السندات الحكومية وأن يودعوها لدى وزارة الخزانة الأمريكية.

وضمت أراضى جديدة، لم تكن موجود قبل الحـــرب الأهليـــة أدى اكتشاف الأحجار الكريمة فى إقليم بايكس بيك وفى جبال واشو إلى انـــدفاع نحو التعدين فى هذه المناطق مما أدى الاندفاع إلى تنظيم إقليمى فى كلوراد ونيفادا فى عام ١٨٦١م وقد أدى الاندفاع إلى التعدين فى مناطق أخرى فـــى

سنوات الحرب إلى تنظيم إقليم أريزونا سنة ١٨٦٣م وإقليم ايداهو سنة ١٨٦٣ وإقليم مونتانا سنة ١٨٦٤ وإقليم وايمونج فى عام ١٨٦٨م.

أما فى المجال الإجتماعى، فإننا نجد أن الرئيس الأمريكى ابراهام لنكولن أصدر بياناً مبدئياً سنة ١٨٦٢م أعلن فيه أن كل العبيد فى الولايات أو بعض أجزاء الولايات التى تظل ترفع راية العصيان حتى أول يناير سنة ١٨٦٣م يصبحون أحراراً من هذا التاريخ. صدر الإعلان الرسمى بالتحرير فى أول يناير سنة ١٨٦٣م.

وفى أول فبراير سنة ١٨٦٥م صدر قرار من الكونجرس بأن يعرض على الولايات التعديل الثالث عشر للدستور الذى يحرم الرق داخل أراضى الولايات المتحدة وقد أقر التعديل ثلثا الولايات فى ١٨ ديسمبر.

كما تعرضت البلاد لأوبئة خطيرة متكررة مثل الجدرى والتيفود والكوليرا والحمى القرمزية والحمى الصفراء فى فيلادلفيا ونيويورك وبوسطن وبلتيمور وواشنطن وممفيس ونيو أورليانز أدت إلى شعور عام بالحاجة إلى تحسين الوسائل الصحية. وأنشئ نتيجة لذلك فى عام ١٨٦٦م مجلس بلدى للصحة فى نيويورك ومجلس صحى على مستوى الولاية فى عام ١٨٦٩م بولاية ماساشوستس.

وأدى الضغط المستمر لهجرات السكان البيض إلى جانب الوعود المبذولة للهنود إلى قيام ثورات مستمرة من جانب هؤلاء الهنود، وقد قام قانون حق التمليك السكنى سنة ١٨٦٢م بدور بارز فى التوطين فى الغرب كما عاود قانون موريل سنة ١٨٦٢م الذى أعطى الولايات منحاً من الأرض لإنشاء كليات زراعية على فتح مناطق جديدة وفى عام ١٨٦٢م رخص

الكونجرس بإنشاء السكك الحديدية المركزية والباسفيكية ومنحه منحة كبيرة من الأرض فأنشأ أول خطوط حديدية عبر القارة وتم إتمام هذه الخطوط فى ١٠ مايو سنة ١٨٦٩م. وفى سنة ١٨٦٢م هزل الجنرال سلبى هنود سيوكس بمنيسوتا فى ودرليك، وفى سنة ١٨٦٤م سار شيين فى طريق الحرب بمساعدة قبائل الكولونيل شفجتون مذبحة للهنود عند خليج ساند (نوفمبر سنة ١٨٦٤م) وأدت جهود الجنوب لبناء طريق للمهاجرين من قلعة لارامى على طول نهر بودر إلى مناجم مونتانا وايداهو إلى قيام الحرب مع هنود سهول سيوكس سنة ١٨٦٦م.

وقد استطاعت لجنة مخولة من الكونجرس إقناع قبائل الآباش والكومانش والكيوا بالتوطن فى مناطق الهنود وترحيل القبائل الأخرى من السهول إلى مناطق أخرى نائية، وفى سنة ١٨٦٩م أنشأ الكونجرس مجلس المندوبيين الهنود للإشراف على أوجه الإنفاق الحكومية من أجل الهنود، وفى الوقت نفسه أحدث تقدم المستوطنين البيض وذبح الجاموس والإندفاع بحثاً عن الذهب إلى التلال السوداء، كل هذا أحدث ثورة فى سهول سيوكس سنة ١٨٧٦م بقيادة سيتنج بول أدت إلى مذبحة كاستر ورجاله عند ليتل بيج هورن (٢٥ يونيه) وفى أكتوبر سنة ١٨٧٧م هزم هنود "نيزبرسيه" بقيادة زعيمهم جوزيف وأجلوا إلى مناطق الهنود، وحدثت آخر وأهم ثورات الهنود فى السنوات ١٨٨٢ – ١٨٨٦م عندما قام الآباش فى أريزونا ونيومكسيكو تحت قيادة فيكتور وجيرونيمو المحاولات التى بذلت لوضعهم فى الأماكن المخصصة لهم، وفى عام ١٨٨٦م، تم ترحيل جميع الهنود إلى المناطق الهندية أو الأماكن المخصصة لهم.

النتائج الدولية للحرب الأهلية الأمريكية:

تسببت الحرب الأهلية الأمريكيـــة، وبالنســـبة للحيـــاة الأقتصـــادية والاجتماعية للدول الصناعية وبخاصة بريطانيا العظمة وفرنسا فـــى نتـــائج سريعة وخطيرة، فالحصار الذى فرضه الشماليون على موانئ الجنوبيين منع المنتجين الأمريكيين من تصدير القطن الخام صوب أوروبـــا، ولـــذلك فـــإن صناعة القطنيات الأوروبية قد حرمت من مصدر تموينها الرئيسى بـــالمواد الخام، ولم يكن فى وسع المجهودات التى بذلت لكى تجد فى مصر مثلا مـــا يعالج هذه الحالة، إلا أن تكون مؤقتة فمجاعة القطن أجبرت المصانع علـــى تحديد إنتاجها وتسببت في البطالة.

وكانت صناعة القطنيات مركزة فى لانكشاير والتى كـــان إنتاجهـــا يعادل إنتاج كل مصانع القطنيات على القارة. وكانت هذه الصناعة قبل سنة ١٨٦٠م تستورد من الولايات المتحدة بنسبة ٧٢% من المواد الأولية اللازمة لها. ورغم أنها حاولت لكى تعوض الواردات الأمريكية، أن تتجـــه بدرجـــة أكبر صوب موارد الهند، فإنها لم تحصل فيما بين عـــامى ١٨٦٢م، ١٨٦٥م إلا على نصف ما كانت تحتاجه فى عام ١٨٥٩م – ١٨٦٠م. ولـــذلك فـــإن منشآت لانكشاير قد حرمت من القطن الخام أو دفعت فيه أربعة أضعاف ثمنه فى الأوقات العادية، وتسبب نقص الإنتاج فى تحويل ٢٤٧,٠٠٠ عامل إلـــى البطالة التامة و ١٦٥,٠٠٠ عامل إلى البطالة الجزئية. لكـــن هـــذه الأزمـــة الإقتصادية والإجتماعية أصابت صناعة القطنيات وحدها. فكانت الصناعات الأخرى مزدهرة، خاصة وأن معاهدة تجارة سنة ١٨٦٠م فتحت أمامها أبوابا جديدة صوب السوق الفرنسي.

وفى صناعة القطنيات الفرنسية والتى كانت تستخدم أكثر من ٣٥٠,٠٠٠ عامل فى سنة ١٨٦٠م أرتفع ثمن المواد الأولية بنسبة ٣٠% فى أوائل سنة ١٨٦٢م، وبنسبة ٥٠% فى أواسط العام. وكانت المنطقة الرئيسية فى الإنتاج نورماندى هى أكثر الجهات تأثراً، فأصابت البطالة التامة على الأقل ثلثى الأيدى العاملة وتأثرت منطقة الشمال بدرجة أقل، إذا كانت لها صناعات صوفية وتيليه أفادت كثيراً من صعوبات الصناعة القطنية، وكانت الألزاس هى الأقل من تأثر فى أول الأمر، لأن رجال الصناعة فيها كانت لديهم مخزونات كبيرة من المواد الأوليةز ومع ذلك فقد كان العمال ينتقلون ثلاثة أيام فى بلفور Belfor فى سنة ١٨٦٢م. وكان رجال الصناعة يترددون غالباً فى استخدام قطن الهند. إذ أنه يتطلب تعديل الآلات. وهذه الأزمة شغلت الحكومة الإمبراطورية كثيراً.

ولذلك فقد كان للحكومتين الإنجليزية والفرنسية مصلحة مباشرة وسريعة فى الحصول على تخفيف لنظام الحصار وكانت هذه الإجراءات التى اتخذها الشماليون بشأن التجارة البحرية مع الدول المحايدة تثير عديداً من التساؤلات المتعلقة بالمبادئ المرتبطة بمشكلة "حرية البحار". وكان من السهل إثارة مناقشات قانونية يمكن الإفادة منها لممارسة ضغط على حكومة لنكولن. وكان هذا هو أمل الحكومة الكونفيدرالية، ولذلك فإنها منذ بداية الحرب الأهلية، وفى الوقت الذى لم يكن الحصار قد أصبح فيه فعالاً بعدن قررت بنفسها تقليل صادرات القطن الخام، حتى تسبب فى أوروبا الغربية فى صعوبات اقتصادية يمكنها أن تدفع الحكومات إلى التدخل.

ولكن كان في وسع الأزمة الأمريكية أن يكون لهـا، فـي المجـال السياسي مدى أكثر أتساعا، فهل كان لبريطانيا العظمـى أو فرنسـا كدولـة عظمى أطلنطية من الأسباب ما يجعلها ترغب في وقوع انفصال نهائي فـي الاتحاد الأمريكي، وكان فشل الحكومة في إخضاع الكونفيدراليين الجنوبيين إمكانية يمكن توقعها في خلال العامين الأولين من الحرب الأهلية، ما دامت ولايات الشمال رغم تفوق مواردها في عدد الرجال وفي التسليح لم تظهـر على أنها قادرة على الحصول على نتيجة عسكرية، وكـان تقسـيم الأقلـيم المتحد بين دولتين يمثل نهاية هذه القـوة الأمريكيـة التـي كـان توكفيـل Tecqueville قد تنبأ بازدهارها. فهل كان من المتوقع أن يأملوا في مثـل هذه الإمكانية؟ أن الحكومة الإنجليزية والفرنسية. إذا مـا فكـرت فـي أن الولايات المتحدة ستصبح يوماً منافساً للدول العظمى الأوروبية مـن وجهـة النظر الاقتصادية وهي من وجهة نظر البحرية. وإذا ما اعتقدت كذلك في أن التفوق الذي سيمارسه الاتحاد، على مجموع القارة الأمريكية علـى الأقـل. سيكون على حساب المصالح الأوروبية، فإنه يمكنهـا أن تجـد أن الحالـة الفعلية- الانفصال- كانت تتطابق مصالحها. وفي هذه الحالة، هل كان مـن الضروري أن يحاولوا عن طريق عمل دبلوماسي، الاحتفاظ بهذه النتيجـة؟ وهل كانوا يعتقدون. على عكس ذلك، في أن الانفصال النهائي سيكون سبباً للاضطرابات في العلاقات الاقتصادية وفي السياسة الدولية، وسيكون بالتالي تهديد للسلم العام؟ حقيقة أنها كانت نظرات بعيدة للغاية: فهل كان من عـادة رجال الدولة أن يقوموا بتنبؤات بعيدة تمثل هذه الدرجة؟

الواقع أن النظرات للمستقبل في كل من لندن وباريس لم تكن محدودة ولا متمازجة.

كانت الحكومة الإنجليزية منقسمة على نفسها، فـــى أشـــد الأوقـــات تأزما. ففى الوقت الذى كان جلادستون Gladstone وزير الحقانية يأمل فيه فى أن تقوم بريطانيا العظمى بدور الوسيط، وربما كان ذلك راجعاً إلى أنــه كان أكثر تأزماً من زملائه بما يقاسيه العمال فى البطالة، وكذلك لأنه لم يكن يعتقد فى إمكانية إعادة إقامة الإتحاد الأمريكى عن طريق القوة. فى نفس هذا الوقت كان رئيس الوزراء - بالمرستون - وراسل وزير الخارجيـــة أكثـــر تحفظاً من ذلك بكثير وكان البلاط ضد القيام بأية محاولة لها صفة المغامرة. والواقع أنه لم يكن فى وسع الحكومة البريطانية أن تنســـى أن كنـــدا كانـــت "مهددة" فكيف كان فى وسعها أن تقوم فى حالة وقوع صدام بين الشـــماليين، بحماية هذا الجزء من أجزاء الإمبراطورية؟ وألم يكن فى وسعها كـــذلك أن تفكر فى أنه فى حالة ما إذا أصبح الانفصال نهائياً سيكون فى وسع الشماليين الذين لن تعرقلهم غيرة الجنوبيين فى عملية توسعهم الأقليمى، أن يحـــاولوا الحصول على ما يعوضهم عن هزيمتهم بضم كندا؟

وأفادت الحكومة الفرنسية من الحرب الأهلية لكى تقوم فى المكسيك بتنفيذ سياسة توسع متجاهلة فيها مبدأ منرون ولم يكن فى وسعها أن تتناسى أن حكومة لنكولن فى حالة انتصارها فى الحرب الأهلية. ستضع العقبات فى وجه هذا المشروع. ولذلك فإن مصالح السياسة الفرنسية كانت إذن متناقضة، فإطالة مدة الحرب الأهلية كانت تضعها أمام صعوبات اقتصادية واجتماعية. ولكنها كانت تساعد المشروع المكسيكى بإعطاء الوقت اللازم للوصول إلـــى الأمر الواقع. وكانت المسألة المكسيكية هى الأكثر أهمية من وجهـــة نظـــر الإمبراطور. ولذلك فقد كان اتجاه نابليون الثالث هو توجيـــه سياســـته فـــى الحرب الأهلية الأمريكية بطريقة مرتبطة بهذه المشغولية الرئيســـية، وكـــان عليه أن يحسب المزايا التى كان يمثلها بهذا الشأن، انفصال نهائى بـــين دول

الإتحاد الأمريكى، وأن ينتهز حتى الفرصة لكى يحصل لحماية المكسيك على موافقة الكونفيدراليين، ولكن توفينيل Thouvenel وزير الخارجية كان يفرمل هذه النيات فى أثناء الجزء الأول من الحرب الأهلية، ووضع نفسه مع وجهة نظر مختلفة هى وجهة نظر السياسة العامة: فالاحتفاظ بالإتحاد الأمريكى كان أمراً يؤمل فيه، إذ أن الولايات المتحدة ستصبح دولة بحرية يمكنها أن توازن بريطانيا العظمى.

وكانت كل هذه المشغوليات المتلاقية موجودة فى فكر رجال الحكم، وعبروا عنها فى التعليمات الدبلوماسية التى وقعوا عليها وفى المذكرات السرية التى كانوا يتبادلونها. ولكن كل ذلك لم يكن إلا مجرد رغبات، ومن الناحية العملية كان العمل السياسى يحسب حساباً بوجه خاص لحدود الحرب الأهلية ولإمكانيات الانتصار التى يبدو أن الشماليين أو الكونفيدراليين.

وفى بداية الصدام الذى تميز بنجاح جيش الجنوبيين، اكتفت الحكومتان الفرنسية والإنجليزية بالمراقبة والانتظار. وكان مرسييه دى لوستاند Mercier de Lostiende سفير فرنسا فى واشنطن والذى كانت عواطفه الشخصية مع كبار مزارعى الجنوب أكثر مما كانت مع ديمقراطى الشمال فقد أظهر أنه من المتوقع نجاح الانفصال، وفى الوقت الذى كان فيه زميله الإنجليزى أكثر تحفظاً وبكثير. ورغم أن المعارك الأولى قد بدت على أنها تؤكد تنبؤات مرسيه دى لوستاندز فقد كان من الحكمة أن يحتفظ بحكمه، إذ إن القوات المسلحة الشمالية لم تكن قد استعدت بعد. ولذلك فإن فرنسا قد أعلنت حيادها، مثلها فى ذلك مثل انجلترا. وحينما حاولت حكومة الكونفيديراليين، فى أثناء صيف عام ١٨٦١م أن تحصل على أعضاء الدول العظمى الأوروبية لها الاعتراف بها، رفضت الحكومة الإنجليزية ذلك،

وقامت السياسة الفرنسية، التى لم تكن قد تدخلت نهائياً بعد فى المسألة المكسيكية، باتخاذ نفس موقف السياسة البريطانية. ولم تقم الحكومة الإنجليزية بالاحتجاج على سواحل الجنوبيين، لأنها رأت فى ذلك بلا شك سابقة يمكنها فى أحد الأيام أن تطلب إفادة منها فى صالحها ولذلك فإن الحياد كان بالفعل فى مصلحة الشماليين.

ومع ذلك فلقد تسببت حادثة ترنت Trent فى أزمة فى ديسمبر سنة ١٨٦١م. فقام قيودان سفينة حربية شمالية بتفتيش سفينة تجارية انجليزية وأسر مندوبين للحكومة الجنوبية من على ظهرها. فاشتد رد فعل الرأى العام الإنجليزى، لا لمجرد أنه كان شديد الحساسية بالنسبة لكل إعتداء يقع على حق الملاحة فى أعالى البحار، ولكن كذلك لأنه كان قد بدأ فى الشعور بالقلق من أجل (مجاعة القطن)، وفى واشنطن ردت الصحافة بلهجة مهددة. ورغم أن قائد المدمرة كان قد عمل على مسئوليته هو، ورغم أن الأوساط الرسمية الإنجليزية كانت تعتقد فى أنه فى مثل هذه الظروف يمكن للشماليين أن يثيروا حججاً قانونية سليمة، فإن الحكومتين اللتين طغت عليها حركة الرأى العام، فقد اضطرتا إلى أتخاذ مواقف متعارية: فطالبت الحكومة الإنجليزية بتقديم إعتذار لهاز وبفك أسر الأسيرين، وتردد لنكولن فى التنصل من عملية كان يأسف لها. وقامت الحكومة الفرنسية بالاشتراك مع الحكومة الإنجليزية فى طلبها، وكان هذا التأكيد لهذا التضامن الفرنسى الإنجليزى هو الذى أجبر سيوارد Seward على التراجع. فأطلق سراح مندوبى الجنوب. وكانت لهذه المسألة دلالتها من حيث كونها تظهر أن حكومة الشمال قد اضطرت إلى التراجع حينما وجدت أن الدولتين الغربيتين كانتا متفقتين.

فهل سيحتفظ بهذا الاتفاق حينما تمر الحرب الأهلية فى سنة ١٨٦٢م بمرحلتها الأكثر دقة؟ فرغم أن الشماليين كان لهم الوقت الكافى خلال ثمانية عشر شهراً لتنظيم جيشهم، فإنهم قد انتقلوا من فشل إلى فشل. وكان فى وسع ذلك أن يدفع فرنسا وبريطانيا إلى أن يحسنا مقابلة مندوبى الجنوب.

وبدت الحكومة الفرنسية فى ذلك الوقت على أنها تنظر برضاء إلى إمكانية انفصال نهائى. وتقلقل توفينيل وزير خارجيتها نفسه. واستمع نابليون الثالث لاقتراحات سليدل مندوب الجنوبيين فسيورد الاتحاديون للصناعة الفرنسية للقطن الخام، فى نظير المنتجات الصناعية التى ستفيد من الإعفاء من الرسوم الجمركية، وأعلن كل من برسينى والوسيكى ورويه أنهم يوافقون على منح الاعتراف للحكومة الجنوبية. وفكر الامبراطور فى أن يرسل إلى نيوأورليانز أسطولاً لا تكون مهمته هى "فك الحصار" ومع ذلك فلم يكن الأمر يتعلق بالوصول إلى هذا الحد دون الحصول على موافقة بريطانيا العظمى. فهل ستوافق الحكومة الإنجليزية على أن تقوم بعمل دبلوماسى يكون هدفه هو وقف الحرب الأهلية الأمريكية، عن طريق تدعيم الحالة الفعلية، واحتفظت بقرارها فى شهر أغسطس، ولم تجرؤ الحكومة الفرنسية، رغم أن كل أعضائها باستثناء توفينيل، كانوا من أنصار الجنوبيين، على أن تنفصل عن بريطانيا العظمى.

ومع ذلك فقد بدا أن السياسة الإنجليزية كانت مستعدة، بعد شهر واحد من ذلك، لكى توافق على المقترحات الفرنسية. فمع وصول أنباء النجاح الذى أحرزته جيوش الجنوبيين– انتصار بول رن Bull - Runn الذى بدأ على أنه يعلن استيلاء الجنوبيين على واشنطن – تساؤل بالمرستون وراسل فى أواسط سبتمبر سنة ١٨٦٢م، ورغم معارضة الملكة عما إذا لم يكن

الوقت قد حان لاقتراح وساطة، بالاشتراك مع فرنسا، وفكرا فـــى "اقتــراح تسوية على أساس الانفصال" وفى حالة الرفض فى "الاعتــراف باســتقلال الكونفيديراليين" وكان هذا التدخل سيحدث فى الوقت الذى يستولى فيه جيش الجنوب على عاصمة الاتحاد. ولكن إمكانيات غــزو الجنــوبيين لواشنطن إنهــارت. واســتولت القــوات الاتحاديــة بانتصـــار انتيتــام Antietam ٢٨ سبتمبر على بنسلفانيا من الكنفيــدراليين. ومنــذ ذلــك الوقــت تخلــى المسئولون عن السياسة الإنجليزية عن مشروعهم. ولا شك أن جلادستون قد أتخذ بعد ذلك موقفاً فى الخطاب الذى ألقاه فى نيوكاسل فى ١٧ أكتوبر، فـــى صالح تدخل دبلوماسى ولكن رئيس الوزراء تنصل منه. ولم يؤيده زعمــاء المعارضة، دربى ودرزائيلى. وفى اجتماع شبه رسمى لأعضاء الوزارة فى ٢٣ أكتوبر، كان جلادستون وراسل وحدهما اللذان أصرا علـــى ضـــرورة التوسط، ورفض زملاءهم اتباعهم واحتفظوا بخط سلوكهم الحذر الذى كانوا قد تمسكوا به منذ بداية الحرب الأهلية.

فهل ستقرر الحكومية الفرنسية أن تعمل، دون أن تحصل على تأييد بريطانيا العظمى؟

رغم أن التأثير المهدئ، الذى كان توفينيل قد مارســه، قــد اختفـــى (استقال وزير الخارجية فى ٥ أكتوبر) فإن نابليون الثالث لم يجرؤ علـــى أن يقوم وحده بالمغامرة، وفى ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٦٢م لم يعط لسليدل إلا بعض الألفاظ المنمقة حقيقة أنه كان يفكر، نتيجة لعدم وجود تعاون إنجليزى، أثناء فترة من الزمن، فى الحصول على تأييد روسيا لكى يمارس وســاطة فـــى الحرب الأهلية الأمريكية، ولكن حكومة روسيا اعتذرت عــن قبــول هــذا الاقتراح. فلماذا تشترك فى مسالة ليس لها فيها مصلحة مشتركة؟ ومــا دام

القيصر قد تهرب فلم يعد لدى الحكومة الانجليزية أى دافع قوى لكى تعيد النظر فى سياستها الخاصة بالامتناع. ومع ذلك فقد قام راسل وبتأييد من جلادستون بإعادة فتح مناقشة الموضوع فى مجلس الوزراء فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٦٢م. وتساءل عن إمكانية التفكير في حالة قيام روسيا بالتراجع عن رفضها. لقد كان من الممكن أن يقوم القيصر، وفى حالة إبعاد بريطانيا العظمى الاقتراح الفرنسى، بتغيير مواجهته ويقرر تأييد محاولة نابليون الثالث كمناورة قد يكون من بين أهدافها، وربما من نتائجها، تحطيم الوفاق الفرنسى الإنجليزى. ولكن هذه الحجج لم تغير من وجهة نظر الحكومة. وظلت بريطانيا العظمى مصممة تماماً على البقاء بعيداً.

وكان من الواجب أن يكفى موقف الحكومة البريطانية لتثبيط تطلعات نابليون الثالث. ألم يكن قد اعتبر حتى ذلك الوقت، أنه كان فى حاجة. فى هذه المسألة أكثر من أية مسألة أخرى، للمحافظة على تعاون فرنسى + انجليزى. ومع ذلك لم يتراجع فلم هذا التشبث؟ ويرجع ذلك إلى السياسة المكسيكية للإمبراطور.

وفى ١٣ يناير سنة ١٨٦٣م قررت الحكومة الفرنسية أن تعرض وحدها، وساطتها على لنكولن وجيفرسون دافيز، وكان الفشل سريعاً، فقام سيوارد، برفض الاقتراح الفرنسى بألفاظ قاطعة، وأعلن الكونجرس فى قرار صوت عليه فى شهر مارس، أن كل محاولة جديدة للتوسط، ستعتبر على أنها عمل "غير ودى" وكان هذا التحذير قاطعاً.

وتقررت المسألة الأساسية منذ ذلك الوقت فلن يفكروا فى إمكانية تدخل دبلوماسى للدول الأوروبية الأطلنطية، ومع ذلك فإن الصعوبات لم تكن كلها قد سويت، إذ أن ممارسة الحياد كان قد أدى إلى مشكلات جديدة بين

بريطانيا العظمى والشماليين ارتبطت فيها المعارضات القضائية عن قــرب المصالح الاقتصادية فهل للحكومة الإنجليزية الحق ما دامــت محايــدة فــى الحرب الأهلية الأمريكية، فى أن تترك فــى موانيهــا أن تبنــى أو تجهــز ولحساب حكومة الجنوبيين، سفناً ستقدم فى المحيط الأطلنطى بشــن حــرب قرصنة ضد البحرية التجارية الشمالية؟ ولكن الحكومة الإنجليزية تراجعــت حينما أخذت هذه المناقشات فى سبتمبر سنة ١٨٦٣م حادة وتشمل على معانى التهديد.

الخلاصة، أنه لم يكن لبريطانيا العظمى ولا لفرنسا فى أثناء السنوات الأربع الخاصة بالحرب الأهلية الأمريكية، خطة عمل ثابتة. فلم يظهــر أن الرجال المسئولين عن السلطة وفى البلدين، عالجوا المسألة من يوم لآخــر، واقتصرت مشغوليتهم على مجرد تسوية الصعوبات السريعة. ورغــم أنهــم كانوا فى حالات عديدة مختلفين على خط السلوك الواجب اتباعه، فإنهم لــم يقوموا بأى رد فعل على حصار موانى الجنوبيين، الذى كان مع ذلــك قــد تسبب لهم فى صعوبات اقتصادية واجتماعية كبيرة. ولذلك فإن موقفهما كان فى منتهى الحذر. وكان الحذر ضرورياً من جانب بريطانيا العظمى، التــى كانت مشغولة بمصير كندا. ولكن هذا الحذر لم يكن مفروضاً بنفس الدرجــة التى تعرض فيها خط السلوك هذا للتساءل بشدة، وفى البلدين والتــى ظهــر فيها فكرة الوساطة على أنها ستنتصر. ولم يكن من مجرد الصدفة أن تتوافق هذه الخطة الحرجة مع الوقت الذى كان فيه الحالة العسكرية للشماليين فــى أشد صعوبة. وهذه الحقيقة أن بريطانيا العظمى. وكذلك فرنسا. كانتا سترحب بانتهاز الفرصة لتدعيم الحالة الفعلية – الانفصال – إذا ما ظهرت حكومــة لنكولن على أنها غير قادرة فى هذا الوقت، علــى القضــاء علــى هجــوم

الكونفيدراليين ولم تقم دبلوماسية الدول – كما ظهر ذلك فى حالات عديدة إلى تتبع مصير الجيوش الأمريكية وبمواءمة نفسها معه بطريقة أخرى.

أما بالنسبة للمسألة المكسيكية، فإنها كانت معقدة وخاصة بالنسبة للعلاقات الأمريكية الفرنسية، حيث كانت الحرب الأهلية الأمريكية هى التى سمحت بوقوع المسألة المكسيكية، وذلك بإصابتها الولايات المتحدة بالشلل المؤقت.

ومنذ الصراع الخاسر الذى كانت قد واصلته فى سنة ١٨٤٨م ضد الولايات المتحدة، كانت المكسيك فى أحوال صعبة. وفى سنة ١٨٥٥ نشب صراع للوصول إلى السلطة بين "الأحرار" العالمانيين الذين اتبعوا جواريز Juarez، وبين "المحافظين" الكاثوليك. وكانت علمانية الحالة المدنية، وطرد اليسوعيين مدرجة فى برنامج الأحرار، ولكن الموضوع الحقيقى كان هو الإستيلاء على الأملاك الشاسعة التى كانت لرجال الدين، فكانت هذه المسألة هامة من وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية وكانت حكومة ميرامون Miramon المحافظة، التى شكلت فى سنة ١٨٥٨م بعد انقلاب قد أسقطها جواريز فى ديسمبر ١٨٦٠م وفى أوروبا، فكر بعض المهاجرين المكسيكيين ومن أجل إنهاء الحرب الأهلية فى حل ملكى وحاولوا الحصول على تأييد الدول العظمى الأوروبية فى هذا السبيل.

وكانت المكسيك تمثل أمام الأوروبيين ميدان عمل ملفت للنظر، إذ أنه كانت لها موارد منجمية فائقة الأهمية، وكان عدم الاستقرار السياسى وحده هو المسئول عن عرقلة استغلالها. وطرح إدعاء التدخل نفسه بكل سهولة: فالأوروبيين المقيمين فى المكسيك وكانوا فى غالبيتهم من الأسبانيين،

وكذلك من الفرنسيين والإنجليز- قد أصابتهم من الحرب الأهلية أضرار وخسائر وطلبوا إلى حكوماتهم تأييد طلباتهم للحصول على تعويضات، ومن ناحية أخرى كانت الدولة المكسيكية قد عقدت قروضاً فى الخارج، وكان مصير هذه الديون غير مؤكدة. إذ أن جوارير رفض الاعتراف بالديون التى ارتبط بها ميرامون.

وهذا التدخل كان من العمل الشخصى لنابليون الثالث وكان المطالب التى دفعت به إلى الحركة مختلفة. مصالح دينية: فرجال الدين المكسيكيين، والذين قام جواريز بمصادرة أملاكهم حاولوا أن يحصلوا على تأييد الحكومة الفرنسية التى كانت فى ذلك الوقت تفرض نفسها على أنها حامية الكاثوليك فى سوريا، وفى أنام، وفى الصين ونجحت الاتصالات التى قام بها المؤنت Almonts مندوب ميرامون فى باريس فى لفت نظر الامبراطور لهذه المسألة فرصة لإعطاء الأوساط الكاثوليكية الفرنسية نوعاً من التعويض عن خيبة الأمل التى كانت قد أصابتها فى المسألة الإيطالية.

مصالح دائنى المكسيك من الفرنسيين؟ كان من المنطقى أن تساعد الحكومة الفرنسية رعاياها فى الحصول على ما يستحقون، ولكن ما يثير الدهشة هو وجود فى قائمة هذه المطالب أحد الدائنين السويسريين، سندات جيكر Bons Jecker التى كتبتها مورنى Morny فى القائمة الفرنسية نتيجة لحصوله من جيكر على عمولة ٣٠% نظير هذا الترتيب. ولذلك فإن المسألة المكسيكية كانت مرتبطة فى الوسط المحيط بالإمبراطور، بترتيبات مالية لها مظهر غير سليم. وإذا وصلنا من ذلك إلى استنتاج أن هذا الوسط قد دفع نابليون الثالث إلى التدخل، فإن مثل هذا الاستنتاج سيكون طبيعياً.

وأخيراً مصالح اقتصادية. وكانت هذه الحجة دافعاً أساسياً بالنسبة لنابليون الثالث. فكان الإمبراطور قد اهتم منذ وقت بعيد (منذ أسرة فى هان) بدراسة مسائل أمريكا الوسطى: الجهة الموصلة بين المحيطين، واستغلال الموارد المنجمية، وسوق التصدير للمنتجات الصناعية الفرنسية ولذلك فقد كانت الفرصة المكسيكية تلفت انتباهه ولكن تنظيم الاستغلال الاقتصادى للمكسيك دون البدء بتوفير الاستقرار السياسى فى هذه البلاد؟ لقد اقتنع الإمبراطور بعد مقابلاته مع المهاجر المكسيكى جوتيريز Gutierrez والتى لا يعرف تماماً ما دار فيها. بأن الحل الملكى سيضمن مثل هذا الاستقرار، ولم يفكر فى أن ينصب أميراً فرنسياً فى مكسيكو. ولكنه اعتقد فى أن حكومة ملكية تنشأ بتأييد من فرنسا يمكنها أن تعطى للمشروعات الفرنسية مكاناً متفوقاً فى استثمار الموارد المكسيكية، وكذلك فى العلاقات التجارية. فلم تكن السياسة إنشاء "منطقة نفوذ" ولكى يصل إلى هذا الهدف كان من الضرورى بطبيعة الحال أن يفيد من اللحظة التى كانت الحرب الأهلية قد قطعت فيها أوصال الولايات المتحدة.

وهذه المسألة أدارها نابليون الثالث شخصياً، وفى غالب الأحيان عن طريق أعوانه القريبين.

وفى أول الأمر، فى سنة ١٨٦١م، وجد الإمبراطور أنه من الحكمة أن يشرك فى مشروعه اسبانيا وانجلترا، اللذين كان لكل منهما رعايا فى المكسيك وديون على الدولة المكسيكية. وكان فى سياسته العامة لا يرغب فى أن يثير سوء تفاهم مع بريطانيا العظمى، وكان يرغب فى إقامة وفاق مع اسبانيان ولا شك فى أنه كان يفكر كذلك فى أن تدخل "ثلاثة" سيسمح بمواجهة احتجاج الولايات المتحدة فى حالة ما إذا انتهت الحرب الأهلية

الأمريكية قبل الوقت المتوقع لها. ولكن "شركاء" الحكومة الفرنسية الأسبانية تقدر على أن تنسى أنها كانت صاحبة المكسيك، ولا شك فى أنها كانت تفضل أن يتم إعادة النظام الملكى فى صالح أمير من الأسرة الملكية الأسبانية وكانت الحكومة الإنجليزية، تأمل فى سقوط جواريز الذى كان قدر تفاهم فى سنة ١٨٥٩م مع الولايات المتحدة، وترغب فى ضمان حصول رعاياها على دفع ديونهم، ولكنها لم تكن ترغب فى الدفاع عن مصالح رجال الدين المكسيكيين ولا فى تأييد نظام ملكى. ولذلك فإن نابليون الثالث لم ينجح فى فرض برنامجه: وقدر الاتفاق الفرنسى – الإنجليزى – الأسبانى فى ٣١ أكتوبر سنة ١٨٦١م إرسال حملة لإجبار الحكومة المكسيكية على احترام ممتلكات الأجانب. ولكن الامبراطور كان يأمل فى إظهار وجهات نظره بعد البدء فى تنفيذ العملية وزال عدم التحديد بمجرد نزول الحملة العسكرية للدول الثلاث فى المكسيك اختلاف بشأن وضع سندات جيكر فى قائمة المطالب الفرنسية، واختلاف بشأن إعادة النظام الملكى، وعندئذ سحبت الحكومتان الإنجليزية والأسبانية قواتهما.

وهكذا أصبحت حملة المكسيك مجرد مسألة فرنسية واعتقد نابليون، ما دام زملاءه قد تخلوا عن العملية، ولم يعارضوا سياسته علناً. أن الطريق مفتوح أمامه: فقرر تنصيب الأرشيدوق ماكسميليان Maximillien النمسوى عرش المكسيك وبعد استيلاء الحملة على يوبيلا (١٧ مايو ١٨٦٣م) وعلى مكسيكو (٧ يونيه سنة ١٨٦٣م)ز منح "مجلس الأعيان" الذى اجتمع تحت إشراف القيادة الفرنسية التاج لماكسمليان وخلال عامين، حاول امبراطور المكسيك الجديد أن يحكم ولكنه لا يسيطر على الجزء الأوسط من البلاد، والذى بقى شماله وجنوبه فى أيدى أعوان جواريز، وكان يعلم بضعف الحكم الملكى الذى يأمل فى الحصول على تأييده فلم يجرؤ أن يقرر، خوفاً من أن

يزيد من خطورة المعارضة، إعادة أملاك رجال الدين المصادرة، مما أدى تغيير موقفهم منه. وكانت نقطة الارتكاز الوحيدة التى يمتلكها هى الحملة الحربية الفرنسية ٣٠,٠٠٠ جندى والتى كان نابليون الثالث قد وعده بخطاب فى ٣٠ يناير سنة ١٨٦٤م بأن يتركها هناك طول الوقت اللازم لضمان "وجود الحكومة الجديدة".

ولكن الحرب الأهلية انتهت فى مايو سنة ١٨٦٥م، وعندئذ أظهرت حكومة الولايات المتحدة موقفها بوضوح، فرفضت الاعتراف بماكسمليان وطلبت باسم مبدأ منرو سحب الحملة الفرنسية. فكيف كان فى وسع فرنسا أن تخاطر بالدخول فى صدام مع الولايات المتحدة؟ وفى ١٥ يناير سنة ١٨٦٦م أبلغ نابليون الثالث الامبراطور ماكسمليان أنه سيكون مضطراً لاستدعاء قواته "على دفعات" ومنذ هذا الوقت تحدد مصير النظام المكسيكى الجديد. ولم تتمكن توسلات ماكسميليان ورحلة الإمبراطورة شارلوت إلى باريس فى أغسطس سنة ١٨٦٦م من أن تغير من الأمر شيئاً، وستقع مأساة كيريتارو Qucretoro فى مايو سنة ١٨٦٧م. بعد انسحاب آخر القوات الفرنسية.

وكانت هذه الهزيمة شديدة على نفوذ نابليون. وكانت المعارضة فى المجلس التشريعى قد انتقدت بمرارة هذه السياسة المغامرة، وكررت أن حملة المكسيك التى أرسلت كما قال جول فور Jules Foure من أجل أمير أجنبى ورجل أموال سويسرى "كانت لا تمثل المصالح الفرنسية" وكانت هذه الاعتراضات قد وجدت صدى لها لدى الرأى العام. وأعطت الهزيمة المحزنة لهذا المشروع حقاً لرجال المعارضة: وكان الإمبراطور قد دخل فى هذه العملية دون أن يعرف حالة تفكير المكسيكيين، ودون أن يحاول أن يقيس بدقة إمكانيات قبولهم للحل الملكى، ولم يجد رداً مقنعاً يوجهه لانتقادات جول

فور، ولا شك فى أن ذلك قد رجع إلى أنه لم يجد من الضرورى الإصـــرار على الأهداف الاقتصادية للمشروع. حتى لا يثير قلق الإنجليز أكثر من ذلك، واعتقد أن فى وسعه أن يصل إلى حالة أمر واقع قبل إنتهاء الحرب الأهلية. ولقد ظلت خططه غامضة بالنسبة للرأى العام، وكان الخطأ فى تقديره ثقيلا. ولكن المسألة المكسيكية أضعفت كذلك مركز فرنسا الأوروبى. فارسال حملة من ٣٠,٠٠٠ رجل على الأقل خمس الإجمال الحقيقى للجيش العامـــل إلـــى ميدان عمليات فى مثل هذا البعد، جعل تعبئة القوات الفرنسية أكثـــر بطئـــاً وأكثر صعوبة فى حالة وقوع أزمة عن القارة.

الفصل السادس

التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى للولايات المتحدة الأمريكية فى الفترة ١٨٦٥-١٩١٤

رئاسة جونسون:

بعد الانتهاء من الحرب الأهلية الأمريكيـة (١٨٦١-١٨٦٤) ، مـرت الولايات المتحدة بعدة تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية هامة، وخاصة فى هذه الفترة الهامة إلى أن أصبحت قوة عظمى، وشاركت فـى الأحـداث السياسية فى هذه الفترة وأصبح مبدأ منرو هو الأساس فى سياستها الخارجية.

فبعد الانتهاء من الحرب الأهلية تم اغتيال الرئيس لنكولن فـى ١٤ ابريل سنة ١٨٦٥م وتوفى يوم ١٥ ابريل وخلفه انـدرو جونسـون نائـب الرئيس الذى أصدر إعلانا بالعفو منح فيه العفو العام عـن جميـع الأفـراد العاديين الذين اشتركوا فى العصيان متى حلفوا يمين الولاء وعين الكونجرس لجنة مشتركة من خمسة عشر عضوا لإعادة التعمير.

وفى٢٧ يوليو ١٨٦٣م أوصل سيروس د.فليد الخط البرقـى عبـر الأطلنطى إلى نيوفوندلاند، وبذلك أنشأ المواصلات البرقيـة مـع بريطانيـا العظمى. وصدر فى ٢مارس سنة ١٨٦٧م القانون الأساسى لإعادة التعمير، حين نصح جونسون الولايات الجنوبية أن ترفض التعديل الرابع عشر

التعديل فيما عدا ولاية تنسى، وبذلك أصبحت مسألة إعـادة التعميـر هـى المسألة الأساسية المتنازع عليها فى معركة انتخابـات الكـونجرس سـنة ١٨٦٦م التى لم يفز فيها جونسون. وهذا القانون بعد الإضافات التى أدخـلا عليه بمقتضى لوائح ٢٣ مارس، ١٩ يوليو سنة ١٨٦٧، ١١مـارس سـنة ١٨٦٨م قسم الولايات الجنوبية إلى خمس مناطق عسـكرية ولكـى تعـود الولايات إلى الإتحاد يجب عليها أن تعقد مؤتمرات عامة على مستوى الولاية ينتخب ممثلوها بمساعدة أصوات الناخبين . هذه المؤتمرات تقـوم بوضـع الدستور على التعيل الرابع عشر.

وفى مارس من نفس العام وافق الكونجرس علـى قـانون شـروط التوظف على الرغم من اعتراض جونسون. كما قامت الولايـات المتحـدة بشراء ألاسكا بمبلغ ٧,٢٠٠,٠٠٠ دولار. نتيجة لتوتر العلاقات بين الرئيس جونسون والكونجرس، تحالف الكونجرس مع جونسون، حول سياسة إعادة التعمير وكانت المناسبة المباشرة لاتخاذ إجراءات الاتهام ما نسب إليه مـن خرق مزعوم لقانون التوظيف والبقاء فى الخدمة ، وقد بريء مـن التهمـة بأغلبية ٣٥ صوتا ضد ١٩، أى بصوت واحد أقل مـن ثلثـى الأصـوات الضرورية فى مجلس الشيوخ.

وقد تألف الحزب القومى لمنع المسكرات فى اجتماع عقد فى شيكاغو عام ١٨٦٩م . وعقد المؤتمر القومى فى نوفمبر من نفس العام لمنح المـرأة حق الانتخاب فى كليفلند برياسة الأب هنرى وارد بتشـر، وأنشـأ جمعيـة إعطاء حق الانتخاب للمرأة الأمريكية.ودل ذلك على أزياد نشاط المرأة فيما يتعلق بحق الانتخاب.

وفى ٨مايو سنة ١٨٧١م تم عقد معاهدة واشنطن مع بريطانيا ، فى عهد الرئيس يولسيس جرانت التى تقضى:

- بإحالة موضوع الخلاف على الحدود الشمالية الغربية إلى امبراطور ألمانيا (وقد فصل فيه لصالح الولايات المتحدة ٢١ أكتوبر سنة ١٨٧٢م).
- بتسوية جزئية الخلاف على المصايد (قرار هالنيكس فى التحكيم سنة ١٨٧٢م الذى قضى بمنح بريطانيا ٥,٥٠٠,٠٠٠ دولار) وقد ألغت الولايات المتحدة هذا الجزء من المعاهدة عام ١٨٨٣م.
- بتسوية مطالب آلاباما عن طريق لجنة دولية تعقد فى جنيف (وفى ٢٥ أغسطس سنة ١٨٧٢م،صدر قرار التحكيم فى جنيف بمنح الولايات المتحدة ١٥,٥٠٠,٠٠٠ دولار تعويضا عن الخسائر المباشرة الناجمة عن إتلاف طرادات الباما وغيرها من الولايات المتحالفة).

وفى شهر نوفمبر من نفس العام تم إعادة انتخاب جرانت المرشح الجمهورى وفوزه على هوراس جريلى مرشح الجمهوريين الأحرار الذى أيده الحزب الديمقراطى وامتنع عن تقديم مرشح له فى الميدا. أدى إلى ازدياد عدم الرضى بين كثير من الجمهوريين عن حكومة جرانت إلى تكوين حزب الأحرار الجمهورى.

وتم اكتشاف فضيحة كريدى موبيليه، عن طريق لجان الكونجرس للتحقيق فى أ ن شولد كولفاكس نائب رئيس الجمهورية السابق، وعددا من أعضاء الكونجرس بما فيهم جيمس أ. جار فيلد قد أخذوا أسهما لم يدفعوا ثمنها من شركة كريدى موبيليه وهى شركة الإنشاءات التى قامت ببناء الخط الحديدى الاتحادى للباسفيك.وكان هذا واحد من الأمثلة العديدة لفساد حكم جرانت. وفى عام ١٨٧٤م أسرع أ.ريتشارد سون وزير الخزانة بالاستقالة

تفاديا من التعرض لقرار اللوم من الكونجرس مـــن الكـــونجرس ورد اســـم بالكوك السكرتير الخاص لجرانت ضمن عصابة الويسكى كما استقال بلنكاب وزير الحرب فى عام ١٨٧٦م فرارا من المحاكمة بتهمة تقاضـــى الرشـــوة وتعرض رئيس المجلس جيمس ج .بلين للفضيحة بسبب خطابات موليجان.

وفى عام ١٨٧٢ حصل القنصل الأمريكى فى ساموا على امتيازات للسفن الأمريكية فى الموانى، وفى عام ١٨٧٨م حصلت الولايـــات المتحـــدة على الحق المطلق فى استخدام ميناء باجو- باجو. وفى عام ١٨٨٦م أعلن القنصل الأمريكى أن سامو محمية أمريكية ولكن وزارة الخارجية الأمريكية رفضت هذا الإعلان. وفى معاهدة ١٨٨٩م اعترفت كل من الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا العظمى باستقلال ساموا لكنها وضعت السلطة فى يد رئيس المحكمة الفيدرالية العليا والمجلس البلدى فى بلدة ابيا بجزيرة ســـاموا الـــذى يختاره أعضاؤه بمعرفة الدول الثلاث. وباتفاقية ٤ ديســـمبر ســـنة ١٨٩٩م اقتسمت كل من الولايات المتحدة وألمانيا أراضى ساموا وكـــان نصـــيب أمريكا توتويلا وميناء باجو- باجو.

وفى ٢٩ فبراير ١٨٩٢م تم عقد معاهدة مع بريطانيا العظمى بشـــأن صيد عجل البحر فى بحر بهونج. قام بلـــين بوصـــفه وزيـــرا للخارجيـــة بمجادلات طويلة مع بريطانيا العظمى فى هذا الموضوع وبنى حجته علـــى القانون الخاطئ وعلى التاريخ والأخلاقيات . قضت الاتفاقية بعرض الخلاف على محكمة تحكيم . انكرت المحكمة فى عام ١٨٩٣م حق الولايات المتحدة فى حظر الصيد فيما وراء حد الثلاث الأميال وفى سنة ١٩١١م عقد اتفـــاق دولى لحظر صيد (عجل البحر) لمدة خمسة عشر عاما.

وفى الفترة (١٨٩٣-١٨٩٨) أصبحت هـاواى ذات أهميـة بالغـة للولايات المتحدة، وفى ١٧ يناير سنة ١٨٩٣م شكلت حكومة مؤقتة بعلم من الوزير الأمريكى وانتزعت عرش هاواى، وفى ١٤ فبراير عقـدت اتفاقيـة تلحق هاواى بالولايات المتحدة ولما كان مجلس الشيوخ لـم يصـدق علـى الاتفاقية قبل انتخاب كليفلاند رئيسا فإنه عمد حين تولى الرياسة إلى سـحبها فورا وأرسل مندوبا إلى جزائر هاواى للتحقيق. ولما لم يوفق كليفلانـد فـى جهوده لاستعادة الملكية اعترف بالجمهورية التى قامت فى أثناء ذلك وفـى يونيه ١٨٩٧م وضع ماكنلى اتفاقية جديدة لضم هاواى إلى الولايات المتحدة ولكن مجلس الشيوخ رفضها مرة أخرى وفى ٧ يوليه ١٨٩٨م وضع ماكنلى اتفاقية جديدة لضم هاواى إلى الولايات المتحدة ولكن مجلس الشيوخ رفضها مرة أخرى وفى ٧ يوليه تتقرر ضم هاواى بقـرار مشـترك مـن مجلـس الكونجرس.

وفى عام ١٨٩٥م قام نزاع بـين بريطانيـا العظمـى والولايـات بخصوص فنزويلا.

النزاع على حدود فنزويلا:

لما رفضت بريطانيا العظمى أن تخضع للتحكيم فى موضوع النزاع على الحدود القائم بين فنزويلا وعيانا البريطانية وجـه وزيـر الخارجيـة الأمريكية أولنى فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٩٥م مذكرة إلى الحكومة البريطانيـة يؤكد فيها أن فرض الحدود بالقوة من جانب بريطانيا سوف يعتبر خرقا لمبدأ منرو. كما يعلن أن الطريق الوحيد لتسوية النزاع هو التحكيم. ثم أضاف أن الولايات المتحدة هى اليوم عمليا صاحبة السيادة على هذه القارة وقراراتهـا قانون يسرى على الرعاية الذين تقتصر عليهم حماية الولايات المتحـدة. رد

سولسبرى فى ٢٦ نوفمبر رافضا التحكيم. ومنكرا إمكان تطبيق مبدأ مونرو على هذا النزاع. وفى ١٧ ديسمبر طلب كليفلاند إلى الكونجرس أن يخول لجنة حق التأكيد من حقائق موضوع النزاع، وأكد حق الولايات المتحدة فى تأييد ما تنتهى إليه اللجنة من نتج وقد اختيرت وخولت السلطات المطلوبة فى ٤ يناير سنة ١٨٩٦م، وفى ٢ فبراير سنة ١٨٩٦م، وفى ٢فبراير سنة ١٨٩٧م عقدت بريطانيا العظمى وفنزويلا معاهدة طرح النزاع بموجبها على التحكيم وكان قرار التحكيم الذى صدر فى عام ١٨٩٩م يؤيد إلى حد كبير مركز بريطانيا.

وفى الوقت الذى أعلن فيه سولسيرى قبوله للتحكيم لم يكن هنا مبررا لتعقد العلاقات بين الطرفين، ويرجع ذلك إلى موقف الرئيس الأمريكى، والموقف العام فى أوربا الذى أدى خدمات جليلة للولايات المتحدة الأمريكية. وأصبحت بعد هذا الانتصار دولة عالمية فى رسم السياسة العالمية.

على أن مسألة فنزويلا لم تنتهى عند هذا الحد فى عهد الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت. حيث ثارت المشكلة فى هذه المرة فهى تتعلق بالعلاقات الأمريكية الألمانية. ففى الوقت الذى قررت فيه الولايات المتحدة وصل المحيط الهادى بالمحيط الأطلنطى بقناة بنما، ظهرت ألمانيا باستيلائها على قطعة من الأرض قريبة من هذه القناة. ولذا قامت السفن الحربية الألمانية بالبحث عن قطعة أرض لكى تجعلها قاعدة لأسطولها على شواطئ فنزويلا.ولقد اهتم القيصر الألمانى اهتماما بالغا بهذا الموضوع، فقد تفاوض مع المكسيك بخصوص شراء ميناء كاليفورنيا الجنوبية من أجل هذا الموضوع، فقد تفاوض مع المكسيك بخصوص شراء ميناء كاليفورنيا الجنوبية من أجل هذا الموضوع، ولكن باءت محاولات بالفشل.

وفى عام ١٩٠٢م حاصرت بريطانيا العظمى وألمانيا وإيطاليا خمسة موانى من موانئ فنزويلا بسبب امتناعها عن الوفاء بالتزاماتها الخاصة بديوانها. وفى ١٩ ديسمبر بناء على إلحاح وزارة الخارجية الأمريكية واستعداد كاسترو ديكتاتور فنزويلا لعرض مطالب الدول الأوربية على وسيط للتحكيم فيها، قبلت الدول الأوربية التحكيم فى هذه المسائل، وفى فبراير الحصار عن الموانى تألف لجنة مشتركة بمعرفة محكمة لاهاى للفصل فى هذه المطالب.

وفى ٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤م أعلن روزفلت تذييله لمبدأ منرو، وقد جاء هذا التذييل نتيجة للموقف الذى نتج عن ديون جمهورية الدومنكان وضغط الدول الأوربية عليها لدفع هذه اليون وقال فى ذلك أن التصرفات الخاطئة المزمنة التى تقوم بها الدول الكبرى فى النصف لبغربى من العالم من شأنها أن تحمل الولايات المتحدة تطبيقا لمبدأ منرو على القيام بدور القوة البوليسية الدولية باعتبارها الوسيلة الوحيدة لردع التدخل الأوروبى بموجب هذه النظرية تدخلت الولايات المتحدة فى سانتودومينجو وحصلت العوائد الجمركية بصفة غير رسمية وفى ٣١ يوليه سنة ١٩٠٧م غادرت الإدارة الأمريكية سان دومنجو.

مشكلة كوبا: (**الحرب الأمريكية الأسبانية سنة ١٨٩٨م**):

أن الوضع الذى نشأت الحرب عنه والأحداث التى رافقتها وما تمخض عنه من نتائج ظلت إلى حد بعيد محلية وداخلية فى أهميتها، وواجهت الولايات المتحدة من المأذق، وما يصدر عنها من تصرفات تتراكم عبر السنيين من آثار كونية حتى غدت قطعا ضخمة كل الضخامة كما حدث

فى الحرب العالمية الثانية. ولكن هذه ما كانت لتوجد يوم نشبت الحرب بين أسبانيا والولايات المتحدة، فكان أبعد أثر لها هو الإستلاء على الفلبين.

لقد نشأت الحرب مع أسبانيا، عن وضع قام فى كوبا. وكان ذلك وضعا من تلك الأوضاع المخيفة المأسوية دونما رجاء يرجى منها مما يبدو أنه من علامات السقوط أو انتهاء علاقة بين دولة استعمارية ومستعمر. وواجه الحكم الأسبانى تحديا من ثوار كوبيين، فهم من سوء التنظيم والتدريب ما فيهم، وينشطون فى كل مكان من الجزيرة وفق المبادئ الكلاسيكية التى يأخذ بها الثوار ويتمتعون بما يتمتع هؤلاء من المزايا فى الحرب على أرض مألوفة ضد عدو أجنبى مكروه. ثم كانت محاولات الأسبان فى قمع المنتفضين عليهم فظة تفتقر للكفاءة ولا نصيب لها من النجاح إلا القليل. ثم أن هذا الوضع إنما نشأ بعد عهد من التراكم استمر عقودا تحللها انتفاضات ما انقطعت تقوم بين الحين والآخر.

ولقد كان فى استطاعة الولايات المتحدة أن تعرض عن الأمر على أنه لا يخصها،وأن تدع الأمور تجرى فى مجراها. فلم يكن أمنها القومى، ليواجه تهديدا كما يحدث اليوم. بيد أنه لحق بالممتلكات الأمريكية دمار. ثم المغامرين وتجار السلاح ينشطون نيابة عن المنتفضين، ويثيرون الكثير من المتاعب أمام الحكومة. والرأى العام قبل كل شئ يصطدم لما يردده من روايات العنف والبؤس فى الجزيرة، وعندما بلغهم نبأ معاناة الشعب الكوبى اهتزت مشاعرهم وصدمتهم فى أحاسيسهم، ونال منهم الامتعاض كل منال، ثم كان أن حملت الأحداث إلى رجال الدولة الأمريكيين القناعة بأن استمرار هذا الوضع فى كوبا لابد مهدد مصالحهم بما لا احتمال على المدى البعيد

هناك، وأنه إذا فشلت أسبانيا فى وضع حد له فلابد لهم من التدخل بشكل من الأشكال.

وفى خريف عام ١٨٩٧م بدأت الأحوال توحى بالتفاؤل قليلا، فلقد تقلدت الحكم فى أسبانيا آنئذ حكومة جديدة أكثر اعتدالا من سابقتها. ولقد أبدت هذه الحكومة ميلا أعظم لتذليل المعضلات التعسة فى الجزيرة. ولاحظ الرئيس ماكنلى McKinley فى رسالته إلى الكونجرس هذا التطور وأرفق هذه الملاحظة بتزكية بأن تمنح الحكومة الأسبانيا الجديدة فرصة. وهكذا بدأ العام ١٨٩٨م بأمل متجدد بأن تنتهى مأساة الشعب الكوبى إلى مآل حسن بدلا من أن تمضى فى سيرتها إلى الأسوأ.

ثم شاءت الصدفة العاثرة أن يقع فى شتاء من ذاك العام أمران كان من شأنهما أن يقلبا الوضع أفدح انقلاب. وكان أولهما رسالة من السفير الأسبانى فى واشنطن جانب فيها التحفظ فعرض بالرئيس ماكلنى إذ وصفه ب(متملق العامة.. وسياسى غر.. يحاول ترك الباب مفتوحة وراءه بينما يحاول البقاء على تفاهم مع المأفوفين فى حزبه "ولقد قدر لهذه الرسالة أن تتسرب لتجد طريقها إلى الصحف فى نيويورك فتثير القدر الكبير من الامتعاض والاشمئزاز.

وما هى إلا أيام قلائل حتى صدم الجمهور الأمريكى مصدوما أشد الصدمة، وثائرا أعظم الثورة لنبأ غرق البارجة "مين" ومعها مائتان وستة وستون أمريكيا فى ميناء هافانا.

وكان فى أى الحادثين سببا يحمل فى حد ذاته على خوض الحرب. فأولا ما كان بوسع الحكومة الأسبانيا أن تحول دون وزيرها والطيش – بل

وما انفك حتى الدبلوماسيون وهم الذين يفترض بهم التحفظ يـأتون بـأمور طائشة ومثل هذه الأمور بعد تقع فى أرقى العائلات. ولم تقتصر حكومته فى إنكاره فأزاحته عن منصبه ثم أنكرت عليه ما جاء به قلمه من فاحش القول. وأما بما يتصل والبارجة "مين "، لم يوجد أى دليل يثبت على أن الحكومـة الأسبانية لها ضلع فى غرقها – والدليل على ذلك أنها عندما علمـت بالنبـأ فزعت. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن السلطات الأسبانية قد طلبت من الولايات المتحدة عدم التوجه إلى هذا الموقع، وكذلك شاركهم فى ذلك قنصل الولايات المتحدة فى هافانا معللين رجائهم بخشيتهم من وقوع ما يمكن له أن يثير المشاكل. وإذ كانت الواقعة، وجدنا الحكومة الأسبانية لا تدخر جهدا وما انقطعت تبذل ما فى وسعها للتخفيف من الكارثة، بل ورحب بـالتحقيق فـى الحادثة، ثم أنها تعرض فى النهاية وضع الأمر كله ليفصل فيه المحكمـون. وإن كان هذا العرض لم تقبله الولايات المتحدة.

ومهما يكن من الأمر فيبدو أن التاريخ شاء أن تهز هاتان الحادثتـان الرأى الأمريكى إلى الحد الذى غدت فيه الحرب حتما مع غـرق البارجـة "مين" وحينما غرقت هذه البارجة، لم تهتم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالحل السلمى.بالإضافة إلى أن الحكومة الأسبانية لم تلب طلبـات الولايـات المتحدة على الرغم من جهود السفير الأمريكى فى مدريد لمنع هذه الحرب، وقدم تقريرا إلى حكومته، يقترح تسوية الأمر على أحد الأسس التالية، فإمـا حكم ذاتى للجزيرة مقبولة من الثوار أو اسـتقلالها أو تسـليمها للولايـات المتحدة.ثم أعلنت ملكة أسبانيا هدنة عامة لتقوم فى الجزيرة،– وتعهد السفير الأسبانى فى واشنطن للحكومة الأمريكية، بصياغة نظام من الحكم الذاتى فى وقت مبكر. على الرغم من ذلك، فإن الرأى العام والحكومة قد أعدت العـدة للحرب.

وكانت هذه التنازلات التى قدمتها أسبانيا جاءت متأخرة عن أوانها، ولا يمكن الركون إليها تماما. كما أن يكونوا مستعدين لذلك، ولا فى وضع من التنظيم، سمح لهم بالتعاون بأى شكل مع السلطات الأسبانية كم أن قرار الحرب قد أخذ فى أمريكا بعد ضغط الرأى العام، وتعرض الرئيس الأمريكى نفسه للضغط من جانب الكونجرس الأمريكى، وطلبهم بخصوص تخلى الحكومة الأسبانية عن حكم جزيرة كوبا وسحب قواتها البرية والبحرية من هناك. خولت الرئيس استخدام القوات البرية والبحرية الأمريكية فى تنفيذ هذا الطلب. ووجهت الحكومة الأمريكية إنذارا إلى أسبانيا واعتبرته إعلانا بالحرب ضدها وقطعت علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة.

وكان من الواضح أن قرار الكونجرس خاص بكوبا فقط. ولكن استطاع الرئيس الأمريكى أن يستغل هذا القرار فى تدمير الأسطول الأسبانى فى مانلا. حيث أصدر الرئيس ماكنلى أمرا بعد صدور قرار الكونجرس بعدة أيام قلائل إلى الأميرال ديوى أمرا بذلك. وفى٥علا تم الاستيلاء على الفلبين وهى كانت تابعة لأسبانيا ووضعتها تحت العلم الأمريكى.وأدى ذلك إلى تمزيق الحكم الأسبانى على الجزر، وجعلت مغادرتها لها أمرا مستحيلا، ولم يترك لهم ثمة خيارا مقبولا سوى الاستيلاء عليها.

وكان هناك تساؤل فى الولايات المتحدة ، عن اتمام هذه العملية، وما الفائدة المرجوة من هذا الضم، على الرغم من اهتمام الولايات المتحدة بها.ويرجع ذلك إلى أ، تيودور روزفلت Theodore Roosevelt، وهو يومنذاك مساعد وزير البحرية، كان يخامره طويلا شعور بأنه ينبغ على الحكومة الأمريكية الاستيلاء على الفلبين، وأنه هو الذى سعى إلى تسليم ديو قيادة الأسطول الآسيوى، وأن الاثنان كان على اتفاق مسبق وإياه أن يقوم هذا

الهجوم على مانيلا، بصرف النظر عن أصل الحرب وهدفها. كما أن الرئيس ماكنلى كان قد أوضح فى دفاعه عن تصرف ديوى فيما بعد عن افتقار بالغ لفهم حقيقة ما ينطوى عيه الأمر وأنه كـان يأخـذ بعـدد مـن المنطلقـات الاستراجية التى لا أساس لها فى واقع الحال. فقد ألمح ماكينلى إلى أنه تدمير الأسطول الأسبانى وتحييده فى الحرب فحسب. ولو كان هذا صحيحا، فمـا السبب الذى جعل الرئيس يصدر أوامره بعد أيام بالاستيلاء على الجزر هذا سؤال يحتاج إلى جواب؟ هذا بالنسبة لقرار الحرب.

أما عن القرارات السياسية الأوسع المتصلة بالحرب تلك القـرارات التى أدت لا لضم الفلبين فحسب بل وبورتوريكوجوام وجزر هاواى كـذلك وقد كانت هذه قرارات بالغة الأهمية. إذ أن هذه الحيازات بأكملهـا – التـى تمت فى عام ١٨٩٨ م تمثل أولى تجاوزات سيادة الولايات المتحـدة إلـى مناطق هامة بعيدا عن الحدود القاريـة لأمريكـا الشـمالية، إلا اللهـم إذا مشاركتها– أى الولايات المتحدة– أى الولايات المتحدة – فى حكم سـاموا نفرض مثل هذا الوصف. ثم أنها تمثل أولى الحالات التى انضم تحت علمهم مجموعات سكانية كبيرة دون أن يتوقع لها بأى قدر يعتد به أن تغدو ولايـة (من الولايات الأمريكية) كما أن حيازتهم من الأقاليم كانت حتى ذلك الحين عبارة عن أراض خالية تقريبا وذات سكان أقل من أن يؤهلهمـا لأن تبلـغ مرتبة الدولة.

أما فى هذه الحالة فقد كانت عام ١٨٩٨م، ولأول مرة فى الحيـازة مناطق ما كانت يتوقع لها فى وضع الامتثال الاستعمارى. حولت النقطة هذه كان دعاة التوسع البارزون واضحين الوضوح كله. مثال ذلك هو ايتلوريـد Whitelaw Reid لا ينأى يعرب عن خشية من أن تذهب الأفكار بالنـاس

مذهب الظن بأن هذه المناطق الجديدة مرشحة لبلوغ مرتبة الولايـــة. ومـــرد ذلك اعتقاده أنه لو ذهب الظنون بالناس هذا المذهب، فلن يأنس منهم ميلا إلى حيازتهما وهذا ما حمل اندرو كارينجى Andrew Carnegie وكـــان هـــذا مناهضا للنزعة التوسعية، على الهجوم على ريد ، إذ قال مخاطبا إياه "أنـــك لسوف تواجه ما سوف يحملك على التخلى عن معارضتك لتقبـــل بانضـــمام المناطق هذه كولايات من (الولايات المتحدة)ولسوف تضطر لابتلاعها حتى آخر واحدة منها.

وبذلك صرحت على أنها تتصل بضم مناطق لا يقصد لها أن تبلـــغ مرتبة الولاية وعرضت صراحة على هذا النحو.

ولقد دار النقاش حول هذه النقطة طويلا ومستفيضا. وكان الكثير منه يتصل بالأطراف القانونية من الأمر. بيد أن هذه لم تكن المسألة الحقيقية فى ذلك النقاش. بل الحق أن القضية الحقيقية إنما كانت تتصل بما فى الأمر من النفع والتماس الحكم فيه. ولقد عرض دعاة التوسع مجموعة مـــن الحجـــج والذرائع فى تبرير دعواهم فقال بعضهم أن قدرنا الذى لا مفر علينا استحواذ هذه المناطق تلك. ثم كان أن زعم آخرون أن علـــيهم- أى الأمريكيـــون - بوصفهم أمة مسيحية مستنيرة واجب النهوض بسكان تلك المناطق الجاهلين والضالين. وكان هناك أيضا من ذهب مذهب أنها مناطق ضرورية للـــدفاع عن أراضى الولايات المتحدة المترامية أما أصحاب النزعة التجاريـــة فقـــد زعموا أنه لا محيص لهم عن أخذ تلك المناطق،وبخاصة هاواى والفليبـــين. ليضموا لأنفسهم حصة مناسبة مما كان قيل عنه أنه مستقبل التجارة العظـــيم مع الشرق.

ولقد نزع مناهضو النزعة التوسعية إلى حد ما بالاعتبارات القانونية وبذريعة فى مثل هذه الترتيبات مجافاة للدستور. والحق أن أقوى الحجج التى جاءت بها هؤلاء هو تساؤلهم عما إذا كان لهم – أى الأمريكيين – الذين أقاموا هذا الوطن على النظرة القائلة بأن الحكومات إنما تستمد سلطاتها من قبل المحكوم، أن يدعو لأنفسهم حقوق الامبراطورية على شعوب أخرى ويدرجها فى نظامهم، مهما تكن مشاعرها على أنها من الرعايا وليس أفرادها من المواطنين.ولقد قال هوار ممثل ولاية ماسانشوستس فى سياق لبنقاش الذى دار حول تصديق معاهدة السلام من أسبانيا أن فى ضم أراضى أجنبية وحكمها مناهضة كل المناهضة للمبادئ المقدسة فى إعلان الاستقلال ومعارضة للدستور طالما أن الأمر لا يخدم غرضا له. ثم يطالعهم يخبرهم أن ما كان الجدود المؤسسون ليخطر لهم ببال أن أحفادهم سيلهون عن الحقائق المقدسة الجليلة بما يزين لهم ارتداء أزياء الأباطرة وزينة الملوك الزائفة، ولا كان ليخطر لهم بأن أحفادهم سيؤخذون برائحة البارود وأصوات المدافع بعد نصر واحد كما تستولى على الصبى الصغير روعة المفرقعات وهى تطلق فى عيد الاستقلال.

والحق أن أقوى الحجج التى أتى بها أصحاب النزعة الإمبريالية غير كل ما ذكرت حتى الآن، ألا وهى الدعوى التى كانت تعرف أحيانا "بدعوة" الضرورة الطارئة- وهى الدعوى بأنه ما لم يحزهم على هذه المناطق، فإن بلدا آخر سيقدم ويستولى عليها، وهذا أسوأ. وأن هذه حجة واهية حينما ذى عرضت فى موضوع هاواى وبورتوريكو ولا سند لها ولم يكن هناك وقتها أى احتمال ذى شأن بوجود من يسعى لإقحام نفسه فى هذا الموضوع. وكان لهم أن يطمئنوا فتترك بورتوريكو لأسبانيا أو تقوم مثل كوبا دون أن يكون فى أى من الأمرين ما يعكر عليهم الأمن.

أما الفلبين أشد خطورة. ذلك أنه ما أن تم لهم دحر القوات الأسبانية. ما أن تحقق ما كان من تمزيق الحكم الأسبانى، حتى غدا مستحيلا عليهم-أى الأمريكيون- أن يعيدوا الجزر تلك إلى الأسبان. ولقد كان جليا أن سكان جزر الفلبين كانوا يفتقرون لما يؤهلهم لحكم أنفسهم،ى حتى وإن كان ثمة احتمال بان تدعهم القوى الأخرى و شأنهم، مما لم يكن لهم نصيب فيه.والأرجح أنه لو أ'رضت الولايات المتحدة عن الاستيلاء عليها فتتنازعان انجلترا وألمانيا عليها،واحتمال قيام ضرب من الاتفاق على اقتسامهما فيما بينهما فى نهاية المطاف. ثم أن اليابان كانت ستتصدى لهما إن عاجلا أو آجلا، وتأخذ فى منافستهما على الاستيلاء عليها. وهذا ما آلت إليه الأمور فيما بعد (من مواجهة بين اليابان والولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية ودارت رحاها على أراضى الفلبين. أن ملكات الباحث لتعجز أمام مثل هذه الأسئلة التأملية بما تحمله من المجازفات).

وكان الحال يوم ذاك فى سنة ١٨٩٨م، إذ يلحظ المرء اختلاف الحجج التى أتى بها دعاة التوسع فى دعواهم للحيازة على الأقاليم يجد نفسه يحمل الانطباع بأن ما من واحدة من هذه الحجج والذرائع إنما تكمن وراء هذا كله، ولعلها حقيقية أن الأمريكيين، أو على الأقل العديد من الناطقين باسمهم من ذوى النفوذ، يوم ذاك كان يستويهم أن تكون لهم امبراطورية وآنسوا فى أنفسهم رغبة فى أن يكونوا بين القوى الاستعمارية يوم ذاك، ويروا علمهم يخفق على جزر استوائية نائية. وميلا للتنعم بما فى المغامرة فى الأراضى البعيدة وفرض السيطرة والحكم من الإثارة المروعة. وتألق بلادهم بين القوة الامبراطورية العظمى فى العالم.

وهناك أيضا على وجه الخصوص عبارات أحد مناهضى الأمبريالية فردريك جوكين Fredrick Gookin إذ يقول: "أن المسألة الهامة المعروضة أمام شعب هذا البلد هى أى أثر سيكون من شأنه سياسة امبراطورية أن تتركه علينا لو سمحنا لهذه السياسة أن تتوطد" وأثبتت التجارب بين الولايات المتحدة وشعب بورتوريكو فكانت علاقة استعمارية، واختلف الحال فى هاواى نتيجة للدعم المستمر من قبل الولايات المتحدة. وأما عن الفلبين، فإن الرئيس الأمريكى والذى كان من أكثر المتحمسين لهذا الضم، نجده بعد سنوات يندم على ذلك، ويتمنى فى قرارة نفسه التخلص منها. ووجدت الفرصة فى الثلاثينات عندما طالب الشعب الفلبينى بحريته، وأنه أصبح قادر على حكم نفسه وتحمل أعبائه فى الحكم.

سياسة الباب المفتوح:

وبعث جون هاى فى ٦سبتمبر سنة ١٨٩٩م وزير الخارجية الأمريكية رسالة إلى لندن وباريس وبرلين وسان بطرسبرج، وهى الرسالة المعروفة بمذكرة الباب المفتوح التى طالب فيها الدول التى تدعى أن لها مناطق نفوذ فى الصين أن تتعهد بإبقاء الموانئ التى نصت عليها المعاهدات مفتوحة وألا تتدخل الدول فى أى "حق مكتسب " يكون واقعا فى مناطق نفوذها كما تتعهد بتطبيق التعريفة التى نصت عليها المعاهدة الصينية على الموانئ الواقعة تحت سيطرتها دون تمييز ضد أى من رعايا الدول الأخرى الذين يفدون ألى هذه الموانئ.

وفى سنة ١٩٠٠م حدثت ثورة البوكسر فى الصين. شاركت الولايات المتحدة فى شهر يونيه فى حملة الإنقاذ ضد بكين وانتهز هاى هذه الفرصة لتأكيد سيسه الباب المفتوح وفى ٣يولية بعث بكتاب دورى إلى الدول الكبرى

يطلب إليها المحافظة على وحدة الإدارة والأراضى الصينية وأن يعلموا على حماية وضمان مبدأ المساواة وعدم المحاباة فى مجال التجارة.

وشهدت الفترة (١٩٠١-١٩٠٣) سياسة قنوات المضـــايق: نصـــت معاهدة كلايتون -بولور لعام ١٨٥٠م على أن أى قناة تقام فـــى المضـــايق يجب أن تدار إدارة مشتركة كما يجب أن تحصن وإنما تظل محايدة لتخـــدم جميع الشعوب وفى السنوات الأخيرة من هذا القرن عملت الولايات المتحدة على إلغاء هذه المعاهدة. وفى فبراير ١٩٠٠م بدأت المفاوضات لعقد معاهدة هاى – بونسيفوت الأولى ولكن بريطانيا العظمى رفضتها وفى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠١ أقر مجلس الشيوخ الأمريكى معاهدة هاى – بونسيفوت الثانيـــة التى ألغت معاهدة كلايتون – بولور والتى نصت على حق أمريكا فى إقامة القنوات وإدارتها على أن يظل حيادها مســـتمرا تحـــت إشـــراف الولايـــات المتحدة. وبعد مناقشات طويلة حول الطريق الذى تشق فيـــه القنـــاة حـــول الكونجرس الرئيس فى ٢٨ يونيه سنة ١٩٠٢ أن يبنى القناة عبر بنما علـــى شريطة أن يتمكن من شراء حقوق شركة قناة بنما الجديدة مقابـــل أربعـــين مليونا من الدولارات وأن يحصل من كولومبيا على حق الإشـــراف الكامـــل المستمر على منطقة القناة فإذا لم يستطع تحقيق ذلك فإن عليه أن يقيم القنـــاة عن طريق نيكاراجوا التى نص عليها قانون سبونر السابق. وفى ٢٢ينـــاير سنة ١٩٠٣م وقع اتفاق هاى – هيران مع كولومبيا مانحا للولايات المتحـــدة منطقة القناة. وعلى الرغم من أن مجلس الشيوخ الأمريكى قد أقر الاتفاق إلا أن مجلس الشيوخ الكولومبى قد أجله فى ٣١ أكتوبر دون أن يصدق عليـــه. وفى ٣ نوفمبر ثارت بنما على كولومبيا وأعلنت استقلالها عنهـــا ومنعـــت السفن الأمريكية نزول القوات الكولومبية. إلى أراضى بنما، وفى ٦ نوفمبر اعترفت الولايات المتحدة باستقلال بنما، وفى ١٨ نوفمبر قضت اتفاقية هاى

– بونا – فاريلايين الولايات المتحدة وبنما بمنح الولايات المتحدة حق استخدام منطة للقناة عرضها عشرة أميال ونقل ممتلكات شركة قناة بنما الجديدة وبنما للسكك الحديدية إلى الولايات المتحدة مقابل دفع عشرة ملايين دولار ذهبا لبنما، ودفع قسط سنوى مقداره ٢٥٠ ألف دولار وضمنت الولايات المتحدة حيدة القناة وفى مقابل ذلك أعطيت حق تحصينها. تصدر جوازات سفر للعمال الذين يفدون للعمل فى الولايات المتحدة وأن كانت تصدر جوازات للوافدين إلى هاواى وكندا والمكسيك وكان معظم هؤلاء يفدون إلى الولايات المتحدة. وأعربت اليابان عن عزمها على مواصلة هذه السياسة واعتمادا على هذه الاتفاقية الودية أدخل الكونجرس الأمريكى فى قانون الهجرة لعام ١٩٠٧م نصا يخول الرئيس أن يطرد من أراضى الولايات المتحدة كل حاملي جوازات السفر الصادرة من الدول الأجنبية لرعاياها بالسماح لهم بالسفر إلى أى دولة خلاف الولايات المتحدة. وبموجب اتفاقية روت – تاكاهيرا المعقودة فى نوفمبر ١٩٠٨م أكدت اليابان "مبدا تكافؤ الفرص فى التجارة والصناعة داخل الصين" ووافقت على تأييد "استقلال ووحدة أراضى" هذه الامبراطورية.

وفى ٢٤ يناير ١٩٠٣م ثارت مشكلة حدود "ألاسكا" أحيلت هذه المشكلة إلى لجنة مؤلفة من ثلاثة من الأمريكيين واثنين من الكنديين وواحد من البريطانيين وحين صوت العضو البريطانى لورد الفرستون ضد الكنديين فصل فى النزاع لصالح وجهة النظر الأمريكية.

العلاقات الخارجية للولايات المتحدة:

فى سنة ١٩٠٩م دخل تافت ووزير خارجية فيلا ندرس. نوكس فى مفاوضات مع الصين ليؤمن بها قرضا لإنشاء سكة حديد هوكوانج باشتراك

بنوك نيويورك مع الرأسماليين البريطانيين والفرنسيين والألمان وقد أدى ذلك إلى اتهام الرئيس باستخدام سياسة الدولار. وفى مايو سنة ١٩١٠م دخل رجال البنوك الأمريكيين فى المجموعة وعندما دعى رجال البنوك الأمريكيون فى سنة ١٩١٢م إلى الاشتراك فى قرض مالى لاصلاح شئون النقد ووافق تافت على ذلك. ولكن حينما رفض ويلسون فى سنة ١٩١٣م التشجيع الرسمى للحكومة أحجم رجال البنوك الأمريكية عن ذلك. وفى ٧سبتمبر سنة ١٩١٠م حلت مشكلة مصايد أسماك نيوفوندلاند عن طريق محكمة العدل الدولية فى لاهاى وبذلك تأكد حق الامتياز الأمريكى فى المنطقة.

أدت الأوضاع غير المستقرة فى نيكاراجوا وهندوراس سنة ١٩١١م إلى محالة نوكس تطبيق ما فعله روزفلت فى سان دومنجو، فتفاوض مع كل من القطرين على عقد اتفاقيات لقروض من رجال البنوك الأمريكيين بشرط تعيين محصل أمريكى للجمارك وأن تكون الجمارك وأن تكون الجمارك ضمانا للقض. وعندما امتنع مجلس الشيوخ عن التصديق نزل مشاة الأسطول الأمريكى فى نيكاراجوا تحت إدارة رجال البنوك فى نيويورك.كما أصبحت حكومة نيكاراجوا تعتمد على مخصصات شهرية، وقد فاوض نوكس على عقد اتفاق مع نيكاراجوا يعطى الولايات المتحدة الحق فى قناة تصل بين المحيط الهادى والمحيط الأطلسى وقاعدة بحرية فى خليج فونسيكا وعقد إيجار طويل المدى لجزر ليتل كورن وقد رفض مجلس الشيوخ التصديق على معاهدة مماثلة. وفى خلال سنة ١٩١٢م تم حشد القوات العسكرية على الحدود المكسيكية ووجه إلى حكومة ماديرو المكسيكية الثائرة إنذار بمسئوليتها الكاملة عن الخسائر فى الأرواح والأملاك.

وفى سنة ١٩١١م أصبحت اتفاقية المعاملة بالمثل المقترحة مع كندا غير ذات موضوع نتيجة لانتخابات الدومنيون.

أما من ناحية المجال الاقتصادى، فنجد أن تكاليف الحرب فى عام ١٨٦٠م كان الدين القومى ٦,٨٤٢,٢٨٧ دولار وفى عام ١٨٦٦م أصبح ٣,٧٧٣,٢٣٦,١٧٣دولارا يضاف إلى هذه الزيادة الضخمة الديون التى اقترضتها الولايات والبلديات.

وتم استخدام آلة شولتر الكاتبة سنة ١٨٦٨م فى الشئون التجارية لأول مرة.وفى عام ١٨٦٩م سجل امتياز فرملة وستنجهاوس الهوائية وفى السنة نفسها اخترع جيمس أوليفر المحراث ذات السبيكة المصنوعة من الصلب، وأدخلت طريقة تبريد اللحوم فى النقل بالسكك الحديدية عام ١٨٧٥م، نقلت عربتان من اللحوم المحفوظة على البواخر فى النقل من مدينة كنساس إلى نيويورك كما نقلت عربة مجهزة بآلات التبريد محملة باللحوم إلى بوسطن.

وفى سنة ١٨٧٣م تفاقم الذعر بسبب إفلاس جاك كوك وشركاه، وكان مرد الذعر أساسا للتضخم النقدى والديون غير المحددة والمضاربات المستهترة والتوسع التجارى المتضخم. ولما كان معظم التوسع فى الأعمال ممولا من الخارج، فإن الذعر الذى حدث فى فينا (مايو سنة ١٨٧٣م) وامتد إلى كثير من المراكز المالية فى دول أوربية أخرى أدت إلى سحب كثير من رؤوس الأموال الأجنبية من الولايات المتحدة. وفى هذا العام أيضا تم اكتشافات خامة للفضة فى نيفادا. وتم اختراع آلة لطحن القمح إلى دقيق سنة ١٨٧٤م.

وصدر قانون إعادة حق إصدار العملة الرسمية سنة ١٨٧٥م الـذى أقره الكونجرس، وبمقتضاه توقف الدفع بالعملة الذهبية اعتبارا من أول يناير سنة ١٨٧٩م. وهو الذى أوقف العمل به عام ١٨٦١م. كما تم إنشاء صناعة الأسلاك الشائكة سنة ١٨٧٦م، وكان لهذه الصناعة أهمية كبرى فى غـزو السهول الكبرى.واختراع جراهام بيل التليفون.

شهد هذا العام أيضا صدور قرارات جـرا نجـر، وجـاءت هـذه القرارات التى أصدرتها المحكمة العليا تتويجا للحركة الأولى الهامة التى قام بها الفلاحون فى التاريخ الأمريكى، ففى عام ١٨٦٧م تكونت جماعة أنصار الفلاحة التى عرفت باسم الجر انج– وهى منظمة غير سياسية مؤلفة لا مـن الفلاحين. فى هذا الوقت كان الفلاحون فى الولايات الغربية الوسـطى قـد استثارتهم بعض التصرفات الغير عادلة من جانب السكك الحديدية وصوامع الغلال. ولما شكلوا أحزابا للفلاحين أخذوا يعملـون (١٨٧٠-١٨٧٥) علـى إصدار تشريعات فى الينوى وويسكونسين ومنيسوتا وبعض الولايات الآخرى لوضع السكك الحديدية وصوامع الغلال تحت إشراف الولايات، وقد أرسـت قرارات جرانجر المبادئ الآتية:

١- للولايات بمالها من سلطة بوليسية حق تنظيم أى عمـل لـه اتصـال بالصالح العام.

٢- أن يكون للولايات حق تحديد أسعار النقل بين ولاية وأخـرى حتـى يصدر الكونجرس تشريعاته فى هذا الموضوع.

٣- تقرير مناسبة الأسعار ومعقوليتها هو عمل تشريعى أكثر منه عمـلا قضائيا.

وقد أهمل المبدأ الثانى فى عام ١٨٨٦م فى قضية داياش وسكك حديد سانت لويس والباسفيك ضد ولاية الينوى على حين هدم المبدأ الثالث وأهمل بمقتضى سلسلة من القرارات صدرت فيما بين عام ١٨٨٩،١٨٩٨م وكان آخرها القرار الصادر فى قضية سميث ضد أميز.

وصدر فى مارس سنة ١٨٧٧م قانون الأراضى الصحراوية لتشجيع تنمية وسائل الرى فى الأراضى القاحلة بالجهود الفردية.

وصدر قانون بلاند اليسون فى فبراير سنة ١٨٧٨م فى عهد الرئيس هيز. حيث أنه فى عام ١٨٧٣م حذف الكونجرس الدولار الفضى الرسمى من قائمة العملات المحلية المعتمدة التى تسك فى المستقبل. ووافق هذا الحذف أيام إلغاء استعمال معدن الفضة فى النقود فى بعض الدول الاوروبية الازدياد الملحوظ فى إنتاج الفضة فى بلدة كومستوك لود فى ولاية نيفادا. وكان من نتيجة ذلك انخفاض السعر التجارى للفضة انخفاضا شديدا وازدياد الطلب من جانب المساهمين فى انتاج الفضة بالعودة إلى استخدامها فى سك العملة الأمر الذى أوقفه قانون ١٨٧٣م الذى كان يوصف دائما بأنه جريمة سنة ١٨٧٣م وقد أيد الفلاحون منتجى الفضة فى هذا الطلب إيمانا منهم بأن إعادة سك الفضة كعملة من شأنه أن يرفع أسعار المنتجات الزراعية وعلى هذا الأساس قدم د.ب بلاند نائب ميسور فى عام ١٨٧٧م إلى مجلس النواب بأغلبية طفيفة فقد عدل فى مجلس الشيوخ وصدر هذا القانون المعروف بقانون بلاند اليسون على الرغم من معارضة هيز له وقد خول القانون وزير الخزانة أن يشترى شهريا ما قيمته مليون إلى أربعة ملايين دولار بغرض استخدامها لسك العملة. فى يناير سنة ١٨٧٩م تم استئناف الدفع بالذهب وقد ساعد على نجاح هذه السياسة ازدياد الطلب من الخارج على المنتجات

الزراعية الأمريكية بصورة غير عادية مما أدى إلى دخول الذهب فى البلاد بكميات كبيرة.

صدر قانون التعريفة الجمركية سنة ١٨٨٣م على الرغم من زيادة الدخل وتوصية لجنة التعريفة بتخفيض الضرائب الجمركية فإن مبدأ حماية التجارة الذى أخذت به التعريفات الجمركية خلال الحرب الأهلية ظل ساريا مع أن التخفيضات فى الرسوم المفروضة على الاستيراد لم يتجاوز ٥% وإن خفضت الضرائب على الدخول المحلية تخفيضا ملحوظا.

وفى ٨ سبتمبر من نفس العام، تم إتمام خط الحديدى الباسفيكى الشمالى (وخصت به الحكومة ومنحته أراضى ضخمة فى عام ١٨٦٤م) وكان هذا ثانى خط حديدى يعبر القارة وكان الخط الباسيفكى الجنوبى هو الخط الثالث وفى عام ١٨٩٣م تم إنشاء ما لا يقل عن خمسة خطوط وقد امتدت خطوط أخرى خلال البرارى والسهول إلى الجبال لفسح الطريق أمام فيض الهجرة السكانية حتى وصل إلى نهاية الحدود.

وشهدت الفترة (١٨٨٣-١٨٩٠) مشكل الفائض المالى فى وزارة الخزانة.كان رأى كليفلاند معالجة فائض الخزانة بتخفيض الضرائب الجمركية وقد حث الكونجرس على إقرار ذلك فى رسالته إليه علم ١٨٨٧م وجعل منها الموضوع الأساسى لانتخابات عام ١٨٨٨م. وقد حاول الجمهوريون التخلص من الفائض بسحب سندات الحرب الأهلية من التداول وبناء أسطول بحرى جديد ووضع تشريع لزيادة المعاشات.

وفى ديسمبر سنة ١٨٨٦م تم تكوين اتحاد العمال الأمريكيين.شهدت سنوات الحرب الأهلية قيام عدة نقابات للعمال وقد حاول و.ه.سيلفيز توحيد

هذه النقابات وضمها فى اتحاد واحد يمثل البلاد كلها أسماه الاتحاد القومى للعمال (١٨٦٦)،وفى عام ١٨٩٦م أنشا يوريا ستيفنس اتحاد فرسان العمل وهو اتحاد يضم كل العمال تحت لواء واحد سواء أكانوا فنيين أم غير فنيين،منظمين أو غير منظمين، وفيما بين سنتى ١٨٧٩،١٨٨٥م تزايد سريعان وفى عام ١٨٨٥-١٨٨٦م اشتركوا فى سلسلة من الاضطرابات ضد شركة جولد للسكك الحديدية هزموا فى آخر إضراب منها وفقدوا سمعتهم. وفى عام ١٨٨٦م قامت حركة واسعة النطاق تأييدا لجعل ساعات العمل اليومى ثمانى، وفى ٤ مايو سنة ١٨٨٦م أدى الشغب الذى وقع فى ميدان هاى مارك بشيكاغو إلى زيادة موقف فرسان العمل سوءا مما اضطرهم أن يسلموا لاتحاد العمال الأمريكيين باعتباره أول حركة عمالية دائمة فى التاريخ الأمريكى وكانت نواة الحركة الأولى ترجع إلى عام ١٨٨١م حين قام بعض أعضاء الجمعية المعروفة باسم فرسان العمل الساخطين بزعامة صامويل جمبرز بتشكيل اتحاد لتنظيم طوائف الحرف والصناعات ونقابات العمال.

وصدر قانون التجارة الداخلية بين الولايات فى ٤ فبراير سنة ١٨٨٧م. فى بداية عام ١٨٧٤م وافق مجلس النواب على مشروع قانون ماكر يرى بشأن التنظيم الفيدرالى للسكك الحديدية ولكن مجلس الشيوخ لم يوافق على المشروع وفى عام ١٨٧٨م وافق مجلس النواب على مشروع قانون ريجان ولكن مجلس الشيوخ رفضه أيضا بيد أن ازدياد الشعور بوسائل السكك الحديدية وأساليبها الممقوتة أدى إلى تشكيل مجلس الشيوخ لجنة كولوم فى عام ١٨٨٥م التى قامت بتحقيقات فى المدن الرئيسية فى البلاد وتلا ذلك صدور قانون ١٨٨٧م الذى نص على أن أجور السكك الحديدية يجب أن تكون معقولة وعادلة كما نص على منع قيام اتحادات بين الشركات وتضمن القانون مادة تخص النقل الطويل والنقل القصير المدى كما تضمن

النص على أن التخفيض فى الأسعار غير مشروع وأنشأ القانون لجنة للتجارة بين الولايات وخولها سلطة التحقيق فيما يتصل بإدارة شركات النقل وسلطة اللجوء إلى المحاكم الفيدرالية لطلب عونها. وقد تعطلت اللجنة حتى سنة ١٩٠٣م بسبب المحاكم، ففى سنة ١٨٩٧م أنكرت المحكمة العليا على اللجنة حقها فى تحديد حد أعلى للأسعار فى قضية تحديد الحد الأعلى لأسعار نقل البضائع وأصبح النص الخاص بالنقل الطويل والنقل القصير المدى غير نافذ واقتصر عمل اللجنة على جمع الإحصاءات الخاصة بالسكك الحديدية وطلب إعلان الأسعار الخاصة بالشركات المختلفة.

وصدر قانون دوز فى ٨ فبراير الذى يخول الرئيس حسب تقديره أن ينهى الحكومة القبلية وملكية الأرض على الشيوع بين الهنود الحمر وأن تقسم الأراضى بنسبة ١٦٠ فدانا لكل رئيس من رؤساء القبائل مع وقف حق الملكية الزراعية التامة مدة ٢٥ سنة وفى عام ١٩٠٦ صدر قانون بيرك الذى يخول وزير الداخلية أن يمنح الملكية الكاملة متى اقتنع بصلاحية الهنود لذلك.

وفى ٢يولية سنة ١٨٩٠م سن قانون شيرمان لمقاومة الاتحادات المالية الكبرى (الترست). بعد تشكيل الترست الخاص بشركات ستاندرد أويل فى عام ١٨٧٩م

(عدل فى عام ١٨٨٢م). ظهرت فى الأفق اتحادات مماثلة لعدد كبير من الشركات الكبرى، وبذلك بدأ شبح الاحتكار ماثلا للعيان الأمر الذى أدى إلى مطالبة الكونجرس بإصدار تشريع لمقاومته. قضى قانون شيرمان "بعدم شرعية كل عقد أو اتحاد على صورة ترست أو أى صورة أخرى أو كل تآمر لعرقلة سير الاتجار أو التجارة بين عدة ولايات أو مع الدول الأجنبية "

وكانت صياغة القانون عامة العبارة بحيث تركت عددا مـن الأسـئلة بـلا جواب. مثلا هل ينطبق القانون على اتحادات العمال؟هـل ينطبـق علـى اتحادات السكك الحديدية وهل تؤول كلمة "كل بمعناها اللفظـى أو بمعناهـا النطقى؟ ردت المحكمة العليا فى قضية "دبز" عام ١٨٩٥م بألايجـاب عـن السؤال الأول كما ردت فى قضية هيئة ميسورى لنقل البضائع عام ١٨٩٧م على السؤالين الأخيرين بطريقة إيجابية.

وفى ١٤ يوليه من نفس السنة صدر قانون شيرمان لشراء الفضة: أدى النزول المستمر فى السعر التجارى للفضة بالإضافة إلى تدعيم مركز القوى المنافحة عن الفضة فى مجلس الشيوخ بعد حضور الشيوخ يمثلون الولايات المنظمة للاتحاد حديثا من الشمال الغربى، أدى هذا إلى المطالبـة بإصـدار تشريعات إضافية بالنسبة للفضة وقد استطاعت مجموعـة المنـافحين عـن الفضة فى مجلس الشيوخ أنتفوز بالتشريع المرغوب ثمنا لتأييدها لتشريعات التعريفة الجديدة التى كان يؤيد إصدارها الجنـاح المحـافظ فـى الحـزب الجمهورى. خول القانون الخزانة أن تشترى ٤,٥٠٠,٠٠٠ أوقية من الفضة كل شهر بقصد سكها عملة للتداول على شكل دولارات وأباح القانون للخزانة إصدار سندات يمكن سدادها بالذهب أو الفضة حسبما تراه الخزانة.

أما قانون ماكنلى للتعريفة الجمركية فقد أصدر كـان الغـرض مـن القانون العمل على زيادة رسوم الحماية الجمركية بما يقلل الدخل من الرسوم الجمركية، وبالتالى يخلص الخزانة من الفائض، فمثلا وضـع السـكر فـى القائمة الحرة وتقديم معونات مالية لإنتاج السكر المحلى حققا خفضاً ملموسا فى الدخل. وقد أباح القانون فى نطاق محدود عقد معاهدات تبادل.

وشهدت الفترة (١٨٩٣-١٨٩٥) إضطربات عمالية دعا اتحاد عمـال الحديد والصلب فى ٣٠ يونيه ١٨٩٢ العمال فى مصـنع هومسـتيد التـابع لشركة كارنيجى لصناعة الصلب إلى الإضراب عن العمل نتيجـة للخـلاف على فئات الأجور وقد أدى استخدام شركة كارنيجى لمخبرى بنكرتون إلـى التصادم والتف مما دعا إلى تدخل قوات الولاية لحمايـة ممتلكـات شـركة كارنيجى وكان الشعب فى بداية الحركة يعطف على العمال ولكنه لم يلبـث أخيرا أن عاداهم وانتهى الأمر بتحطيم اتحاد العمال. وفـى ١١مـايو سـنة ١٨٩٤م وقع إضراب آخر فى مصنع شركة بولمان اشترك فيه اتحاد عمـال السكك الحديدية الأمريكية الذى كونه السنة السابقة أوجين ف.دبز ونجم عنه تعويق البريد وإتلاف الممتلكات مما حدا بكليفلاند دون استشارة التجلد الحاكم إلى إرسال القوات الفيدرالية إلى شيكاغو وأخذه بمشورة النائب العام أولنـى فأصدر أمر لأعضاء الاتحاد بالكف عن تعويق البريد وتخريـب ممتلكـات السكك الحديدية وحين أغفلوا الأمر ولم يستمعوا له قبض على دبـز بتهمـة احتقار المحكمة وأودع بالسجن. أقرت الدائرة القضائية المتنقلة فى الولايـة إصدار الأمر وحكمت على دبز بالسجن ستة أشهر كما أقرت استخدام قانون شيرمان لمقاومة الترست ضد اتحادات العمال إذا دبـروا مـؤامرة لتـأخير وتعويق التجارة الداخلية فيما بين الولايات، وفى العام التالى أيدت المحكمـة العليا قرار المحكمة الإبتدائية وهكذا أدى استخدام الأمر إلى إعطاء أصحاب رءوس الأموال سلاحاً هائلا ضد العمال.

وظهر ذعر عام ١٨٩٣م. بدأ بادر الأزمة تنتشر فى العالم الغربى فى عام ١٨٩٠م عندما أفلس بنك نتيجة لاستثمارات غير موفقة وبدأ المستثمرون فى الأوراق المالية الأمريكية من افنجليز يبيعون سنداتهم مما أدى إلى خروج الذهب من البلاد وأدى التوسع الزائد فى الخطوط الحديديـة نتيجـة لتـدفق

رعوس الأموال البريطانية إلى خلق حالة من الرواج لم تلبـث أن انهـارت نتيجة لعجز السكك الحديدية عن مواجهة أعبائها وازداد الموقـف صـعوبة نتيجة لتبديد فائض الخزانة فى تشريعات المعاشات بلا روية ولائحة التعريفة لعام ١٨٩٠ التى خفضت الدخل تخفيضا شديدا. اعتقد كليفلاند أن هذا الذعر مرده إلى شيء واحد:الخوف المنتشر فى العالم من عدم قدرتنا على التمسك بقاعدة الذهب أدى استنفاد حصيلتنا من هذا المعدن النفيس وعزا كليفلاند هذا الخوف إلى قانون شيرمان لشراء الفضة وعده مسئولا عن هذه الحال، ولذلك طلب إلى الكونجرس فى اجتماع خاص إلغاء هذا القانون ووافق الكونجرس بعد مناقشة حادة على إلغاء قانون شيرمان لشراء الفضة.

وتم بيع سندات الحكومة فى محاولة للإبقاء على إحتياطى الذهب مـن البلاد عمدت وزارة الخزانة رغبة فى الحصول على الذهب إلى تنظيم عملية بيع سنداتها عن طريق البنوك فى يناير ونوفمبر سنة ١٨٩٤. وفى فبرايـر سنة ١٨٩٥م باعت نقابة مورجات بلمونت ما قيمت ٦٠ مليون دولار مـن السندات محققة ربحا قيمته ٧ ملايين دولار مما أثار عاصفة من النقد، وفى يناير سنة ١٨٩٦ عرضت سندات للاكتتاب العام.

وفى ١٨ أغسطس ١٨٩٤م صدر قانون كارى الذى بمقتضاه منحـت كل من ولايات كولورادو، وايداهو، ومونتانا، ونيفادا، وأوريجون، وأوتـان وواشنطون، ووايو، مليون فدان من الأرض لتشجيع الرى عن طريق تدخل الولاية. وفى عام ١٩٠٨م حصلت كل منها على مليون فدان أخرى.

وفى ٢٧ أغسطس سنة ١٨٩٤ صدر قـانون ويلسـون- جورمـان للتعريفة الجمركية وهو خرق لقرارات الحزب الديمقراطى ومبادئه. أصـبح قانون دون توقيع الرئيس كليفلاند ونتيجة للتعديلات التى أدخلها الكـونجرس

على مشروع القانون الأصلى أصبح هذا القانون محتفظا بمبدأ الحماية علـى الرغم من أن الضرائب خفضت إلى حوال ٤٠% وتضـمن القـانون نصـا يقضى بفرض ضريبة ٢% على الدخل إذا زاد على ٤٠٠ دولار وفـى ٢٠ مايو ١٨٩٥م أعلن أن الضريبة على الدخل غير دسـتورية فـى القضـية المرفوعة من بولوك ضد شركة فارمرز للقروض مما أثار مزيدا من النقد. أعلن أن ضريبة الدخل ضريبة مباشرة يجب طبقاً لأحكام الدستور أن تقسـم بين الولايات بالنسبة لعدد سكانها.

وشهدت الأعوام (١٨٩٧-١٩٠١) عودة الرخاء بسبب توافر عاملين هامين هما زيادة إنتاج الذهب فى العالم والإقبال غير عادى فى الخارج على المنتجات الزراعية الأمريكية. زيادة احتياطى الذهب زيادة كبيرة. فترة مـن النشاط المتزايد فى تكوين الشركات الكبيرة المتحدة فى ميدان العمال علـى الرغم من قانون شيرمان لمقاومة افتحادات المالية الكبرى. وقد أسفرت هذه الحركة عن قيام مؤسسة الولايات المتحدة لصناعة الصلب سنة ١٩٠١ وهى أول مؤسسة رأس مالها بليون دولار، قامت اتحادات البيوت المالية بتركيـز إشرافها فى ميدان العمال المالية.

وصدر ٢٤ يوليه ١٨٩٧م قانون دنجلى للتعريفـى الجمركيـة وهـو القانون الذى استهدف أولا زيادة الحماية أكثر من زيادة الدخل على الـرغم من أهداف ماكنلى.زاد هذا القانون الضرائب الجمركية زيادة ضـخمة كمـا نص على قيام اتفاقيات متبادلة لتوسيع نطاق التجارة الخارجية.

وفى ١٤ مارس ١٩٠٠ صدر قانون العملة الذى ينص علـى أشـكال النقود المختلفة التى يمكن دفعها بالذهب عند الطلب والذى ينص على إيجـاد احتياطى من الذهب قيمته ١٥٠ مليون دولار. أدى هذا القانون إلى التوسـع

فى إصدار أوراق النقد القومية من ٩٠% من قيمة سندات الحكومة إلى ١٠٠% من قيمتها الأسمية. وبذلك قلل من متطلبات رءوس الأموال الخاصة بفروع البنوك فى المدن الصغيرة.

وفى سنة ١٩٠١م حسم قضايا أرضى الجزر. قررت المحكمة العليا أن هذه الأراضى تخضع للولايات القضائية للولايات المتحدة دون أن تضم هذه الأراضى إلى الولايات المتحدة. وكان الدستور غير مطبق بكل تفاصيله على الأراضى التى تمارس عليها سيادتها وقد مكن هذا للولايات المتحدة من أن تضع سياسة واضحة للمستعمرات ومن أن تنفذ تشريعات خاصة بحجم الشعوب المختلفة حيث تدعو الحاجة إلى نوع الرعاية الأبوية.

وشهدت الفترة (١٢ مايو – ١٣ أكتوبر ١٩٠٢) إضراب عمال منجم الفحم النتراسيت ومطالبتهم بالاعتراف باتحادهم وبتحديد يوم العمل بتسع ساعات وبزيادة الأجور. تدخل روزفلت مهددا بتشغيل المناجم بمعرفة القوات الفيدرالية ونتيجة لهذا التدخل وافق أصحاب المناجم على مقترحاته بتشكيل لجنة للتحقيق فى الموضوع وعاد عمال المناجم للعمل ولكن عندما قدمت اللجنة قراراتها أوقف تنفيذ القرار الخاص بالإعتراف باتحاد عمال المناجم ولم يتم الاعتراف بالاتحاد إلا فى سنة ١٩١٦ مع تقرير ثمان ساعات للعمل اليومى.

وفى ١٧ يونيه صدر قانون الأراضى الجديدة الذى ينص على رى الأراضى القاحلة فى الغرب. قامت ماريلاند بسن أول قانون محلى للولاية بتعويض العمال، وفى عام ١٩٢٠م سنت كل الولايات هذا القانون عدا خمس منها فقط. أصدرت ولاية أوريجون قانونا باستخدام حق اقتراح القوانين والمطالبة بالإستفتاء. بدء تنفيذ الولايات للتشريعات الخاصة بتحديد ساعات

العمل لتشغيل الأطفال وإنشاء إدارات للعمل فى الولايات أو مجالس إدارات صناعية وفى عام ١٩٣٠م طبقت الولايات نظام لتشغيل الأطفال لمـدة ٤٨ ساعة فى المصانع أسبوعيا. أصدرت ولاية ويسكونسين أول قانون بشأن حق الانتخاب المباشر. وصدر تشريعات السكك الحديدية: فى عام ١٩٠٣م أقـر الكونجرس قانون الكنز لتدعيم قانون عام ١٨٨٧م للتبـادل التجـارى بـين الولايات الذى ثبت عدم فاعليته. حظر قانون الكنز على السكك الحديدية أن تخرج عن جداول الأسعار المنشورة وجعل موظفى السـكك الحديديـة هـم والشركات مسئولين فى حالات التخفيض عن الأسعار المنشورة ومد قـانون هيب بيرن لعام ١٩٠٦م سلطة اللجنة المشرفة ليشمل شـركات القطـارات السريعة وعربات النوم وخطوط الأنابيب والنـاقلات البحريـة وشـركات التسهيلات عند المحطات النهائية وخولت اللجنة حق تخفيض الأسعار التـى تراها غير معقولة وألغيت التراخيص المجانية وأضيفت مادة خاصة بمعـدل أسعار السلع. كما أن قانون مان- الكنز لسنة ١٩١٠ وسع فـى اختصـاص اللجنة بحيث يشمل شركات التليفون والبرق والمواصلات السلكية واللاسلكية ووضع النص الخاص بالمسافات القصيرة والطويلة موضع التنفيذ.

وفى أول مارس سنة ١٩١٣ وافق الرئيس تافت على قـانون تقـويم الممتلكات الذى طالب اللجنة بتقويم ممتلكات السكك الحديدية ليكـون ذلـك أساسا لتحديد الأسعار التى تمكن الشركات من الحصول على عائد يتناسـب مع الأموال المستثمرة من جانبها.

وفى ١٤ مارس ١٩٠٤ تم الفصل فى قضية الأوراق المالية الشمالية: أدت جهود هاريمان للسيطرة على مؤسسة بيرلنجتون أولا ثم على مؤسسـة شمال الباسفيكى إلى صراع بين هاريمان وهيل ارتفعت فيه سندات شركات

الباسفيكى الشمالى ارتفاعا خياليا نتج عنه ما أطلق عليه ذعر شمال الباسفيكى عام ١٩٠١ وقد انتهى هذا الصراع باتفاق بين الأطراف المتنافسة على إدماج مؤسسة شمال الباسفيكى ومؤسسة الشمال الأعظم ومؤسسة بيرلنجتون عن طريق شركة الأوراق المالية الشمالية ولكن المحكمة العليا قضت بأن هذا الإدماج مخالف لقانون مقاومة الاتحادات المالية الكبرى (الترست) وأمرت بحل هذه الشركات المندمجة.

وصدر قانون الطعام النقى والدواء النقى فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٦ بتحريم خلط الأغذية أو غشها. اخترع "لى دى فورست" الأوديون المتذبذب وهو اختراع له أهميته البالغة فى تطير الراديو.

طبقت أوريجون سنة ١٩٠٨ مبدأ إعادة استدعاء كل الموظفين المنتخبين.

حكمت المحكمة العليا فى قضية مولر ضد أوريجون باستمرار قانون ولاية أوريجون الخاص بتشغيل النساء عشر ساعات فى المصانع وما أن جاء عام ١٩٣٠ حتى كانت كل الولايات ماعدا خمسا قد سنت قوانين تحدد ساعات العمل للنساء.

طبقت تعريفة باين- الدريش الجمركية فى ٥ أغسطس سنة ١٩٠٩م التى لم تعط إعتبارا للتعهدات الحزبية وأقرت الحماية دون أى تعديل، وقد عارضها بشدة الجمهوريون المعارضون فى الغرب وكانت هذه أول خطوة أدت إلى سقوط حكومة تافت.

كان إعلان هنرى فورد أن شركته سوف تنتج طرازات فقط من شاسيهات السيارات إيذانا باستخدام السيارات على نطاق عالمى كوسيلة لانتقال الأفراد.وذلك بجعل ثمنها فى متناول الرجل العادى.

أمرت المحكمة العليا فى أول مايو سنة ١٩١١ بنـــاء علـــى مرســـوم شيرمان المضاد للإتحادات المالية الكبرى (الترست) بحل شـــركة ســـتاندرد أويل وشركة الطباق الأريكية، ففى فضية شركة ســـتاندرد أويـــل أعلنـــت المحكمة بوضوح سياسة اتباع المبادىء السليمة وأعلابت عن اعتقادهابـــأن الحكومة لاتحاول أن تلغى كل احتكارى تجارى ولكن تصرفها سيقتصر على العقود التى تؤدى إلى احتكار "غير معقول" للتجارة، وكـــان إعـــلان هـــذه السياسة إيذانا بتغيير نظرة المحكمة إلى ما يسمى "بالترست".

قانون تعريفة أندروود الجمركية فى ٢ أكتوبر ســـنة ١٩١٣م الـــذى خفض متوسط نسبة الرسوم إلى ٢٦,٦٧ % مبنية على أساس الرسوم القيمية لا النوعية. شمل التخفيض إلى حد كبير تلك السلع التى أدت فيهـــا الحمايـــة غرضها أو السلع الأمريكية المتحكمة فى الأسواق وبلغت الضريبة الإضافية التصاعدية على الدخل أكثر من ٢٠,٠٠٠ دولار.

صدور قانون بنك الاحتياطى الفيدرالى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٣. أظهر الذعر المالى العام سنة ١٩٠٧ مدى ضعف النظام المصـــرفى العـــام فـــى الولايات المتحدة. صدر قانون الدريش فريلاند سنة ١٩٠٨ على أن يكـــون إجراء مؤقتا. نص هذا القانون على تشكيل لجنة مالية قومية لدراسة المشكلة وقدمت اللجنة تقريرها سنة ١٩١٢م. طالب ويلسون بتشريع لإصدار عمالة مرنة تتبنى على أساس الموجودات التجارية لا على أساس سندات المديونية، وعلى أساس اللامركزية لا على أساس المركزية. نص على كل ذلك قانون ١٩١٣ فقسمت البلاد إلى ١٢ منطقة لكل منها بنك احتياطى فيدرالى.

أما فى المجال الإجتماعى، فانه تم فى ١٨ ديســـمبر ســـنة ١٨٦٥م، التصديق على التعديل الثالث عشر بإلغاء الـــرق، كمـــا اعتـــرض الـــرئيس

جونسون فى فبراير سنة ١٨٦٦م على قرار الكونجرس بمد أجل مكتب المعتوقين. وبذلك زاد حدة التوتر بينه وبين الكونجرس وأدى ذلك إلى قرار الكونجرس بالرغم من إعتراض جونسون قانون الحقوق المدنية الذى يقرر أن كل الأشخاص المولودين فى الولايات المتحدة يصبحون مواطنين للولايات المتحدة ويخولون حق التمتع بالمساواة فى المعاملة أمام القانون، وقد وضع هذا النص لضمان المساواة فى المعاملة لزنوج الولايات الجنوبية. وقد تم التعديل الرابع عشر، فأرسل للولايات للتصديق عليه، وأعلن فى ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٦م أنه قد تم التصديق عليه. وأدخل التعديل فى الدستور مبدأ قانون الحقوق المدنية، وأعطى للولايات الجنوبية حق الاختيار بين إعطاء حق الانتخاب للزنوج أو تخفيض تمثيلهم فى مجلس النواب بالكونجرس كما منع تعديل من تولى الوظائف العامة المتحالفين السابقين الذين كانوا موظفين عموميين. أما فى الولايات وأما فى الحكومة الاتحادية قبل الحرب ما لم يحصلوا على عفو بأغلبية ثلثى الأعضاء فى الكونجرس. ونص التعديل أيضاً على عدم دفع ديون الحرب فى الجنوب أبدا عن عبيدهم. على أن أهم نص فى التعديل فى ضوء الأحداث التالية هو "لا يسمح لأية ولاية أن تحرم أى شخص من حياته أو حريته أو ممتلكاته إلا بالطرق القانونية المقررة.

وكان المفروض بصفة عامة فى ذلك الوقت أن هذا النص قد وضع خصيصا لضمان تمتع العبيد المحررين بحقوقهم المدنية. وهكذا فسرت النص المحكمة العليا فى قضايا سلوتر هاوس سنة ١٨٧٣م، ولكن عام ١٨٨٦ قضت المحكمة العليا فى مقاطعة سانتا كلارا ضد شركة السكك الحديدية الباسفيكية الجنوبية بأن الشركة هى شخص فى إطار المعنى الذى قصده التعديل وأنها لبذلك مستحقة للحماية التى وردت فى النص، ومنذ ذلك الوقت أخذت عبارة "بالطرق القانونية المقررة" الواردة فى التعديل معنى جديدا،

ورويدا رويدا أخذت المحاكم تطبق هذا النص لحماية الشركات والمؤسسات ضد الإجراءات التشريعية المعادية التى تتخذها الولايات،وباستقرار مبدأ حرية التعاقد من النص اتخذت منه المحكمة حاجزا ضخما ضد تنفيذ التشريعات الاجتماعية التى كانت الولايات فى مسيس الحاجة إلى إصدارها.

وفى ٢٦ فبراير سنة ١٨٦٩م يقر الكونجرس التعديل الخامس عشر حيث خشى الراديكاليون أن يحرز البيض الجنوبيين سلطات واسعة فى ولايتهم، فيعمدوا إلى إلغاء الموارد الواردة فى دساتير ولايتهم التى تمنح الزنوج حق الانتخاب فتبنوا هذا التعديل الذى يقضى بأنه لا يجوز الحد من حق التصويت بسبب "الجنس أو اللون أو حالة الرق السابقة، وقد أعلن التصديق على هذا التعديل فى ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠م وأجبرت سكان فيرجينيا وتكساس والمسيسبى وجورجيا على التصديق على هذا التعديل وجعل تصديقها شرطا لإعادة ضمها للاتحاد.

وافتتحت جامعة جون هوبكنز فى بلتيمور وأدى افتتاحها إلى تنشيط الدراسات العليا باعتبارها أول جامعة حقيقية فى أمريكا. وفى ٢١ مايو سنة ١٨٨١م تم تكوين جمعية الصليب الأحمر الأمريكية، وقد أدت زيادة هجرة الصينيين وعلى الأخص كاليفورنيا إلى حوادث شغب عنصرية فى أوائل عام ١٨٧١م وترتب على ذلك تشكيل حزب للعمال فى هذه الولاية [أن برزت المشكلة بروزا خطيرا لفت نظر الكوجرس ولذلك صدر قانون عام ١٨٨٢م بمنع دخول العمال الصينيين إلى الولايات المتحد الأمريكية لمدة عشر سنوات. وفى عام ١٩٠٢م أصبح الخطر دائما كما حظر هذا القانون نفسه هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة من هاواى ومن الفلبين. وفى عام

١٨٨٥م أصدر الكونجرس قانونا يحظر دخول كل العمال ولو على سبيل التعاقد.

وفى ٢٢ ابريل ١٨٨٩م بدأ فتح أباب أوكلاهوما للهجرة فى يسنة ١٨٩٠م نظمت أراضى أوكلاهوما. وأدت حركة الانتقال غربى المسيسبى إلى قبول الولايات الأخيرة ضمن الاتحاد على النحو التالى: نيفادا (١٨٦٤) نبراسكا (١٨٦٧) كولورادو (١٨٧٦) داكوتا الشمالية وداكوتا الجنوبية وواشنطن مونتانا (١٨٨٩) وايمونج وايداهو (١٨٩٠) يوتاه(١٨٩٦) أوكلاهوما (١٩٠٧) نيومكسيكوواريزونا (١٩١٢).

وصدر ٢٧ يونيه سنة ١٨٩٠ قانون معاشات العجز. وهو في الواقع قانون معاشات للخدنة العسكرية؛ إذ قضى بمنح معاشات لكل المحاربين القدماء الذين قضوا فى الخدمة ٩٠ يوما والذين يستطيعون أن يثبتوا إصابتهم بعجز بدنى أو عقلى، بغض النظر عن مصدره، يمنعهم من كسب معاشهم بالعمل اليدوى. تقرر منح معاشات لأرامل الجنود بغض النظر عن سبب وفاة الزوج إذا كان الزواج تم قبل عام ١٨٩٠م.

وفى ٢٢ فبراير ١٨٩٢م، تم تكوين حزب الشعب في سانت لويس. ظلت عوامل السخط تتجمع فى صدور الفلاحين خلال السنوات العشر الأخيرة نتيجة لسوء حالة الزراعة وظهرت تبعا لذلك منظمات الفلاحين المعروفة بالحلف الشمالى والحلف الجنوبى وعقدت اجتماعات فى سانت لويس (ديسمبر ١٨٨٩) وفى أوكالا (ديسمبر ١٨٩٠) وفى سنسناتى (مايو ١٨٩١) وانتهوا أخيرا إلى تكوين حزب الشعب أو الحزب الشعبى وفى يوليه ١٨٩٢ أثناء اجتماعهم فى أوماها اختاروا جيمس بز ويفر وهو من قدماء الدعاة للتضخم المالى مرشحا لهم فى انتخابات الرياسة وعقدوا مؤتمرا لهم

أعلنوا فيه برنامجهم الذى تضمن المطالبة بإصدار نقد قـومى دون وسـاطة هيئات البنوك وحرية سك الفضى لاستخدامها فـى العملـة دون أى تحديـد والضريبة التصاعدية على الدخل وإنشاء صناديق للتوفير بالبريـد وتملـك الحكومة لخطوط السكك الحديدية والتليفونات والتلغرافات. وفـى انتخابـات الرياسة هزم كليفلاند هاريسون ورفض كليفلاند تعريفـة مـاكنلى وقـانون الإلزام وحصل كليفلاند على ٢٧٧ صوتا وهاريسـون علـى ١٤٥ صـوتا وحصل ويفر مرشح حزب الشعب على ٢٢ صوتا.

وكان تأسيس جماعة منع محلات بيع الخمور فـى ٣ أكتـوبر سـنة ١٨٩٣م خطوة فى تطور حركة تحريم الخمور فى الولايات المتحدة. بـدأت الجماعة حملة واسعة النطاق فى البلاد كلها فى عام ١٨٩٥م وسنت ولايـة الينوى أول قانون عام لمساعدة الأمهات اللاتى يعلن أطفـالا. وفـى سـنة ١٩١٢ طبقته ولاية كلورادو وفى خلال سنة ١٩١٣ طبقت ١٨ ولاية أخرى قوانين مماثلة أقامت ولاية ماساتشوستس لجنة لوضع قوائم بالحـد الأدنـى لأجور النساء والأطفال وحتى سنة ١٩٢٣م كانت ١٤ ولاية أخرى فضـلا عن منطقة كولومبيا قد اتخذت إجراءات مماثلة بأن وضعت قـوانين بالحـد الأدنى أو فضت لبعض اللجان سلطات لتنظيم ذلك، وقد لاقت جميع القوانين ضربة شديدة بقرار المحكمة العليا فى قضية ادكنز التى قضت فيها المحكمة بعدم دستورية قانون منطقة كولومبيا باعتبار أنه يجرد الفـرد مـن حريـة التعاقد.

الفصل السابع

الولايات المتحدة الأمريكية والحرب العالمية الأولى

تؤلف السنوات الواقعة بين سنة ١٨٩٠م والحرب العالمية الأول خطاً فاصلاً فى التاريخ الأمريكى. فعلى أحد جانبى الخط كانت الصفة الغالبة على أمريكيا على أنها ريفية زراعية. وأنها تلتزم عزلة تقليدية، وأنها بعد متشبثة بتفاؤلية القرن الثامن عشر وبروح المساواة التى اقترنت بالقرن الثامن عشر. وعلى الجانب الآخر نجد أمريكا فى الشئون العالمية عميقة الانشغال بمشكلات ظلت طويلاً تبدو مقصورة على الدنيا القديمة وهى تمر بتغيرات مصحوبة باختلاجات تشنجية فى الاقتصاد والمجتمع والثقافة.

وكان على الولايات المتحدة، بعد خروجها من الحرب الأهلية أن تعيد بناء ما تحطم مادياً أو معنوياً، ولكن عملية "إعادة البناء" هذه لم تكن تعرقل النمو الديموغرافى، تيار الهجرة، أو التنمية الاقتصادية، وزاد عدد السكان فيما بين سنة ١٨٧١م، ١٨٩٣م من مليون ونصف إلى ٦٢ مليون، وفى هذه الزيادة كان نصيب الهجرة هو ٣١% وامتدت عملية التوطين والاستعمار الداخلى نتيجة لإنشاء السكك الحديدية الكبرى عبر القارة والتشريعات الخاصة بنزع ملكية الأراضى إلى كل المنطقة بين المسيسبى وجبال روكى، وأصبحت السهول الوسطى فى الولايات المتحدة أكبر منطقة إنتاج فى العالم للحبوب والماشية وفى نفس الوقت حقق الإنتاج الصناعى

تفوقاً بدرجة أنه زاد قيمته منذ سنة ١٨٩٠م على الإنتاج الزراعى وبدرجة أنه سيحتل منذ سنة ١٨٩٤م المكان الأول فى العالم.

ورغم سرعة هذا النمو فإن الولايات المتحدة لم تشعر بالحاجة إلى ممارسة توسعاً خارج أقاليمها. ووجد إنتاجها الزراعى فى أوروبا بسهولة الأسواق التى كان يحتاج إليها، وكان للأمريكيين وعلى نفس أرضهم ميدان عمل من الاتساع بشكل لا يجعلهم يفكرون فى المشروعات الامبريالية، ولم يكونوا كمنافسين للأوروبيين فى أمريكا الوسطى أو فى أمريكا الجنوبية. واقتصروا على الاحتفاظ بنظرية مونرو. أى بوضع القارة الأمريكية بعيدة عن خطر المحاولات الممكنة للاستعمار الأجنبى ولم يكن عليهم أن يبذلوا أى مجهود للوصول إلى ذلك إذ أن التوسع الأوروبى كان ينظر إلى ميادين أخرى.

ولم يبدأ "التقوقع" فى إثارة النقد إلا بعد سنة ١٨٥٥ وظهرت آراء جديدة وأعلن جون فيسك John Fiske فى سنة ١٨٨٥م فى كتابه الذى سماه "بيان المصير" Mauifest Desting أن على الأمريكيين بعد أن استعمروا أمريكا الشمالية أن ينشورا نفوذ تجارتهم ووجهات نظرهم السياسية فى كل مناطق العالم التى لن يصطدموا فيها بحضارة "قديمة" واعتقد استرونج Josiah Strong فى كتابه الذى باع منه ١٧٠,٠٠٠ نسخة أن على الولايات المتحدة أن تسيطر على أمريكا اللاتينية وجزر البحر، وفى سنة ١٨٩٠م قال جون بورجيس John Burgese الذى خرج عدة أجيال من طلاب جامعة كولومبيا، أن من واجب الانجلوسكسونيين أن "ينظموا" الشعوب غير المتحضرة، وفى نفس السنة ذكر الفريد ماهان Alfred Mahan لزملائه المواطنين، أهمية القوة البحرية فى التاريخ. وكان هذا مناخاً ثقافياً جديداً،

وهو الذى كان ينمو فيه تيودور روزفلت Theodore Roosevet ولكن المناخ السياسى لم يتغير حتى هذا الوقت، رغم أن آراء ماهان لم تظهر على أنها سهلة بالنسبة لجيمس بلين James Blaine الوزير الأمريكى الذى آثار بين عامى ١٨٨٩م، ١٨٩٢م مسألة ضرورية الحصول على قواعد بحرية على الطرق الكبرى فى المحيط. ولم يجد المجددون الذين تحدثوا بوجه خاص عن أمور العزة القومية صدى فى الكونجرس ولدى الرأى العام، إذ إن المصالح الاقتصادية لم تكن قد ظهرت بعد فى هذه الفترة. ولذلك فإن رجال الأعمال قد بقوا غير ميالين إلى مشروعات التوسع والتى كانت نتائجها المباشرة هى زيادة الأعباء الضرائبية، وبقى جمهور الناخبين محتفظاً بالتقليد الذى يقول أن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تفكر فى فرض نفسها على شعوب أخرى بعد أن خلصت نفسها من السيطرة الإستعمارية منذ قرن مضى من الزمان.

وودرو ويلسون والحرب العالمية الأولى:

كان وودرو ويلسون فى كثير من الإعتبارات أبرز شخصية فى السياسة الأمريكية بعد "جيفرسون" كان رجل علم وفكر، لم يتعود حلبة الحياة العامة وضجيجها ولكنه كان بارع الذكاء واقعيا، اسع الحيلة، ومع أنه كان حالماً ومثاليا. فقد كان فى الوقت ذاته أكثر الزعماء السياسيين بعد لنكولن واقعية ودهاء، كان من المتمسكين بالأخلاق فى السياسة والشئون الدولية، وقد بعثت فيه روح أسلافه من أصحاب العهد وكان دارسا للعلوم السياسية،وقد وضع عدة كتب فى الحكومة تعتبر حجة، كما كانت له أراء خاصة تامة النضوج فى طبيعة منصب الرئاسة. والنظام الحزبى، ومكانة الولايات المتحدة بين دول العالم، كما كان مستعدا لتنفيذ هذه الأراء عمليا.

ولقد مضى ويلسون الشطر الأكبر من عمره فى الأروقة الأكاديمية كأستاذ للسياسة ورئيس لجامعة برينستون.

وفى سنة ١٩١٠م أبرزه كبار المسيطرين على الحزب الديمقراطى فى نيوجرسى ليكون "نافذة عرض ناطق" لهم، فإذا به يستولى على "الحانوت السياسى" بأكمله.ولم ينقض عامان حتى كان قد طرد المسيطرين "من المعابد السياسية"، وحول نيوجيرسى من ساحة ثانوية للسياسة الأمريكية إلى ولاية مثالية، وصقل فى هذه العملية كثيراً من الأساليب التى قدر له فيما بعد أن يستخدمها ببراعة: الإقدام الجرئ، والإخلاص الصادق الذى ياسر المشاعر والمثالية البارزة، والإصرار على مركزه كزعيم حربى، ومخاطبة الشعب نفسه متجاوزاً السياسيين و"استراتيجية" الهجوم الخاطف، المتواصل.وكانت منجزاته اللامعة فى نيوجيرسى هى التى جعلته شخصية قومية، واجتليت له تأييد رجال من أمثال "بريان" وأتاحت له الترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية.وكان صدقه الشفاف، وبلاغته التى لا تبارى فى الحملة الانتخابية اللذين مكناه من الانتصار على روزفيلت.

وأعلن برنامجه الإصلاحى فى التغيير بقوله والذى عرف بالحرية الجديدة وحدده فى تعريفة جمركية أداة سهلة فى أيدى ذوى المصالح الخاصة. ونظاماً مصرفياً ونقدياً مهيئاً بأكمل تهيؤ لتركيز النقود السائلة وتقييد القروض، ونظاماً صناعياً يقيد الحريات ويحد من فرص العمالة، واقتصاداً زراعياً عديم الكفاءة وغير معتنى به. واستغلال الموارد الطبيعية للكسب الخاص، وكان على الحكومة من الناحية الإيجابية أن تكون فى خدمة الإنسانية، وصون صحة وخير النساء والأطفال والمستضعفين.

واستدعى الرئيس ويلسون الكونجرس إلى دورة خاصة حتى إذا اجتمع، أحيا ويلسون تقليداً كاد أن يكون منسياً، إذ خاطبه شخصياً فقال: "إن الرسوم الجمركية يجب أن تعدل. فلم ينقض ستة أشهر على تولى ويلسون الحكم، حتة وقع قانوناً للتعريفة الجمركية، عكس بصورة صادقة الوعود التى تضمنها البرنامج والعهود التى تضمنتها الحملة الانتخابية، إذ حقق أول تنقيح حقيقى فيما يزيد على خمسين عاماً لتخفيض الرسوم الجمركية. أما الخطوة الثانية فكانت تتضمن فى إصلاح نظام مصرفى ونقدى قام على حاجة الحكومة لبيع سنداتها قبل خمسين عاما، ومهيأ أكمل تهيؤ لتركيز النقود السائلة وتقييد القروض، وكان هذا الموضوع كموضوع التعريفة الجمركية، يقابله العديد من العقبات، فلقد عانت الأمة طويلاً من نظام إئتمانى ونقدى غير مرن، وكان كل الناس تقريباً متفقين على تشخيص الداء ولكن الذين اتفقوا فى الرأى بصدد العلاج كانوا قلة. ولقد صدر فى عهد حكومة روزفيلت قانون النقد، إذ سمح للمصارف القومية عملة للطوارئ وقدمت لجنة لبحث نظام النقد سلسلة مفصلة من التقارير عن الأعمال المصرفية فى الدول الأخرى بيد أن الوقت كان قد حان من عهد طويل لتحقيق إصلاح شامل للنظام المصرفى. واحتشد أصحاب المصارف ليضعوا قانوناً يستمرون بمقتضاه فى السيطرة أما "بريان" الذى طال جدله بأن مسألة المال مسألة ذات أهمية علا، فقد صمم على وجوب سيطرة الحكومة على الائتمان. وقد إنحاز إليه ويلسون الذى لم يكن على دراية واسعة بالنواحى الفنية للنظام المصرفى. ولكن دراسته لتاريخ مصر فى الدولة الأولى والثانى لم يكن عبثاً. وقد حقق هذه المطالب قانون الإحتياطى الإتحادى. الذى صدر بعد نقاش طويل. فقد قضى على مركزية النظام المصرفى.وهيأ تسهيلات مصرفية أفضل للجنوب والغرب الذين كانا مهملين ووفر بالأوراق المالية للإحتياطى الإتحادى عملة

مرنة تحت سيطرة الحكومة. وقد جاء نظام الإحتياطى الإتحاى فى الوقت المناسب، فلولاه لما كان للحكومة أن تنجو من أزمة الحرب العالمية.

وتمثل إنجاز تشريعى ثالث للحكومة الجديدة فى تنظيم "الترستات" ذلك أن قانون شيرمان كان أشد أثراً على العمالة منه على التجمعات الصناعية الكبرى. وقد كشف أن حركة تركيز السيطرة فى الصناعة والنقل والعمليات المصرفية تسير بسرعة كبيرة.فما أن فرغ ويلسون من التشريعات الجمركية والمصرفية. حتى سار فى تنفيذ تعهداته الانتخابية. وإذا قانون كلايتون لمناهضة "الترست" الصادر فى سنة ١٩١٤م يحدد بعناية عدداً من إساءات التصرف، ويحرم التفرقة فى السعار مما ينمو إلى خلق احتكارات، ويمنع الربط بين الشركات الكبيرة "ب" إدارات متداخل بعضها فى بعض، ويجعل مديرى الشركات مسئولين شخصياً عن انتهاكات القوانين المناهضة للترستات، ولقد أحبطت المحاكم إلى حد كبير حركة لعلها كانت صادرة عن قصد لإقصاء العمالة عن دائرة تطبيق القانون، وأقيمت فى الوقت ذاته لجنة إتحاديه للتجارة، لتحقق فى العمليات التجارية والصناعية وتنصت إلى الشكايات من الأساليب غير العادلة، وتوقفت الإجراءات الضارة عن طريق إصدار أوامر الكف والإرتداع.

ولم يكن المزارعون والعمال نسياً منسياً فقد يسر قانون اتحادى للإقراض الزراعى القروض للمزارعين بأسعار الفائدة منخفضة، كما أن قانونا لمخازن الإيداع، حقق إلى حد كبير مشروع "الشعبين" القديم بأن تيسر خزانة الدولة القروض للزراعيين، إذ خول تقديم القروض بضمان المحصولات الرئيسية. أما قانون لافوليت "للعاملين فى البحار" الصادر فى سنة ١٩١٥م، قد حرر المغلوبيين على أمرهم من العاملين فى البحار من

الظلم الذى طال عناؤهم منه. فى حين أن قانون "أدامسون" لصادر فى العام التالى اقر بأن يكون يوم العمل لعمال السكك الحديدية ثمانى ساعات. ولقد أجاز الكونجرس قانونى يهدفان إلى وضع نهاية لفضيحة تشغيل الأطفال فى الصناعة. بيد أن المحكمة العليا أبطلتهما بحجة أن الكونجرس لم يؤت سلطة إصدار لوائح للعمل سواء بمقتضى سلطته الضريبية أو سلطته فى الإشراف على التجارة. وفى حركة تكفير عامة نادراً ما تصدر عن المحكمة. أقدمت بعد ذلك باثنين وعشرين عاماً على الاعتراف بأنها ضلت عن الصواب بقرارها السابق، وسمحت للكونجرس بان ينهى تشغيل الأطفال.

وهكذا دفع ويلسون فى ثلاث سنوات من التشريعات العامة أكثر مما فعل أى رئيس من عهد لينكولن. وكشف عن إمكانات لا تحوم حولها شبهات فى قيادة السلطة التشريعية للكونجرس وفى قيادة رئيس الجمهورية للحزب.وبرهن على أن بوسع الديمقراطية أن تعمل بسرعة وكفاءة إبان الأزمة.

أما سياسته الخارجية. فقد انحرفت انحرافاً حاداً عن سياسة سلفه، كما كان الأمر بالنسبة للسياسة الداخلية. إذ أن روزفلت قد لوح مبتهجاً بـ "العصا الغليظة فى السياسة الخارجية" فى حين شجع تافت ما أصبح معروفاً "بدبلوماسية الدولار" وما من مراء فى أن السياستين قد عادتا على الولايات المتحدة بمزيد من النفوذ فى الشئون العالمية.ولكن فى مقابل إثارة عدداً من دول أمريكا اللاتينية، وتعرض رفاهيتهم، الولايات المتحدة للخطر نتيجة إقحامهم فى مغامرات دبلوماسية وتجارة عشوائية لم تكن لهم مصلحة حقيقية. وكان أول الأعمال الرسمية لويلسون هو سحب الموافقة الرسمية على مشروع قرض مصرفى للصين، بسبب أنه لم يكن يقر شروط القرض أو

ملابسات المسئولية، وفى الأسبوع نفسه أعلن غرضه الرامى إلـــى "تنميـــة الصداقة والظفر بالثقة" لدى جمهوريات أمريكا اللاتينية. وبعد ذلـــك بقليـــل. أوضح فى خطابه فى "موبيل" شجباً موضوعياً لدبلوماسية الدولار بالـــذات، ومع أن الولايات المتحدة لن تسعى قط مرة أخرى إلـــى اكتســـاب أراضـــى بالغزو. لكان مقدراً أن تدفع الظروف الولايات المتحدة إلى التورط فى شئون عدد من جمهوريات حوض البحر الكاريبى وأمريكا الوسطى، بيد أن ويلسون رفض بإصرار طيلة حكمه أن يجعل التدخل عذراً للاستغلال.

ولقد كانت العلاقات مع المكسيك مثالاً وافيـــاً لمصـــاعب السياســـة الويلسونية: فقد ظلت تلك البلاد التعسة خمسة وثلاثين عاماً تئن تحت وطـــأة حكم "بورفيريو دياز" الطاغية الذى هبط بشـــعبه إلـــى مصـــاف العـــاملين بالسخرة. بينما كان يبيع بلاده للشركات التعدينية والتجارة الأجنبية وفى سنة ١٩١١م، ثارت الطبقات الوسطى والكادحون، وطردوا "فرانشيكو مـــاديرو" رئيساً للجمهورية، بيد أنه لم تكد تكتمل سنتان حتى قامـــت حركـــة ثوريـــة مضادة بزعامة "فيكتوريانوهورتا" وأطاحت بماديروا واغتالتـــه.واغتطبـــت الشركات الأجنبية للبترول والسكك الحديدية والمناجم، إذ توقعت عودة أيـــام "دياز" المثقلة بالخيرات، كما أن معظم الدول الكبرى سارعت إلى الاعتراف بارئيس الجديد. ولكن ويلسون لم يحدو حدو سواه. فقد شعر بأن الاعتـــراف بهورتا بمثابة الرضى عن القتل، ولم يزحزحه عن موقفه إلحـــاح أصـــحاب الأعمال الأمريكيين الذين كانت أرباحهم هى الغاية الأولى، وقال وهو يستبق الموقف الذى قدر له أن يتخذه فيما بعد، فى أزمة كبيرة مـــن هـــذه. ولقـــد تعرضت هذه السياسة التى تقيم الاعتراف على اعتبارات خلقية للنقد غ ذاك وفيما بعد، بوصفها تحولاً عن العادة الصحيحة، وعن إملاءات النفعية. ولقد قال إمبراطور ألمانيا: "لا بأس بالقواعد الخلقية ولكن ما مصـــير حصـــص

الأرباح؟ غير أن ويلسون تبين كما تبين فرانكلين دى، وروزفيلت يعد بحيل مدى خطورة العواقب القاضية التى قد تترتب على الإنصياع للأعمال غير القانونية أو الاعتراف بثمار العنف،ولعله لم يقدر تمام التقدير مصاعب جعل الاعتراف مستنداً إلى حكم الاختلافات الخلقية بين الأطراف المتضادة،وهى فوارق دقيقة ومعقدة دائماً.

لم يكتف ويلسون برفض الاعتراف بل استدرج بريطانيا إلى تأييد سياسته.. وهو تأييد كسبه بتنازلات جاءت فى وقتها بالنسبة لمسألة رسوم قناة بنما. ومع ذلك فإن العلاقات مع المكسيك أخذت تسوء بسرعة، حتى إذا قبض "هورتا" على بعض فلاحين أمريكيين فى "تامبيكو" بادر ويلسون إلى إنزال مشاة البحرية فى "فيراكروز" وبدأ أن الحرب محتومة، ولكن ويلسون لم يكن ينتوى أن يسمح للموقف بأن يفلت من يده. وبفضل إقامته فاصلا مميزاً بين الشعب المكسيكى الذى كان يرجو صداقته والحكومة المكسيكية التى عقد العزم على القضاء عليها. نجح فى كبح صيحة الحرب القاضية فى بلاده. وهو يستدرج هورتا إلى وضع لا يستطيع الصمود فيه، ثم استغل فرصة الأزمة المكسيكية، فأخذ يبرز سياسته القائمة على معاملة جمهوريات أمريكا اللاتينية على قد م المساواة بأن أوغر إلى الأرجنتين والبرازيل وشيلى بالمعاونة فى تسوية النزاع، وعندما وقفت هذه الدول فى صف الولايات المتحدة، اضطر هورتا إلى الفرار من البلاد، وتولى الحكم "كارانزا" زعيم أنصار الدستور. ولقد استمرت المتاعب بعد ذلك. وعندما أغار زعيم قطاع الطريق المكسيكى "بانشوفيلا" على كولمبس فى نيومكسيكو. أوفد ويلسون حملة بقيادة الجنرال بيرشينج لتأديبه. فأبى كارنزا هذا الغزو وتصاعدت صيحات الغضب من أنصار العنف الأمريكيين مطالبة بالحرب. بيد أن السلام ساد الموقف.وسمح للمكسيك أن تتول إنقاذ نفسها بنفسها. ونجحت

سياسة "الانتظار والمراقبة" التى كانت ترمى بأنها سياسة تخاذل، فى تحقيق هدفها المزدوج: مساعدة المكسيك وكسب ثقة جمهوريات أمريكا اللاتينية.

على أن سياسات ويلسون أخفقت فى أن تتطابق مع المبادئ فـــى أى مكان آخر فى حوض البحر الكاريبى وعلى أية حال، فلم يكن هنـــاك ثمـــة فارق يذكر بين مسلك ويلسون نحو نيكاراجوا وســـانتو دومنجـــو وهـــايتى وتصرفات الحكومات السابقة. فإن المعاهدة التى توصل إليها "بريـــان" مـــع نيكاراجوا انتقصت سيادة هذه الدولة اللاتينية انتقاصاً قاسياً، حتى أن محكمة الصلح فى أمريكا الوسطى استنكرتها رسمياً، فقد أخذ الوزير المفوض الذى أوفده بريان إلى سانتو دومنجو يتصرف كأنه حاكم عام لتلك البلاد، كمـــا أن مشاة الأسطول الذين نزلوا فى هايتى وتقاضوا ضريبة باهضة مـــن أرواح أهلها، لم يبارحوها إلا فى سنة ١٩٣٠م.

وكشفت حكومة ويلسون فى ميدانين آخرين عن حرصها على صون السلام وقداسة الإتفاقات التعاهدية فإن بريان الذى تربـــع علـــى رأس وزارة الخارجية، كان موقفاً من عهد بعيد بأن كافة المنازعات الدولية قابلة للتحكم، ووضع وأبرم بتشجيع من ويلسون معاهـــدات لتهدئـــة الخـــواطر مـــع دول أجنبية.وقد نص فيها على التحكيم والتراضى فى كل المسائل دون إستثناء لما يمس منها الكرامة القومية وإرجاء كل استعداد حربى لمدة عام يكون فتـــرة تهدئة للخواطر. ولقد دارت المفاوضات حول ثلاثين من هذه المعاهدات، ولم تبرم سوى اثنين وعشرين منها. فقد رفضت ألمانيا بصلف قبول واحدة منها وعندما قدمت اليابان فى سنة ١٩١٥م إلى الصين مطالبها الواحد والعشرين المستهجنة،وهى ماضية فى سياستها التى أدت آخر الأمر إلى حـــرب مـــع

الولايات المتحدة، قدمت وزارة الخارجية الأمريكيــة إحتجاجــاً بــأن هــذه المطالب كانت إنتهاكاً شنيعاً لسياسة "الباب المفتوح" وللقانون الدولى.

ثانياً: الحياد الإيجابى فى الحرب العالمية الأولى

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى وقفت الولايات المتحدة على الحياد بين دول الوسط (ألمانيا وتركيا) ودول الحلفــاء (انجلتــرا وفرنســا وإيطاليا). وامتنعت عن الدخول فى المعارك الحربية تمشــياً مــع طبيعــة التكوين النفسى للرئيس ويلسون وهى الطبيعة الخيرة السليمة، ولكــن هــذه الطبيعة لم يكن باستطاعتها إغفال واقع الحياة الإقتصادية الأمريكية كما أمنته مقتضيات تزازن القوى. وأدرك الرئيس ويلسون أن الحياد السلبى أى العزلة فى الوقت الذى تشمل فيه الحرب العالمية الأولى يضر بالمصلحة الأمريكية اقتصادياً واستراتيجياً. فمع اقتناعه فى مبدأ الأمر بالإستمرار فــى الوقــوف على الحياد بين الطرفين المتقاتلين وعدم الدخول فى المعارك الحربية فــى جانب أى من الطرفين المتقاتلين،وعدم الدخول فى المعارك الحربيــة فــى جانب أى من الطرفين إلا أنه رأى أن الحياد الإيجابى هو الطريــق الــذى يحقق المصالح الأمريكية.

وتتمثل وجهة النظر الأمريكية فى الحياد الإيجابى وفى إيقاف الحرب بوساطة أمريكية دون انتصار فريق على الآخر انتصاراً تاماً. لأن انتصــار طرف على الآخر انتصاراً كاملاً سيؤدى إما إلى سيطرة روسيا القيصــرية وإما إلى سيطرة ألمانيا على القارة الأوروبية وبالتالى السيطرة على العــالم. كما أن الحياد الإيجابى سيؤدى إلى رواج التجارة الأمريكية حيث أصــبحت الولايات المتحدة أكبر الدول المصدرة للسلع إلى الدول المتحاربة ومــن ثــم أثرى الأمريكيون ثراءاً كبيراً من وراء هذه التجارة.

استمرت الوساطة الأمريكية بين الطرفين المتحاربين وكانت آخرها محاولة الرئيس ويلسون نفسه التوسط بين الطرفين فـــى ديســـمبر ١٩١٦م. ولكن دون نتيجة بسبب إصرار كل طرف على تحقيق نصر عسكرى علـــى الطرف الآخر. فى الوقت الذى تعرضت فيه المصالح الإقتصادية الأمريكية لخطر التوقف بسبب القيود الأوروبية ضد الموانى الألمانية. وبسبب حـــرب الغواصات الألمانية التى بدأتها ألمانيا منذ فبراير سنة ١٩١٥م ولم تسلم منها السفن المدنية والتجارية الأمريكية.

واستمر الموقف الأمريكى صامداً أمام التحريضات والاســـتفزازات الأوروبية لجر الولايات المتحدة للدخول فى المعارك الحربيـــة.ولكـــن هـــذا الصمود لم يكن من الممكن أن يظل علـــى حالـــه أمـــام تهديـــد المصـــالح الإقتصادية والإستراتيجية الأمريكية. وأمريكا دولة رأسمالية النشأة والتكوين، وإذا كان بقاء الولايات المتحدة بعيداً عن ميادين المعـــارك الحربيـــة يمثـــل إتجاهاً سياسياً وعسكرياً. فإنها من وجهة إقتصادية وسياسية إلى حد ما كانت تقدم قروضاً ومعونات لدول الحلفاء وتبيع الأسلحة والمواد الغذائيـــة لكـــلا الطرفين المتحاربين.

ويرى البعض أن الألمان كانوا ينظرون إلى الولايات المتحدة منـــذ بداية الحرب إلى أنها لم تكن محايدة، وأنها أتخذت سياسة متشددة مـــع دول الوسط أكثر مما أظهرته نحو إنجلترا وفرنسا،وقد أتضح هذا فـــى التعامـــل الأمريكى مع دول الوفاق (انجلترا وفرنســـا) وتطبيـــق سياســـة الحصـــار الإقتصادى مع دول الوسط، بل أن دول الوفاق تسلمت فيمـــا بـــين نـــوفمبر ١٩١٤م ونوفمبر ١٩١٦م فى شكل حسابات ائتمانية أو قروض مـــا قيمتـــه ١٩٢٩م مليون دولار، بينما لم تتسلم ألمانيا ما تزيد قيمته على خمسة مليون

دولار، وكان هذا تحايلاً جديداً على الحياد كما قال الألمان. وهذا صحيح إلى حد كبير إذ كانت أغلبية الشعب الأمريكى ترجو النصر والفوز لبريطانيا وفرنسا وبلجيكا. وكانت ثمة مائة رابطة من الحضارة والتقاليد ووحدة النظام ووحدة التفكير تربط الأمريكيين بالشعب البريطانى. ولم تكن ذكرى المعاونة التى قدمتها فرنسا فى أيام الثورة الأمريكية.والإعجاب ببطولة الفرنسيين والبلجيكيين فى مقاومتهم للغزاة بأقل شأناً. كما كان واضحاً أن الألمان كانوا يؤمنوا بنظرية السلطة المطلقة فى الحكم وفى المجتمع. وأنهم إذا أخضعوا أوروبا فإنهم لا شك سوف يقفون موقف الخصومة إن عاجلا وإن آجلاً من الديمقراطية الأمريكية.

وكان واضحاً أن الولايات المتحدة فى علاقاتها بأوروبا أثناء السنوات الأولى من الحرب العالمية الأولى كانت تسعى للسلام فى إطار من الحضارة الحديثة والسلام الذى تعينه الولايات المتحدة يحقق النظام والاستقرار والبعد عن العنف، واحترام القانون والتخلى عن استخدام القوة العسكرية وجميع الوسائل ذات الطابع البربرى.

ثالثاً: الاشتراك فى الحرب

وفى يوم الجمعة السادس من أبريل سنة ١٩١٧م، دخلت الولايات المتحدة الحرب "وقد رفع الرئيس ويلسون شعار القوة، القوة إلى أقصى مدى، القوة دون حصر ولا حد" هكذا وعد الرئيس ويلسون. وقد سارعت الأمة للوفاء بوعده،وما أبدت الحكومة فى أية حرب سابقة من الذكاء والكفاءة ولا كشف الشعب الأمريكى عن طاقة، وسعة حيلة، وعبقرية ابداعية أعظم مما حدث فى هذه الحرب وأثبت ويلسون أنه من أعظم رؤساء الحرب، وهو يسيطر على كل ناحية من نواحى المجهود الحربى، ويحرص على الروح المعنوية فى الداخل وفى الخارج، ولا يغفل عن الغايات النهائية التى كانت الأمة تقاتل من أجلها، يعاونه وزير حربه "نيوتن دى بيكر" ووزير ماليته "وليم ماكادو" ورئيس مجلس الصناعات الحربية "برنارد باروك" كان على الحكومة أن تتخذ خطوات أشد وأقسى من كل ما خطر بالبال فى أية حرب سابقة، وقد فعلت ذلك بسرعة وهمة. فأصبحت ديكتاتوراً على الصناعة والعمالة والزراعة واستولت على خطوط السكك الحديدية والبرق. وكانت الحاجة ماسة إلى الطعام فأزداد إنتاج المزارع بحوالى الربع، وكانت الحاجة ماسة إلى الفحم، فارتفع إنتاج الفحم بحوالى الخمسين، وجمعت الحكومة عن طريق القروض والضرائب حوالى ستة وثلاثين بليوناً من الدولارات، أقرضت الحلفاء عشرة منها، وأنفقت الباقى فى الداخل. وقد ركزت الحكومة جهودها، فوق كل شئ على الفوز فى معركة الأطلسى.. التى كان يبدو فى ربيع وخريف سنة ١٩١٧م أنها خاسرة. وكسبت المعركة فعلاً بفضل الإستيلاء على السفن الألمانية فى مياه المحيط. ومصادرة السفن المحايدة للأغراض الحربية، والإستحواذ على السفن الملاحية الخاصة، والقيام

ببرنامج هائل لبناء السفن إذ صنعت ما يزيد عن ثلاثة ملايين من الأطنـــان في عام واحد والإجراءات البطولية في مقاومة الغواصات.

ولقد أقر الكونجرس التجنيد في وقت مبكر، وقبل أن تنتهي الحـــرب كان تسجيل حوالي ٢٥ مليون رجل يوحي بشي عن ضخامة موارد القـــوى البشرية لهذه الدولة. ولكن أكان بوسع الولايات المتحـــدة أن تـــدرب جيشـــاً وتوفده إلى فرنسا في وقت كاف لصد تيار الزحف الألماني؟ كانت هذه هـــي المشكلة الكبرى.في سنتي ١٩١٧م، ١٩١٨م.

لقد هبطت أول دفعة أمريكية إلى فرنسا في يونيـــو ســـنة ١٩١٧م، أوفدت على عجل إبتغاء تأثيرها المعنوي. أكثر مما كانت ترجي لأغـــراض عسكرية. وفي ٤ يوليو قام الجيش الصغير بعرض عسكري في الشانزليزيه وعلمه الأحمر والأزرق يرفرف في الهواء.

بيد أن هذه لم تكن سوى قوة رمزية، فإن الجيش الأمريكي الحقيقـــي كان يعد في معسكرات التدريب في الولايات المتحدة وكانت الحاجة ماســـة إليه، لأن الحرب كانت تتجه في سنة ١٩١٧م إلى الأسوأ. ففي أكتوبر تحطم الجيش الإيطالي في "كابو رينو".وكان على الحلفاء أن يعجلوا بـــالتعزيزات ليوقفوا تقدم النمسويين، وبعد شهر انسحب الروس، وقد مـــزقتهم الثـــورة، وطلبوا الصلح. فأرسلت على عجل أربعون فرقة ألمانية جديدة، سحبت مـــن جهتي روسيا البلقان إلى فرنسا. ولم يحن ربيع عـــام ١٩١٨م. حتـــى كـــان للألمان تفوق عددي في الغرب.وعززوا أنفسهم تأهباً للضربة القاضية ضـــد جيوش بريطانيا وفرنسا المرهقة المضناه.وفي مارس ســـنة ١٩١٨م حـــان الهجوم الكبير الأول، وفي أسبوع كان الألمان قد شقوا طريقهم خلال خطوط الجيش الخامس البريطاني مستولين على تسعين ألف أسير، وعلى مخـــازن

هائلة ثم حان هجوم كبير آخر شهر أبريل، ثم شن هجوم ثالث فـــى يوليــو. وازاء وجود الألمان على الضفة اليسرى للمارن. رفع الحلفاء المارشال فوش إلى القيادة العليا. فأشار على الرئيس ويلســون، ضــرورة إيفــاد الجنــود الأمريكيين إلى الحرب لكى يكسب الحلفاء الحرب.

وكان السباق مع الزمن قد بدأ فعلاً. فاستجمعت حكومـــة الولايـــات المتحدة قواها لبذل مجهود جبار، ومنح النقل البحرى أولوية على كل شـــئ، وأبحرت القوافل الضخمة من الموانى الأمريكية واحدة بعد أخـــرى محملـــة بالمشاة، وأرسلت دفعات من الجيش الأمريكى حتى بلغ ما يتجـــاوز مليونـــاً وثلاثة أرباع مليون.

ولقد جاءوا فى الوقت المناسب تماماً. ولقد أثبتوا صلابة معدنهم فى "مونديه" و "كانتينى" أولاً: ثم فى غابة "بيلو" وإذا القيادة الألمانية التى كانت قد أسقطت المساعدة الأمريكية من حسابها، تقر بأن "الجندى الأمريكى يثبت شجاعته وقوة وجلد ومهارة، ولا ترهبه الخسائر فى الأرواح" بيد أن الأزمة الكبرى لم تكن قد حدثت بعدز ففى منتصف ليل ١٤ يوليـــو شـــن الألمـــان هجومهم الذى طال انتظاره على "المارن" والذى كان يرمى إلى تصديع آخر خط للحلفاء. وفتح الطريق إلى باريس، التى لم تكن تبعد بغير خمسين ميلاً. وتدفعوا عبر "المارن" موفقين فى كل مكان عدا النقاط التى صادفوا فيها فرقاً أمريكية حديثة الوصول، ولم يحن ١٨ يوليو حتى كان الهجوم الألمانى قـــد انحسر، ودعا "فوش" الأمريكيين إلى القيام بهجوم مضاد. وقد فعلوا وبنجاح رائع.

وفى سبتمبر حدث الهجوم على النتوء البارز من خط الدفاع عند "سان ميهييل"، وأدى ذلك إلى إرتباك الألمان. وبلغت الخسائر فى الأرواح سبعة آلاف، بيد أن الأمريكيين اكتسحوا النتوء وأسروا فوق هذا ستة عشر ألفاً. وفى الشهر التالى، قام جيش أمريكى يزيد على المليون بدور طليعى فى هجوم "الموز – أرجون" الواسع النطاق، والذى أنتهى بتحطيم خط "هيندنبيرج" الذى طال التشدق به، فتصدعت روح الألمان المعنوية.

ولم يكن جهد ويلسون فى هذه الأثناء بأقل من دور القوات المسلحة فى تأكيد النصر، بفضل تحديده البليغ المسهب لأهداف الدول الديمقراطية. غذ كان قد حاول من البداية إيقاع الفرقة فى ألمانيا بترديد أن قتالنا لم يكن ضد الشعب الألمانى، وإنما ضد حكومته الإستبدادية الطاغية. كذلك أصر على أنه لا ينبغى أن تتضمن شروط الصلح ضم شعوب على غير رغبة منها، أو دفعات من المال على سبيل العقاب وفى رسالة إلى الكونجرس فى يناير سنة ١٩١٨م عرض النقاط الأربع عشر المعروفة. كأساس لصلح عادل وقد تضمنت اتفاقات صريحة يتم التوصل إليها علانية، وحرية البحار فى السلم والحرب، وإزالة الحواجز الاقتصادية بين الدول وتخفيض الأسلحة، وتعديل غير متحيز للمطالب المتعلقة بالمستعمرات، والتعاون مع روسيا لإرساء سياستها القومية بمؤسسات من اختيارها الخاص، وإعادة تعديل الحدود فى أوروبا مع العناية اللازمة بمبدأ حق الشعوب فى تقرير المصير، وإقامة "جمعية عامة للأمم" لتوفير الضمانات المتبادلة للاستقلال السياسى وسلامة وحدة الأراضى.

رأت الحكومة الألمانية، وقد اندحرت جيوشها، وأوشك حلفاؤها على الانهيار وإزراء تدفق القوات الأمريكية على الجبهة بأعداد لا تبدو لها نهاية،

أن صلحا فورياً هو الوسيلة الوحيدة لمنع غزو التراب الألمانى. لهذا ولـــت وجهها شطر ويلسون وناشدته التفاوض على أساس النقاط الأربـــع عشـــرة. وبينما كان النزال الدبلوماسى دائراً، إذا بالعصيان والثورة فى ألمانيا يجعلان المقاومة الألمانية مستحيلة، ونزل القيصر عن عرشه وفر من بلاده. وفـــى ١١ نوفمبر بلغت الحرب ختامها.

وقد تم التوقيع على معاهدة الصلح فى فرساى فى يونيه سنة ١٩١٩م وقد تضمنت المعاهدة إنشاء عصبة الأمم. وهذا بموجب النقطة الرابعة عشر من نقاط الرئيس ويلسون، وإن كانت بقية النقاط التى هدف لهـــا ويلســـون تحقيق سلام عادل لم تطبق كاملة، مما دعا ألمانيا إلـــى الإحتجـــاج، ولكنـــه إحتجاج المنهزم.وكان الرئيس ويلسون أول من وقع وثيقة الصلح معتقداً أنه فعل كل ما وسعه. وان المعاهدة ستمنع الحروب فى المستقبل، وبعد أن وقع الوثيقة أرسل ويلسون إلى مجلس الشيوخ الأمريكى يطلب المصـــادقة علـــى عمله.

وعرض الرئيس على مجلس الشيوخ فى ١٠ يوليو ١٩١٩م معاهدة فرساى، وفى٢٩ يوليو ميثاق الضمان الذى كان قد وعد الحكومة الفرنســـية به، وفى يوم ١٩ اغسطس وفى المؤتمر المعقود بين وودرويلســـون ولجنـــة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ، دارت المناقشة حول المادة العاشرة من ميثاق عصبة الأمم التى ذكر الرئيس أنها تمثل "العمود الفقـــرى" للمعاهـــدة واعتبرتها المعارضة على أنها لا تتمشى مع الدستور.ولكـــى تظهـــر لجنـــة مجلس الشيوخ مثالب المعاهدة، وتظهر أن الرئيس قد اتخذ قـــرارات هامـــة دون أن يلتفت لاعتراضات معاونيه، قررت هذه اللجنة من مجلس الشـــيوخ عندئذ أن تبدأ عملية تحقيق كبيرة، استعملت فيها إلى ستين من الشهود، وقام

ويلسون من ناحيته ولكى يحاول إرغام مجلس الشيوخ على التسليم، بالاتصال مباشرة بجمهور الناخبين، ولكنه أصيب بنوبة شلل، فى يوم ٢٥ سبتمبر منعته من الاستمرار فى هذه الحملة. ولم تكن المعركة متساوية بين الرئيس الذى أصبح "خارج المعركة" وإن كان يحتفظ بتصميمه كاملاً، وبين لجنة مجلس الشيوخ، وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٩م رفض مجلس الشيوخ التصديق على معاهدة فرساى التى لم تحصل على أغلبية ثلثى الأصوات التى نص عليها الدستور.

ومع ذلك فإن الهزيمة لم تبد على أنها كاملة ونهائية ذلك أن السيناتور لودج Lodge مقرر اللجنة أعلن أنه سيوافق على التصديق، إذ ما أرفق بالنص أربعة عشر تحفظاً، سيكون أكثرها أهمية يعبر عن رغبة الولايات المتحدة فى عدم تحميل "أية مسئولية" بالنسبة للمادة العاشرة من الميثاق، وترفض تدخل عصبة الأمم فى المسائل المتعلقة بمبدأ مرنرو، أو بنظام الجمارك المطبق فيما بين دول الإتحاد الأمريكى. لكن الرئيس أعلن أنه لا يوافق على هذه التحفظات. وكانت مقاومة ويلسون تكفى لفشل اقتراح لودج.

وعندئذ صوت مجلس الشيوخ والأغلبية البسيطة والتى كانت تكفى فى مثل هذه الحالة على قرار يتجاهل "معاهدة فرساى" ويطالب معاهدة صلح بين الولايات المتحدة وألمانيا.ولقد ظلت هذه المحاولة بلا جدوى فى ذلك الوقت. إذ أن ويلسون قد واجهها بحقه فى الاعتراض Veto.

وكان جمهور الناخبين هو الذى أنهى هذه المناظرة ففى انتخابات الرئاسة التى تمت فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٠م تمكن أعداء المعاهدة، وأعداء عصبة الأمم من جمع ١٩ مليون صوت ضد ما يزيد على تسعة ملايين.وبعد الإنتخابات التشريعية أصبحت للجمهوريين أغلبية قوية فى مجلس الشيوخ بلغت ٥٩ مقعداً ضد ٣٩. فلم يعد فى وسع أحد أن يناقش فى مسالة التبرؤ من سياسة الرئيس ويلسون.

وكان الشعور "بالإتجاه الإنعزالى" هو الأمر المقرر بالنسبة لهذه المناظرة فكانت الأوساط السياسية الأمريكية بعد أن تخلت عن خط سيرها التى اعتادته فى فترة لا تزيد على ثلاث سنوات، قد عادت تلقائياً إلى التقاليد التى كانت الولايات المتحدة قد سارعت عليها منذ نشأتها.وكانت بالتأكيد لا تأسف لقيامها بدور فعال فى الحرب العالمية، ولكنها دهشت من رؤية المقاومة التى أظهرها "شركاؤها" الأوروبيون من وجهة نظرهم، بالنسبة لنقط كثيرة فى أثناء إنعقاد مؤتمر الصلح، ولذلك فإنهم كانوا لا يرغبون فى تحميل مسئوليات مباشرة بالنسبة لتنفيذ المعاهدات، وأقل من ذلك بالنسبة للاحتفاظ بالنظام الدولى. وكان هذا هو معنى النقد الذى وجهه لودج إلى المادة العاشرة من ميثاق عصبة الأمم "فسيكون لملك الحجاز الحق فى أن يطلب إرسال قوات أمريكية لدفع هجمات البدو عنه، وكان جمهور الأهالى يشاركه نفس هذه المشاعر لأنه كان لا يفهم خصومات القارة القديمة، وربما كذلك لأن المحاربين الأمريكيين كانوا قد أصيبوا بخيبة أمل بعد تجاربهم فى أوروبا.

ولكن هذه التيارات العميقة للفكر العام وجدت دعامة قوية لها فى اتجاهات الأحزاب، وفى الإستعدادات الشخصية لرؤسائها السياسيين.

فكان قادة الجمهوريين قد اتخذوا الموقف المعادل لنظرية ويلســون، سواء لأنهم كانوت لا يرغبون فى ترك رئيس من الحزب الديمقراطى يـنم بطابعه الشخصى أمر تسوية الصلح العالمى، ويؤكد نفوذه بهذه الطريقة، أو لأنهم وجدوا أن رفضهم لشعار تقليد العزلة سيجد صدى لدى الرأى العـام. وكانت نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية القريبة تؤثر على مصالحهم بدرجة مباشرة وأكثر من تأثير مستقبل السلام فى العالم، وكم من حـالات مماثلـة يواجهها التفسير التاريخى للعلاقات الدولية؟

ولقد أفاد الخصوم من موقف الرئيس.وكان وودرو ويلسون قد تدخل منذ شهر نوفمبر سنة ١٩١٨م بمناسبة التجديد الجزئـى لعضـوية مجلـس الشيوخ. وفى الحملة الانتخابية. وربط وثيق فيما بين السياسة الخارجية وبين الخلافات الموجودة بين الأحزاب، وكان الجمهوريون قد حصلوا على سـتة مقاعد، أى أنهم قد جعلوا أمر الوصول إلى أغلبية ثلثى الأعضاء، اللازمـة للتصديق على المعاهدة أمراً مستحيلاً. ومع ذلك فإن الرئيس قد استمر فـى طريقه فى مؤتمر الصلح، وأعلن تأكيده فى خطاب ٤ مارس سـنة ١٩١٩م من أنه يستند "إلى الأغلبية الساحقة للشعب الأمريكى" وبالإجمال فإن ويلسون كان قد لعب لعبة معروفة فى تاريخ السياسة الأمريكية الاتجاه إلـى الـرأى العام ضد الرأى العام البرلمانى، ولكنـه زاد بهـذه الطريقـة مـن ثـورة خصومه.ورغم أن هذه الطريقة كانت تعتبر بديلاً، إلا أنه لم يكن له من القوة الطبيعية ما يسمح له بالاستمرار فيها حتى النهاية، ووجد نفسه مواجهاً، وفى شهر نوفمبر سنة ١٩١٩م بتصويت مجلس الشيوخ والـذى اشـتمل علـى الرفض التام للتصديق مع التحفظات أن يحصل على أغلبية الثلثين، إذا مـا نصح الرئيس أصدقاءه الديمقراطيين بالتصويت على قرار لـودج، وإذا لـم يوافق على ذلك فهل كان هذا دليلاً على شعوره بخدش كرامته، وبمحاولـة

النيل من عزمه؟ أو كان ذلك ناتجاً عن عناه الذى إزداد بعد مرضه؟ كثيراً ما وافق الكتاب والمؤرخين الأمريكيين على هذا التفسير، رغم أنه لم يكن مقنعاً، إذ أن ويلسون لم يسر حتى النهاية على سياسة "الكل أو لا شئ" وانتهى بـه الأمر إلى أن يعلن فى ٤ مارس سنة ١٩٢٠م.وبعد تصويت مجلس الشيوخ الأخير، أنه كان من اللازم إما التخلى عن المعاهدة، وإما قبولها بدون إدخال تعديلات عليها تغير من معناها،ولذلك فإنه لم يرفض قبول بعض التحفظات، ولكن تحفظات السيناتور لودج كانت تلغى المادة العاشرة من الميثاق،وهى التى كانت بلا جدال تمثل الجزء الرئيسى من نظام ويلسون. فكيف يمكننا أن ندهش من عدم موافقة الرئيس على مثل هذا الاستسلام؟

رابعاً: العودة للعزلة

بهزيمة ويلسون. ورفض "الحركة الجديدة" و "الدولية". أصبح المسرح مهيئاً لظهور العزلة وسياسة عدم تدخل الحكومة فى الشؤون الاقتصادية، فسيطرت هاتان القوتان عليه طوال عقدين من الزمن. والواقع أن الحزب الجمهورى لم يكن قد اتخذ موقفاً جلياً من "عصبة الأمم" ولكنه بدلاً من ذلك لجأ إلى تمييع بارع للمسألة. غير أن الأغلبية الحاسمة التى فاز بها الحزب فى الإنتخابات سنة ١٩٢٠م، أقنعت معظم الزعماء لاسيما الرئيس "هاردينج" بأن أنصار العزلة هم المعبرون عن رأى الشعب ورفعت رجالاً مثل أعضاء الشيوخ "جونسون" و "بوراه" و "لودج" إلى مراكز ذات نفوذ استراتيجى. بينما اتجهت إلى إضعاف الثقة فى ذوى العقلية الدولية من الجمهوريين أمثال "هيوز" و "روت" و "تالف".وما إن تبوأ الجمهوريين حتى أضفوا على "العزلة" وضعاً رسمياً.

وكان هذا أمراً جديداً فى تاريخ كل من الحزب الجمهورى والأمـــة. فما خذلت الولايات المتحدة فى أى يوم من الأيام آمال الجنس البشرى بمثــل هذا التعنت. بل ان السياسة التقليدية الأمريكية كانت أقــرب علـــى تحقيــق الرجاء فى قيادة عالمية. ولم يكن الحزب الجمهورى التزم يوماً من الأيام قبل بالعزلة. فقد كان "جرانت" ز "سيوارد" يحثان على التوسع فى البحر الكاريبى والمحيط الهادى، ولقد اعتنق "بلين" فكرة الرابطة الأمريكية، وقاد "مــاكينلى" الأمة إلى الحرب من أجل أهل كوبا، وأحرز مستعمرات جديدة فى المحـيط الهادى. ولقد سعى ثيودور روزفلت ليكون للأمة مركز مسيطر فى سياسات النفوذ العالمى. فكان تاريخ الحزب الجمهورى تاريخاً تسوده "الامبرياليــة" و "الدولية".

غير أن الحزب فى هذه الفترة التزم سياسة القومية الضيقة، وتفادى مسئولية من قبيل تلك التى حاقت ببريطانيــا فـــى أواســط القــرن التاســع عشر.ومع هذا فقد كانت العزلة الحقيقية مستحيلة. ولم يكن فى وسع الولايات المتحدة أن تظل بمبعدة عن الأمور الجارية فى أى مكان آخر مــن العــالم. والواقع أن الحكومة فى هذه السنوات من الحكم الجمهــورى اتخــذت دوراً نشيطاً فى الوصول إلى حل لبعض المشكلات البالغة الإزعاج والتى عكرت العلاقات الدولية فبسط الرئيس هاردينج رعايته على مؤتمر لنـــزع الســلاح البحرى، وحصل "كوليدج" على تأييد اثنتين وستين دولة لميثاق باريس، الذى قضى بعدم شرعية الحرب كأداة فى العلاقات الدولية ويرجع مشروع "يــنج" ومشروع "دووس" للتعويضات فى أصلهما إلى الولايات المتحدة.وقد كانــت للرئيس هوفر الصدارة فى اقتراح تأجيل دفع ديون الحرب ولقد حث الرؤساء الجمهوريين على انضمام أمريكا لعضوية المحكمــة العالميــة وإن ذهبــت

محاولاتهم سدى، كما أنهم جميعاً قاموا بخطوات على سبيل التجربة نحو التعاون مع بعض جهود عصبة الأمم.

غير أن كافة هذه المحاولات التى اتجهت إلى نزع السلاح والسلام كانت أخف من أن تتوازن مع كفة العزوف الأمريكى عن العمل الحقيقى للعصبة، والنمو المطرد للقومية الإقتصادية.

والواقع أن العزلة أتت أشد عواقبها فى المجال الإقتصادى. فإن الأمة فى خوفها من المنافسة الأجنبية وتلهفها على الأسواق الخارجية، وإصابتها بفكرة السيادة الاقتصادية المطلقة، أقبلت على سياسة عمادها المذهب التجارى الجديد، وكانت سياسة محملة بالخطر للعالم كله وليس لها وحدها.

ففى سنة ١٩٢٠م اندفع كونجرس يسيطر عليه الجمهوريين إلى إجازة مشروع قانون بتعريفة جمركية للطوارئ تهدف إلى إقامة سياج لحماية المنتجات الأمريكية ضد المنتجات الأجنبية. وأعلن فيها الرئيس ويلسون نقضه هذا القانون، حث على مراعاة الإدارك السليم فى هذا الصدد.ولكن الجمهوريين آثروا تجاهل هذا النص الحكيم، وما أن استولوا على السيطرة الكاملة على الحكم، حتى أصدروا تعريفة "فوردنى ماك كمبر" التى رفعت الرسوم الجمركية إلى مستويات لم يسبقها مثيل، فمنعت دول أوروبا مع بيع سلعها لأمريكا.وبعد ثمانية أعوام كانت الأغلبية القوية لا تزال للجمهوريين، وقد أجازت تعريفة "سموت هولى" وهى أعلى التعريفات فى التاريخ الأمريكى،وقد صدق "هوفر" بالرغم من احتجاج كل اقتصادى ذى شأن فى البلاد تقريباً. ولم تغلق هاتان التعريفتان السوق الأمريكية فى وجه المنتجات الزراعية والصناعية الأوروبية فحسب، بل أفضتا إلى تعريفات انتقامية أغلقت الأسواق الأوروبية فى وجه السلع الأمريكية.

ولم يكن هذا سوى وجه واحد للمسألة الاقتصادية.وكان هناك آخر لا يقل عنه أهمية هو الوجه المالى. فقد شهدت سنوات الحرب وما بعد الحرب تحول الولايات المتحدة من دولة مدينة إلى دائنة.وكانت الحكومة خلال فترة الحرب وإعادة التعمير قد أقرضت الحلفاء والدول المرتبطة بهم حوالى عشرة بلايين من الدولارات، ثم أغدق المستثمرين الخاصون خلال العشرينات عشرة أو أثنى عشرة بليون دولار أخرى على أسواق الاستثمار فى أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.فكيف كان من الممكن رعاية هذه الديون وتسديدها فى النهاية إذا لم تسمح الولايات المتحدة للمدينيين بأن يبيعوا سلعهم؟ لم يكن لدى ساسة الجمهوريين جواب حاضر عن هذا السؤال الوثيق الإرتباط بسياستهم لقد ظلت سياسة الجمهوريين طيلة العشرينات خاضعة لهذين الاعتبارين المتناقضين. فانتهجت الحكومة نحو مديونية العالم الخارجى موقف العناد المتعنت. كان لابد من وجود تنازلات سخية بالنسبة للفائدة، أما بالنسبة لتسديد أصول الدين، فقد كان موقف الحكومة ثابتاً، وقد عبر عنه الرئيس كوليدج بقوله "لقد استخدموا الأموال، أليس كذلك؟" غير أن التسديد كان مستحيلاً مادامت أسوار التعريفة الجمركية الأمريكية قائمة لم تمس. فلم يكن من سبيل فى الواقع لكى تتمكن ألمانيا من الاستمرار فى دفع التعويضات، وللدول الأخرى كى تبتاع سلعاً أمريكية إلا بإمعان فى الإقتراض. وكان نجاح الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧م، وتبنيها الدعوة لنشر الشيوعية فى العالم، والصدام بين روسيا الشيوعية ودول أوروبا، من عوامل الدعوة إلى العزلة فى الولايات المتحدة للبعد عن ذلك الصراع الإستعمارى الأوروبى، ومن ثم ترجمت هذه الدعوة إلى قوانين وافق عليها الكونجرس فى الفترة من ١٩٣٠م إلى ١٩٣٥م حرم أولهما تقديم قروض أخرى إلى البلاد التى لم تنفذ التزاماتها السابقة، والثانى حرم بيع

الأسلحة لكل المعتدين فى حروب أجنبية فـــى المســتقبل، وأعلــن تحــذير للأمريكيين من السفر على سفن أجنبية للمعتدين إلا على مسئوليتهم.

العوامل الداخلية:

أما فى الساحة الداخلية. فقد ابتدأت حكومة "هاردينج" عهد "الوضـــع السوى" وكانت فكرة هاردينج عن الوضع السوى هو العودة إلى أيام "مارك حنا" و "ماكينلى". ولم تكن هذه السياسة عدم تدخل الحكومـــة فـــى الشـــئون الإقتصادية بحذافيرها،وإنما كانت خليطاً موفقاً من سياستين: إحداهما: حرية المشروعات الخاصة من القيود الحكوميـــة، والآخـــر: مســـاعدات ســـخية للمشروعات الخاصة. فتراجعت الحكومـــة عـــن المشـــروعات التجاريـــة والصناعية، ولكن المشروعات التجارية والصناعية تدخلت فى تشكيل معظم السياسات الحكومية.

وكان السجل باهراً فى الناحية الإيجابيـــة. فقـــد قامـــت التعريفتـــان الجمركيتان الصادرتان فى سنتى ١٩٢٢م و ١٩٣٠م ضـــماناً عمليـــاً ضـــد المنافسة الأجنبية. فانهمكت وزارة التجارة بقيادة "هربرت هوفر" الذى لم يكن يعرف الكلل. فى فتح أسواق جديدة فى الخارج، وبررت بذلك التشدق بأنهـــا كانت "أمتن جهاز فى العالم لغزو التجارة الخارجية" أما فى المجال الداخلى، فقد تعاونت الوزارة بهمة فى تنظيم حوالى مائتى جمعيـــة تجاريـــة واتحـــاد للمنتجين (كارتل) أشبه بتلك التى أنشئت فيما بعد، فى عهد "حكومة الإنعاش القومى" وفى هذا قال "هوفر" فى إيجاز بليغ "إننا ننتقل فى عهـــد "حكومـــة الإنعاش القومى" وفى هذا قال "هوفر" فى إيجاز بليغ: "إننا ننتقل من مرحلـــة نشاط فردى للغاية" إلى مرحلة أنشطة متشاركة "فأقر الكـــونجرس إعانـــات مالية سخية للملاحة التجارية ولشركات الطيران التى كانـــت تنقـــل بريـــد

الولايات المتحدة. وتوصلت وزارة الخزانة فى عهد الوزير "أندروميلون" إلى إلغاء ضريببة الأرباح الفائضة، وإلى تخفيضات كبيرة فى الضرائب الإضافية وضرائب الدخول المتوسط العادى وإلى تخفيضات الضرائب العقارية. وكانت النظرية المبرة لهذا أنه سينشط التجارة والصناعة، بيد أنه لسوء الحظ أذكى جنون المضاربة الذى ساد أواخر العشرينات.

وفى الوقت ذاته، كانت سياسة عدم التدخل الحكومى مراعاة بنفس القدر من الإخلاص فأعيدت الخطوط الحديدية. التى كانت الحكومة قد أدارتها بنجاح باهر أثناء الحرب إلى أصحابها بشروط سخية. كذلك أحيل شطر كبير من السفن التجارية التى صنعت أثناء الحرب إلى الشركات الخاصة بأسعار زهيدة لا يكاد يصدقها العقل، وأوقف العمل بقانونى شيرمان وكلايتون لمناهضة"الترستات" فعلاً، اتخذت السلطتان التنفيذية والقضائية موقفاً يعفيهما من المطالبة بأن "تبطلا القوانين الاقتصادية". أما أبرز تعبير لسياسة عدم التدخل الحكومى، فقد جاء مرتبطاً بمشروعات قيام الحكومة بإنشاء وإدارة محطات توليد الكهرباء من القوى المائيةز إذا كان الرئيس ويلسون قد خول الحكومة فى سنة ١٩١٦م إنشاء سدين نهرين عند "مصب شولز" ونهر "لتوليد الطاقة لمصانع النترات" ولقد أصبح التصرف فى هذه المحطات والسدين بعد الحرب موضوع جدل طويل ومريرز فكان المحافظون يرون تحويلها إلى شركات خاصة، وأصر التقدميون بقيادة "جورج نوريس" الجسور عضو الشيوخ عن نيراسكا على استمرار بقائها ملكاً للحكومة وتحت إداراتها. وفى سنة ١٩٢٨م، أقر الكونجرس قانوناً يقضى بأن تديرها الحكومة ولكن الرئيس كوليدج رفض التصديق عليه. واتخذ قرار مشابه فى سنة ١٩٣١م فخذله الرئيس هوفر.

"إننى أعارض بكل حزم دخول المحكمة فى أى عمل تجارى وصناعى غرضه الأكبر منافسة مقصودة.. فإن هذا يقضى على ما لشعبنا من مساواة فى الفرص، وهو إنكار للمثل العليا التى قامت عليها حضارتنا.. وإنى لأجفل من تصور مستقبل نظمنا، وبلادنا إذ لم يعدهم المسئولين فيما هو نشر العدالة والمساواة فى الفرص، وإنما يكرس همهم للمقايضة فى الأسواق، فهذه ليست ليبرالية وإنما هى تحلل".

وكان هذا الاهتمام بالمساواة فى الفرص خليقاً بأن يلقى تكريماً أفضل، لو أن حكومتى هاردينج وكوليدج أظهرتا اهتماماً صادقاً ومعززاً لرفاهية فئات العمال والمزارعينز بيد أن هاتين الحكومتين لم تكونا تهتمان بغير "رجل الأعمال". وكان مفهومهما للتجارة والصناعة ضيقاً. فلم يحظ المزارعون ولا العمال بنصيب من الرخاء المتدفق فى العشرينات. ولقد طرأ انخفاض وجيز وحاد على أسعار المنتجات الزراعية فى سنة ١٩٢١م، ولم تحن أواسط العشرينات حتى بدأ انهيار تدريجى ومتواصل دون ما انقطاع إلى ان بدأ تطبيق وسريان إصلاحات "النظام الجديد". فانخفض الدخل الزراعى فيما بين سنتى ١٩٢٠م و ١٩٣٢م من خمسة عشر بليونا ونصف البليون من الدولارات إلى خمسة ونصف من البليونات. ففى سنة ١٩٢٠م در حوالى ثمانمائة مليون بوشل من القمح ما يقرب من بليون ونصف البليون. بينما در محصول يقل عن ذلك بدرجة ضئيلة ما يقل عن ثلاثمائة مليون دولار فى سنة ١٩٢٣م. ولقد بيعت ثلاثة عشر مليون بآلة من القطن فى سنة ١٩٢٠م بما تجاوز بليون دولار بقليل، بينما بيع نفس المقدار بعد اثنى عشرة سنة بأقل من نصف بليون دولار. ونفس القول ينطبق على معظم المحصولات الأخرى. وظلت الأسعار التى كان المزارع يدفعها لآلاته ومخصباته ومرهوناته منها على ما كانت عليه وتجلت النتيجة فى تصاعد

أرقام تأجير المزارع وبيع المرهون منها لقاء الديون. ولم يحن عام ١٩٣٠م حتى كان ٤٢ فى المائة من مزارع البلاد تدار بواسطة مستأجرين، وكان مجموع المديونية لقاء رهن قد ارتفع فوق تسعة بلايين من الدولارات، في حين أن ما لا يقل عن عشر الممتلكات الزراعية بيع فى المزادات العلنية سنتى ١٩٢٧م، ١٩٣٢م لقاء ديون كانت مرهونة فى مقابلها.

ومع هذا فإن حكومتى هاردينج وكوليدج فى حرصهما على وضع الحكومة رهن المشروعات التجارية والصناعية، أظهرتا فى هذا الموقف عدم اكتراث بالمصالح الزراعية. وكان أول حل من الجمهوريين لمشكلة الزراعة، هو إصدار تعريفة جمركية للمنتجات الزراعية، وأقل ما يقال بصدد هذا الحل أنه لم يكن مناسباً، لأن الولايات المتحدة كانت تصدر من المنتجات الزراعية أكثر مما تستورد، واستخدم الرئيسان حق النقض "الفيتو" لرفض مقترحات سليمة كانت تدعو إلى مساعدات مالية وإشراف على المحصولات، برغم أنها كانت مقترحات مؤيدة من الهيئات الزراعية. وقبل فوات الفرصة أنشأ الرئيس هوفر مجلساً زراعياً مجهزاً بسلطة واعتمادات لمساعدة التسويق المنسق للمحصولات . ومع أن هذا حقق بعض الخير فإنه لم يكن كافياً.

ولقد كان عهد "الوضع السوى" هذا فترة خمول ورتابة لم تخفف منهما سوى فضائح هاردينج المثيرة، والمعارك الحزبية المهلكة التى تخللت فترتى حكم هوفر. وما كانت حكومة الولايات المتحدة من قبل إدارة فى أيدى الجماعات ذات النفوذ بعلانية أكثر جرأة منها إذ ذاك، فنادراً ما خضعت إدارة شؤون الدولة لحكم الاعتبارات السياسية إلى هذا الحد من عدم التحفظ، لقد كان "وارين جى هاردينج" عضواً بمجلس الشيوخ عن ولاية أوهاويو، أمتاز باللطف ولكنه كان ضعيفاً. وقد رشح للرئاسة لمجرد أن أحد لم يعرف

عنه ما يعيبه، وتم انتخابه لأن البلاد كانت قد سئمت المثالية الويلسونية. وكان انصياعه السهل لاستغلال المصالح التجارية والصناعية الكبرى للحكومة، وتسامحه إزاء الفساد الشنيع خلال العامين ونصف العام التي تولى فيها المنصب محققين لآمال أولئك الذين كانوا يتطلعون إلى إنهاء المثالية. وكان كالفين كوليدج الذى خلقه سياسياً محدوداً للغاية، غشيماً غير واسع الأفق مقلا فى الكلام والآراء مكرساً جهوده للإبقاء على الوضع القائم شديد التوجس من الليبرالية فى أى أشكالها. أما هربرت هوفر الذى تولى الرئاسة فى سنة ١٩٢٩م فكان ذا مقدرة تفوق ما لسلفية بكثير، وذا شهرة كأدارى كفء ورجل حكم ذا عقلية دولية، ومصلحاً اجتماعياً عظيماً ولكنه فقد كل هذه الصفات فى أربع سنوات وعمد إلى ارتكاب أخطاء فى الحكم على الأمور أشد خطراً مما ارتكب أى رئيس منذ عهد جرانت.

الكساد الاقتصادى الكبير:

تولى هربرت هوفر الحكم فى ظروف مواتية تفوق تلك التى رافقت أى رئيس للجمهورية بعد "تافت". فقد كانت كل المظاهر توحى بأن البلاد لم تكن أكثر رخاء ولا كان المجتمع أكثر ازدهارا عما كانا إذ ذاك. كانت الأوراق المالية قد ارتفعت إلى مستويات شاهقة، فكان مئات الملايين من الدولارات تدفع شهرياً من سندات وأسهم جديدة، من المستثمرين الطامعين فى أن يشتركوا فى اللعبة الجديدة، لعبة تكوين ثروة من لا شئ. ولم تعد المصانع قادرة على أن تنتج من السيارات، والبرادات (الثلاجات)، والمذيعات (الراديو) والمكانس الكهربائية، والمواقد البترولية ما يلاحق الطلب على الأجهزة الجديدة. وأخذت السكك الحديدية ترزح بأحمالها، وبرزت مئات الآلاف من المنازل الجديدة فى خليط عجيب من الأطرزة:

طراز عهد الاستعمار، والتيودورى، والقـوطى، والأسـبانى، والمكسـيكى والمستحدث فى ضواحى المدن الكبرى أو فى مدن الصناعات الجديدة فـى الجنوب والغرب واكتظت الكليات ودور السينما، وأصبح تزويد الرجال بسلع الأناقة والنساء بمعاجين التجميل تجارة كبيرة بينما ارتقـى الإعـلان مـن مستوى مهنة تجارية إلى أعلى المستويات كعلم وفنز وفى كل يوم أخذ يظهر تحسين تكنولوجى جديد ورائع أو تقدم علمى مطمئناً على أن ثمـة أزمـان أحسن وأفضل فى الطريق. كان هذا هو "العهد الجديد"، وإذا كان المزارعون أو العمال غير المهرة لم يحظوا بنصيب من خيراته، فقد كان هذا مقدراً لهم فى وقت لاحق. وكان من المناسب أن يأتى استهلال ذلك "العهد الجديد" على يدى رجل كسب شهرته بوصفه مهندساً وأثبت أنه مصلح اجتماعى، وكشف عن فهمه للحضارة القائمة على التجارة والصناعة بخدماته الجليلة وهو وزير للتجارة. ولقد قال هوفر مزهواً: "إننا فى أمريكا أقرب إلى الانتصار النهائى على الفقر مما كان سوانا فى أية بلاد، فى أى وقت سابق من التاريخ". ولقد كان كل أمرئ تقريباً يتوقع أن يحتفل هوفر نفسه بهذا الانتصـار النهـائى" ولكن القدر كان قاسياً.

ذلك أن انهيار أكتوبر سنة ١٩٢٩من جاء بفجاءة دراميـة ومثيـرة، ففى الرابع والعشرين منه، انتقلت ملكية ما يزيد على أثنتى عشر مليوناً من الأسهم من يد إلى يد فى إقبال محموم على البيع. وفى التاسع والعشرين منه جاءت الطامة. وخسرت الأسهم المتينة المكانة كأسهم "أمريكان تليفون آنـد تليجراف" و"جنرال اليكتريك" و "جنرال موتورز" ما بين مائة ومائتى بنط فى أسبوع واحد. ولم تحن نهاية الشهر، حتى كانـت خسـارة حملـة الأسـهم المحسوبة قد تجاوزت ١٥ بليون من الدولارات. ولم تحن نهاية العام حتـى كان الانكماش فى قيمة الأوراق المالية من كافة الأنواع قد بلغ مبلغاً خيالياً

قدره أربعون بليوناً من الدولارات وخسر ملايين المستثمرين مدخرات أعمارهم بيد أن دراما الكساد الإقتصادى لم تتوقف عند هذا الحد، فإذا دور الأعمال تغلق أبوابها. والمصانع تتوقف عن العمل. والمصارف تهبط إلى الحضيض وملايين المتعطلين يذرعون الشوارع بحثاً عن عمل. وفقدت مئات الآلاف من العائلات بيوتهان وهبط تحصيل الضرائب إلى الدرجة التى عجزت عندها المدن والمقاطعات عن دفع رواتب المدرسين. وتوقفت أعمال الإنشاء والبناء تماماً وتقلصت التجارة الخارجية التى كانت قد أضيرت من قبل إيما ضرر إلى درك لم تنحدر إليه من قبل.

ما أسباب هذا الفراغ والكساد الطويل الذى أعقبه؟ ليس من المقنع ولا من المفيد القول إن ذلك الكساد جزء طبيعى من الدورة التجارية، وإن كان هذا صحيحاً إلى قدر كبير عندما تعاف الحكومة التدخل للسيطرة على جموح المشروعات الفردية. ففى حالة فزع عام ١٩٢٩م كانت ثمة عوامل من الواضح تماماً أنها أفضت إلى الانهيار. وأول كل شئ أن الطاقة الإنتاجية للأمة كانت أعظم من طاقتها الاستهلاكية. وكان هذا راجعاً إلى حد كبير إلى أن قسطاً من الدخل القومى أكبر مما ينبغى أخذ يتجه إلى نسبة ضئيلة من السكان الذين كانوا يحولونه على الفور إلى مدخرات أو إلى الاستثمار، بينما كان نصيب طبقات العمال والمزارعين والمستخدمين من الدخل غير كاف، فى الوقت الذى كان نظام المشروعات يستند إلى مقدرتهم المستمرة على الشراء. وكان ثان العوامل أن سياسات الحكومة فيما يتعلق بالتعريفة الجمركية وبديون الحرب اقتضت بدرجة كبيرة السوق الخارجية للسلع الأمريكية، فلما حدثت الضائقة الاقتصادية التى سادت العالم فى أوائل الثلاثينات، انهارت تلك السوق. وكان ثلث العوامل أن سياسات الائتمان السهل كانت قد أفضت إلى توسيع مشتط فى الإقراض. وتوسع هائل فى

الشراء بالنسيئة (التقسيط) وإلى مضاربات جامحة وقد بلغ مجموع الـديون الحكومية والخاصة ما بين مائة بليون ومائة وخمسين بليوناً من الدولارات، كما أن المضاربة دفعت الأوراق المالية والعقارات إلى أبعـد مـن قيمتهـا الحقيقية. وأخيراً فإن الكساد الزراعى المطـرد والبطالـة المسـتمرة فـى الصناعة، والإتحاد المتواصل نحو تركيز الثروة والنفـوذ فـى كثيـر مـن الشركات الكبرى، أدت إلى اقتصاد قومى غير سليم فى جوهره.

ومهما تكن الإيضاحات، فلم يلبث أن أتضح أن الأمة فى قبضة أشد كساد مدمر فى تاريخها، فإن الفزع عام ١٨٣٧م استمر ثـلاث سـنوات أو أربعاً، وفزع عام ١٨٧٣ امتد إلى خمس سنوات، كما أن كساد سنة ١٨٩٣م الفظيع انتهى فى ربيع سنة ١٨٩٧م. فى حين أن فترات الفزع الاقتصـادى فى أعوام ١٩٠٤م و ١٩٠٧م و ١٩٢١م كانت قصيرة الأجل. بيد أن الكساد الكبير فى سنة ١٩٢٩م استمر قرابة عقد كامل. فلم يسبقه مثيل فـى طـول الأمد، وفى الفقر الشامل والمأساة التى صبها على المجتمـع. كـذلك كـان يختلف فن نوبات الكساد السابقة فى ناحية أخرى إذ من الواضح أنه كـان نتاج الوفرة لا العوز. كان مثالاً أكمل من أى كساد آخر لانهيار نظام توزيع الثروة وتوزيع وفشل قيادة التجارة والصناعة.

وما دام الكساد لم ينبعث عن أسباب طبيعية، وإنمـا عـن أسـباب مصطنعة، فإنه كان يدعو بإلحاح إلى تصرف حكومى نضالى. بيد أن هذا لم يحدث إذ أن الرئيس هوفر كان "كملايين غيره" يؤمن بقوى الإنعاش التلقائية فلم يستبعد تماماً التزام الحكومة بالتصرف، بيد أنه ظل مؤمنا بـأن النجـدة كانت مهمة المبرات الخاصة والحكومات المحلية وحدها. وقد قال فى هـذا " علينا كأمة أن نصد الجوع والبرد عن أولئك الذين يعانون الضائقات الحقـة

من شعبنا" بيد أنه كان يرفض فى إصرار المشروعات الموضوعية للإغاثة القومية المباشرة للمتعطلين والمتضررين جوعاً. وانتهج من البداية سياسة التهوين من مدى الكساد، فلما لم يعد هذا ممكناً أعتنق نظرية أن الرخاء "قريب لا ريب فيه". وفى الناحية الإيجابية قنعت حكومة هوفر بسلسلة من العلاجات النوعية الجزئية: برنامج لإنشاء الطرق والبنايات العامة والخطوط الجوية، واعتماد ٣٠٠ مليون دولار للقروض الزراعية، وقانون "جلاس ستيجال" لتوسيع التسهيلات الإئتمانية فى نظام الاحتياطى الفيدرالى، وفوق كل هذا إنشاء شركة لتمويل التعمير مع بليونين لإقراض المصارف والسكك الحديدية وشركات التأمين والمؤسسات الصناعية.

ولكن هذه الإجراءات لم تكن كافية لسوء الحظ، فأخذ الموقف ينحدر من سيى إلى أسأ بإطراد. ولم تحن سنة ١٩٣٢م حتى كان عدد المتعطلين قد تجاوز إثنتى عشر مليوناً، وحتى أغلق ما يزيد على خمسة آلاف مصرف أبوابها، وبلغت الإفلاسات التجارية إثنين وثلاثين ألفاً، وهبطت أسعار المنتجات الزراعية إلى أدنى مستوى فى التاريخ. وتعرضت الطبقة الوسطى لخطر الزوال، وهبط الدخل القومى من أكثر من ثمانين بليوناً فى سنة ١٩٢٩م على أربعين بليوناً، وبدأ الإقتصاد القومى للبلاد بأكمله يتصدع ويتحلل، وصار الشعب فى حالة نفسية بشعة.

والأمريكيون ليسوا ميالين للثورة، لذلك تطلعوا فى هذه الأزمة نحو قيادة مختلفة بأمل. وكان فريق من التقدميين الجمهوريين قد هاجموا بقيادة الشيوخ نوريس، ولافولييت، وكوستيجان وكيتنج سياسات هوفر، ولكنهم لم يكونوا من المقدرة بدرجة تمكنهم من انتزاع السيطرة على الحزب من المحافظين، ودعت الضرورة البلاد إلى التطلع إلى الديمقراطيين من أجل

الخلاص. وفى سنة ١٩٣٠م فاز الديمقراطيون فى انتخابــات الكــونجرس بأغلبية ساحقة، ولم يفد محافظوا الحزب الجمهــورى مــن دروس الكســاد، فأعادوا ترشيح الرئيس هوفر فى تحد.. وعاد هوفر يهيــب بـــ "الفرديــة الخالصة" لحل الأزمة القومية. وقدم الديمقراطيين "فرانكلين دى. روزفلت" ذا الشخصية الفائزة التحمس، الشديدة الجاذبية، وكان كمحافظ للامبايرستيت قد كشف عن شخصية واسعة الحيلة، جسور، وعن أنه زعيم ومصلح إنســانى وسياسة داهية، وقد وعد الأمة بـــ "نظام جديد". وفى انتخابات نوفمبر شــق روزفلت طريقه مظفراً إلى "البيت الأبيض" على سيل جارف من أغلبية شعبه بلغت سبعة ملايين من الأصوات.

الفصل الثامن

الولايات المتحدة الأمريكية
والحرب العالمية الثانية
فرانكين روزفلت والنظام الجديد

وقفت الديمقراطية الأمريكية دواماً فى الإهتداء إلى قادة عظام فـــى أوقات الأزمات الكبرى. ولقد كان الاختيار مبنياً على منطق ومقصود. كمـــا فى حالة "واشنطون".وفى أوقات أخرى كان الاختيار مصـــادفة. كمـــا فـــى حالات "لينكولن" و "تيودور روزفلت" و "ويلسون".وليس من الممكـــن بـــأن "فرانكلين روزفلت" كان كما كان غير معـــروف عنـــدما انتخـــب لرئاســـة الجمهورية. بل من الجائز أن تؤكد أن فئة قليلة من الذين منحوه أصـــواتهم والأمل يحدوهم. كانوا يدركون أنهم أوتوا فى شخص "روزفلت" زعيماً كان فى الدفاع عن الديمقراطية والقومية ندا "لينكولن" وفى القيـــادة نحـــو نظـــام عالمى أفض كان رصيفاً لويلسون.

وكانت الحاجة تدعو إلى ذلك "النظام الجديد" من أمد طويـــل. إذ أن رجال السياسة كانوا قد قضوا ما يزيد على عقـــد مـــن الـــزمن، بـــأوراق مغشوشة، وقد جمعت المشروعات التجارية والصناعية كل المكاسب تقريباً. ولقد اعتزم روزفلت أن يعيد قواعد اللعب الديمقراطى. وبدأ "النظام الجديـــد" لكثير من المعارضين بمثابة ثورة. والواقع انه كان نظاماً محافظاً إلى حـــد بعيد، محافظاً بالقدر الذى كانت به للديمقراطيـــة الجيفرســـنية والويلســـونية محافظة. كان يهدف إلى حماية الضرورات الجوهرية الديمقراطية الأمريكية

من العنف الصادر عن اليسار أو عن اليمين. إلى صون الموارد الطبيعية والبشرية.. إلى حفظ التوازن فى المصانع فى ظلال الدستور، والأمن والحرية.

كان "النظام الجديد" من ناحية الفلسفة ديمرقراطياً. ومن ناحية الأسلوب ثوريا. ولما كانت الإصلاحات التشريعية قد احتجزت خمسة عشر عاماً. فإنها لم تلبث أن تفجرت على البلاد بما بدا أنه عنف غير أنه اتضح حين هدأت المياه أنها تسير فى قنوات مألوفة فكانت سياسة صيانة الموارد فى "النظام الجديد" قد بدأت على يدى "تيودور روزفلت". وكانت قوانين تنظيم السكك الحديدية و"الترستات" ترجع إلى الثمانينات من القرن التاسع عشر، وكانت بعض الإصلاحات المصرفية والنقدية قد أنجزت على يدى "ويلسون". أما برنامج الإغاثة الزراعية فقد استعار الكثير من "الشعبيين".واستعار تشريع العمالة الكثير من إجراءات تطبقها ولايات مثل ويسكونس وأوريجون. بل إن الإصلاح القضائى الذى أثار ضجة عاتية. كان مما تطلع إليه لينكولن وتيودور روزفلت. وفى مجال العلاقات الدولية كانت سياسات "النظام الجديد" استطرادات واضحة للسياسات التقليدية الرامية إلى تدعيم المن القومى والحفاظ على حرية البحار. ومساندة القانون والسلام والدفاع عن الديمقراطية فى العالم الغربى.

تطبيق "النظام الجديد":

كان الكساد الإقتصادى فى دركه الأسفل عندما تولى فانكلين روزفلت الحكم فى ٤ مارس سنة ١٩٣٣م، وكان النظام الاقتصادى للبلاد على شفا الانهيار التام، وتصدى روزفلت للأزمة بجرأة وحمية. وقبل أن تنتهى مدة

حكمه الأولى كان قد دفع إلى حيز الوجود بمجموعة من التشـريعات أكثـر تنوعاً وأهمية مما صدر عن أى واحد من سابقيه منـذ "واشـنطون" وكـان "النظام الجديد" الذى أتاحته حكومة روزفلت للبلاد مكونـاً مـن إجـراءات للإنعاش والإغاثة من ناحية ومن إجراءات للإصلاح مـن ناحيـة أخـرى. والواقع أن كثيراً من الإجراءات يجمع بين الغرضين، فليس مـن الممكـن باستمرار تعيين حد فاصل بين إنتهاء الإنعاش وبداية الإصلاح. ففى مجـال الإغاثة ساعدت حكومة المشروعات التى برحت بهـا الضـائقة. بقـروض اتحادية سرعان ما وصلت إلى بلايين من الدولارات.ولقـد أرسـت دعـائم برنامج واسع الإنفاق على الإنشاءات العامة ولإقراض مشروعات الإسكان. والطرق، والجسور والتحسينات المحلية، لكى تنشط التجارة والصناعة وتوفر العمالة. وقد أنشأت نظماً فضفاضة لإغاثة المتعطلين. فلم تحن سنة ١٩٤٠م حتى كانت قد أنفقت حوالى ستة عشر بليوناً من الدولارات علـى الإغاثـة المباشرة، وسبعة بلايين أخرى على مشروعات عامة متباينة. كما أنها بدأت برنامجاً واسع المدى للحفاظ على الموارد الطبيعية، كان من أدواته الرئيسية "فيلق الصيانة المدنى". الذى أتاح عملاً لحوالى ثلاثة ملايين مـن الشـباب. ولقد خفت لمساعدة السكك الحديدية. وحققت تـدعيم التسـهيلات، ومولـت تحسينات تأخرت كثيراً عن موعدها وبفضل الرعاية الاتحادية لمشـروعات التأليف، وللمسارح والفرق الموسيقية والزخرفة وزينـة البنايـات العامـة، ساعدت الحكومة الكتاب والفنانين والموسيقيين على الذين عضتهم الضائقة، وبهذا أثرت الحياة الثقافية للأمة بدرجة كبيرة.ولقد كان كثير من الإصلاحات الطويلة المدى فى الزراعة والصناعة مرسوماً كذلك للإغاثة السريعة.

وكان من الطبيعى أن تحدث أخطاء بعضها خطير. فقد أثبتت "إدارة الإنعاش القومى" فمثلاً حتى قبل أن تقضى عليها المحكمة العليا فـى سـنة

١٩٣٥م. ولم يؤد تخفيض الدولار إلى رفع الأسعار، وهو غايته الرئيسية بدرجة تذكر. ولقد بددت كثير من الأموال دون جدوى، ونما الدين القومى بمعدل سريع. كما اتسمت الحكومة بكثرة المنازعات الداخلية فيها، بيد أن السجل العام للنظام الجديد كان طيباً.

وفى اتجاه الإصلاح الدائم. اتجه نظر الحكومة إلى العمليات المصرفية وتوليد الطاقة من القوى المائية، والزراعة، والعمالة. والتأمين الإجتماعى، والتشريع السياسى. فأغلق "النظام الجديد" المصارف، ثم أعاد فتحها تحت أشد رقابة وبضمانات حكومية للودائع المصرفية. ولقد هجر قاعدة الذهب وخفض قيمة الدولار لتحقيق تضخم معتدل وتحت سيطرة موجهة،وبذلك رفع أسعار السلع. وأقام رقابة دقيقة على بيع الأسهم والسندات وغيرها من الأوراق المالية. كما أنه كسر شوكة الشركات الكبرى التى كانت تفرض سلطاتها على شركات أخرى. والتى كانت قد ظفرت بسيطرة على قطاع كبير من عمليات إمداد البلاد بالإنارة الكهربائية، والتى ما كانت تدار فى كثير من الأحيان إلا لمنفعة فئة قليلة من المهيمنين عليها. كذلك وضع مجموعة من القوانين بقواعد عادلة لممارسة التجارة والصناعة. ترمى إلى القضاء على المنافسة المتلاقة. ورفع الضرائب على دخل الأغنياء والشركات. وسد ثغرات التهرب فى القوانين الضريبية، وبدد كثيراً من الارتباك الذى طال وجوده بالنسبة إلى السياسات الضريبية لحكومات الولايات والحكومات الاتحادية.

إعادة انتخاب روزفلت: انصراف جديد إلى الإصلاح

فى أواخر الحملة الإنتخابية لرئاسة الجمهورية فى سنة ١٩٣٦م. تنبأ "جيمس ايه. فارلى" المؤيد المتحمس لروزفلت. بأنه سيفوز بأصوات جميع

الولايات ماعدا "مين" و "فيرمونت" وقد تحقق تفاؤله. ففى تنافس مع حــاكم لولاية كنساس جدير بالاحترام،ولكنه بدون لون سياســى هــو "الفريــد أم. لاندرون" فاز روزفلت بأكبر أغلبية شعبية فى التاريخ إذ نال ٢٧,٤٨٠,٠٠٠ صوت فى مقابل ١٦,٦٧٥,٠٠٠ نالها "لاندون" وأحرز فى المجمع الانتخابى ٥٢٨ صوتاً فى مقابل ٨ لمزاحمه. وكانت متانة مكانة الرئيس فــى المــدن بارزة بوجه خاص، كما أن الولايات العشر التى تضم أكبر إثنى عشر مدينة فى الدولة أوشكت أن تسيطر على أى انتخاب قومى. ولم يهــزم روزفلــت الجمهوريين وحدهم، بل إنه هزم مجموعة كانت تسمى "رابطــة لينكــولن" ضمت المحافظين الديمقراطيين من أمثال "جون دبليو. ديفز" و"الفريــد إى. سميث".

ولقد أعلن روزفلت فى آخر خطاب مهم فى حملتــه الانتخابيــة، أن قوى رجعية شديدة البأس كانت تحاول أن تعيد إقامة حكومة "لا أســمع ولا أدرى، ولا أفعل شيئاً" وقال: "أنهم على قلب رجل واحد فى كراهيتهم لى... وأننى لأرحب بكراهيتهم". وكان من الصحيح أن الجماعات التى تخصصت فى الكراهية والتحامل، والزعماء الذين كانوا يدعوا إلى العاطفة بــدلاً مــن العقل والمنطق، قد احتلوا مكانة بارزة مثيرة للجزع فى البلاد،وقــد خلقــتهم الآلام التى ترتبت على الكساد والإغراء الطبيعى المــوحى بتجربــة ألــوان العلاج الشاملة لكافة العلل، وإنفعالية أشد المؤيدين بل واشــد المعارضــين، لإجراءات روزفلت الكاسحة، والمخاوف من أى تغير مقبل. وكــان لمنظــر الاضطراب والقلاقل فى الدنيا القديمة نصيب فى ذلك فقد شهد عام ١٩٣٦م عدواناً يابانياً ضد الصين، وقيام الحرب الأهلية الأسبانية.

وكانت إحدى الجماعات المتطرفة، وهى جماعة "مجتمع المشاركة فى الثروة" التى أنشأها "هيوى لونج" تمثل اختلاجة احتضار. إذ كان "لونج" أول حاكم للويزيانا، ثم عضو مجلس الشيوخ قد اغتيل فى خريف سنة ١٩٣٥م. فانتهى بذلك خطر قيام نظام حكم سبه فاشى فى الولاية. ولقد تمسكت فئة ضئيلة من أتباعه بآرائه الغوغائية، واشتركت مع الجماعتين اللتين كانتا تحت قيادة دكتو "فرانسيس تاونسيند" والأب "تشارلز كوغلين" فى طرح قائمة للمرشحين فى انتخابات سنة ١٩٣٦م، تصدرها "ويليم ليمك" نائب داكوتا الشمالى، وكان "تاونسيد" قد ابتكر مشروعاً لدفع معاشات متغيرة لكل أمرئ بلغ الستين من العمر أو تجاوزها، أما "كوغلين" فقد استخدم الإذاعة فى الدعوة إلى العزلة وكراهية الدول الأجنبية أو عدم الإطمئنان إليها. وعندما اخفق مجموع الأصوات التى نالها "ليمك" فى بلوغ ٩٠٠,٠٠٠، تمزقت منظمته المتعددة الألوان، ولقد كان هو شخصياً مثل الدكتور تاونسيند حسن المقصد، غير مؤذ فى جوهره. بيد أن هذا لا يمكن قوله عون "كوغلين" أو الإنتهازى "جيرالدكيه. سميث"، وهو قس من لويزيانا، أعتنق قسطاً من أسوأ أراء "لونج". أما "رابطة الحرية"، فإن استخدام هربرت هوفر إياها للنيل بعنف من سياسات روزفلت ساعد على إفقادها ثقة الناس، ثم قضت عليها الإنتخابات.

ومن الطبيعى أن فوز روزفلت الساحق فى عام ١٩٣٦م منح حكومته اعتداداً ذاتياً متزايداً كان سير الأحداث فى داخل البلاد وخارجها يبلور تغيراً فى السياسة. وكانت أولى الملابسات القاسية للكساد فقد انقضت فأصبح بوسع الحكومة أن تمنح الإصلاح منفصلاً عن الإنعاش مزيداً من العناية، وقد اضطرتها القلاقل العالمية إلى أن تنهج سياسة خارجية أكثر فاعلية ونشاطاً.

وقد اهتم بالميادين الأربعة الكبرى للنظام الجديد، الزراعة، والعمل والتأمين الاجتماعى، والإدارة الحكومية. فكانت الغايات فى الزراعة هى رفع أسعار السلع إلى مستوى ما قبل الحرب العالمية، وتخفيض الإنتاج الزراعى إلى الحد الذى يمكن عنده تقليل الفائضات المسببة للتلف، وتشجيع الحفاظ على خصوبة التربة، وزيادة تيسير القروض للمزارعين، وإنقاذ المزارعين المستأجرين للأراضى والمزارعين فى الأراضى الحدية. وفتح أسواق جديدة فى الخارج وفى الداخل للمنتجات الزراعية.وقد حققت كل هذه الغايات إلى حد كبير، فصدر فى سنة ١٩٣٣م قانون التعديل الزراعى، بغية التخفيض الاختيارى لإنتاج بعض محصولات رئيسية معينة. فى مقابل مساعدات مالية من الحكومة.وقد أبطلته المحكمة العليا بعد ثلاث سنوات، وإذ ذاك أقر الكونجرس قانوناً ثانياً أفضل للإعانة الزراعية. وقد نص على أن تقدم الحكومة مبالغ من المال للمزارعين الذين يخصصون جزءاً من أرضهم لمحصولات تبقى على التربة.ولم يحن عام ١٩٤٠م حتى كان ستة ملايين من المزارعين قد انضموا إلى هذا البرنامج، وأخذوا يتلقون إعانات مالية زاد متوسطها على مائة دولار لكل مزارع، كذلك نص القانون الجديد على قروض سليمة على فائض المحصولات، وتيسيرات فى التخزين لضمان "مصدر كاف باستمرار للقمح" مع التأمين على القمح. وقد أفلح التناقض فى إنتاج المحصولات الرئيسية المترتب على هذه السياسة وفتح أسواق جديدة فى رفع أسعار السلع الزراعية:فلم يحن عام ١٩٣٩م حتى كان الدخل الزراعى يفوق ضعف ما كان فى سنة ١٩٣٢م.ويسرت "دائرة ائتمان زراعى" القروض بمعدلات أسمية للفائدة. وتولت "دائرة الضمان الزراعى" تمويل عملية تمليك المستأجرين لأراضى واستصلاح المزارع الحدية.

ومن "النظام الجديد" فى ميدان العمالة، مجموعة من القوانين التى تؤدى إلى عهد جديد. فحاول قانون الإنعاش القومى فى سنة ١٩٣٣م نشر العمل، وتقصير ساعاته، ورفع الأجور، وإنهاء تشغيل الأطفال، كما كفل المساواة الجماعية، وحرم العقود الخارجة على نقابات العمال،ولقد أبطلته المحكمة العليا فى سنة ١٩٣٥م، بيد أن مواده نقحت فى قانونين أساسين عظيمين: قانون واجنر لسنة ١٩٣٥م،وقانون مستويات عادلة للعمل فى سنة ١٩٣٨م. فقد كفل قانون واجنر للعمال حق المطالبة والمساومة عن طريق نقابات من اختيارهم هم، وحرم على أصحاب العمل التفرقة التى تغبن أى عضو نقابى، وأقام مجلساً لعلاقات العمل لفض كل النزاعات العمالية. ولقد أثار القانون معارضة عنيفة، بيد أنه منح العمال معاملة أفضل مما حظوا بها فى أى وقت سابق. فتجددت حيوية "إتحاد العمل الأمريكى" تحت رعايته وظهر إلى الوجود تنظيم جديد وقوى النشاط للعمال. هو "مؤتمر التنظيم الصناعى". وقد بعث مؤتمر التنظيم الصناعى هذا النقابية الصناعية التى كانت فيما مضى لفرسان العمل، وافلح فى تنظيم عمال الصلب والنسيج والسيارات وغيرها من الصناعات التى كانت منيعة على الحركة النقابية.ولم يحن عام ١٩٤٠م حتى كان عدد أعضاء النقابات قد إزداد إلى تسعة ملايين.ولم تحن نهاية الحرب حتى كان العدد قد بلغ خمسة عشر مليوناً تقريباً. أما قانون مستويات عادلة للعمل فكان المقصود به وضع حد أعلى لساعات العمل وحد ادنى للأجور. فحدد أربعين ساعة كحد أدنى أسبوعى سوى، وأربعين سنتاً للساعة كحد أدنى سوى للأجر، وقدر لتحديد الساعات أن يظل على حاله إلى الجيل التالى، أما الحد الأدنى للأجور فأخذ يرتفع باطراد كذلك حرم القانون تشغيل الأطفال فى صناعات مشتركة فى التجارة بين الولايات.. وهو تحريم ابقت عليه المحكمة العليا لحسن الحظ.

ومن التشريعات ذات الأهمية الجوهرية كذلك، تشـريع لحمايـة المتعطلين والمسنين والعجزة، وكانت هذه الأمور قد تركت حتى ذلك الحين للولايات. فسنت بعض الولايات قوانين بمشروعات كافية لتـأمين البطالـة ومعاشات الشيخوخة. بيد أنه كان من الواضح أن الولايات كانت عاجزة عن أن تعالج المشكلة بمفردها، إذ أنها كانت مشكلة قومية فـى أبعادهـا. فسـن الكونجرس فى سنة ١٩٣٥م، بإلحاح من الـرئيس مجموعـة مـن قـوانين الضمان الإجتماعى. توفر معاشات للمسنين، وتأمينات للبطالة، وإعانات مالية للعميان، وللأمهات غير العاملات، وللأطفال الكسيحين، واعتمادات لخدمات الصحة العامة. وكان على أصحاب العمل أن يوفروا جزءاً مكن تمويل هـذه البرامج، وعلى العمال توفير جزء آخر على أن تـديرها الولايـات تحـت إشراف الحكومة الاتحادية.وسرعان ما ظفر برنامج الضـمان الاجتمـاعى بتأييد شامل، بالرغم من المعارضة الأولية الواسعة النطاق. وقد زيد سـخاء مواده ووسع مجاله فى السنوات التى تتابعت بعد ذلك.

وقد كان من أهم منجزات "النظام الجديد" إنشاء "هيئة وادى تنيسى" لتنمية موارد حوض من أكبر أحواض الأنهار الداخلية فى البلاد. عن طريق استخدام السدود التى تمتلكها الحكومة لتوليد الطاقة الكهربية. وعن طريـق برنامج واسع للإصلاح الإقتصادى والزراعى. وقد أردف هـذا المشـروع الجرئ البالغ النجاح مشروعات مشابهه.وإن كانت أقل طموحاً، فى الغـرب الأقصى، واقتبس على نطاق واسع فى الخارج.

وأخيراً أدخلت حكومة روزفلت إصلاحات مهمة وبعيدة المدى على الجهاز الإدارى فأعيد تنظيم الشعبة التنفيذية التى كانت قد نمـت عشـوائياً وبدون تنسيق، والتى اتسمت بعدم الكفاءة وبالإسراف تنظيماً جزئياً وإن ظل

ثمة الكثير الذى لابد من إصلاحه. ولعل أهم إجراء لإصلاح الخدمة المدنية منذ قانون الإصلاح الأصلى الصادر فى سنة ١٨٨٣م، هو قانون "هاتش" لسنة ١٩٣٩م، وقد حرم على المستخدمين الحكوميين "الأنشطة السياسية الضارة" ووجه الضربات إلى فساد الأحزاب السياسية وشططها. وفى سنة ١٩٣٧م. اقترح الرئيس مشروعاً لإصلاح المحكمة العليا، إذ أقلقته أعمق القلق سلسلة القرارات التى لم يسبقها مثيل. والتى كانت تلغى معظم إجراءات "النظام الجديد".وكان أسلوبه هو تحقيق تقاعد القضاة المسنين،وتزويد المحكمة بدم جديد، بغية إقناع المحكمة بالعودة إلى التقليد العظيم الذى وضعه "مارشال" و "ستورى" و"هولمز"... تقليد تفسير الدستور على أنه أداة مرنة للحكومة وليس حاجزاً فى طريق المحكمة بدأوا فى تلك الأثناء يتغيرون، ولم يطل الوقت حتى أخذوا ينظرون نظرة أكثر استنارة إلى التشريعات التى يصدرها فرعاً نظام الحكم الآخرين، المساويان للقضاء، والمستقلان عنه. فعكست معظم قراراتها السابقة التى كانت تشل الحكومة، وإذا الجدل الكبير الذى أثاره روزفلت بصدد المحكمة، وان أنتج كثيراً من الارتباك والسخط. ينهى إلى خطوة نحو تلقين الأمة الطابع الحقيقى المميز للنظم الدستورى الأمريكى، وحمل المحكمة على أن تبدى احتراماً أكثر واقعية للنصوص الدستورية القاضية بفصل سلطات الحكم الثلاث وتساويها، وان تتكيف مع الديمقراطية الأمريكية.

شبح الحرب:

قطع صخب الشؤون استرسال البرنامج الداخلى لروزفلت على نحو مزعج كما حدث لبرنامج ويلسون. وقبل أن يقطع شوطاً فى فترة حكمه الثانية. كان قد اتضح أن المشكلات الدولية خليقة بان تتقدم على المشكلات

الداخلية. كان نظام الأمن الجماعى الذى وضعه الرئيس ويلسون وهم مفعم بالأمل، قد تصدع إبتداء من العشرينات، وواصل تصدعه فى الثلاثينيات دون علاج شاف. ولابد من أن تتحمل الولايات المتحدة بعض مسئولية هذا التصدع. إذ أن سياسة العزلة التى اعتنقتها بكل اعتداد حرمت عصبة الأمم من الدعم المعنوى والعلمى من أعظم الدول الكبرى العالمية وأكثرها استقلالاً. وساهمت سياستها الجمركية فى الإنهيار الإقتصادى العالمى، كما لاح أن انسحابها من الشرق الأقصى شجع استمرار العدوان اليابانى، وادعى السعى المهتاج إلى نزع السلاح إلى صرف الدول الديمقراطية عن اتخاذ موقف واقعى إزاء مشكلات الاستعداد البحرى والحربى.

وتتغلغل أصوات الحرب العالمية الثانية فى عقد العشرينات من القرن. فقد شعرت اليابان بأن عصبة الأمم قد صفقت الباب بشدة فى وجه المضى فى التوسع، وكانت تعاف بشمم سلطان بريطانيا والولايات المتحدة فى الشرق. ولم تكن إيطاليا راضية عن ثمار اشتراكها المتأخر (فى الحرب العالمية الأولى) فى جانب الحلفاء، كما كان زعيمهما "بنيتو موسولينى" فى جوع وظمأ إلى المجد. وكانت ألمانيا مفعمة بالامتعاض من هزيمتها، ومتململة من قيود معاهدة فرساى، ثم كان هناك الكساد الاقتصادى، وضغط التزايد السكانى، والفوضى الإجتماعية والخلقية، وقد مهدت هذه جميعا لظهور قيادات جديدة نافذة الصبر إزاء بطء عمليات التوافق السلمى، ولظهور فلسفات تحدت مسلمات واستنتاجات الفلسفات القديمة. ولم تكن اليابان فى الواقع بحاجة تذكر إلى فلسفة جديدة، فما كانت بحاجة لغير أسلحة تنفذ بها فلسفتها القديمة. وتحولت إيطاليا إلى الفاشية. وسمحت ألمانيا بعد عقد حافل بالإرتباك لمتعصب نمسوى من مقاتلى الحرب الأولى، هو "ادولف هتلر" بأن ينظم حزبا ثوريا هو "الحزب الإشتراكى

القومى" وبأن يستولى على مقاليد الحكم. فلم تحن أوائل الثلاثينات حتى كانت الدول الثلاث جميعاً قد شكلت حكومات ديكتاتورية، وحتى كانت ثلاثتها متأهبة لإلغاء معاهدة فرساى والمعاهدات التى ترتبت عليها. بل وكيان القانون والنظام الدوليين بأكمله.

وأخذت الأحداث من ذلك الحين تجرى بسرعة مخيفة، فقد سلكت كل من الدول الديكتاتورية طرق العدوان.وأخذت كل منها تنمى وتعزز جهازها الحربى، وتهدد جاراتها الضعيفة، وأقبلت على مجازفات استعمارية (إمبريالية). وقد بنيت معظم هذه المجازفات منطقياً على أسس معقولة، ونفذت بطريقة عززت مكانة المعتدين بدرجة كبيرة بيد أنها لم تستفز بشدة معارضة الدول الديمقراطية. فغزت اليابان فى سنة ١٩٣١م منشورياً وأقامت دولة "مانشوكو" التى كانت دمية لها، ومن هذه المنطلق الممتاز أصبحت تتاخم سيبريا الروسية شمالاً، والصين جنوباً إما إيطاليا التى كانت قد دعمت مركزها فى "الدوديكانيز" من قبل فاستولت على "فيومى". ووسعت حدودها فى ليبيا وبدأت إحياء الإمبراطورية الرومانية بشن الحرب على الحبشة فى سنة ١٩٣٥- ١٩٣٦م وأخضعت هذه الدولة العريقة، وإن كانت ضعيفة لتبعيتها، أما ألمانيا فألغت معاهدة فرساى وعادت إلى احتلال إقليم الراين، وأقبلت بجسارة على التسليح على نطاق واسع. ولقد احتجت عصبة الأمم، وأبدى الدبلوماسيون أساهم لما حدث، واستنكره الزعماء الديمقراطيون، وعانت منه الضحايا، ولكن ما من أمة أو مجموعة من الدول إعترضت وأقامت حاجزاً فعالاً فى وجه الأطماع الديكتاتورية.

وكان معظم الأمريكيين يرقبون هذه التطورات فى غير إكتراث.. وإن خالط هذه اللامبالاه استهجان فى الواقع. ولقد ايقنوا أن هذا ليس سوى

فصل جديد فى قصة قديمة، قصة إحياء الإمبرياليات. ولم يدركوا ما للقوى التى أطلقت فى العالم إذ ذاك من طبيعة ثورية بأكثر مما أدركها معظم الإنجليز. فلم يفطنوا إلى أنهم كانوا إذ ذاك فى مواجهة شر أشد خطراً، وأشد تفجراً من أى شئ سابق فى التاريخ الحديث، بل إنهم كانوا يهنئون أنفسهم على أنهم بمأمن خارج هذه التطورات جميعاً، يحميهم محيطان شاسعان، ويتمتعون بكفاية ذاتية، وغنى، وقوة سلطان.

كان من العسير على معظم الأمريكيين أن يفهموا الكنه الحقيقى للخطر المعلق فوقهم وفوق العالم بأسره. فهم لم يكن مجرد خطر عسكرى، ولقد تصدعت الولايات المتحدة من قبل لأخطار عسكرية وخرجت منتصرة. وإنما كان هذا شيئاً جديداً ومبهماً. وكان الأمريكيون شعباً وادعاً طليقاً، لم يعرف الهزيمة ولا ثبوط المعنويات، كما كانت نوازع الشر غريبة على العقلية الأمريكية كما أشار "سانتايانا" فلم يكن بوسعهم أن يصدقوا أن ثمة فلسفة جديدة قد ظهرت، فلسفة رفضت نهجهم فى الحياة وقيمهم الموروثة وأعلنت الحرب عليها.

والفرد هو لب فلسفة الحكم الأمريكية والإنجليزية.فالفرد هو مصدر الحكم، وله حقوق وحريات فى المجتمع: حق العبادة كما يشاء وحق القول والكتابة وحق التنقل حيث يلائمه، وحق اختيار عمله، وحق الزواج بمن يشاء وحقتكوين أسرته وفق رغبته دون مضايقة من الدولة، وكيفما يكن تفكيره أو تدبيره أو عمله مكيفاً وفقاً للمجتمع، فإن الهدف النهائى لحكومته ومجتمعه واقتصاده القومى هو خلق الإنسان الحر وحمايته.

وإزاء هذه الفلسفة فإن الديكتاتورية كما طبقت فى إيطاليا وألمانيا واليابان، كانت تقيم فلسفة مختلفة تمام الاختلاف. فالفلسفة الاستبدادية تخضع

الفرد للدولة أو العنصر. ففى النظامين الفاشى والنازى كان الفرد غير مهم نسبياً ولم تكن لحرياته وحقوقه وممتلكاته ومطامحه وآماله وعلاقاته الإجتماعية والعائلية قيمة.

وإذا تجلى كنه الديكتاتورية الحقيقى، أخذ توجس الأمريكيين يزداد بإطراد ثم تحول إلى سخط إذ جددت ألمانيا وإيطاليا واليابان اعتداءاتها. وأخذت تنقض على الدول الصغيرة واحدة إلى أخرى. وفى سنة ١٩٣٦ – ١٩٣٨ حدثت محنة اسبانية حيث ساعدت جيوش وطائرات موسولينى وهتلر "القوميين" فى الإطاحة بنظام الحكم الجمهورى، بينما وقفت الدول الديمقراطية مكتوفة الأيدى، يشل التردد حراكها، وفوق هذا فبينما كانت الفيالق الأجنبية المنتصرة تدق أبواب مدريد، بادرت اليابان بتعجيل "حادث الصين" الذى قدر له أن يمتد سنوات عديدة حتى دخل فى حرب عالمية عامة. ثم حدث أن ضم هتلر النمسا إلى الرايخ بالعنف، فى سنة ١٩٣٨م وبدأ تحقيق "ألمانيا الكبرى". وتلتها تشيكوسلوفاكيا. فقبل أن تكون الدول الديمقراطية أفاقت من صدمة ضم النمسا، أخذ هتلر يطالب بضم اقليم "السوديت" المنطقة الديمقراطية الصغيرة التى كانت بريطانيا والولايات المتحدة قد ساعدتا على قيامها.وفى غمرة الإنزعاج دعا قادة بريطانيا وفرنسا إلى التحكيم فى الموضوع.فلما رفض التحكيم طار مستر تشمبرلين إلى ميونخ، وهناك أسلم تشيكوسلوفاكيا إلى سادة الحرب الألمان، وقال تشمبرلين عند عودته "هذا سبيل السلام فى عصرنا". ولكن وينستون تشيرشل قال: "كان على بريطانيا وفرنسا أن تختارا بين الحرب أو الخزى.وقد اختارتا الخزى وستفرض عليهما الحرب".

ولم يكن رد فعل امريكا إزاء هذا كله تصرفاً تذكره الأجيال المقبلة. فقد انتهجت فى بادئ الأمر سياسة تدعو للسلام بأى ثمن، وقد بددت أحلامها نتائج الحرب السابقة وخشيت من التورط فى حرب جديدة،وقرر فى نفسها أن فى يدها هى القرار الذى يؤدى إلى الحرب أو إلى السلام.وفى تسرع هجرت كثيراً من تلك الحقوق التى حارب آباؤها وأجدادها مرتين للحفاظ عليها، وأعلنت على العالم أنه ليس لأية دولة محاربة، فريسة أو معتدية أن تتطلع إليها طلباً للعون، مهما تكن الظروف. وقد أدرج هذا كله فى تشريع الحياد فى ١٩٣٥ – ١٩٣٧م الذى حرم الاتجار مع أية دولة محاربة أو إقراضها.

ولقد أخطأ الرئيس روزفلت بالتصديق على هذا التشريع، الذى لم يكن يقره،ولا كان وزير خارجيته "كوردهل هل" يقره. فلما إزداد الموقف الدولى سوءاً آلى على نفسه أن يبث فى الشعب الأمريكى إدركا لطبيعة ما كان يحدث فى العالم الخارجى. وأن يسلح أمريكا معنوياً ومادياً لتتصدى لهذا الموقف وتغلب عليه. وفى خطاب ألقاه فى شيكاغو عام ١٩٣٧م دعا إلى حجر خلقى ومعنوى ضد الدول المعتدية، فلم تقابل دعونه إلا باتهامه بأنه يتلاعب بالسياسة ويعرض البلاد للتورط فى حروب "أجنبية". ولقد استنكر عدوان اليابان على الصين، ووطد علاقات ودية مع دول أمريكا اللاتينية ومع كندا، وأخذ يهيب بالكونجرس أن يقر اعتمادات أكبر من أجل الأسلحة كضرورة لازمة، وحذر الديكتاتوريين بأن السلام بقوة الخوف لا يتسم بميزة ارفع ولا أكثر بقاء من السلام بقوة السيف ورفض أن يعرب عن خوفه، أو عن أنه يتأثر بإرهاب القوة. ومع ازدياد السياسة الاستبدادية عدوانا. ازدادت الروح الأمريكية صلابة ضدها.

مقدمة الحرب:

كذلك أخذت بريطانيا تتسلح بعجلة محمومة. وقد نال لقاء "ميـــونيخ" من كرامتها، وأهاج غضبها ما ترتب عليه من القضاء على تشيكوسلوفاكيا. إذ تبدى أخيراً إفلاس سياسة التهدئة. بيد أن هتلر لم يشأ الانتظار حتى تحرز بريطانيا والولايات المتحدة تعادلاً عسكرياً مع ألمانيا فقد ظل طيلة ربيع سنة ١٩٣٩م وصيفها يهدد بولندا ويتوعدها، مطالباً بضم "دانتــزيج" و "الممــر البولندى". وإزداد مركزه عزة وقوة بدرجة لا سبيل إلى قياسها، عندما أبرم فى أواسط الصيف تحالفاً مع أقوى دول أوروبا، وهى روســيا. ثــم وجــه ضربته إلى بولندا ولا تزال المفاوضات جارية ففــى أول ســبتمبر تــدفقت مجتازة الحدود، بينما كانت طائراته تمطر المدن البولندية موتاً وخراباً وبعد يومين أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا وفاء بالتزاماتهما.

ولم ينقض أسبوعان حتى كانت ألمانيا قد أكتسحت بولندا وزحفــت روسيا من الشرق لتكمل هزيمة الأمة المنكودة. ثم حدث المأزق الطويل الذى وصفه كثير من الأمريكيين فى غباء سخيف بأنه حرب "زائفة". فما إن حال الربيع حتى كان هتلر مستعداً لجولة ثانية، وبدون أى إنذار دخلت جيوشــه الدينمرك والنرويج. وانتهت محاولة بريطانيا إرسال المعونة العاجلــة إلــى النرويج الصادمة بالفشل، وفى أقل من شهر كانت موارد الشطر الأكبر مــن اسكندناوه تحت سيطرة ألمانيا. وفى ١٠ مايو اتجهت ألمانيا غربــاً لتهــاجم هولندا وبلجيكا المحايدتين ثم فرنسا ولم يدم الهجوم الخاطف أكثر من شهر، فلما أنتهى كانت هولندا قد هزمت، والجيش البلجيكى قد استسلم وفرنسا ذاتها قد سقطت، فى حين أن الحملة البريطانية اندفعت فى عجلــة عبــر القنــاة (ألمانش)، ولم تنج إلا بمعجزة من الطاقة النشيطة والبطولة.

أمريكا تهجر الحياد:

لقد دفع الهجوم على بولندا عجلة أكبر نقاش من أيام الـرق. وهـو نقاش لم يجر في قاعات الكونجرس فحسب وإنما في كل صحيفة، وفي كـل قاعة عامة.وفي كل بيت من البلاد. وأخذ روزفلت يعمـل بنشـاط لإبطـال تشريع الحياد. وبعد جدال طويل استطاع أن ينتزع من "كـونجرس" متـردد تشريع "ادفع وتسلم" الذي جعل موارد أمريكا في متناول الدول الديمقراطيـة المحاربة، ما دام بوسعها أن تدفع الثمن على الأقل. فإن سقوط فرنسا أقنـع معظم الأمريكيين اخيراً بسطوة وجبروت الجهاز الحربي الألماني، كمـا أن الهجوم الجوي على بريطانيا في صيف وخريف ذلك العام ألقى في روعهـم ما جعلهم يتحققون من أن أمريكا ستقف وحدها إذا ما سقطت بريطانيا ضـد أعتى تحالف عسكري في التاريخ.

إزاء هذا الاحتمال أقر الكونجرس مبالغ هائلة للتسلح وأبرم اتفاق مع جمهوريات أمريكا الاتينية لبسط حماية الجماعية علـى ممتلكـات الـدول الديمقراطية في الدنيا الجديدة، وأقامت الولايات المتحدة وكندا مجلساً مشتركاً للدفاع، وبدئ في تجنيد ما يقرب من مليون رجل وتدريبهم عسكرياً في وقت السلم، ولكن الاتفاق الخطير الذي تم بين روزفلت وتشيرشل كان يفوق هـذه الخطوات جميعاً أهمية، إذ أجريت بريطانيا بمقتضـاه للولايـات المتحـدة مجموعة من القواعد البحرية الممتدة من نيوفوندلاند إلى غيانا البريطانية في مقابل خمسين مدمرة عتيقة. وقد قال روزفلت إن هذه كانت أهم خطوة فـي دفاعنا القومي منذ شراء "لويزيانا" وأضاف تشيرشل إلى ذلـك: "إن هـاتين الهيئتين من هيئات الديمقراطيات الناطقة بالإنجليزية الإمبراطورية البريطانية

والولايات المتحدة مضطرتان إلى أن تمتزجا إلى حد ما فى بعض شؤونهما من أجل النفع المشترك والعام". وكان قوله لمحة انطوت على تنبؤ.

كان روزفلت قد رسم الطريق الذى لابد للأمة من أن تسلكه، فهل كان فى مقدرته أن يلزمها هذا الطريق؟ لقد دعى الشعب الأمريكى فى صيف عام ١٩٤٠م إلى اختيار رئيس الجمهورية الذى سيقوده خلال الأعوام الخطيرة المقبلة. واختار الديمقراطيون فرانكلين روزفلت مرشحاً عنهم مرة أخرى، نابذين فى جرأة مادرجوا عليه من مناهضة تربع الرئيس لثلاث فترات متعاقبة أما الجمهوريين، فاختاروا فى اجتماع سادة جو من الارتباك شخصية جديدة على السياسة، شخصية "ويندل ويكلى" من إنديانا ونيويورك، وكان الديمقراطيون وزعيمهم قد التزموا التزاماً لا رجعة فيه بسياسة معونة بريطانيا... وهى سياسة كان من المحتمل أن تقضى إلى الحرب أفكان الحزب الجمهورى ومرشحه الجديد، عديم الخبرة ولكنه أبى فى تصميم أن يقحم موضوع معونة بريطانيا فى المعركة السياسية. ففى هذا الموضوع الخطير، آثر أن يتخذ جانب الرئيس وأيد التجنيد وأطرى صفقة المدمرات، وتعهد بأنه لن تكون ثمة رجعة عن الطريق التى اختطها الرئيس وانتهجها الكونجرس، إذا هو انتخب. وكان هذا قرار عظيماً، نم عن حذق لفن الحكم. وكشف عن أن الحزب الجمهورى وجد فى "ويندل ويلكى" زعيماً ذا شجاعة وحكمة وسعة أفق.

وأعيد انتخاب روزفلت فى انتخابات نوفمبر، فمضى بهمة فى سياساته وقد أصبح واثقاً من التأييد الشعبى. ولما اجتمع الكونجرس فى شهر يناير قدم إليه مشروعاً كان يرمى إلى الإفلات من القيود الباقية لتشريع الحياد.. ذلك هو مشروع قانون "الإعارة والتأجير". وقد نص هذا المشروع على أنه يجوز للولايات المتحدة أن تعير أو تؤجر أية معدات أو تسهيلات

دفاعية لأية دولة يكون الدفاع عنها حيويا بالنسبة للـدفاع عـن الولايـات المتحدة. وبعد نقاش مستطيل أقر الكونجرس المشـروع وبمقتضـى مـواده الحكيمة بـدأ يتـدفق إلـى بريطانيـا وحلفائهـا سـيل مـن الطـائرات، والدبابات،والخامات، والمواد الغذائية وغيرها. ومن الجلى أن هذا الإجراء لم يكن من الحياد فى شئ غير أن الولايات المتحدة كانت قد أصبحت ملتزمـة بهزيمة ألمانيا وأعقبت ذلك إجراءات غير حيادية أخرى، الإستيلاء على سفن المحور، وتجميد أموال المحور، ونقل ملكية ناقلات النفط لبريطانيا واحتلال غرينلاند ثم آيسلند فيما بعد، وما نطاق "الإعارة والتأجير" إلى الحليفة الجديدة روسيا ثم فى النهاية وبعد سلسلة من إعتداءات الغواصات الألمانيـة علـى الملاحة الأمريكية الأمر الرئاسى "بإطلاق النار" على أية غواصـات للعـدو بمجرد رؤيتها.

ومن إمارات المشاركة المتزايدة التوثيق بـين أمريكـا وبريطانيـا، الصياغة المشتركة لأهداف الديمقراطية فى الحرب. فقد اجتمـع روزفلـت وتشيرشل فى وسط المحيط الأطلسى، فى ١٤ أغسـطس ووضـعا "ميثـاق الأطلسى" متضمنا بعض المبادئ المعينة التى بنيا عليها آمالهما المتعلقة بعالم أفضل فى المستقبل. وكانت هذه المبادئ لا توسع إقليمياً، ولا تغييرات إقليمية لا تتفق مع رغبات الشعب المعنى بها، وحق الناس جميعاً فى اختيار شـكل الحكم الخاص بهم، واستمتاع كل الدول بحرية الوصول إلى التجارة والمواد الأولية. والتعاون الإقتصادى بين الأمم، وحرية البحـار، والإبتعـاد عـن استعمال القوة كأداة للعلاقات الدولية. وهنا نجد نقاط ويلسون الربع عشر فى ثوب جديد، أكثر بساطة.

معركة الأطلنطى:

كانت معركة الأطلنطى قد بدأت منذ خريف ١٩٤٠م، ووصلت فى ربيع ١٩٤١م إلى عنفها، حينما أصبح فى وسع الأمبريالية الألمانية أن تحتفظ فى البحر بشكل دائم بما يقرب من أربعين غواصة، وطبقت تكتيكاً جديداً... الهجوم الليلى من سطح الماء وفى خلال ثلاثة أشهر من بداية مارس حتى آخر مايو وصلت الخسائر البحرية التجارية البريطانية بما فى ذلك السفن المحايدة التى كانت تسافر لحساب بريطانيا العظمى ١,٦٩١,٠٠٠ طن (٤١٢ سفينة) وفى خلال الأشهر التالية، ورغم أن إنتاجية سلاح الغواصات قد قلت شيئاً ما فإن المحافظة على الإتصالات البحرية مع الولايات المتحدة قد ظلت بالنسبة للحكومة الإنجليزية مشغولية ضخمة. ومن أجل تدعيم المقاومة الإنجليزية فى هذه الحرب الإقتصادية والبحرية إضطرت الولايات المتحدة إلى أن تتخلى شيئاً فشيئاً عن الحياد.

ففى ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٠م، أعلنت الحكومة الأمريكية فى الكونجرس أنها قد وقعت فى اليوم السابق مع الحكومة الإنجليزية، على اتفاق ينص على أن تتنازل لبريطانيا عن خمسين مدمرة من طراز قديم وتحصل منها فى نظير ذلك على الحق فى أن تنشئ فى شكل إيجاز قواعد جوية وبحرية فى نيوفوندلاند، وبرمودا، وجزر الأنتيل الإنجليزية،وفى جويانا البيرطانية ووعدت فى شهر أكتوبر ١٩٤٠م بتزويد الطيران الإنجليزى بـ ١٢,٠٠٠ طائرة خلال الأشهر التالية.

وفى ١١ مارس ١٩٤١م، سمحت موافقة الكونجرس على قانون الإعارة والتأجير للحكومة بأن تصنع أو تشترى. ومن حساب الميزانية الإتحادية على مهمات حربية وطائرات وسفن وآلات ومواد أولية ومواد

غذائية، ومنتجات مصنعة من كل نوع. وهذه المواد الدفاعية وهـو اللفـظ المستخدم كانت ستوضع تحت تصرف الدول الأجنبية التى كان الدفاع عنهـا يمثل مصلحة حيوية بالنسبة لأمن الولايات المتحدة أى بريطانيـا العظمـى، ويمكن للتوريدات أن تتم ليس فقط فى شكل بيع ولكن إيجاز بعقد أو إعارة أو "بأى طريقة أخرى" وكانت من سلطة الرئيس ان يحدد طـرق الـدفع التـى يمكنها أن تتم "عيناً" ولكنه لم يكن مكلفاً بان يحدد مسبقاً طرق الدفع هذه بـل كان عليه فقط أن يستشير هيئات أركان حرب الجيش، والبحرية قبل أن يقرر التسليم ولذلكٔ فإن هذا القانون كان يخلص الحكومة البريطانية مـن التـزام الدفع الفورى للبضائع التى تشتريها من الولايات المتحدة، ويمكنه حتـى أن يسمح لها بأن تستلمها مجاناً،ولكنه لا يعطيهـا معونـة البحريـة التجاريـة الأمريكية التى استمرت ممنوع عليها الملاحة فى "مناطق المعارك".

وفى أثناء الأشهر التالية، تدخلت الولايات المتحـدة مـن أجـل أن تضمن، ورغم زيادة حرب الغواصات الألمانية، المحافظة علـى العلاقـات البحرية فى المحيط: فقررت فى ١٨ ابريل ١٩٤١م أن تمد إلى كل النصف الغربى للمحيط الأطلسى من جرينلاند إلى جزر الخالدات ومنطقـى الأمـن التى تمر فيها الداوريات البحرية الأمريكية والتى كانـت مهمتهـا إرشـاد البحرية إلى وجود الغواصات الألمانية: وفى يوم ٢٤ مايو أعلـن الـرئيس فرانكلين روزفلت أن هذه الداوريات سوف تسهم فى حماية قوافـل السـفن التجارية المتجه إلى الموانى الإنجليزية وبعد ثلاثة أسابيع قرر الموافقة على قبول السفن التجارية الإنجليزية فى القوافل الأمريكية وأخيرا وعن طريـق إتفاق الدانمرك ضمن، فى ٩ أبريل المحافظة علـى الوضـع القـائم فـى جلابنلاند.

وفى نفس الوقت الذى أعطت هذه المشاركة غير المباشرة فى معركة الأطلنطى كانت حكومة الولايات المتحدة مشغولة بإنقاذ المواقع التى كان يمكنها أن تضمن فاعلية التدخل المسلح.

ففى شهر ديسمبر ١٩٤٠م أرسل الرئيس إلى شمال إفريقية الفرنسى مندوباً دبلوماسياً هو روبرت مورفى Robert Murphy الذى كان هدف بعثته تحاشى إستيلاء ألمانيا على منطقة أصبح لها منذ ذلك الوقت أهمية استراتيجية "مميتة" وحصل مورفى على انطباع بأن الجنرال فيجان المندوب السامى لحكومة فيشى كان مصمماً على تعويق مثل هذا الإستيلاء ولذلك فإنه اقترح وبشرط أن تعارض الحكومة الفرنسية كل محاولة للتوغل الألمانى أو الإيطالى، منح معونة إقتصادية كانت ضرورية من أجل إعطاء الأهالى موارد بترول، فحم، منتجات أدوية، قطنيات، كانت قد حرمت منها منذ أن أصبحت المواصلات مع الوطن الأم غير مضمونة. وكانت المشغولية المباشرة هى محاولة منع التهديد بنشأة اضطرابات نتيجة لنقص السلع والبؤس وتدعيم الوجود الفرنسى بهذه الطريقة، ونص اتفاق مورفى يوم ٢٦ فبراير ١٩٤١م على أنه يمكن لمندوبين أمريكيين المراقبة الاقتصادية أن يشرفوا هناك على عدم إعادة إرسال هذه السلع الأمريكية صوب الأراضى الفرنسية فى الوطن الأم. وسيكون هؤلاء المندوبون بالفعل ضباطاً فى إدارة المخابرات مكلفين بمراقبة التحركات الألمانية.

وفى شهر يناير ١٩٤١م، وافق رئيس الولايات المتحدة على أن تقوم هيئات أركان الحرب الأمريكية بأن تدرس فى مؤتمر سرى مع هيئات أركان الحرب البريطانية المسائل الاستراتيجية الرئيسية على المستوى العالمى، وفى الربيع أمر ببدء محادثات لأركان الحرب مع البرازيل وأورجواء من أجل

دراسة وسائل منع محاولة إنزال إيطالية ألمانية فى أمريكا الجنوبية وطلب إلى الحكومة البرتغالية أن تنظم وسائل الدفاع عن جزر الخالدات ضد هجوم ألمانى محتمل، ووعد بأن يزودها بالوسائل الضرورية من مهمات الحرب.

وأخيراً وفى خط مواز لهذه الإجراءات أخذ الكونجرس وبطلب من الرئيس قرارات تمهد للمشاركة فى الحرب: ففى ١٦ مايو صوت على الميزانيات اللازمة لتجهيز الجيش ولبناء الطائرات، وفى أول يوليو ١٩٤١م أصبح الجيش ١,٤٠٠,٠٠٠ جندى، موزعين على ٢٩ فرقة مشاة وأربع فرقة مدرعة: فأصبح عدده يزيد ثمانية مرات عما كان عليه فى شهر سبتمبر عام ١٩٣٩م، وأصبح فى وسع الطيران أن يضع فى خط النار ما يقرب من ٦,٠٠٠ طائرة. تشكل ٥٤ فرقة مقاتلة.

وليس هناك من شك فى أن كل هذه الإجراءات كانت تعبر عن سياسة مقررة تماماً. فلقد فهم الرئيس فرانكلين روزفلت منذ هزيمة فرنسا أنه يجب على الولايات المتحدة. ومن أجل مصلحة أمنها ألا تترك بريطانيا العظمى تسقط. وكان هو صاحب الدافع والمصمم وراء التصويت على الإجراءات التشريعية، وكان هؤلاء وطبقاً للسلطات الدستورية الذى قرر وحده الإجراءات التى تهدف ضمان النقل البحرى فى المحيط الأطلسى. وكان يعرف تماماً أنه لا يمكن حماية المصالح الوطنية دون الإلتجاء إلى الأسلحة.

ولكن ما هو سبب كون هذا الطلب بطيئاً؟ ولماذا كان فرانكلين روزفلت يتردد بعد أن كان قد أعطى وخلال عام تحويلات تزايد وضوحها بالنسبة للواجبات القانونية للمحايدين، فى أن يأخذ الخطوة النهائية؟

كانت حالة الرأى العام هى التى تعطى تفسيراً لمثل هذا التردد، فلقد شعر فرانكلين روزفلت، وكما كان وودو يلسون قد شعر فى ١٩١٦ – ١٩١٧ بأنه مضطر إلى أن يوائم سياسته مع اتجاهات النفسية الجماعية. إرغام قريب مادام الرئيس كان يطلب تجديد لفترة رئاسة ثالثة فى الإنتخابات الرئاسية يوم ٥ نوفمبر ١٩٤٠م، وإرغام أقل إستعجالاً ولكنه كذلك محسوس بعد إعادة الإنتخابات هذه فكان الرئيس كما ذكر معاونة هوبكنز Harry Hopkins لا يرغب فى قيادة البلاد صوب الحرب. وكان يرغب فى أن ينتظر حتى "يدفعونها إليها".

وكان هذا الرأى العام يتأثر ومنذ خريف ١٩٤٠م بثلاث تيارات: الإتجاه الإنعزالى،واتجاه "الممتنعين" وأنصار التدخل.

وكان الأولون يطالبون بضرورة بقاء الولايات المتحدة خارج الحرب، حتى إذا ما "اشتعل" العالم بأسره. فما هو السبب الذى يدفع الأمريكيين إلى العمل من أجل إنقاذ إنجلترا أو الصين؟

وكان الثانون لا يطهنون فى أن الحرب الأوروبية، وحتى حرب الشرق الأقصى، يمكن أن تضر بمصالح الولايات المتحدة؛ ودون أن يصل بهم الحال إلى حد التفكير فى أمن الولايات المتحدة يمكنه أن يصبح مهدداً، كانوا يعترفون بأنه سيكون من النتائج المرجحة للانتصار الألمانى تنظيم الحياة الاقتصادية لأوروبا فى نطاق مظام خاضع للسلطة، وأن الصادرات الأمريكية سوف تقاسى من ذلك بشكل خطير؛ ولكنهم كانوا يعتقدون فى أن هذا الخطر كان مؤكداً، وأقل من ذلك أن يكون قريباً. وذكروا أنه من الواجب على الولايات المتحدة إذن أن تظل محايدة لأطول وقت ممكن، وأن تقنع بإعطاء خصوم ألمانيا معونة اقتصادية فى نطاق الحدود التى نصت

عليها التشريعات الأمريكية لعام ١٩٣٦ – ١٩٣٧م. وأعيد النظر فيها في شهر أكتوبر ١٩٣٩م، أى طبقاً لشعار "أدفع وأحمل". وكانت هذه النظرية هى تلك التى تنشرها "الحركة الأمريكية الأولى" American First Movement والتى وجدت آذاناً صاغية فى أوساط مختلفة: نقابات لها اتجاهات متطرفة من جانب، والمنظمات الكاثوليكية من جانب آخر.

وأخيراً أنصار التدخل المسلح الذين كانو يتجمعون حول "لجنة معونة الحلفاء". وكانت دوافعهم مختلفة، فكان البعض يعتقد فى أن انتصار ألمانيى فى أوروبا كان يهدد بكل ترجيح ليس فقط الازدهار الاقتصادى، ولكن كذلك أمن القارة الأوروبية، إذ أنه لم يكن فى وسع أى شخص أن يتنبأ بذلك الحد الذى كانت آمال التسلطية الهتلرية وترغب فى الوصول إليه؛ وكان غيرهم متأثرين بحجج معنوية، ويرفضون "النظام الشمولى" الهتلرى الذى كان يهدد بتخريب تلك القيم التى كانت الحضارة الغربية قد بنيت عليها.

ومن بين هذه الاتجاهات الثلاث، كان اتجاه "الممتنعين" هو المسيطر فى خريف ١٩٤٠م وأثبتت عملية قياس قامت بها مجلة Public Opinion Quarterly أن أغلبية كبيرة (٧٥% تقريبا) كانت فى صالح تقديم معونة اقتصادية لبريطانيا العظمى، ولكن أغلبية أكبر من ذلك (٨٣%) كانت ترفض كل إمكانية لتدخل مسلح. ولم يحاول الرئيس، ورغم معتقداته الثابتة. أن يعمل على تصحيح سريع لهذا الاتجاه؛ فلم يحتفظ فقط فى أثناء حملته الانتخابية فى عام ١٩٤٠م بالحذر اللازم، ولكنه ذهب أيضاً إلى حد أن يؤكد ذلك "أن يرسل أبناؤكم إلى المعارك فى حرب أجنبية" كما كان

ويلسون قد فعل، فى شهر أكتوبر ١٩١٦م، وستى أشعر قبل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى.

وبعد إعادة انتخابه فقط، عمل فرانكلين روزفلت بطريقة أكثر نشاطاً، وبواسطة خطبة المذاعة بالراديو، وبرسائله الموجهة إلى الكونجرس، على تغيير اتجاه الرأى العام.

فذكر فى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٤٠م، أن المسئولين الألمان يرغبون فى "النزول بأوروبا إلى العبودية"، ثم يقومون بالسيطرة على "بقية العالم" وستصبح المصالح الحيوية للولايات المتحدة مهددة إذا ما أصبح "الإشراف" على المحيط الأطلسى أو المحيط الهادى فى أيدى ألمانيا أو اليابان؛ وهذه ستكون الحالة، إذا ما سقطت بريطانيا العظمى: "فانجلترا أو بريطانيا العظمى، والامبراطورية البريطانية هى اليوم، ومن جهة النظر العسكرية، سلاح حربه مقاومة عملية غزو العالم". وبدون هذه المقاومة، ألن يكون فى وسع الألمان أن ينجحوا فى النزول فى أمريكا الجنوبية، ولذلك فإنه من الضرورى مساعدة بريطانيا العظمى. عن طريق ارسال حملة؛ ولكن عن طريق المعونة الاقتصادية. فعلى الولايات المتحدة أن تكون "الترسانة الكبرى للديمقراطيات".

وفى يوم ٦ يناير ١٩٤١م. أصر على وجهة نظر أخرى، هى إنقاذ القيم المعنوية: فحرية الرأى، وحرية العقيدة قد أصبحت مهددة بهذا "النظام الجديد" الذى أعلنه هتلر. وانتهز الفرصة لكى يذكر أن الحكومة الإنجليزية لا يمكنها أن تستمر، أكثر من ذلك ولوقت طويل. فى أن تدفع نقداً مشترياتها الأمريكية. فهل من الضرورى منحها قروض لإعطائها الوسائل اللازمة للقايم بهذه المدفوعات؟ الأفضل كما ذكر الرئيس. هو عدم طلب هذا الدفع

منها. ووضع الطلبات الإنجليزية "فى برنامجنا للتسليح" ورسم بذلك الطريق الذى سيصل بعد شهرين من ذلك. إلى التصويت على قانون "الإعارة والتأجير".

وتحدث فى يوم ٢٧ مايو ١٩٤١م، عن المصالح الاقتصادية والمالية للولايات المتحدة. فإذا ما حصل "المعتدون" على السيطرة على المحيطين، الأطلسى والهادى، فإن منتجى الولايات المتحدة ستصيبهم "كارثة"، إذ أنهم سيفقدون، بالنسبة لصادراتهم، الأسواق الأوروبية، التى ستخضع لنظام إشراف السلطة على الاقتصاد، وأن الصناعة الأوروبية، وحيث الأجور نسبياً منخفضة، يمكنها حتى أن تنافس الصناعة الأمريكية؛ هذا علاوة على أن الولايات المتحدة ستصبح مرغمة على القيام بسياسة تسليح، ستكون فاحشة الثمن.

فهل يمكن أن ينسب هذا التطور فى الرأى العام لهذا العمل الشخصى للرئيس؟ من المؤكد أن الأسباب الأخرى لم تكن أقل أهمية. فلقد كان المنتجون الزراعيون أول من اعترف (وصحف ولايات الوسط تشهد بوجود هذا التفكير) بأنه لا يمكن لبريطانيا العظمى أن تستمر فى القيام بمشترياتها. نتيجة لنقص الإنتمانات؛ وطالبوا الحكومة بالبدء فى "تشغيل المضخة": وكانت هذه المصالح الاقتصادية قد عملت فى صالح اصدار قانون "الإعارة والتأجير". وأسهمت زيادة حرب الغواصات الألمانية. فى ربيع ١٩٤١م، وغارة البارجة بسمارك فى المحيط الأطلسى الشمالى أكثر من ذلك فى توجيه الرأى العام. وفى شهرى أبريل ومايو ١٩٤١م كان الجزء الأكبر من جمهور الناخبين قد شعر بالخطر الألمانى بكل وضوح ومع ذلك، فإنه كان لايزال يتحاشى الموافقة على ضرورة التدخل المسلح. ولاحظ المراقبون

الإنجليز أن الرأى العام كان يصر على إبعاد هذه الامكانيـــة. وكـــان هـــذا الموقف يفرمل محاولات الحكومة. ولم يوافـــق الـــرئيس علـــى المطالـــب الإنجليزية إلا فى ذلك النطاق الذى اعتقد أن فى وسعه أن يقوم بـــه دون أن يتسبب. لدى الرأى العام الأمريكى، فى نشأة حركات أو احتجاجات، قد تؤدى نتائجها إلى عرقلة التطورات المقبلة؛ ولم يطبق حتى سياسته إلا بعد ترددات واضحة، وفى بعض الحالات تراجع للوراء، كما حدث مثلا، يوم ٢٥ مـــايو ١٩٤١م، فى مؤتمر صحفى؛ حين فسر تفسير مقصود به تلك التصـــريحات التى كان قد أعلنها فى خطاب ألقاه فى اليوم السابق، أو كمـــا حـــدث، بعـــد بضعة أيام من ذلك، وترك الخبر الخاص بضرب إحدى الســـفن التجاريـــة الأمريكية بطوربيد غواصة ألمانية. يمر دون القيام بأية حركة.

وبالإجمال، فإن مميزات هذه السياسة كانت خط ســـلوك مـــدروس تماما، مع حذر كبير فى التنفيذ. وكان روزفلت يعرف جيدا، وبكل تأكيد أثناء صيف ١٩٤١م، أنه، من أجل تحاشى هزيمة انجلترا، ستضـــطر الولايـــات المتحدة، فى فترة قصيرة، إلى أن تستخدم السلاح؛ ولكنه وجد أنه فى حالـــة محاولته دفع جمهور الناخبين بقوة أكثر، سيتعرض لفشل فى العودة ، الأمر الذى كان يهدد المستقبل.

وفى الوقت الذى بلغت فيه حرب الغواصات فى المحيط الأطلســـى نتائجها الأكثر ضخامة، وفى الوقت الذى فتحت فيه الانتصـــارات الألمانيـــة والايطالية فى البلقان وفى برقة إمكانية مواتية أمام معركة البحر المتوســـط. ألن تضعف مقاومة بريطانيا العظمى؟ لقد ظلت مقاومة بريطانيـــا العظمـــى سليمة فى ذلك الوقت، ولكن رئيس الوزراء لم يكن يخفى قلقه. فكتـــب إلـــى

جون هوبكنز John H opkins "لست أدرى ما سيحدث فى عـــام ١٩٤٢م، إذا ظلت انجلترا تحارب وحدها".

دخول الولايات المتحدة الحرب:

دخلت الولايات المتحدة إلى الحرب العامة فى الوقت الذى فشلت فيه الحملة الألمانية ضد روسيا أمام موسكو. وبكل تأكيـد لـم تكـن حكومـة واشنطون محايدة بالفعل. ما دامت قد لعبـت دورا مسـيطرا فـى الحـرب الاقتصادية، واحتلت بطريق غير مباشر مكانا فى معركة الأطلنطى- ومـع ذلك طلب رئيس الوزراء البريطانى ، وبكل وضوح يوم ٥ مايو ١٩٤١م إلى فرانكلين روزفلت مشاركة مباشرة فى الحرب الأوروبية، ضرورية كما قال: من أجل تدعيم مقاومة بريطانيا العظمى، لم يحصل إلا على إجابة متهربـة. ولكن رئيس الولايات المتحدة كان قد نمى، فخلال صيف ١٩٤١م، أسـبوعا بأسبوع، سياسة التدخل غير المباشر: فى ٧ يوليو، القرار بمد "منطقة الأمن" الخاصة بالولايات المتحدة حتى آيسلاند، التى أنشأت فيها سريعا قاعدة بحرية أمريكية وفى يوم ٢١ يوليو، وضع مشروع بقانون من أجل الاحتفـاظ فـى الخدمة ب٩٠٠,٠٠٠ رجل الذين كانوا قد استدعوا إلى الجيش ــ لمدة عام ــ فى شهر أكتوبر عام ١٩٤٠م؛ وفى يوم ٢٩ يوليو، الاتفاق الذى عقـد مـع الحكومة البرتغالية من أجل الدفاع عن جزر الخالدات، وفى ٣٠ يوليو إنشاء إدارة مكلفة بالإشراف على صناعة المهمات الحربية وبإعداد، بالتالى، عملية التعبئة الاقتصادية، ويوم ١١ سبتمبر، إصدار الأمر إلـى السـفن الحربيـة الأمريكية بفتح النار على الغواصات الألمانية ، إذا ما تطلب أمـر حمايـة القوافل ذلك ؛ ويوم ٩ أكتوبر، إعطاء التصريح للسفن التجارية بحمل مدفعية (وفى عام ١٩١٧م سبق هذا القرار ببضعة أيام الدخول إلى الحرب).وكـان

التوقيع،فى ١١ أغسطس على ميثاق الأطلنطى، حيث شارك الـرئيس مـع رئيس وزراء بريطانيا فى التعبير عن الرغبة فى أن يـتم، وبعـد القضـاء النهائى على طغيان النازية، تنظيم نظام أمـن جمـاعى، وإقامـة التعـاون الاقتصادى بين الدول، وإعادة حقوق السيادة للشعوب، قد أكـد وبكـل قـوة موقف الولايات المتحدة. ولذلك فـإن الأمـر لـم يعـد يتعلـق لا بالحيـاد الاقتصادى، ولا بالحياد المعنوى.

ومع ذلك، فإن فرانكلين روزفلت لم يبد حتى ذلك الوقت أنه مقتنـع بأن دخول جيش أمريكى إلى خط النار كان ضروريا للغاية: فـرغم الـرأى القاطع لمستشاريه العسكريين، كان يرغب فى إقناع نفسـه بـأن مشـاركة البحرية الحربية والطيران الأمريكي يمكنها أن تكون كافية. وعلى كل حـال فإنه استمر فى الاعتقاد فى أنه كان من الصعب أن يتخـذ "ببـرود" قـرارا بالتدخل، وأنه كان من المستحيل أخذه دون أن يضمن الموافقة التامة للـرأى العام عليه. وفـى شـهر أغسـطس ١٩٤١م كتـب لـورد بيفـر بـروك Beaverbrook، بعد عودته من زيارة إلى واشنطون، إلى ونستون تشرشل، أن الشعب الأمريكى لم يكن مستعدا للدخول إلى الحرب، إلا فى حالة مهاجمة أراضى الولايات المتحدة بطريق مباشر.

وكانت اليابان هى التى وضعت حدا لهذا الموقف المحير، حين قامت فى ٨ ديسمبر ١٩٤١م، ودون إعلان الحرب. بالدخول فى عمليات عدوانية ضد الولايات المتحدة. بهجومها الجوى الموجه ضد بيرل هـاربر. فألقـت حرب المحيط الهادى بالولايات المتحدة مباشرة فى الحرب الأوربية. وأخذت ألمانيا وإيطاليا الدافع لإعلان الحرب فى ١١ديسمبر، ولكن دول المحور لـم تعمل سوى تأخير مخطط الولايات المتحدة :فقبل يومين من ذلك، ألم يكـن

فرانكلين روزفلت قد أعلن الشعب الأمريكى أن "تحطيم التفوق اليابانى لن تكون له قيمة، إذا ما ظل بقية العالم خاضعا لسيطرة هتلروموسولينى؟ وربما كان تدخل الولايات المتحدة فى أوروبا سوف يحدث، وحتى بدون حرب المحيط الهادى، ولكنه كان سيصبح، بكل تأكيد أثر تأخرا، ولن يكون له بالتالى نفس النتائج على سير الحرب فى أوروبا.

وكان هذا الدافع اليابانى يمثل نهاية صدام دبلوماسى كان قد استمر منذ شهرى مايو ويونيو ١٩٤٠م.

فالحكومة اليابانية، التى كانت بالفعل مسيطرة على كل المنطقة الساحلية للصين، قد أفادت من الاحتلال الألمانى للأراضى المنخفضة ومن انهيار فرنسا، من أجل مد طموحها صوب "بحار الجنوب ـ الهند الصينية، والهند الهولندية، وسرعان ما أظهرت الحكومة الأمريكية تصميمها على أن تعارض هذه السيطرة اليابانية فى الشرق الأقصى، والتجأت خلال خمسة عشر شهرا، إلى وسائل "ضغط إقتصادى. فحين فرضت الحكومة اليابانية. فى شهر سبتمبر ١٩٤٠م، على حكومة فيشى أمر إقامة قواعد عسكرية، وبحرية وجوية، فى شمال الهند الصينية الفرنسية، وهاجمت سنغافورة، وار سلت إلى الهند الهولندية فى شهر أكتوبر ١٩٤٠م، بعثة كوبا ياشى Kibayzshi المكلفة بالحصول (وبدون نجاح كبير) على توريدات من القصدير، والبوكسيت، والمطاط ، وبخاصة البترول، منعت الولايات المتحدة تصدير المنتجات التعدينية والآلات صوب اليابان، ثم قررت قبول إفادة الحكومة الوطنية الصينية من قانون "الإعارة والتأجير"؛ وحين قامت الحكومة اليابانية فى ٢٣ يوليو ١٩٤١م بمد احتلالها العسكرى على كل الهند الصينية الفرنسية، ردت على ذلك حكومة واشنطون، يوم ٢٦ يوليو، بقرار حظر

على كل الصادرات، وبما فيها البترول وفى أول أغسطس "بتجميد" أملاك اليابانيين فى الولايات المتحدة؛وحصلت حتى على أن تقوم حكومة الهند الهولندية بأن تطبق، هى كذلك هذا الخطر.

ولم تقم الحكومة اليابانية برد فعل سريع على هذا الضغط: فكانت تفضل عرض الدخول إلى مفاوضات يمكنها فيها، من أجل الحصول على رفع هذها لعقوبات الاقتصادية وإمكانية شراء المواد الأولية من الهند الهولندية أن تظهر استعدادها لتحديد طموحاتها السياسية ولكن فى أى مدى؟ إن المذكرات الدبلوماسية المتبادلة يوم ٢٠و٢٦ نوفمبر ١٩٤١م تركز النقاش على نقطتين فمن جانب كانت الولايات المتحدة ترغب فى أن تحصل على أن تتخلى اليابان مباشرة عن احتلال الهند الصينية الفرنسية. بينما كانت الحكومة اليابانية ترغب ومن أجل الاستمرار فى منع المرور صوب الصين، فى الاحتفاظ بهذا الاحتلال، وعلى الأقل جزئيا، وحتى الوقت الذى تنتهى فيه الحرب الصينية اليابانية، ومن جانب آخر كانت اليابان تطلب ألا تقوم الولايات بمعونة تشانج كاى شيك على أن يطيل من أمد مقاومته، بينما كانت حكومة واشنطون تنوى الاحتفاظ بالمعونة التى تعطيها للصين الوطنية، بتزويدها بالمهمات الحربية.

وربما كان الحكومة اليابانية توافق على أن تتخلى جزئيا عن خطة توسعها فى الهند الصينية، ولكنها كانت لا ترغب فى التخلى عن سياستها فى الصين، ولذلك فإنها قررت الدخول إلى الحرب.

فماذا كانت عليه أهداف وخصائص السياسة التى أتبعتها كل من طوكيو وواشنطون؟

كانت السياسة اليابانية قد ثبتت، فى خطوطها العريضة منذ شهر يوليو ١٩٤٠م، فكانت توجهها المسألة الصينية. ولكى يقضوا على الصين الوطنية، كان من الضرورى فصلها عن العالم الخارجى. باحتلال الهند الصينية الفرنسية، ومضايق ملقه وبورما. وكانت الظروف مواتية ما دامت فرنسا كانت قد هزمت، وكانت بريطانيا العظمى مشلولة. ولاشك فى أن معارضة الولايات المتحدة كانت متوقعة ولكنها سوف تكون بلا فاعلية ــ كما قدرت الأوساط الرسمية اليابانية ــ لأنها سوف تقتصر على استخدام السلاح الإقتصادى.

ومع ذلك فإن تطبيق هذه السياسة قد خضع فيما بين شهر يونيو ١٩٤٠م ونوفمبر١٩٤١م لتقلبات واضحة: استقالة وزارة يوناى Yonai، المعتدل وتشكيل فى ١٦ يوليو ١٩٤٠م، وزارة كونويى Konoye الذى قرر التدخل فى الهند الصينية بدون ترددات، فى شهر يوليو ١٩٤١م داخل نفس الوزارة والذى تخلص رئيسها من وزير خارجيته وحاول أن يتفاوض واستقال الأمير كونويى، يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤١م،تحت ضغط المتطرفين.

وهذه التقلبات كانت نتيجة لاختلافات عميقة بين الأوساط الحاكمة فرجال الأعمال الذين كانوا غالبا مترددين، وفى عام١٩٣٧م، حينما قامت الحكومة وأركان الحرب بالدخول فى الحرب الصينية، كانوا مترددين بدرجة أكبر من ذلك بالنسبة لبرامج التوسع صوب "بحار الجنوب" ورغم الميزات التى كان فى وسع هذا التوسع أن يمنحها للمصالح الاقتصادية، فإن الأوساط الصناعية والمصرفية كانت تقيس مخاطر سياسة مغامرة. وكان العسكريون، على العكس من ذلك ،مستعدين للإفادة من الحرب الأوروبية، لكى يقوموا فى آسيا الكبرى الشرقية بعمليات استيلاء إقليمية فكانت استقالة وزير الحرب هى

التى تسببت فى استقالة وزارة يوناى، وبعد خمسة أشهر، فى استقالة وزارة كونويى على أنها غير قادرة، كما ذكرت هيئة أركان حرب الجيش على تحقيق الآمال القومية، وكان وصول الجنرال هيديكى توجو Tajo Hideki إلى السلطة، وهو الذى كان المنفذ الرئيسى لهذا العمل الخاص بالعسكريين، هو الذى فتح الطريق أمام سياسة الحرب. وحتى الآن، لم يحدث شيئا مثيرا للدهشة، إذ أن العداءات بين الأوساط العسكرية وأوساط رجال الأعمال كانت متكررة وبشكل مستمر تقريبا فى السياسة اليابانية منذ عشرين عاما ـ وكان موقف هيئة أركان حرب ا لبحرية أكثر إثارة للدهشة . فالأوساط البحرية ورغم أنها كانت من حيث المبدأ من الأنصار الساخطين لسياسة التوسع اليابانى، كانت مترددة فى أمر مد هذا العمل حتى، بحار الجنوب أى فى أن تصطدم فى مواجهة مع المصالح الأمريكية،

وبالاختصار فقد كانت هناك سياستان متواجهتان، فكان البعض لا يجرؤن على الوصول حتى مرحلة الحرب مع الولايات المتحدة، وكانوا يقنعون بالنتائج التى سيكون من الممكن الحصول عليها بواسطة الضغط الدبلوماسى، وكان الآخرون يرغبون فى أن يحققوا برنامج التوسع بالكامل، حتى إذا ما نتج عن ذلك الدخول فى حرب مع الولايات المتحدة.

وسيكون من المهم تتبع تفاعل القوى فى الفترة الواقعة من شهر يونيو إلى شهر نوفمبر ١٩٤١م.

فقطع العلاقات بين ألمانيا وإتحاد الجمهوريات السوفيتية حرر اليابان من "الخطر الروسى".ورأى فيه ماتسوكا Matsouka وزير الخارجية فرصة مواتية للقيام باحتلال فى سيبيريا الشرقية، كما كان قد حدث فى عام ١٩١٨م يضمن أجل المستقبل أمن الأرخبيل اليابانى، وهيئة أركان حرب الجيش،

دون أن تصل إلى التفكير فى هذا الغزو إذ أنها اعتبرته صعبا، قدرت أن الوقت قد حان من أجل العمل القوى فى بحار الجنوب، أى الإقامة قواعد فى كل الهند الصينية الفرنسية، ثم القيام بغزو الهند الهولندية، وقرر الأمير كونويى أن يزيد بسرعة من حدة الدفع صوب "البحار الجنوبية" وأن يحتل بعد ذلك سيبيريا الشرقية،ولكن فقط فى اليوم الذى تكون فيه الحكومة السوفيتية مضطرة إلى أن تسحب فى أوروبا الجزء الأكبر من قواتها التى كانت تحتفظ بها فى الشرق الأقصى وهكذا تمد اليابان احتلالها حتى سايجون.

وحينما دارت الولايات المتحدة بالعقوبات الإقتصادية، أوصى رئيس هيئة أركان حرب البحرية يتحاشى الحرب التى ستكون نتيجتها مشكوكاً فيها لغاية، إذ أن مخزون البترول والمواد الأولية سيكون قد استهلك فى فترة عامين، وربما فى ثمانية عشر شهراً. وكان هذا هو السبب الذى جعل الحكومة اليابانية تقرر أن تتفاوض مع الولايات المتحدة فهل كان هذا دليلاً على تخليها عن برنامجها؟ ربما كانت ترغب ببساطة فى كسب الوقت. إما من أجل إنشاء صناعة بيترول صناعى حتى تستمر فى الحرب فى ظروف أفضل، وإما إنتظار مصير الهجوم الألمانى على إتحاد الجمهوريات السوفيتية.والذى كان نجاحه سيجبر الولايات المتحدة على نقل كل اهتمامها صوب المحيط الأطلسى. وبالتالى على ان تطبق فى المحيط الهادى موقفاً أكثر اعتدالاً.

ومع ذلك فقد اتضح فى بداية شهر سبتمبر ان رئيس الوزراء لن يحصل على مقابلة مع رئيس الولايات المتحدة. وعندئذ فكرت الأوساط العسكرية فى الحرب مباشرة. وكان الإمبراطور هو الذى عارض ذلك: وقال

لرئيس هيئة أركان الحرب العامة "لقد كنت وزيراً للحرب حتى نشبت حادثة الصين... ولقد أكدت لى أن كل شئ سوف ينتهى فى مدة شهر. والحرب تستمر منذ أربع سنوات.... فإذا كانت الأقاليم الخلفية من الصين واسعة. فإن المحيط الهادى ليست له حدوداً، ولذلك فإنهم استمروا إذن فى إتباع المحاولة الدبلوماسية ولكن الأسس التى وضعت يوم ٦ سبتمبر، بواسطة المؤتمر الإمبراطورى أكدت ضرورة الحصول على "حرية العمل" فى الصين، وفى يوم ٢ أكتوبر إصطدمت المفاوضات بهذه المسألة الصينية. ففى داخل الحكومة اليابانية. استمر صراع مرير لمدة عشرة أيام. فكان الأمير كونوبى يرغب فى إرخاء العنان وكان مستعد لإعطاء وعد بأن اليابان بعد أن تتم الحرب مع الصين، لن تحتفظ فى هذه البلاد بحاميات ولا بقواعد بحرية، وحتى بإعداد محدودة وتمسكت هيئة أركان حرب الجيش ووزير الحربية بالبرنامج الذى وضعه المؤتمر الإمبراطورى،وطالبوا بقرار سريع إذ أن حصاد الشتاء كان سيأتى قريباً وبشكل يعرقل العمليات فى بحار الجنوب وحصلوا فى يوم ١٦ أكتوبر على إستقالة كونويى.

وكان وزير الحربية هو الذى عهد إليه الإمبراطور بمنصب رئيس الوزراء دون أن يحاول الالتجاء إلى أحد ممثلى الأوساط البحرية، والتى كان تطرفها أقل.

ومنذ ذلك الوقت ورغم أنه من اجل المحافظة على رغبة الإمبراطور. كانت المفاوضات الدبلوماسية مستمرة خلال بعض الوقت كذلك. دفعت الحكومة اليابانية بالاستعدادات من أجل الهجوم على بيرل هاربر، وفى أول ديسمبر ومن أن تأكدت من أن الولايات المتحدة لن تقبل الشروط اليابانية، أعطاء فى سرية تامة إلى قواتها البحرية والجوية. الأمر بالهجوم الذى كان سينفذ بعد ثمانية أيام.

وكانت الأسباب الرئيسية لهذا القرار واضحة فالأوساط اليابانية الحاكمة، إذا كانت قد قنعت، بعد ترددات كثيرة، بتحديد برنامج العمل في "بحار الجنوب" لم تكن ترغب لا في التخلي عن إقامة "نظام جديد"في الشرق الأقصى ولا في التخلي عن النتائج التي كانت قد حصلت عليها في الصين في أربع سنوات من الحرب، وحين وجدت أن الشروط الأمريكية كانت لا تتمشى مع برنامج التوسع، قدرت أنه من الأفضل الدخول إلى الحرب دون تأخير، ليس فقط لأن الاستعدادات الأمريكية كانت تتزايد،ولكن كذلك لأنه منذ اتخاذ القرار الأمريكي بالحظ، عاشت اليابان على مخزوناتها وبدأت في أن تستهلك من احتياطي البترول الذي ستكون في اشد الحاجة إليه في أثناء العمليات، وكانت هذه أسباباً كافية لشرح سلوك اليابان.

فهل من الواجب علينا البحث عن أسباب أخرى، والتفكير في أن الأوساط اليابانية الحاكمة كانتا قد خضعت لضغط ألماني؟ كانت الحكومة الألمانية قد نصحت اليابان بدون جدوى منذ ربيع ١٩٤١م، بالدخول في عمليات ضد القواعد البحرية الإنجليزية في "بحار الجنوب" هونج كونج وسنغافوره وفي شهر يونيو ودون نجاح اكثر من ذلك بالدخول إلى الحرب ضد اتحاد الجمهوريات السوفيتية. ويبدو أنها لم تحاول في ذلك الوقت أن تدفع اليابان ضد الولايات المتحدة، ولكن في أول أكتوبر كانت الحكومة اليابانية مستمرة في التفاوض مع الولايات المتحدة دون استشارة حلفائها في الميثاق الثلاثي فإن ألمانيا سوف تمتنع في المستقبل عن استشارة اليابان بشأن الاتجاه العام لسياساتها. وربما يكون هذا التهديد قد أسهم في دفع الأمير كونويي إلى الاستقالة، ولكنه سيكون من التطرف سبباً مقرراً.

ولقد أعطت دراسة السياسة الأمريكية تجاه اليابان، فى هذه السنوات الأخيرة مجالاً لمجادلات شديدة بين أنصار وخصوم النظرية "الروزفلتية" وبمناسبة هذه المناقشات، جاء نشر الوثائق والشهادات لكى يوسع نطاق المعلومات التاريخية، ولكن دون أن يسمح بإعطاء الضوء على كل المسائل التى تطرح نفسها على الفك. فكيف يمكن تفسير هذه السياسة فى الحالة الراهنة للوثائق؟

وكانت الحكومة الأمريكية على علم كامل بأبعاد المخططات اليابانية. إذ أن إدارتها قد نجحت فى فك شفرة الرسائل البرقية المرسلة من طوكيو إلى السفارة اليابانية فى واشنطون، والتى كانت تشتمل علاوة على التعليمات المرسلة إلى السفير، على اتصالات عديدة ورسائل موجهة إلى السفارة اليابانية فى برلين أو إلى القيادة العامة للجيش اليابانى فى الصين، فكانت تعرف إذن، ويوم بيوم تقريباً. بتطور خطط التوسع صوب بحار الجنوب. وكان الرئيس فرانكلين روزفلت رغم أن المصالح المباشرة للولايات المتحدة لم تكن تمتد إلى ما وراء الفلبين. يرغب فى أن يعارض السياسة اليابانية حتى يتمكن من حماية المراكز الإنجليزية والتى كان الإحتفاظ بها يتجاوب مع المصالح العامة للولايات المتحدة. وتلك هى النظرية التى شرحها فى شهر يناير ١٩٤١م. فى رسالة موجهة إلى سفيره فى طوكيو. فذكر أنه من الواجب أن تكون الإستراتيجية الدفاعية للولايات المتحدة "استراتيجية عالمية" فكان من الضرورى من أجل ضمان أمن الإتحاد الأمريكى، تزويد بريطانيا العظمى بالمواد الحربية التى كانت فى حاجة إليها من أجل مقاومة ألمانيا، وليس أقل من ذلك ضرورة أمر مساعدتها من أجل "الكفاح ضد إغلاق طرق المواصلات بين أجزاء العالم المختلفة" وقال الرئيس أن سيكون "من قصر

النظر تقديم العون لإنجلترا والموافقة فى نفس الوقت علـــى أن تحـــرم مـــن ثروات ماليزيا وأندونيسيا". وكان هذا هو سبب اهتمام حكومـــة واشـــنطون اهتماماً خاصاً بأمر إقامة قواعد يابانية فى الهند الصـــينية الفرنســـية التـــى ستكون أول خطوات فى هذا الهجوم صوب الأسواق الكبرى للمواد الأولية.

ومع ذلك فإن سياسة الولايات المتحدة لا تقف عند هذا الحـــد، مـــا دامت تنوى كذلك عرقلت المخططات اليابانية فى الصين، وفى هذا الشأن لم تكن الاستراتيجية العامة هى السبب، بل كانت المصالح التجارية والمالية هى التى توجه القرارات فسوف تبعد رؤوس الأموال والمنتجات الأمريكية بشكل نهائى من السوق الصينى ومن إمكانيات المكاسب المفتوحة عن طريق تجديد البلاد إذا ما استمرت السيطرة اليابانية على الصين. الم يكن هذا سبباً كافيـــاً لرفض ترك أسيا الشرقية لمصيرها.

وكانت المشغوليات الاقتصادية البعيدة المـــدى مشـــتركة إذن مـــع مخططات السياسة السريعة، فى أهداف السياسة الأمريكية.

وكانت وسيلة الضغط الرئيسية لدى حكومة الولايات المتحدة من أجل عرقلة تحقيق الخطة اليابانية هى "السلاح الاقتصادى".وكانت قبل اســـتخدامه استخداما كاملاً، قد ترددت لمدة عام فمن شهر يونيو ١٩٤٠م حتـــى شـــهر يوليو ١٩٤١م استمرت الولايات المتحدة فى أن تبيع البترول لليابـــان أى أن تسمح لخصمها المتوقع فى أن يكون احتياطياته من اجل الحـــرب، وفكـــرت حتى فى شهر أبريل ١٩٤١م أو اقترحت على الأقل إمكانية الوصـــول إلـــى وفاق يمكنه أن يؤدى إلى أن توزع بين بريطانيا واليابان والولايات المتحدة، المواد الأولية التى تأتى من ماليزيا ومن الهند الهولندية. ولا شـــك فـــى أن

المشغوليات الاستراتيجية وحالة الرأى العام هى التى يمكننها أن تشرح هــذه التر ددات.

ولم يكن الرئيس متفقاً فى هذه النقطــة مــع الرؤســاء العســكريين والبحريين يرغب فى هذا الوقت، فى دفع اليابان حتى النهاية. إذ أن الحرب فى المحيط الهادى كانت ستمنع الولايات المتحدة من أن تستمر فى الاحتفاظ بمكان لها فى معركة الأطلسى. وكتب فى شهر يناير ١٩٤١م. وأنه من المهم للغاية بالنسبة إلينا ومن أجل الإشراف على المحيط الأطلسى أن نظل فى سلم مع اليابان "إذ أن كل عملية صغيرة فى المحيط الهادى تعنى سفناً أقــل فــى المحيط الأطلسى". وهذه المشغولية نفسها ظهرت فى ظروف أخرى فى نفس الفترة فهيئات أركان الحرب الإنجليزية والأمريكية حينما درست إفتــراض. وكان فى ذلك الوقت غير مؤكد إلى حد بعيد مشاركة الولايات المتحدة فــى الحرب العامة. أوصت بتحويل المجهود الرئيسى صوب المحيط الأطلســى واتخاذ استراتيجية دفاعية فقط فى المحيط الهادى، وحين طلبــت الــوزارة الإنجليزية إلى فرانكلين روزفلت التدخل من أجل حماية الهند الهولندية ضد هجوم يابانى ممكن، رفض إعطاء مثل هذا الوعد.

وظل الرأى العام مع مشغوليات انتفاعية فكانــت اليابــان بالنســبة للمنتجين الأمريكيين عميلاً جيداً، من الأفضل الاحتفاظ به. وقــرار الحظــر الذى صدر فى شهرى مايو- يوليو ١٩٤٠م على المواد الحربية والمنتجات التعدينية كان لا يضر بالصناعة والتى كانت كل انشطتها موجهة إلى الطلبات الإنجليزية ولكن مد هذا الحظر كان يفرض على الأوساط الإقتصادية تقليــل الربح.

وهذه الدوافع التى كانت تدفع حكومة واشنطون إلى ألا تمارس على اليابان سوى ضغط معتدل ابتعدت مع ذلك فى بداية صيف ١٩٤١م. أمام اعتبارات أخرى، فتصلب السياسة الأمريكية التى تشهد بها العقوبات الإقتصادية والمالية التى تقررت عند نهاية يوليو، كانت قد تقررت بطبيعة الحال نتيجة المظهر الجديد للحرب الأوروبية. أى بالقطعية بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية وبين ألمانيا، فازدادت اليابان من حركة عمل أوسع فى بحار الجنوب منذ أن شل العمل السوفيتى فى الشرق الأقصى، لكن بريطانيا العظمى أصبحت تواجه تهديداً أقل فى معركة الأطلنطى، إذ أن كل الطيران الألمانى أصبح مشغولاً ضد اتحاد الجمهوريات السوفيتية.ولذلك فإن الولايات المتحدة أصبح فى وسعها أن تضع فى مواجهة اليابان سداً أكثر مناعة أن تتخذ الإجراءات اللازمة دون المخاطرة بتهديد مقاومة بريطانيا العظمى.

وهذا التصلب من حيث المبدأ كان هدفه إرغام اليابان على التفاوض ولكنه سرعان ما أخذ مظهراً مختلفاً، إذ أن الحكومة الأمريكية أظهرت تشدداً لم يكن يلائم بالتأكيد نجاح الوصول إلى حل وسط، ولماذا، أخذت هذا الموقف؟ ومن أجل فهم سلوكها نجد أن هناك فترتان تستحقان جذب الإنتباه.

الأولى تقع عند نهاية شهر أغسطس ١٩٤١م، حين استلم الرئيس روزفلت من الأمير كونويى طلباً للمقابلة وأجاب بالتأجيل إلى اجل غير مسمى Sine die وكان يعرف عن طريق البرقيات المأسورة. أن اليابان قد صممت على الاستمرار فى سياسة توسع فى بحار الجنوب ولذلك فإنه كان يعمل إلى أن يشك فى حسن نية رئيس الوزراء اليابانى وعلى كل حال فى فرص النجاح التى يمكنها أن تنتج عن محادثات فردية. فهل كان هذا مع ذلك

سبباً كافياً لرفض الدخول فى التجربة؟ يبدو أن الدافع الحقيقى لهذا الرفض هو الذى أشار إليه. لدى الرئيس الوزير كورديل هل Cordell Hull. فالمقابلة ولأنها ستظهر عداءاً سياسياً كانت تهدد إلى حد كبير بالإسراع بالقطيعة. ولما كانت وزارة الحربية ترغب فى الحصول على مهلة ثلاثة أشهر لإعادة تسليح الفلبين، فإنه كان من الأفضل إذن البقاء فى مرحلة تبادل المذكرات والمقابلات الدبلوماسية التى كانت تسمح بكسب الوقت بسهولة أكثر، وربما فى حالة عدم حصول الهجوم الألمانى فى روسيا على نتائج حاسمة، من رؤية الحكومة اليابانية تقلل من مطالبها.

والفترة الثانية تقع فى الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر وكانت لها مظاهر فريدة.

فبعد سقوط وزارة كونويى فى طوكيو ووصول الجنرال إلى السلطة، كانت الحكومة الأمريكية واثقة من أن الحرب كانت مؤكدة ومع ذلك وعلى عكس رأى وزارة الخارجية، التى كانت تخشى من إنهيار مقاومة الصين، أبعد الرئيس فكرة توجيه إنذار إلى اليابان. وكان يفضل أن تقوم اليابان بوضع نفسها "بشكل واضح" فى الخطأ، وأن يترك لها أخذ الدافع للقطيعة، ليس فقط لكى يمضن تأييد الرأى العام الأمريكى ولكن أيضاً لالتفاته إلى رأى هيئات أركان الحرب التى كانت ترغب فى الحصول على وقت لإنهاء إستعداداتها

وما دامت حكومة الولايات المتحدة كانت تأمل فى تأخير الحرب، فلقد كان من المنطقى أن تتخذ وقت المبادلات النهائية للمذكرات الدبلوماسية مع اليابان، موقفاً غير متشدد وكان هذا بالفعل هو موقفها الأول. ففى يوم ٢١ نوفمبر كانت تفكر فى أن تسمح لليابان بالاحتفاظ بحاميات فى الجزء

الشمالى من الهند الصينية الفرنسية وأن تطلب أن تحترم تسوية المسألة الصينية "المبادئ الأساسية" الضرورية للمحافظة على سلم دائم، صيغة أمل غير محدودة، وهذه الألفاظ استخدمت فى مشروع الرد الذىكان سيرسل إلى الحكومة اليابانية، ولكن حين أرسل هذا الرد يوم ٢٦ نوفمبر إلى طوكيو كانت الشروط الأمريكية قد أصبحت أكثر تشدداً فاليابان مدعوة إلى الجلاء عن كل الهند الصينية الفرنسية وإلى التخلى عن حكومة وانج شينج وى Ouang Ching Ouei التى كانت قد تشكلت تحت إشرافها فى ذلك الجزء من الصين الذى يحتله الجيش اليابانى.فإذا كان من طبيعة هذا الرد أن يسرع بالصدام فإن الأوساط الرسمية الأمريكية كانت لا تبدو على أنها كانت تشك فى ذلك، فأرسلت هيئات أركان الحرب أمراً بالطوارئ إلى كل القوات العسكرية والبحرية،وكانت بعيدة عن أن تتوقع أن يتجه التهديد صوب بيرل هاربر كموقع بعيد جداً عن القواعد اليابانية كانت تتوقع "فى الأيام القليلة التالية" هجوماً يابانياً على الفلبين.

فكيف نشرح هذا التزايد لخطورة الشروط الأمريكية فيما بين ٢١، ٢٦ نوفمبر ليس هناك من شك فى أن هذا القرار قد اتخذ، ولقد أعطت أبحاث ويليام لانجر William Langer وإيفيريت جليسون Everett Gleason الدليل على ذلك من جانب الرئيس ووزير الخارجية دون إستشارة هيئات أركان الحرب العامة. ومن المؤكد كذلك أن المشروع الأول كان قد تسبب ليس فقط فى احتياجات سفير الصين، ولكن كذلك فى اعتراضات رئيس وزراء بريطانيا، فذكر ونستون تشرشل أن الحكومة الوطنية الصينية. إذ لم يكن فى وسعها أن تعتمد على تعضيد الولايات المتحدة، سيصل بها الأمر إلى التخلى عن كفاح ولذلك فإن الصعوبات التى تواجهها بريطانيا العظمى سوف تزداد بشكل ثقيل، إذا ما تمكنت اليابان من

أن تستخدم فى جنوب شرق آسيا تلك القوات المسلحة التى ستكون جاهزة لذلك نتيجة لإنهاء حملة الصين.

ولذلك فإن سلوك الولايات المتحدة قد تقرر خلال هذه الفترة الحاسمة بقرارات الرئيس. الذى مارس دور الحكم بين وجهات النظر والتى كانت فى بعض الحالات مختلفة لهيئات أركان الحرب ولوزارة الخارجية. وكان سلوك فرانكلين روزفلت هذا هو الذى تسبب فى نشأة تفسيرات متضاربة.

فاعتقد البعض أن الرئيس قد قرر إتخاذ موقف المتصلة السياسة الأمريكية فى أثناء صيف ١٩٤١م، يهدف متعمد هو دفع اليابان إلى إتخاذ المبادرة إلى العمليات الحربية، فروزفلت الذى كان مؤمناً بضرورة دخول الولايات المتحدة إلى الحرب الأوروبية. كان قد اصطدم حتى ذلك الوقت بترددات الرأى العام الأمريكى، وكان يأمل فى ان يرى اليابان تهاجم الولايات المتحدة، إذ أن هذا العدوان سوف يكتسح الترددات ويعطى مباشرة الفرصة لقطيعة مع ألمانيا شريكة اليابان فى هذا الميثاق الثلاثى. والدفع إلى خرب المحيط الهادى كان فى نفس الوقت دفع للولايات المتحدة إلى الحرب الأوروبية.

وشرح الآخرين هذا التصلب بمشغوليات استراتيجية، كانت مرتبطة بشكل مباشر بمخططات بريطانيا العظمى. فروزفلت كان قد رغب فى أول الأمر فى قطع الطريق أمام التوسع اليابانى فى بحار الجنوب من أجل حماية تموين المصانع الإنجليزية بالمواد الأولية والقوات المسلحة البريطانية بالبترول، ورأى أنه من الضرورى بعد ذلك أن يعارض السيطرة اليابانية على الصين. حينما أظهر له ونستون تشرشل النتائج التى يمكن أن تحدث لسياسة الحرب لبريطانيا العظمى من تسليم الحكومة الوطنية الصينية. ومع

ذلك فإنه لم يكن يأمن فى الدخول فى حرب اليابان، ولكنه قبـل مخاطرهـا فقط.

ولتأييد التفسير الأول. هنا وثيقة هامة واحدة فقط، هـى المعروفـة حالياً وتأتى من هنرى ستمسون Hanry Stimson وزير الحربيـة، فبعـد مؤتمر عقد فى البيت الأبيض يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤١م، كتب فى مذكراتـه الخاصة "كانت المسألة تتعلق بمعرفة كيف يمكننا أن نتحرك (نناور) بطريقة أنها (اليابان) تطلق أول طلقة، ولكن هذا الانطباع الشخصى، هل كان حقيقيا؟ من المستحيل أن نحكم نتيجة لنقص المعلومات عن سير المناقشة.

ولتأييد النظرية الثانية، فإن الحجة الرئيسية هى حالة الإسـتعدادات العسكرية والبحرية الأمريكية: فكانت لهيئات أركان الحرب أسـبانيا قويـة للأمل فى تأجيل الصدام، فكيف دفع الرئيس متطوعاً اليابان إلى الحـرب لا شك فى أنه يمكن الطعن فى طريقة التفسير هذه، إذ أنه غالباً ما يكون علـى رجل الدولة أن يحسب حساباً لوجهات النظر التى تزيد عن أفـق التقنـين. ولكن فى هذا الموضوع. ما هى الدوافع السريعة التى كان فـى وسـعها أن تدفع فرانكلين روزفلت إلى عدم الإلتفات إلى وجهات نظر الهيئات أركـان الحرب. وإلى تحمل مخاطر هوائم عسكرية وبحرية، كان فى وسعها حتـى وإن كانت مؤقتة أن تكون خطيرة بالنسبة للولايات المتحدة وخطيرة كـذلك بالنسبة لمكانته الشخصية؟ إن التاريخ يحتاج إلى دلائل أو على الأقـل إلـى مؤشرات جادة لا توجد هنا.

ولذلك فإنه من المشروع بالنسبة للحالة الراهنة للوثائق إبعاد النظرية التى تميل إلى إظهار أن اليابان قد دفع بها إلى الحرب بالرغبة المعتمدة من رئيس الولايات المتحدة ويبقى فقط أن الرئيس قد رأى وطبقاً لكـل تـرجيح

نشوب هذه الحرب دون أن يأسف على ذلك، فحين علم بنبأ الهجوم اليابانى، ولكن قبل معرفة خطورة الخسائر التى كانت قد وقعت للأسطول الأمريكى فى بيرل هاربر. بدأ على أنه قد تنفس الصعداء.

وفيما بين فشل "الحرب الخاطفة" التى قامت بها ألمانيا فى روسيا وبين بدء العمليات الحربية من جانب اليابان المحيط الهادى، فإن التوافق الزمنى ليس له قيمة كبيرة، فتركت حاملات الطائرات اليابانية المكلفة بمهاجمة بيرل هاربر، قواعد عملياتها (فى جزر كوريل) فى أول ديسمبر أى قبل بداية الهجوم المضاد الروسى الذى تمكن من فك الحصار عن موسكو، والحكومة الألمانية، رغم أنها كانت قد وعدت بمعونة اليابان فى الحرب ضد الولايات المتحدة. لم تكن تتوقع الهجوم المفاجئ على جزر هاواى، ولم تكن تأمل فيه. ومع ذلك وبالنسبة لإمكانيات الصدام العالمى. كان لهذا التوافق أهمية. فألمانيا "طبقاً للإستراتيجية الهتلرية" كانت ترغب فى القضاء على "اتحاد الجمهوريات السوفيتية" حتى تتمكن من ان تحاول تثبيط همة بريطانيا العظمى، ولكن كذلك من أجل أن تتمكن من أن تواجه إلى الغرب. وفى ظروف اكثر ملائمة، إذا ما دخلت الولايات المتحدة إلى الحرب ولكن هذا الدخول إلى الحرب حدث فى نفس الوقت الذى اختفى فيه الأمل فى الحصول على انتصار سريع فى روسيا ولا شك فى ان هتلر قد ذكر فى يونيو ١٩٤١م وفى خطاب لموسولينى أن التدخل المسلح للولايات المتحدة لن يكون شيئاً هاماً بالنسبة إليه مادام الإتحاد الأمريكى كان يعطى بالفعل من قبل كل معونة فى طاقته لبريطانيا العظمى، ولكنه كان قد أمر منذ نهاية شهر يونيو هيئة أركان حرب البحرية بأن تتحاشى كل حادث فى المحيط الأطلسى حتى منتصف شهر أكتوبر. وهو التاريخ الذى سيؤخذ فيه "القرار الكبير" بالنسبة للجبهه الروسية، وفى شهر يوليو وبعد احتلال الأمريكيين لآيسلنده أوصى

بأن "يؤجل" إلى أقصى درجة ممكنة ولمدة شهر أو شهرين، كل عمل عدوانى ضد الولايات المتحدة يأمل أن يؤدى الانتصار الألمانى فى روسيا إلى دفـع الرئيس روزفلت إلى إعادة النظر فى خط سلوكه. وكان يقيس إذن المخاطر التى سوف تنزل بألمانيا إذا ما كان عليها أن تستمر فى الحرب وفى نفـس الوقت ذد روسيا وضد الولايات المتحدة.

ومع ذلك فإن هذه الأخطار لم تكن سريعة. فليس فقط أن الولايـات المتحدة لم يكن لديها بعد جيش قادر على العمل فى أوروبـا ولكـن أيضـاً المظهر الذى أخذته منذ البداية حرب المحيط الهادى كان يجبر هيئات أركان الحرب الأمريكية على تركيز كل اهتمامها على هذه الناحيـة. ففـى شـهر ديسمبر ١٩٤١م، إنزال يابانى جوام، وفى هونج كونج، وفى ملقة، تمت دون صعوبات جادة نتيجة للخسائر التى وقعت للأساطيل الإنجليزية والأمريكيـة فى بيرل هاربر، وبعد ذلك بيومين إنزال فى خليج سيام، وفى بدايـة شـهر يناير ١٩٤٢م سقوط مانيلا، وفى شهر فبراير سقوط سنغافوره، وفى شـهر مارس الإحتلال اليابانى للهند الهولندية وبورما السفلى وفى نفـس الوقـت الأرخبيلات التى كانت تغطى الساحل الشمالى لاستراليا. ولم تخف سـرعة الهجوم اليابانى إلا عند نهاية شهر مايو ١٩٤٢م،وبعد المعركة البحرية لبحر المرجان. ومنذ ذلك الوقت أصبح فى وسع الولايات المتحدة أن تفكـر فـى مشاركة واسعة فى العمليات الحربية فى أوروبا.

مشكلات ما بعد الحرب

١٩٤٦ - ١٩٥٢

جعلت الحرب من الولايات المتحدة "ترسانة الديمقراطيات" الثانية، والمارد الأمريكى، وفرض السلم على الرئيس الجديد الذى وصل بهذه المسئولية العليا نتيجة لوفاة روزفلت (١٢ أبريل عام ١٩٤٥م) المشكلات الدقيقة لعملية التحول.

وتعامل معها ترومان Turman بروح القانون الجديد. فكانت رسالته الأولى الموجهه إلى الكونجرس (٦ سبتمبر ١٩٤٥م) قد عملت على شرح برنامجه يشتمل على أحدى وعشرين نقطة. والذى عمل فى نفس الوقت الذى أعلن فيه ثقته فى الدافع الشخصى "فى الأوقات العادية" على إظهار أمله فى أن تتمكن الدولة من أن تحل نفسها محله فى حالة الفشل، ولا يرى لذلك سبيلاً سوى الإلغاء "التدريجى" لإشراف الحكومة ورقابتها على الاقتصاد. واقتراح بالنسبة للجماعات المحرومة، وبخاصة العمال، عينات طويلة من الإجراءات الإجتماعية. وضمانات العمالة الكاملة.

ولم يكن من السهل أن يحصل مثل هذا البرنامج على أغلبية فى الكونجرس تعمل على تأييده، فكان الإئتلاف التقليدى للجمهوريين والديمقراطيين المحافظين لا يظهر أى تأييد للقانون الجديد ولكل ما يتصل به. وبدأت المعركة الرئيسية حول مسألة إنخفاض سعر العملة ومراقبة الأسعار. فبدلاً من مشروعات ترومان الخاصة بالإحتفاظ بالعمل الفعال لإدارة الأسعار، وضع الكونجرس قانون ٢٧ يونية سنة ١٩٤٦م الذى أطال أمد هذه الإدارة لمدة عام. ولكنه حرمها من كل سلطاته تقريباً. وبدلاً من أن

يحاول ترومان الوصول إلى حل وسط. استخدم سلطته الإعتراضية الفيتـو، فكانت النتيجة هى وقف مراقبة الأسعار فى أول يوليو. وتبعت ذلك موجـة لإرتفاع الأسعار. والتصويت على حل وسط جاء متأخراً ولم يتمكن من وقف تزايد قيمة السوق السوداء واضطرار ترومان فى آخر الأمر إلى التراجـع. فألغى شيئاً فشيئاً المراقبة على المنتجات الغذائية، ثم قـام فـى ٩ نـوفمبر بإعطاء الحرية للأجور وللأسعار.

ذلك أن انتخابات نصف الدورة كانت قد وقعت أربعة أيام قبل ذلك، ومثلت بالنسبة للرئيس أكبر ثقة ممكنة فى ٣٤٦ جمهورى فى المجلس ضـد ١٨٨ ديمقراطى، و ٥١ شيخ ضد ٤٥. ولم يكن الحزب الجمهورى قد حصل على مثل هذا الفوز منذ عام ١٩٢٨م. وكان علاوة على ذلك قد وجد زعيماً له فى شخص روبرت تافت Robert Tafet ابن رئيس الجمهورية السابق. والذى انتخب شيخاً لأوهيو. وكان الكونجرس الثمانون أقل ميلاً من سـابقيه لترومان.

ومنذ شهر مارس سنة ١٩٤٧م صوت الكونجرس على التعديل الثانى والعشرين للدستور، والذى قرر أنه لا يمكن لأى أحد أن ينتخـب لمسـئولية الرئاسة أكثر من مرتين وكان بالتاكيد قد حدد أن هذا الإجراء لا يطبق على الرئيس الموجود، ولكن أحداً لم يقدر على رؤية ترومان يحاول أن يقف فى مواجهة روح النص. وجاءت هزيمة أكبر من ذلك مع التصويت على قانون تافت (هارتلى يونيو ١٩٤٧) الذى جمع إلى جانب بعض معالم ثانوية مـواد وصفتها نقابات العمال بأنها لا تطاق خطراً على الإتفاقيات التى تقصر العمل على النقابيين وحدهم، وعلى الإضرابات ومحاصرة أبواب المصـانع لمنـع تشغيلها فى حالات الإضراب.وبادر ويليم جرين وجون إل. لويس وغيرهما

من قادة العمال لشن معركة لإبطال القانون أو تعديله تعديلاً كبيراً ولكن دون جدوى. وهزيمة أخرى فى الشهر التالى مع تصويت الكونجرس.وقت مناقشة الميزانية على تخفيض الأعباء الضرائبية وأمام هذا الإجراء الديماجوجى والذى يتسبب من وجهة نظر الرئيس فىرفع الأسعار قام ترومان بممارسة حق الفيتو بدون جدوى، وحول مسائل بناء المساكن والمعونات الفيدرالية للتعليم، والضمانات الاجتماعية والأسعار الزراعية، وحقوق السود، حارب الرئيس الكونجرس بمرارة.وفى صالح الكونجرس بشكل واضح.

ولذلك فإن أعوام ١٩٤٦، ١٩٤٧م كانت أعواماً صعبة بالنسبة لترومان، ولكن الرئيس الجديد تمكن فى هذه المعارك المستمرة.من أن يكتشف شخصيته وربما أيضاً رأى قدراته.

ذلك أن ترومان كان قد أعطى إنطباعاً ضعيفاً لمواطنيه فى الأوقات الأولى لرئاسته، وكان هذا الأمريكى المتوسط، والآتى من الأقاليم هو أول رئيس منذ كليفلاند Cpleveland لم يكن قد تعلم تعليماً عالياً، وكان رجلاً له مظهر بسيط، ولا يجيد الخطابة، واختياره لنيابة الرئاسة، لأنه لم يكن يخيف أى أحد، وكان قد شعر بالذعر من المسئوليات التى وقعت على كاهله نتيجة لوفاة روزفلت.ولكن خلف هذا التواضع. وما اعتقده البعض على أنه ضعفاً كان هناك عند هذا الرجل، الذى يغضب بسرعة موارد قيمة ستظهرها واجبات أعبائه وثقل مسئولياته وبعد فترة عدم التأكد والتثبت ستشعر ترومان بالثقة فى نفسه وسيظهر أنه الرجل المناسب.

الرجل المناسب فى السياسة الخارجية، وكان أبناء وطنه فى هذا الميدان، قد وجدوا أنفسهم منقسمين فى أول الأمر، فعل مستوى رجل الشارع وضع الكثيرون ثقتهم فى الأمم المتحدة، ونظروا بميل وتقدير إلى الإتحاد

السوفيتى الذى كان قد قام بتضحيات عديدة فى الصراع ضد النازية، ولذلك فإن خطبة تشرشل فى فيلتون قد قابلها جزء كبير من الرأى العــام مقابلــة سيئة، وفى الأوساط الحاكمة كانت سياسة وزير الخارجية بيــرنس Byrnes والتى كانت متيقظة لطموحات الروس. تستند إلى الزعمــاء الجمهــوريين، والشيوخ كونالى Connally وفاندنبرج Vandenberg ولكنها كانت تلقــى نقداً شديداً من هنرى والاس Henry Wallace وزير التجارة الذى رأى أنه لم يعد للولايات المتحدة ان تتدخل فى شئون أوروبا الشــرقية، ولا للإتحــاد السوفيتى أن يتدخل فى شئون أوروبا الغربية. وفى شهر ســبتمبر ١٩٤٦م. ولما كان ترومان قد أعلن على خطاب والاس، طلب إليه بيرنس أن يصحح موقفه، وطالب بإقالة والاس. واضطر ترومان إلى أن يتراجع. ويبدو أن ذلك كان رغماً عنه.

وانقشعت خيالاته فى نفس الوقت الذى انتهت فيه خيالات مواطنيــه، ففشل المفاوضات فى أوروبا، وخاصة بشأن المسألة الألمانية نتيجة للتشــدد السوفيتى، وعمليات الفشل الأولى للأمم المتحدة التى حوصــرت باســتخدام الفيتو بشكل غير معتدل من جانب ممثلى إتحــاد الجمهوريــات الســوفيتية، والصعوبات التى لقيتها لجنة الطاقة الذرية للأمم المتحدة، جعلتــه يفهــم أن الوقت الخاص بالثقة قد تغير وأنه لم يعد من الممكن ترك الميدان خاوياً أمام الإدعاءات السوفيتية.

وجاءت الفرصة لكى يعلن فيها ترومان عن قراره بواسطة بيفن حين أعلن هذا الأخير أنه لا يمكن لبريطانيا العظمى أن تتحمل بعــد ذلــك تلــك الأعباء التى كانت قد قامت بها حتى ذلــك الوقــت مــن المعونــة الماليــة والعسكرية لليونان ولتركيا (فبراير ١٩٤٧م). فأخذ الرئيس مباشرة القــرار

الرئيسي بضمان أن يحل محلها، وطلب فى ١٢ مارس إلى الكونجرس الموافقة على برنامج معونات تبلغ قيمته ٤٠٠ مليون دولاران برره فى هذه الكلمات. "أننى أعتقد أن سياسة الولايات المتحدة يجب أن تكون مساعدة الشعوب الحرة التى تقاوم محاولات سيطرة الأقليات المسلحة أو الضغوط الخارجية". وأمام المعارضة التى كان يقودها البعض مثل والاس، وتتهمه بجر الولايات المتحدة فى مغامرة بلا نفع وخطيرة، وربما يصل بها الأمر فى ضخامتها إلى الوصول إلى التسبب فى حرب عالمية جديدة، ومعارضة الآخرين الذين كانوا أكثر اعتدالاً، وأعلنوا أسفهم لكون سياسته لا تعطى إعتباراً للأمم المتحدة، إضطر ترومان إلى أن يوافق على التعديل الذى طالب به فاندنبرج والذى نص على أنه يمكن للكونجرس أن يجبر الرئيس على وقف المعونات للدول الأجنبية إذا ما رأى مجلس الأمن أن هذه المعونة ليست ضرورية ولا مرغوب فيها.وبعد هذا التعديل وافق مجلس الشيوخ على المشروع، وفى ٢٢ ابريل ١٩٤٧م بسبعة وستين صوتاً ضد ٢٣، ووضع بذلك ما سمى "بنظرية ترومان".

وكانت حالة اليونان وحالة تركيا، والطلبات المستمرة لقروض من جانب حكومات أوروبا الغربية، والصعوبات الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية التى تعرفها هذه المنطقة قد انتهى بها الأمر إلى إقناع وزارة الخارجية الأمريكية بأن إمكانية نيل التوسع الروسى من أوروبا تتوقف إلى حد بعيد على البؤس الناتج عن التخريب الضخم فى أثناء الحرب. وإذا كان على أوروبا أن تواصل حياتها فمن الضرورى إعادة بناء اقتصادها وفى هذا الميدان ظهر أن "نظرية ترومان" كانت قصيرة النظر، وكان من الضرورى إكمالها. وجاءت كفاءة جورج مارشال Georgr Marchall، وزير الدولة الذى حدد فى خطبته فى هاردفارد يوم ٥ يونيو ما يسمى بمشروعه: "إن

هدف سياستنا هو إعادة بناء اقتصاد عالمى سليم، وبشكل يظهر الظروف السياسية والاجتماعية التى يمكن أن تعيش فيها المنظمات الحرة، وفى نفس الوقت، قام جورج كنعان George Kannan الموظف بوزارة الخارجية الأمريكية، بتحديد إستراتيجية طويلة المدى بالنسبة للإتحاد السوفيتى: لاطراد بالقوة، ولا اتفاق بدون مدى، ولا حل وسط غادر، ولكن احتواء.

وسرعان ما وضعت إستراتيجية الاحتواء على المحك وقت أزمة برلين. وأمام إجراءات الحصار، صمم ترومان على عدم التراجع، أى عدم سحب القوات الأمريكية من قطاع برلين، ولكن على كذلك عدم الدخول فى اشتباك بإرسال قافلة مسلحة عبر منطقة الاحتلال الروسى. واختار حل الجسر الجوى الذى ظهرت فاعليته. وأدى النجاح فى برلين إلى تغيير عميق فى المناخ فى أوروبا، وفى الولايات المتحدة. ثم جاء الانطباع العميق الذى حدث فى الغرب بعد "ضربة براغ"، وسمحت بالإسراع بالمفاوضات من أجل عقد تحالف بين الدول الغربية. وانتهت المفاوضات بالتوقيع فى واشنطون، يوم ٤ ابريل ١٩٤٩م على معاهدة شمال الأطلنطى. وبقبول ترومان، لأول مرة فى التاريخ الأمريكى، التوقيع على تحالف عسكرى مع دولة أجنبية. دخل ببلاده فى سياسة جديدة تماما وقضى على تقاليد اتجاه العزلة. وهذا التغيير الرئيسى كان نتيجة لحذق ترومان وقد تمت موافقة الجميع عليه، أو تقريبا: فكان قد عرف بالفعل كيف يشرك إلى حد بعيد فى سياسته الزعماء الجمهوريين مثل فاندنبرج، ودالاس، فحصل من مجلس الشيوخ على أغلبية واضحة من أجل التصديق على المعاهدة، تتمثل فى ٦٢ صوت ضد ١٣ (٢١ يوليو ١٩٤٩م). ولكنه قابل صعوبات أكبر من أجل جعل نفس مجلس الشيوخ يصوت على قانون المساعدات العسكرية والذى كانت نتيجته

المباشرة. وكانت المعرضة القوية للسناتور تافت والمعادية لكل تعهد لمدى طويل قد سمحت بإعادة تجميع أصحاب الحنين إلى سياسة العزلة.

وكانت أزمة كوريا، مثل أزمة برلين، قد واجهها ترومان بفكرة الاحتواء. وكانت فكرة يصعب احترامها، خاصة وأن السياسة الصينية للرئيس أو أكثر من ذلك عدم وجود سياسة له، قد انتقدت بشدة من جانب بعض الجمهوريين الذين أخذوا عليه أنه. بعدم عمله قد فتح الصين أمام الشيوعية. وكانت قوة رد فعله وقت العدوان الكورى الشمالى تسمح للرئيس بأن يعيد تجميع الرأى الرأى وراءه. وكان ذلك لفترة من الوقت،إذ أن قراره بعزل ماك آرثر Mac Arthur (١٠ أبريل ١٩٥١م)، رغم أنه كان فى الخط الحقيقى لسياسة الاحتواء، ورغم أنه كانت قد تمت الموافقة عليه، إن لم يكن قد اقترح، من جانب هيئة أركان الحرب ورئيسها الجنرال برادلى Bradley. وقد تسبب فى نشأة انقسام عنيف للغاية فى الكونجرس وفى كل البلاد.ووصل الحال ببعض الزعماء الجمهوريين إلى حد نصحهم بالحرب الشاملة مع الصين؛ وظهرت الجولات المنتصرة للجنرال ماك آرثر فى المدن الأمريكية الكبرى على أنها حكما شعبيا على سياسة الرئيس. ومع ذلك، وبعد بضعة أسابيع، بدأت المفاوضات من أجل الهدنة فى كوريا، وأيدت وجهة نظر ترومان: فبتمسكه بشدة "وبانتصار محدود" ، كان قد أجبر الكوريين الشيوعيين على التخلى عن غزوهم لكوريا الجنوبية. وكان ذلك هو "احتواء" للاتجاه التوسعى الشيوعى.

وسنلاحظ أن دور الرئيس فى السياسة الخارجية، وبمقارنته بدور الكونجرس، كان رئيسيا "فالنظرية" ، ومشروع مارشال، والجسر الجوى وحلف الأطلنطى، و"الانتصار المحدود" وعزل ماك آلاثر. كانت هذه

القرارات قد أخذها رئيس السلطة التنفيذية، والتنفيذية وحدها؛ وكانت كلها تقريبا قد سيرت السياسة الخارجية للولايات المتحدة لسنوات عديدة. وفى السياسة الداخلية، كان عمل الرئيس على العكس من ذلك، محددا إلى درجة كبيرة، وحتى مقضى عليه، بواسطة الكونجرس، وبخاصة بعد نجاح الجمهوريين فى انتخابات عام ١٩٤٦م. وكان من الضرورى أن يحصل ترومان، ورغم كل تنبؤات على الانتصار فى انتخابات الرئاسة لعام ١٩٤٨م حتى يجرؤ على فرض سياسته.

وأظهر انتصار ترومان فى انتخابات شهر نوفمبر ١٩٤٨م صفات الرجل. ولكون ترومان قد عرف أنه سيهزم، طبقا لكل المظاهر بواسطة خصمه الجمهورى ديوى Dewey. فإنه قاد فى الأوقات الأخيرة من الحملة الانتخابية معركة قوية، استخدم فيها كل صفاته كمحارب، وكان التأكد الكبير لدى الجمهوريين، وتيار الشعور فى صالح ذلك المرشح الشجاع، وثقل التنظيمات النقابية، وتأييد الزنوج، تشرح عودة الكسب النسبى لشعبية الرئيس السابق، وسمحت له بضحض التنبؤات والمجسات. ونجح بأربعة وعشرين مليون صوت على ديوى الذى حصل مع ذلك على ٢٢ مليون، وعلى الديمقراطى (الجنوبى) ثورموند Thurmond (١,١٧٠,٠٠٠ صوت فقط) وعلى والاس الممثل للحزب التقدمى، الذى انشق من الحزب الديمقراطى (١,١٥٠,٠٠٠٠ صوت).

وشعر ترومان بالقوة نتيجة للثقة الشعبية وكرئيس منتخب، لا كرئيس بالصدفة كما كان فى عام ١٩٤٥م، استعاد شبابه السياسى. وأصبح من جديد بطلا من أبطال الاتجاه المتقدم، فشرح فى رسالته إلى الكونجرس فى ٢٠ يناير ١٩٤٩م، برنامجا (الدولة الرفاهية) الذى أطلق عليه اسم قانون العدالة.

وكان ذلك بدون شك بغير خيال كبير، إذ أنه رغم وجود أغلبية ديمقراطية فى المجلسين، فإن التركيب الإعتيادى للجمهوريين ولديمقراطى الجنوب كان سيظهر من جديد لكى يقف فى وجه كل تشريع يمكنه أن يشير، من قريب أو من بعيد، الاتجاه الاشتراكى، أو حتى إلى الاقتصاد الموجه.

وكان الحساب الختامى، وفى هذه الظروف، لقانون العدالة، غير كبير: زيادة الحد الأدنى للأجور والمحددة بقانون ب ٧٥ سنت فى الساعة (مقابل ٤٠) ومد نطاق المنتفعين الجدد بقانون التأمينات الاجتماعية لعام ١٩٣٥م إلى ١٠ مليون شخص، وامتداد مراقبة الإيجارات حتى عام ١٩٥١، والتصويت على قانون الإسكان لعام ١٩٤٩م والذى أعطى إئتمانات كبيرة للبناء وللكفاح ضد المساكن غير الصحية، وزيادة القروض لعمليات التنمية الزراعية وأخيرا، التصويت فى شهر يونيو ١٩٥٠م على قانون جديد بشأن (الأشخاص المنقولين) والذى يسمح بهجرة ٤٠٠,٠٠٠ لاجىء أوروبى. ولكن الرئيس ترومان لم يتمكن من أن يحصل من الكونجرس على الموافقة على مشروع برانان Brannan من أجل الزراعة، ولا على إلغاء قانون تافت-هارتلى. وضرب مشروعه الخاص بالتشريع من أجل الصحة العامة (قانون التأمين الصحى الوطنى) تلك الحملة الصحفية الضخمة التى أنفق عليها الإتحاد الأمريكى للأطباء، والذى اتهمه بالرغبة فى إدخال (طلب اشتراكى)؛ أما مشروعه الخاص بتقديم المعونة المالية الدولية لمؤسسات التعليم، فإنه تحطم نتيجة لمعارض الكنيسة الكاثوليكية له. وكان تخطيطه الكبير لإعطاء الزنوج المساواة فى المعاملة، والذى أعده بواسطة "لجنة الحقوق المدنية" فقد بالمعرضة المنظمة فى الكونجرس. فاضطر ترومان إلى أن يتخلى عن الطرق التشريعية وإلى أن يستخدم إجراءات القرارات والمرسومات من أجل

القضاء على التفرقة العنصرية فى الإدارة الفيدرالية، وفـــى داخــل القــوات المسلحة.

وكان القليل الذى تمكن ترومان من جعلهــم يوفقــون عليــه مــن مشروعات قانون العدالة، قد حصل عليه فى الثمانية عشر شهر الأولى مــن مدة رئاسته. فالواقع أن الرئيس قد وجد نفسه، منذ صيف ١٩٥٠م، منــزوع السلاح فى محاورته، وحتى موضوعا فى موضع الإتهام لتلــك الإنطلاقــة للعواطف ضد الحظر الأحمر ضد اتجاه ماك آرثر.

فمنذ وقت طويل، كانت الأوساط المسئولة قلقة من سيطرة الشيوعية على الإدارة، أو بمعنى أدق، من توغل الشيوعيين، أو "رفقاء الطريق داخل الإدارات العامة عند نهاية سنوات الثلاثينات وبخاصة فى أثناء الحرب. ومنذ سنوات ١٩٤٥م، ١٩٤٦مقامت بعض التحقيقات، واكتشفت بعض عمليــات صغيرة للتجسس. وفى شهر مارس ١٩٤٧م، عهد ترومان لإدارة التحقيقات الفيدرالية .F.B.I أن تقوم بتحقيق عن ولاء كل الموظفين الاتحاديين؛ ولقــد استمر هذا التحقيق خلال أربع سنوات حول ٣ مليون موظف، وتسبب فــى استقالة ٢,٠٠٠ موظف وفى فصل ٢٠٠. وأثار هذا الأمر بنوع خاص الذعر ضد الأوساط الليبرالية التى اتهمت الإدارة بعمل "تجريم بواســطة الإيحــاء" الأمر الذى يهدد حقوق المواطن.

ومع ذلك، فإن هذا التناول من جانب ترومان للمتطرفين مــن اجــل القيام بعملية تطهير لم تكف لتهدئة مخــاوف الأهــالى، والتــى زادت قــوة بالإشاعات الخارقة للعادة عــن التوغــل الشــيوعى، وعمليــات التجســس السوفيتية، والتى كانت تقوم بنشرها شخصيات مشكوك فيها وتبحــث عــن الشهرة. وقام أحد هؤلاء، وهو تشامبرز Chambers بمهاجمة الجــرهيس

Alger Hiss أحد كبار الموظفين، والذى كان فيما مضـى موضـع ثقـة روزفلت. وانتهت محاكمة هيس (١٩٥٠م) بعد جولات عديدة؛ رغم إنكـار ـتهم، إلى حكم عليه بشأن التجسس فعلا، وخرج ترومان ومن حوله وقـد أصابهم الرجل، الرئيس لأنه كان قد وصف مسألة هيس بأنها مناورة وضيعة للجمهوريين، وآتشيسون Acheson وزير الخارجية لأنه كان قد أظهر علنا تقديره وثقته فى هيس.

وهذه المسألة، وغيرها والأقل أهمية منها مهدت الطريـق للصـعود السياسى غير العادى للسـناتور مـاكراثى Mc Carthy وهـذا السـناتور لويسكونسين والذى انتخب فى عام ١٩٤٦م، حصل علـى فكـرة اسـتخدام الاتهام بالشيوعية، والتى انتشرت بسرعة، لكى يستولى على إدارة الحـزب الجمهورى، وربما يحقق مطامع أخرى. وبدأ حملته فـى ٩ فبرايـر ١٩٥٠ معلنا انع يعرف أسماء ٢٠٥ شيوعى متوغلين فى أجهزة الدولة، ثـم اتهـم الأب لاتيمور Pr. Lattimore بالتجسس. ثم هاجم بعد ذلك فيليب جوسـب Philip Gessop ممثل الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة. وبقيامـه بـذلك وضع ماكارثى نفسه على رأس تيار رجعى قوى، كان قد نما منـذ نهايـة الحرب، ضد روزفلت وضد كل ما كان يذكر بسياسـته. ورغـم الهزيمـة المؤقتة التى نزلت به أمام لجنة مجلس الشيوخ. إذ أنه لم يتمكن من تقديم أى دليل على ما كان قد ذكره، فإن ماركاتى قد استمر فى حملته، مهتما فى شهر يونيو ١٩٥١م الجنرالان مارشال وايزنهاور Eisenhower بأنهما قد ساعدا الاتحاد السوفيتى فى محاولته السيطرة على العالم.

ومع ذلك، فإن اتهامات ماركاثى كانت تعبر عن المشـاعر، غيـر الواضحة بضرورة عمل شىء ضد الشيوعية. وكان الرئيس ترومان قد قدم،

منذ عام ١٩٤٨م أحد عشر زعيما شيوعيا أمام المحاكمة بتهمة دعوتهم لاستخدام القوة فى قلب حكومة الولايات المتحدة؛ وحكم عليهم بأحكام بالسجن. ولكن الأمر خرج من أيدى الرئيس حين قام الكونجرس بالتصويت، فى شهر سبتمبر ١٩٥٠م على قانون ماكاران Mc Carran بشأن الأمن الداخلى، والذى نص على أنه يجب على كل الشيوعيين أن يجلسوا أنفسهم فو وزارة العدل، وسوف يحرمون من جوازات سفرهم، ولن يتمكنوا من تقلد الوظائف العامة. وأظهر ترومان اعتراضه ورد باستخدام الفيتو، وأعلن أنهم "فى البلاد الحرة يعاقبون الناس على الجرائم، وليس أبدا على آرائهم"، وأبعد الكونجرس الفيتو، بأغلبية كبيرة. وفى شهر يوليو ١٩٥٢م، صوت الكونجرس على قانون ماكاران– والتر عن الهجرة، ذلك القانون الذى حرم دخول الأراضى الأمريكية على شكل شخص متصل بالحزب الشيوعى أو على كل منظمة على اتصال بهذا الحزب. ومرة جديدة تقدم ترومان بالفيتو، ودون أن يصيب نجاحا أكثر.

وأعطى الكفاح ضد الشيوعية لماكارثى وللحزب الجمهورى موضوعا ممتازا للحملة الانتخابية فى شهر نوفمبر ١٩٥٢م: اتهام الديمقراطيين بحماية الشيوعيين فى الداخل، وعدم معارضتهم فى الخارج، وبدا أن إقامة سد قوى فى مواجهة التوسع الشيوعى هو التكتيك الفعال. وأضافوا إلى ذلك موضوع الانحراف نتيجة لاكتشاف رشاوى السلطة التى اتهموا بها رجالا من المحيطين بترومان. ورغم أن أمانة الرئيس الذى انتهت مدته كانت رغم كل شك، إلا أن الاتهام بالانحراف كان خطيرا بالنسبة للديمقراطيين.

ولكن المظهر الأساسي لانتخابات الرئاسة فى عام ١٩٥٢م كان هو الدور الذى قام به المنتخبون فـى اتخـاذ القـرارات وبواسـطة شخصـية ~رشحين. ففى البداية، كان التوزيع طبقا للأفضليات الأيديولوجيـة تعطـى الحزب الديمقراطى تقدما كبيرا، وبنسبة ثلاثة ضد اثنين؛ ولكن وجهات نظر قواعد الحزبين عدلت قليلا من هذه النسبة بين القـوى. ومـا دام شـخص المرشح قد أصبح هدفا، فإن موقف منتخبين كثيرين قد تعدل. ذلـك أن كـلا المرشحين كانا يمثلان مظاهر مختلفة تماما.

وكان الحزب الديمقراطى قد اختار، فى مؤتمر شيكاغو (٢١ يوليـو ١٩٥١) آدلاى ستيفنسون Adlai Stevenson حاكم إلينوا. وكان ستيفنسون ذكيا مثقفا كثيرا بالنسبة للجماهير، وكان غير معروف تماما من العامة؛ وكان طلاقه يقلل من قدره فى نظر الكثيرين. وكان الحزب الجمهورى قـد أبعـد السناتور تافت، المتحدث التقليدى باسم للجمهوريين، والذى كان كبير العداء لقانون العدالة، ويميل إلى اتجاه العزلة فى السياسة الخارجية، وفـى صـالح الجنرال أيزنهاور والذى كان الجمهوريون فى ولايـات انجلتـرا الجديـدة، والمصممين على أن يحتفظوا بالمظاهر الأكثر حكمة (الدولة الرخاء) وعلى أن يبعدوا كل دعوة لاتجاه العزلة، وقد اتفقوا، وإن كان ذلـك مـع بعـض الصعوبة، على أن يمثلهم. وكان أيزنهاور مرشحا ممتازا: فكانـت خدماتـه كجنرال وبطل عسكرى، قد زالت شعورا قويا حياله بين عناصر السـكان، وحتى قبل أن يشترك فى سياسة الحزب. وعلاوة على ذلك، فـإن ترشـيح أيزنهاور قد ظهر على انه يتفق تماما مع مطالب هذه الفترة. وكانت سمعته التى لا توازى كرئيس عسكرى منتصر تسمح بإمكانية إيجاد حـل لمسـألة كوريا الفظيعة. وكان ابتعاده عن كل الارتباطات السياسية وأمانته الشخصية، والمعترف بها من الجميع، تسحر هؤلاء الأشخاص العديدين الذين كانوا قلقين

من انخفاض الاخلاقية السياسية فى واشنطون. وأعطت انتخابات ٥ فبراير ١٩٥٢م لأيزنهاور ٣٣,٨٠٠,٠٠٠ صوت و٤٢٢ تفويضا ضد ٢٧,٣٠٠,٠٠٠ صوت و٨٩ تفويض لستيفنسون. ولم يفز هذا الأخير فى أى ولاية خارج الجنوب، وحتى فى هذه المنطقة التى كانت بتقاليدها ديمقراطية، فقد فلوريدان وأوكلاهوما. تينيسى، وتكساس، وفرجينيا. وكانت الانتخابات انتصارا شخصيا لأيزونهاور أكثر من كونها انتصارا حقيقيا للحزب الجمهورى. والدليل على ذلك كان يتمثل فى أن هذا الحزب لم يحصل على الغلبية فى الكونجرس إلا بالكاد: ٢٢١ مقعدا فى المجلس ضد ٢١٣ و ٤٨ مقعدا فى مجلس الشيوخ ضد ٤٧ للديمقراطيين وواحد من المستقلين. ورغم كل شيء فقد كان فى وسع الجمهوريين أن يسعدوا برؤية نهاية ما كان بالنسبة إليهم عشرين من سيطرة الديمقراطيين.

وفى بداية سنوات الخمسينات، كانت عملية إعادة الإنشاء قد تمت فى كل مكان. وكانت فى بلاد كثيرة قد نجحت نتيجة لسياسة الاقتصاد الموجه، والناتج عن الحرب اليسار قد واصلت تمسكا بها. وفى نفس الحالات، سار الاقتصاد الموجه فى نفس الوقت مع سياسة التأميمات، والتى امتدت، كما هو الحال فى فرنسا، وفى بريطانيا العظمى، والتى كانت قاصرة، كما هو الحل فى هولندا، نيوزيلندا الجديدة وفى استراليا. وكان الاقتصاد الموجه، والتأميمات، وبخاصة الإصلاحات الاجتماعية اللازمة"لدولة الرخاء"، وهى المظاهر الأساسية "لقوة دفع قوية صوب اليسار"، مصحوب فى غالب الأحيان باستخدامات لفظية غير واضحة. وكان من الممكن فى أوروبا الغربية بنوع خاص التعرف بشكل أكثر سهولة على مناخ وطراز هذه الفترة التالية للحرب مباشرة. مناخ وطراز كانت الأحزاب الشيوعية تطالب فيها بالتحيات التى كانوا قد منحوها المقاومة وبحقهم فى الحكم، وحيث كانت

الأحزاب الاشتراكية، وحتى إن كانت الأكثر اعتدالا تعتقد أنها المضطرة إلى الإصرار على ضرورة نضال الطبقات، وضرورة الثورة، وحيث كانت حتى الأحزاب المعتدلة مثل .C.D.U تتخذ عند تشكيلها برنامجا "مثـل برنـامج آهلين فى شهر فبراير ١٩٤٧" متقدما كثيرا، وهو الذى تركـوه منـذ عـام ١٩٤٩م، وفترة من ناحية أخيرة، كانت أشكال البطولة التـى تقتـرح فيهـا لإعجاب الجماهير، هى عمال المناجم فى قصص أندريه ستيل Andre Stil، وعمال السكك الحديدية الذين يشتركون فى المقاومـة فـى فـيلم "معركـة القضبان" ، والعامل الذى يبحث عن عمل فى فيلم "سارق الدراجة".

ولكن بعد عدة سنوات من التقشف، ومن العمـل الصـعب، ومـن مواجهات سياسية حادة، أصبحت الجماهير تأمل، وفى كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الوصول إلى مرحلة استرخاء وسـمحت لهـم عودة الرخاء بالفعل، بالتنفس فى بعض الوقت، وبإعطاء ثقتهم لأولئك الذين وعدوهم، لا بتغييرات عميقة، وبثورات، ولكن بالتحسن الصبور والمسـتمر للعالم الذى يعيشون فيه.

الفهرس

Inv: 1

Date:27/11/2012





E-mail: bostan_elma3rafa@yahoo.com

Graphic : 0128595473